

فن صناعة الذكريات مع الأبناء

اليوم..
كيف نصنع
مع أبنائنا
ذكريات الفد

الدكتور التربوي
عبدالله محمد عبد المحسن





**فنّ
صناعة الذكريات
مع الأبناء**

اليوم.. كيف نصح مع أبنائنا ذكريات الغد؟

الخبير التربوي



عبدالله محمد عبدالمعطي

E-mail:atfallna@yahoo.com



جميع الحقوق محفوظة

١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

رقم الإيداع / ٢٠١١/٩٦١٨
الترقيم الدولي / I.S.B.N
977-265-811-9

دار التوزيع والنشر



١٥١ شارع بورسعيد - السيدة زينب - القاهرة
ت. ٢٣٩١٧٩٥٠ ف. ٢٣٩١٧٩٥٦
d.alnashr@gmail.com www.daralawakeel.com

إهداء

إلى أمي وأبي .. من صنعا أجمل الذكريات في حياتي،
وخطا بالمحبة أجمل السطور في قلبي .

إلى زوجتي الحبيبة ام عمر.. نبع البركة والنقاء،
وأجمل هدية أرسلها لي رب السماء .

إلى فرقة العين عمر .. وأنا على يقين أنك ستظل تذكر ما
كتبناه معاً في صفحات قلبك البيضاء .

جمعنا الله - تعالى - في جنان الخلد العالية .
وأجلستنا - بكرمه - نأكل من ثمارها الدانية .
وحيثما نتذاكر ما كان بيننا في أيام الدنيا الخالية .

المؤلف



روى الطبراني عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يضع الرجل من الحسنات يوم القيامة أمثال الجبال، فيقول: أنى هذا؟ فيقال: باستغفار ولدك لك»^(١)...
وروى ابن ماجة وأحمد (واللفظ له) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله - عز وجل - ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة، فيقول: يا رب، أنى لي هذه؟ فيقول (تعالى): باستغفار ولدك لك»^(٢)...

إن استغفار الواحد منا لوالديه والدعاء لها نوعان: الأول يكون دعاء باللسان دون حضور القلب، كأن يقول الواحد في صلاته داعياً لوالديه: «رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا» أو يؤمن خلف الإمام وعقله سرحان، والنوع الثاني من الدعاء للوالدين والاستغفار لها يكون بحضور القلب وانتباه العقل، وهذا يحدث عندما يتذكر أحدنا موثقاً جيلًا لأحد والديه قد فعله معه منذ سنين، فتجده يقول: لا أنسى ما فعله أبي معي يوم كذا، الله يرحمه... من أين تخرج هذه الرحمة؟ بالتأكيد من أعماق قلبه، إن الدعاء المرتبط بذكري جميلة يفرج من القلب، وكلما زادت الذكريات الرائعة زادت الدعوات النافعة؛ لذا فالألب الناجح والأم الواعية هما من يفران في عقول أبنائهم وقلوبهم الكثير من الذكريات الجميلة التي لا تنسى، وليتذكر الجميع أننا اليوم نضع مع أطفالنا وصغارنا ذكريات الغد...

إن الذكريات الجميلة ما هي إلا بصبات يضعها من نحب في قلوبنا، أو نضعها نحن

(١) المعجم الأوسط / ٢ / ٢٥١.

(٢) سنن ابن ماجة ج ٢ / ١٢٠٧، ومسنن الإمام أحمد بن حنبل ٢ / ٥٠٩، والحديث صححه الألباني، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤ / ١٢٩ ح ١٥٩٨، وصحيح سنن ابن ماجة باختصار السنن ٢ / ٢٩٤ ح ٢٩٥٣، وصحيح الجامع ح ١٦١٧.

في قلوب من نحب من أبنائنا وبناتنا، وتبقى آثار تلك الذكريات في القلوب والعقول، وبمرور الزمن نسترجع ذكراها، فنشاق لأصحابها، ونحنّ لقرهيم، ونفخر بالعيش بينهم، نذكرها لهم في الدنيا ندعو لهم بسببها، ثم نتذكرها معهم عندما يجتمعنا اللقاء في الجنة إن شاء الله؛ قال رسول الله ﷺ: «إذا دخل أهل الجنة الجنة؛ اشتاقوا إلى الإخوان، فيجيء سرير هذا حتى يجاذي سرير هذا فيتحدثان، فيتكئ هذا ويتكئ هذا فيتحدثان بما كان في الدنيا، فيقول أحدهما لصاحبه: يا فلان تدري أي يوم غفر الله لنا؟ يوم كنا في موضع كذا وكذا فدعونا الله فغفر لنا»^(١)، فما أجل أن تلتقي في الجنة مع زوجك وأبنائك، تتذكرون ما كان بينكم من أمر الدنيا! وبأهلها من ذكريات!

ولأننا اليوم نصنع مع أبنائنا ذكريات الغد، ذكريات الدنيا والآخرة، فقد اجتهدت على مدار ثلاث سنوات أن أغوص في أعماق القلوب لاستخراج روائع تلك الذكريات، في كل المحاضرات والندوات جعلت الكثيرين من الآباء والأمهات والشباب والبنات يكتبون ذكرياتهم مع آبائهم وأمهاتهم، بالإضافة إلى تجاربهم التربوية مع أبنائهم، وتجمع بين يدي أكثر من ٧٠٠٠ تجربة، قرأتها بعناية شديدة، وانتقيت أفضلها، ثم انتقيت مما انتقيت.

وفي هذا الكتاب أقدم للآباء والأمهات خلاصة هذا الجهد في ثلاثة فصول، الفصل الأول (ذكريات صنعها الآباء والأمهات) وفيه أكثر من ٢٥٠ ذكرى عملية وفكرة تربوية معاصرة واقعية ومبدعة، هذه الذكريات حكاها أصحابها عزوجة بالعبيرات مع الدعوات لمن هو حي من آبائهم أو مات، هي تجارب لآباء وأمهات عاشوا في زماننا وأبدعوا في تربية أبنائهم، إنهم فلاحون وعمال وأطباء ومهندسون وفقراء وأثرياء وأساتذة جامعة وأميون من دول عدة وجنسيات مختلفة، لكنهم يجتمعون في شيء واحد هو «قلب الأبوة الحاني».

وفي الفصل الثاني (ذكريات صنعها الأبناء) وفيه ما يقرب من ١٥٠ تجربة عملية

(١) مجمع الزوائد للهيتمي ١٠ / ٤٢٤، والبدور السائرة للسيوطي ح ر ٤٧٦ وقال عنه: إسناده حسن، وضعه الألباني في السلسلة الضعيفة ح ر ٥٠٢٩.

واقعية، عندما تقرؤها ستضحك أحياناً وتدمع عينك في أخرى لكنك ستشعر بجمال الأبوة وحنان الأمومة وستجد في تجارب الآخرين العبرة والنفع.

وفي الفصل الثالث (القواعد الذهبية لصناعة الذكريات الأسرية) خطوات عملية من سار عليها صنع مع أبنائه أجمل الذكريات، ومن خلال هذا الفصل ستحذر من اللقاء الأخير وتعرف سر المكالمة التليفونية التي غيرت حياة الكثيرين، وستفتح حساباً في بنك العواطف الأسري تودع فيه أكثر من ١٨٠ طريقة، ثم تطبق أكثر من ٢٠ فكرة مبدعة، وفي النهاية تطبق السنن التربوية بحلاوتها ونقائنها وعمقها ليحصل أبنائك على أثرها الطيب وأنت على ثوابها الجزيل.

أيها القارئ الكريم، إن ما كتبه في هذا الكتاب ما هو إلا ذكرى ستذكرني أنت بها يوماً، وأرجو منك ساعتها ألا تنساني من صالح دعائك، وصدق الشاعر إذ يقول:

الخط يبقَى زماناً بعد كاتبه وكانت الخط تحت التراب مدفون
يارب فاعفّر لعبد كان كاتبه يا قارئ الخط قل يا ربّي آمين

عبدالله محمد عبدالمعطي

السبت ٩ من شوال ١٤٣١ هـ

١٨ من سبتمبر ٢٠١٠ م





الفصل الأول

ذكريات

صنعها

الآباء والأمهات



تمهيد

على مدار ثلاث سنوات وفي كثير من المحاضرات والندوات كنت أسأل الآباء والأمهات السؤال التالي: ما الموقف الجميل الذي فعله معك والدك (أو والدتك) ولا يمكن أن تنساه، وكلما تذكرت ذلك الموقف تدعو له (أولها) بالرحمة والمغفرة من قلبك؟

كنت أوزع أوراقاً بيضاء ليكتب فيها الجميع ذكرياتهم مع آبائهم وأمهاتهم، ولقد أبدعوا فيما كتبوا، ولقد لاحظت في تلك الذكريات التي جمعتها (٧٠٠٠ ذكرى وأكثر) أن الطعام والشراب والملبس والمسكن الذي يشغل بال الآباء صباح مساء؛ لا يتحدث عنه الكثيرون كذكرى جميلة، فالجميع يعتبر هذه واجبات على الوالدين توفيرها، فالحاجات المادية يسعى الجميع لتوفيرها كل حسب استطاعته، لكن حاجات الأبناء النفسية والقلبية يغفل عنها الكثيرون، فالأب الغائب عن بيته دوماً لن يتذكره أحد، والأب المشغول محل مكانته في قلوب الأبناء آخرون، إن الأب صانع الذكريات هو من يعطي أبناءه أوقافاً أكثر مما يعطيهم أشياء، أما من يحتزن ابتسامته الحلوة للغرباء من الزملاء والأصدقاء، فهذا سريعاً ما ينساه الأبناء والبنات، لقد قرأت بعناية كل ما جمعته من ذكريات، وانتقيت أفضل ما فيها، ونقلته لكم خلال هذا الفصل في ٢٥٠ ذكرى أبوية جميلة، عندما تقرأها لن تستطيع أن تحفي دموعك، وأحياناً ستضحك فرحاً، وربما تصيح انبهاراً، وأجل ما في تلك الذكريات أنها واقعية عملية تربوية مبدعة، عندما تقرأها لا بد وأن تخرج منها بفائدة، وعندما لا تنسى أصحابها في صالح دعائك، وإياك إياك أن تنسى من كان وسيط خير بينك وبينهم، هذا الكاتب الذي جمعها من قلوب أصحابها، ووضعها بين يديك في صفحات هذا الكتاب، والآن ماذا تنتظر، اقلب الصفحة، اقرأ ما سيجعلك تصنع مع أبنائك أجمل الذكريات.

تقود العائلة .. أكلتها العائلة :

كنا نعيش في بيت العائلة الكبير، ولكل أسرة حجرة خاصة بهم، فنحن مع والدي ووالدتي في حجرة، وأعمامي كل واحد منهم مع أسرته في حجرة، وجدتي - رحمة الله - في حجرة، وكنا نأكل معًا ونعمل معًا في الحفل وغيره، وكان والدي - رحمه الله - أكبر إخوته لذا كان يحتفظ معه بكل أموال العائلة، وذات ليلة سرقت منه جنيهن وتأكدت أنه لم يشعر بي، وانتظرت فترة من الزمن أمثل عليهم جميعًا أنني أعمل وأدخر شيئًا من المال، وذات يوم قلت لأبي: إنني ادخرت وأريد أن أشتري بها عتزة صغيرة لأرهبها في بيت العائلة، فوافق أبي وذهب معي لشرائها من السوق، ولما عدت وفي يدي العتزة سألتني الجميع عن مصدر النقود، فقلت لهم: إنني عملت بها وكنت أجمعها في حصالة خاصة بي، وصدقني الجميع وصاروا يهتمون بإطعام العتزة الخاصة بي، فتسمعهم يقولون: أطعموا عتزة محمد، اسقوا عتزة محمد، احتفظوا بهذا البرسيم لعتزة محمد... ومرت شهور وكبرت العتزة، وذات صباح قطعت العتزة الحبل وذهبت فأكلت كثيرًا من الأرز حتى نامت على الأرض متعبة من كثرة ما أكلت، واجتمعت العائلة ورأوا أن العتزة ربما تختنر من كثرة ما أكلت، فقرروا ذبحها، وبالفعل ذبحوها وفي المساء جلست العائلة كلها يتناولون لحم العتزة وهم يضحكون ويقولون: اصبر يا محمد، عقبال العتزة القادمه، والبعض يواسيني والبعض يضاكنني، وأبي صامت لا يتكلم، وفي اليوم التالي، كنت جالسًا بمفردي حزينا على فقدان مشروعي الصغير، فجاء والدي مبتسما وقال: يا محمد، أريد أن أقول لك شيئًا، يا بني لا تحزن، «ففقود العائلة .. أكلتها العائلة»... فتوقفت حينها لحظات عن التنفس من هول المفاجأة، وزاح بصري وقلت لنفسي: لقد كان يعلم بسرقتي للجنيهن طوال الستة أشهر الماضية ولم يتكلم، وكان يراني أربي العتزة ولم يقضحني، ولم أفق من تلك الحالة إلا عندما قال لي أبي: محمد، خذ هذين الجنيهن الحلال واشترِ بها عتزة جديدة من نقود حلال... يا لصبرك يا أبي، فطوال شهور كنت تراقبني وتعلم أنني سرقت النقود منك لكنك تتغافل عما فعلت، طوال شهور ترى ابنك السارق يتحرك أمامك فرحًا - بالعتزة

- الناتج عن سرقة ولم تفضحه، كل هذا لأنك تربي إنسانًا لا بهيمة، كل هذا لأنك تريد أن تمتلك قلب ابنك لا تمتلك جسده، ولقد نجحت يا أبي بامتياز، وجيالك دين في رقبتي إلى يوم القيامة، فهل هذا أب يمكن نسيانه؟

ومن يومها لم أرسب في امتحان:

كان والدي - رحمه الله - رجلًا أمينًا لا يقرأ ولا يكتب، وكنت أشعر أنه شديد جدًا في تعامله معي، لكن لا أنسى ذلك اليوم الذي رسبت فيه في مادة من المواد، وكان قبئها يتوعدني إن رسبت بالعقاب الشديد، ووعدني إن نجحت بهدية جميلة، لقد عدت يومها من المدرسة خائفة حزينة وخاصة أنني أحمل في يدي شهادة الدرجات شاهدة على استحقاقى للعقاب، لقد كنت أقدم رجلًا وأوخر أخرى، وطوال الطريق أفكر في غضب أبي، هل سيشتني؟ هل سيضربني؟ هل سيحرمني من الخروج؟ ولم أفق من أفكري هذه إلا وأنا على باب البيت، فدخلت وفوجئت بأبي يجلس ينتظري، ولما رأني تفاجأت به يسرع نحوي، وفجأة أخذني في حضنه وتناولني شيئًا كان في يده وقال لي: هذه هديتك، لأنني أعرف أنك مجتهدة وفعلت ما عليك، فعل الإنسان أن يعمل وليس عليه إدراك النجاح، فهممت أن أقول له: لقد رسبت في مادة... لكنه قاطعني وقال: لقد عرفت النتيجة من مدرستك، ولا يهمك فأننا أحبك أكثر من حبي لدرجاتك، وأنا على يقين أنك ستعوضين هذا بنجاح كبير، ومن يومها لم أرسب أبدًا في امتحان، ومن يومها أصبحت أنا وأبي أصدقاء، وزادت صداقتنا بعد زواجي وإنجابي للأولاد، اللهم اجعله من أهل الجنة هو وأمي.. آمين.

واقفت مع أبي في الكويت:

كنت أدرس في مدرسة ثانوية في دولة الكويت، وأخذنا ذات يوم درسًا عن فضيلة الصدق، وكانت معلمتي على خلق ودين ولها تاريخ طويل في الدعوة إلى الله، المهم أنني رجعت إلى البيت وقد عقدت العزم على التزام فضيلة الصدق وترك الكذب، وعاهدت

الله على ذلك، وحكيت لوالدي ما كان؛ فشجعتني على ذلك، وكان يسألني عن المصروف فيما أنفقته أو عن أي شيء آخر، فأقول له: يا أبي، لقد عاهدت الله على الصدق، فإن كانت الإجابة سهلة عليّ سأجيبك بقول الحقيقة، وإن كانت صعبة عليّ - وسأضطر للكذب - فسأقول لك أعفني من الإجابة، ومن يومها إذا سألتني أبي عن شيء فعلته وصعب عليّ الجواب وخفت أن ألقا لكذب؛ أقول له: يا أبي، الأفضل ألا أورد، فكان أبي يشجعتني ويحترم صمتي، لقد تعلمت في حياتي درسًا جيدًا، وهو أن أقول الصدق وإلا أصمت، وكبرت وتعلمت الثورية بضوابطها الشرعية، وأستخدمها بمهارة حتى لا أكذب، المهم أنني منذ المرحلة الثانوية وحتى اليوم - قرابة عشرين عامًا - أتذكر أنني بفضل الله لم أكذب يومًا، وثمرات ذلك في حياتي لا تعد ولا تحصى، فأنا لليوم معروفة بقول الصدق وإلا فالصمت، وأولادي يعرفون أن ماما لا تكذب أبدًا مهما كان الموضوع الذي نتحدث عنه تافهًا أو صغيرًا.

ونفعتني نصيحة أبي بعد عشرين سنة:

في طفولتي كنت أرى والدي يحافظ على الصلوات في المسجد، وظل والذي لسنوات يشجعتني على الصلاة، حتى إن أكثر شيء كان يردده عندما يراني ويسلم عليّ هو «هل صليت»، حتى لو دخل البيت ليلاً ووجدني نائمًا فإنه كان يوقظني برفق قائلاً: أصليت العشاء، وكنت - للأسف - في كل الحالات أقول له: نعم صليت، وطبعًا كنت في كثير من الأحيان أكذب عليه، لا خوفًا من العصا لأنه كان لا يضربني، بل شفقة من أن يجزن قلبه الطيب بسبب تخلفي عن الصلاة، كنت أشعر حين أكذب عليه أنه يدرك أنني لم أصل، وعلى الرغم من ذلك كان يشجعتني قائلاً: بارك الله فيك يا بني، بل كان يخرج ما في جيبه من منتجات مزرعتنا المتنوعة ويعطيه لي مكافأة على صلاتي، والعجيب أنه لم يقل لي يومًا «يا كذاب»، لقد كانت مكافأته لي على كذبي أشد من السياط على جسدي، كم كانت مكافأته تؤمني كل ليلة... مرت الأيام والشهور وأنا على حالي من الكذب وأبي على حاله من الصبر والتغافل، وفجأة توفي أبي، رحل عن الدنيا وعمري اثنا عشر عامًا، رحل

وتركني وأنا لا أصلي إلا قليلاً، ومرت السنون وأنا في غفلة من أمري، وسافرت إلى اليمن - وعمري ٣٦ سنة - لأعمل مدرّساً، وهناك حدث لي ما لم يكن متوقّعا، فذات يوم دخلت أحد المساجد أريد صديقاً لي، فقال لي: تعالَ فاقرا معنا القرآن، فأخذت من يده المصحف محرّجا، وجاء على الدور في القراءة، وكانت أول آية قرأتها هي قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا﴾، فاهتز قلبي، واقشعر بدني، وسأل دمعي، أخذت أردد الآية وأبكي، وكان هذه الآية قد نزلت من أجلي، لقد تذكرت ما كان يفعله معي والدي منذ أكثر من عشرين سنة، وخنقت أن أكون ممن خلف السوء الذي جاء بعد أبيه وضيع الصلاة، وساعتها قررت ألا أضيع صلاة لأكون خيرا خلف لخير سلف، ومن يومها لي عشرون عامًا أحرص ألا تفوتني تكبيرة الإحرام في جميع الصلوات في المسجد، وأسأل الله تعالى أن يسامحني على ما مضى، رحمك الله يا أبي، كم أشتاق لهداياك البسيطة التي كنت تحضرها لي؛ فأنا اليوم - بصدق - أصلي.

وعاد أبي للبيت عرياناً:

لا أنسى لوالدي يوم كنت معه في الحقل وهطل المطر علينا بشدة، كنت حينها طفلاً في المرحلة الابتدائية، ولم تكن هناك أي وسيلة تحميني من المطر، وتحت الأمطار اطلقنا عاتدين للبيت الذي يبعد كثيراً عن الحقل، لم يكن أبي حينها يرتدي على جسده غير قميص أو جلباب واحد؛ ففوجئت بأبي يتجلع الجلباب ويدفنتني به، وبقي هو عرياناً إلا من شورت بستر عورته، ففعل ذلك ليدفنتني ويحميني من المطر وظل هو عرياناً يبطل المطر على جسده طوال الطريق، لم يفكر للحظة في نظرات الناس، كل ما فكر فيه كيف يحمي ابنه الحبيب، لقد تأملت جسده كثيراً ساعتها والمياه تنساب عليه، لقد شعرت كم يفضلني على نفسه ويحميني بروحه، وأخيراً عدنا للبيت وقد امتلأت ملابسنا كلها بالمياه وقلبي بالمحبة لأبي، ومن يومها لم أستطع أن أقول له «لا» في أي شيء يطلبه مني، إذ كيف أرفض طلباً لأب محب مثله؟ رحمك الله يا أبي، فرغم مرور أكثر من ثلاثين عامًا على موقفك

الجميل؛ إلا أنني لا أستطيع نسيانه مهما مرت السنين.

قلب الأبي.. ودعاء الرب:



فتحت عيني في تلك الحياة ورأيت أباً محباً عطوفاً، فمئذ طفولتي تعودت أن أسمع والدي يكثر الدعاء لنا بصوت مسموع بعد كل وضوء وعقب كل صلاة، كان يدعو لنا فتطمئن قلوبنا ونشعر بالسكينة والرضا، منذ أربعين سنة هي عمري في تلك الحياة أرى أبي - حفظه الله - يدعو لنا دون توقف، يدعو لنا مع كل وضوء دون نسيان، وبعد كل صلاة دون تكاسل، يدعو لنا جميعاً ثم يدعو لكل واحد باسمه، يدعو لكل ابن بها يحب وكأنه يعلم ما يدور في خواطرنا، وبسبب دعائه الجميل الدائم؛ وفقنا الله تعالى في كثير من أمور حياتنا، ولقد ورثنا من أبي تلك العادة الطيبة نطبقها اليوم مع أبنائنا وبناتنا، بل إن أبي اليوم يدعو لأحفاده كما يدعو لأبنائه، فجمع أبنائي بين خيرين: بين دعاء أبيهم ودعاء جدهم.

أبي.. كيف كان يودع ابنته؟

عشت طفولتي مع أبي في حب ولعب ومرح، كنت ابنته الحبيبة التي يتلطف معها بحزم ويؤدبها برفق، كان أبي يعطيني الثقة في نفسي وحرية الحركة مع الاستئذان الدائم والمتابعة الشديدة، هكذا عشت مع أبي حتى أنهيت الثانوية العامة، كل هذه الفترة كنت تحت ناظره وقريبة من يديه، وتقدمت للدراسة الجامعية، والتحققت بكلية تحتاج إلى سفر يومي، فكان والدي - رحمه الله - يودعني كل صباح قائلاً: «الله معك، يسمعك ويراك، فاحذريه»، قالها لي يومياً لمدة أربع سنوات بلا توقف، ومرت السنوات وتفرجت من الجامعة وتزوجت وأنجبت، وكلما خرجت من بيتي كأنني أسمع صوت أبي يناديني: الله معك، يسمعك ويراك، فاحذريه، وصارت هذه الكلمات في بيتنا اليوم سنة حسنة أقولها لأبنائي وبناتي كلما ودعوني وهم خارجون من البيت.

أبي... كيف ربي رجلاً؟

كان والدي يربيني على الجرأة والشجاعة ويزرع في الثقة في النفس، حتى إنه في نهاية طفولتي وبداية المراهقة كان يرسلني إلى حقلنا ويتركني أتعامل مع الجيران، ويسمح لي بأخذ القرارات في غيابه وربها في حضوره، وكنت إذا أخذت قرارًا مع أحد أمامه يوافق على الفور، لا أتذكر أنه عارضني يومًا أمام الناس، وإذا كان ما قلته أو قررته خطأ؛ لم يكن يجرئني أمام أحد، وينفذ كلامي رغم رؤيته أن العكس هو الصحيح، وعندما تعود للبيت كان يبين لي خطئي ويوضح لي الصواب، ويقول: أنا لم أعارضك في الحقل لكي لا تخرج أمام أحد، وحتى لا تبدو صغيرًا في عين الناس، لكن فكر جيدًا قبل أن تأخذ قرارك في المرة القادمة، وقل لهم أعطوني فرصة لأفكر، فهذا لن يعيبك، ولكن الذي يعيبك هو أن تأخذ قرارًا وتتفق معهم على اتفاق، ثم ترجع فيه، هكذا ربي أبي رجلاً وعلمه كيف يفكر ويقرر، فهل هذا أب يمكن نسيانه؟

وعدت راكبًا الحمار مثل الشاتحين:

أعطاني أبي - منذ ثلاثين سنة - أربعين جنيهًا لأشتري حمارًا، وكنت يومها في الصف الثاني الثانوي، قال لي يومها: اذهب إلى سوق البهائم في البلدة المجاورة فاشتر لنا حمارًا، والحق يقال لم يكن لي حينها خبرة ببيع وشراء البهائم، فذهبت مستعينًا بالله تعالى، وجعلت أراقب حركة السوق والأسعار، وهناك تعرفت على تاجر من بلدنا، فقلت له: أنا ابن فلان وأريد حمارًا، ولقد ساعدني الرجل بإخلاص وصدق، واشتريت الحمار وعدت لبلدتنا راكبًا إياه، شاعرًا بالفرحة والسعادة وكأنني عائد منتصر من موقعة عسكرية، وعند بيتنا استقبلني أبي استقبال الفاتحين، وجعل هذا اليوم عيدًا، وشد انتباهي ساعتها أن أبي لم يعلق على شكل الحمار أو حجمه أو لونه، ولم يحدثنني عن عيوبه أو سعره، كل الذي كان يمه حينها - رغم فقره - أن ابنه صار رجلاً واشترى حمارًا بمفرده.

كان أبي يراني... أجمل عروسة:

منذ ما يزيد على ثلاثين سنة كنت في المرحلة الابتدائية، أذكر أنني ذات يوم ذهبت إلى المدرسة وتركت الجورب (الشراب) في البيت، لأنني لم أجد إلا فردة واحدة فقط من زوج الجورب (الشراب)، ورغم أننا كنا في فصل الشتاء إلا أنني اضطررت لأن أرتدي الحذاء دون جورب (شراب) وأطلقت نحو المدرسة حتى لا أتأخر، وفي الحصة الأولى فوجئت بإحدى المدرسات تنادي عليّ لأتكلّم ولي أمرني عند باب المدرسة، فاهتز جسدي وتسرعت ضربات قلبي وتوقعت حينها أن هناك مشكلة ما؛ فخرجت نحو باب المدرسة خائفة، وعلى عكس ما توقعت فقد كانت هناك مفاجأة، إذ استقباني والذي بابتسامة حانية، ورّيت على كتفي، وأخرج الجورب من جيبه قائلاً: البيبي وأدفتي نفسك يا أجمل عروسة في هذه الحياة، وتركتني أبي وانصرف، لكن هذا الموقف لم يترك ذاكرتي يوماً، لقد عدت حينها للفصل ودموع الفرح تنساب على خدي، الحمد لله الذي جعل هذا الرجل الطيب هو أبي، رحّمك الله يا بابا، يا أجمل أب عرفته في الحياة.

يا بفتي داري دموع العين:

تحكي لنا إحدى الأمهات قصتها مع أبيها، فنقول والدموع على خديها: كان والدي - رحمه الله - عندما يراني حزينة أو أبكي يعني لي أغنية، يقول فيها:

يا ورد داري دموع العين

دا العمر كله يومين اثنين

يا ورد ليه عايش في عذاب

دا العمر كله نعيم وشباب

ويظل يؤنسني ويواسيني حتى أبتسم ويذهب عني الحزن، واليوم بعد أن فارق أبي الحياة، كلما أصابني هم أو غم أتذكر كلمات والدي، وتنحدر الدموع من عيني، وأشعر بالراحة والتفاؤل، وأدعو لوالدي بالرحمة والمغفرة.

سامحني يا بني فلا أملك أجرة التاكسي:

عندما كان عمري حوالي ١٢ سنة مرضت مرضًا شديدًا، وكنا أسرة متوسطة الدخل، فلما اشتد علي المرض لم يكن والدي يملك من المال غير ثمن كشف الطبيب، ومع ذلك ذهب بي إليه، وهناك قرر الطبيب ضرورة أن يذهب بي والدي إلى المستشفى، فقال والدي منكسرًا: ألا يمكن أن ننتظر للغد؟ فقال الطبيب: أخشى أن يموت منك، فشكره والدي وانصرف حزينًا يفكر في حالي، كنا في فصل الشتاء وكانت الساعة ١٢ مساءً، وحينها قرر والدي أن يذهب بي إلى المستشفى، وكانت المسافة بينها وبين عيادة الطبيب حوالي ٥ كيلومترات، فقال لي والدي وأنا أعاني من شدة الألم: سامحني يا بني ليس معي أجرة التاكسي، وحلني على كتفه، وكنا تعب أنزلني وهو يقول لي والدموع تنهمر من عينيه: «سامحني يا ولدي، فلا أملك أجرة التاكسي»، كررها يومها مرات كثيرة، كنت أشعر حينها بأنفاسه الحزينة، لدرجة أنني نسيت مرضي من إشفائي على أبي وحزني على حاله، ما أصعب أن يشعر الأب أنه قليل الحيلة ولا يستطيع أن ينقذ ابنه من مرض أليم! ما أقسى أن يجد الأب نفسه مقيدًا بقيد الفقر أمام ابن مريض! واليوم بعد مرور السنين تحسنت أحوالنا، وتلك الأيام نداؤها بين الناس، ولكن هل أستطيع أن أرد جميل أبي؟

جاكت أبي.. دليل محبة:

كان والدي في طفولتي يأخذني معه ونمشي على الكوبري فوق النيل، وفي أيام الشتاء كان والدي يلبس جاكت طويلاً، ويقوم بتغطيتي بطرف ذلك الجاكت ليحميني من البرد، كم كنت سعيدة بتلك الجولات الأبوية، لقد مشيناها معاً مرات كثيرة في سنين عديدة، ومرت الأيام وتزوجت ورزقتي الله بالبنتين والبنات، ولكبر سن والدي أذهب بداية كل شهر لأقبض له راتب المعاش، وعندما أطلب من بطاقة تحقيق الشخصية يقول لي: بطاقتي عندك في جيب الجاكت، إنه الجاكت نفسه الذي طامنا غطاني بطرفه، لذا أتوقف أمام (الجاكت) وأمسح عليه بيدي وأقوم بتقبيله، وقد تنساب دموعي، إنه يذكرني بأيام جميلة

ليتها تعود، إنها الأيام التي شرت فيها من نبع حنان أبي الصافي، لينه يستطيع المشي ليأخذني معه في رحلة من رحلات الماضي الجميل، حفظك الله يا أبي، وشكراً لك على لمسات (الجاكت) الخاتية.

هل للكلمات طعم؟

وأنا صغيرة كنت ثرثرة كثيرة الكلام، وكانت كلماتي قاسية إلى حد كبير، وكان لساني يسبب لي الكثير من المشاكل مع زميلاتي وصديقاتي، فقال لي أبي يوماً: «يا بنتي، تذوقي طعم الكلمة قبل ما تنطقها، فإن كانت جميلة فستجدين لها طعمًا حلواً، وإن كانت سيئة وضارة فستجدين لها طعمًا مرًا، وبدأت أجرب نصيحة أبي، وهو يتابعني بدقة، فإذا حدثت وتكلمت بسوء؟ يجعلني أكرر ما قلت لأتذوق طعمه، وكم كافاني على شيء جميل قلته، وكم جعلني أشعر بحلاوة الكلام ومرارته، واليوم بعد مرور ثلاثين سنة؛ لا زلت كلما تسرعت في لفظ كلمة سيئة تخزيني أو تسيء لغيري؛ تذكرت كلمة والدي «تذوقي الكلمة قبل ما تنطقها»؛ فلا أنطق بسوء ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.

مشروع الأرنب من أجل الحبايب:

نحن من صعيد مصر، والطبيعي عندنا أن يرحل الشباب للعمل بعيداً عن والديهم، كأن يذهبون للعمل في القاهرة أو خارج مصر، وكانت هذه نيتي طوال طفولتي ومراهقتي، إلى أن حدث موقف جعلني لا أفكر في مغادرة أبي وأمي لحظة واحدة، كنت في بداية المرحلة الجامعية، وكان لي ٧ إخوة وأخوات غيري، وحالة البيت الاقتصادية لا تسمح بدخولي الجامعة، وأصر أبي على دخولي الجامعة، وجلس يفكر مع أمي في مشروع اقتصادي بسيط لمساعدتي في الدراسة الجامعية، فاشترتوا بعض الأرنب ليربوها وتتناسل ويبيعان منها، وهذا المشروع نجح بصورة غريبة، ومن خلاله حصلت على مصاريف دراستي الجامعية طوال أربع سنوات، وكان والديّ يذهبان إلى السوق على الأقدام ليبعوا هذه الأرنب حتى لا يضيعوا قرشاً واحداً من ثمن هذه الأرنب في أجرة المواصلات،

رغم أن السوق كان يبعد عن بلدتنا حوالي ٤ كيلومترات، فكلمنا تذكرت هذا الموقف أود أن أقبل رءوسهم اعترافاً لها بالفضل، وكرد للجميل رفضت الذهاب إلى القاهرة للعيش هناك، وأثرت أن أظل معهم في قريتنا الصغيرة برأبها وردًا لجميلها، فهل يمكن أن أجازي من تعب معي بالرحيل بعيداً عنه؟ ولقد وجدت من سعة الرزق - بجوار أبي وأمي - ما لا يمكن وصفه.

جاموسة أبي.. ولين أطفالي:

ذكرياتي مع والدي - رحمه الله - كثيرة جداً، وكلمنا تذكرته بكيته ودعوت له بالرحمة، لأنه كان يعاملني كأخ له، وأذكر أنه كان يصطحبني معه إلى الحقول والمزارع، وكنت أبيت معه في حراسة محصول السمسم والقول والعدس... وعندما كبرت وتزوجت اشتري أبي ذات يوم جاموسة، فقلت له: يا أبي، ما شأن هذه الجاموسة وأنت قد كبرت سنك، وهذه الجاموسة تحتاج إلى رعاية؟! فقال: يا بني، رأيتك تشتري اللبن لأطفالك، فكرهت نفسي أن أراك تشتريه لهم؛ فقررت أن أربحك وأوفر عليك، إن قلب أبي لم يتوقف عن محبتي يوماً، ولساني وقلبي لم يتوقفا عن الدعاء له يوماً.

والد صديقي.. لبيته والدي:

ونحن أطفال، كنا نلعب يومياً بالكرة في الشارع، وكان كثير من الآباء يعارضوننا، وأبي كان واحداً من المعارضين، لدرجة أنه كان يصرخ في وجهي وربما يضربني كلما علم بأنني ذهبت وارتكبت خطأ «اللعب بالكرة»، وذلك بدعوى أن هناك ما هو أهم من اللعب كالمذاكرة وأداء مهام البيت وغيرها، مع العلم أنني لم أكن أحاول التقصير في شيء من ذلك كله، وعلى عكس حالنا جميعاً كان صديقنا «حسن»، إذ والده متفاهم جداً، لدرجة أننا ذات يوم ونحن نلعب فوجئنا بوالد حسن يحضر للتعليق، فتوقعنا أن يناله من أبيه شر، وبالفعل خلع أبوه حذاءه؛ فانتظرنا أن يضربه به، لكننا فوجئنا بوالده يعطي حذاءه لابنه ليلعب به بدلا من النعل (الشيشب) الذي كان يلبسه، فقلت في نفسي

ساعتها: يا ليته كان والدي أنا، فأبي لو جاء الآن سيغفريني بالحلواء الذي يلبسه.

لا تخش المرض.. قطعاً منّا حلال:

كنت في طفولتي أرى أبي يعمل أجيراً لدى الناس، فكان ذلك يصيبني ببعض الضيق والحزن، لكن في الوقت نفسه كنت أشعر في والدي بالعزة والرضا، وذات يوم مرضت مرضاً شديداً، فخفت جداً من الموت، وطلبت من والدي أن يدعو لي بالشفاء، فقال لي: «لا تقلق أو تشغل، ففرج الله قريب، أنا متأكد - بإذن الله - أنك ستعافي ولن يمسك سوء، وسأقول لك السبب في تأكدي من ذلك يا بني؛ إنني طوال سنين عملت أجيراً عند غيري، لكنني لم أقرب يوماً من حرام، يا بني لم أطعمكم يوماً حراماً، ولم آخذ جنبهاً بغير وجه حق، لذا فلا تخش المرض، فهو مغفرة للذنوب، وزيادة لحسناتك...» والله لقد طمأننتي كلماته، وأراحني نظراته، تلك الثقة الإيمانية في الإله الكريم جعلتني بفضل الله أتغلب على مرضي وأشفي سريعاً بفضل الله، ومن يومها وقلبي أكثر طمأنينة، إذ كيف أخشى ضياعاً وقد رباني أبي من حلال؟

أنا وأبي.. وشيخ المسجد:



كان والدي من أصحاب الرأي وإذا مكانة في العائلة، وفي أيام طفولتي كان دائماً كل جمعة يأخذني معه للصلاة، وكان يجمع التبرعات لإعمار المسجد عقب صلاة الجمعة مباشرة، وبعد خروج المصلين من المسجد، كان والدي يجلس مع إمام المسجد لكي يحصي المبلغ ويعد التبرعات، وكنت حينها في السابعة أو الثامنة من عمري، فقلت له يوماً وهو يعد ما جمعه:

هات شلن (خمسة قروش)، فرفض أبي، وقال بحزم: عندما نخرج من المسجد، فقال إمام المسجد: أعطه يا أخي إنه طفل صغير، فرفض أبي، ولكن الإمام مديده وأعطاني من مال التبرعات، فأخرج والدي بحفظة نقوده ووضع مثل ما أعطاني الإمام من النقود، وقال أبي

للإمام: لا تدخلنا النار يا أخي... والآن بعد مرور السنين أنا عضو في جمعية خيرية ببلدتنا، وأهل دائرتنا معي نفود التبرعات، وعندما أمر بضائقة مالية أنظر لأموال التبرعات وأتذكر والدي وموقفه معي في المسجد، ثم أدعو له بالرحمة والمغفرة من كل قلبي، فلولاها لكنت مددت يدي على حرام.

✍️ المدرسة خير من حقل أبي:

تكاسلت يوماً عن الذهاب للمدرسة، فلم يكلمني والدي ولم يسترضني حتى أذهب، وبدلاً من ذلك أخذني معه إلى الحقل، وهناك شد علي في العمل جداً جداً حتى أتعبني، وفي اليوم التالي قال لي صباحاً: هيا نذهب إلى الحقل، فقلت له: إني ذاهب إلى المدرسة، فابتسم أبي ابتسامة المتصبر، ومن يومها لم أتكاسل حتى تخرجت من الجامعة...

✍️ كيس الرمل... وشتائم زميلي:

قبيل دخولي المدرسة لأول مرة، كنت فرحاً مسروراً مستعداً بحقيقتي وملابسي الجديدة، لكن في أول يوم للدراسة حدث شجار بيني وبين أحد التلاميذ، فقام بشتيمي ولم أستطع الرد عليه لأنني لا أعرف الشتيمة، فأحسست بظلم يقع عليّ؛ فبكيت، وعدت قائلاً لأبي: يا بابا كان ينبغي أن أرد عليه، فأخذني والدي إلى النادي المجاور لبيتنا، وكان للنادي سور عالٍ جداً، وهناك أعطاني أبي كيساً مملوئاً بالرمل، وقال لي: سألتف حول السور لأقف في الجهة المقابلة من السور، وعندما أصل سأنادي عليك لتقذف لي كيس الرمل، وبالفعل نادى عليّ من الجهة الأخرى أن اقذف كيس الرمل، وحاولت بكل قوة، فيما كان من الكيس إلا أن انقطع وسقط الرمل عليّ، واتسخت ملابسني، وسمع أبي بها حدث فجاءني مسرعاً مبتسماً وقال لي: إن كيس الرمل مثل شتائم زميلك، من حثك أن ترد عليه الكلمة بمثلها وأنت تقدر على ذلك، ولكن إن الذي يشتم يسى إلى نفسه ويوسخ نفسه، والذي أمامه نظيف إذا لم يرد عليه، كما رأيته أمامك نظيف الملابس، ومن يومها كلما شتمني أحداً؛ ابتسمت ورأيت أمامي يوسخ نفسه «بكيس الرمل» وأنا نظيف من كل سوء، رحمك الله يا أبي فقد ظهرت قلبي ولساني بفكرتك العملية المبدعة.

أبي.. وبناته التسع:

من يرزقه الله تعالى يتسع بنات، يا ترى كيف يتعامل معهن؟ هل يتذكر أسماءهن؟ هل يتمنى ولداً؟ والدي - رحمه الله - كان واحداً من رزقه الله بنات تسعاً، ومع ذلك كان - رحمه الله - يحبنا كثيراً، وكان يمد وقتاً ليسمع كل واحدة منا نحكي له ما شاءت، وأتذكر أنه كان يسرح (يصفف) بنفسه شعر أختي الصغيرة، وأتذكر ذات يوم أنني اختلفت مع أختي التي هي أكبر مني بسنة على من سيفسل أطباق الطعام، كل واحدة منا تطلب من أختها أن تغسل لتستريح هي، أنا أقول لها: أنت اغسلي فأنا متعبة، وهي تقول: لا، اغسلي أنت فأنا سأذاكر، وهنا تدخل أبي قائلاً: لا مشكلة دعوها وأنا سأغسلها، وشمر عن ساعديه ليغسلها هو، فبكينا وطلبنا منه السباح، وكنا بعد ذلك نتسارع في من يغسل تلك الأطباق قبل أختها، هذا بعض ما فعله أبي مع بناته التسعة، واليوم مات أبي وترك خلفه تسع بنات، تزوجن كلهن وأنجن بنين وبنات، والبيوت التسعة تدعو لهذا الرجل ذي القلب الكبير بالرحمة والمغفرة.

وصية أبي في أول يوم بالكلية:

بعد أن انتهيت من الثانوية العامة، وفي أول يوم لندراسة بالجامعة، كنت على وشك الخروج من البيت والسفر للكلية فقال لي أبي: يا بنتي، أنت مسافرة وحدك، فإله رقيبك وهو الذي يراك، فاعلمي على هذا الوضع من اليوم، فإله رقيبك وليس والدك، حدث هذا منذ أكثر من عشر سنوات، والله تغيرت أحوالي، ولا زلت أعمل بكلمات أبي حتى بعد رحيله عن الدنيا.

أبي.. والبيوت الأربعة:

أذكر أنه كانت بين أبي وعمي مشكلة كبيرة، وكان أبي فقيراً بينما كان عمي غنياً، وذات يوم قال عمي لأبي متحدياً: أنت لن تستطيع أن تنفق على أولادك، ولن تستطيع

حتى أن نبيي لهم بيتًا، فقال أبي بثقة: إنني أبني بهم أربع بيوت، يقصد أن عنده أربعة أبناء سريهم جيدًا وكل منهم سيبنى بيتًا في المستقبل إن شاء الله، والذي كان فلاحًا بسيطًا، وقد تحقق ما قاله رحمه الله... فقد اجتهد في بناء البيوت البشرية (أبنائه الأربعة) عن طريق تربيتهن جيدًا، ونحن بدورنا بنينا تلك البيوت الحجرية الأربعة...

تليقون بابا هذا موعده:

توفي والدي منذ عامين رحمه الله وغفر له وعفا عنه، وأقسم بالله العظيم ما من مرفق فعله معي والدي إلا وهو ذكرى جميلة معه، ومن تلك الذكريات أنني كنت أعمل - فترة من الزمن - مُدرسة بمدسة بعيدة عن حَيَّنا، وكنت حينها أترك ابني وابنتي الصغيرين في الصباح عند والدي، وفي اليوم الذي أعود فيه متأخرة من مدرستي، كنت أحمل هم إعداد الطعام في بيتي لزوجي وأبنائي، لكنني كنت أجد في بيت والدي وجبة كاملة جاهزة بانتظار (الأرز والخضار والسمك والسلطة)، وهناك تقول لي أمي: لقد أعطاني والدك نفوسًا لأجهز لك هذا الطعام، فأخذ أولادي والطعام شاكرة وأعود لبيتي، ويعد قليل برن الهاتف، فأذهب ناحيته مبتسمة وأنا أعلم من يتصل، إنه والدي يتصل كعادته من العمل قائلا: هل أعجبك السمك؟ ما رأيك في الأكل؟ فعل ذلك معي لسنتين، رحمه الله فقد غمرني بخانه طول العمر.

ورحلت أمي قبل الفجر:

كنت في الثانوية العامة سنة ١٩٨٩ م، وذات ليلة كنت أذاكر في آخر الليل الساعة ١٢ أو ١ صباحًا، ودخلت علي والدي - رحها الله - وقالت لي: قم استحم وغير ملابسك حتى أغسلها لك، وبالفعل نفذت أمرها، وتركت لها ملابسني ونمت، وبقيت هي تغسل الملابس، وكانت ستصبح صائمه آخر يوم لها في السنة أيام البيض بعد رمضان، وعند الفجر فوجئت بالوادي يوقظني من النوم، والذموع تنساب على خديه، قلت: ما الخبر؟ فأشار نحو حجرة أمي، قلت: هل هي مريضة؟ فقال: لا، لقد رحلت عن الحياة،

لقد ماتت رحمة الله بعد أن غسلت ملابسني، الحمد لله أنني أطعت أمي قبل وفاتها ولم أتعبها كمادتي، ولقد بقيت تلك الملابس التي غسلتها أمي وكانت آخر الأشياء عهداً بيديها موضوعة بجواري على السرير، أستأنس بها من الوحشة بعد رحيل أمي، فيا من كانت أمه حيّة لم ترحل، اغتنم الفرصة وأحسن صحبة أمك، قبل أن تنفاجاً بفقدانها كما حدث معي.

بنت الخامسة والأربعين هل تشعر بقبلة أمها؟

عشت أيام طفولتي وشبابي مع أم عظوفة حنوننة، ثم تزوجت والتحقّت ببيت زوجي، لكن حنان أمي لم ينقطع، وبمرور السنين أصبح حنان أمي عادة، وذات يوم كنت في بيت والدي أثناء النهار وغلبتني عيني فنمت، ودخلت عليّ أمي فوجدتني نائمة دون غطاء، فغطتني وقبّلتني، هذه المرة بالذات شعرت بحلاوة قبلة أمي وشعرت بصفاء حنانها، وتعجبت كيف يحلو لي - وأنا بنت الخامسة والأربعين - أن أسعد بتلك القبلة وأسمتع بهذا الشعور، لقد اكتشفت أن قبلة الأم على الرأس والجبين جميلة جدًّا، وسيشعر بحلاوتها الأبناء مهما كان عمرهم.

وعداًمي متى يتحقق؟

كان أكثر ما يميز أمي أنها حازمة في كلامها، صادقة في وعدها، وعندما كنت في الثانوية العامة؛ وعدتني أمي إن أنا نجحت بساعة عالية الثمن، وكم اجتهدت رغبة في تلك الساعة، وكنت مغرماً بالمباركات العالمية، لدرجة أنني كنت أقف أمام محلات بيع الساعات وأتأمل فيها كثيراً وأتابع أحدث الماركات، لكن بعد الامتحانات وقبيل ظهور النتيجة حدث ما لم أكن أتوقّعه، لقد ماتت أمي، رحلت وما زال وعدها لي في أذنيّ، لقد رحلت عن الدنيا قبل أن تنفذ وعدها الذي لم تخلفه معي يوماً، وكم كان يوم ظهور النتيجة صعباً جدًّا، ولأنني نجحت بتفوق كما وعدتها، فقد زرتها في قبرها يوم ظهور النتيجة لأنقل لها الخبر فتسعد في قبرها، اللهم أسعد أمي فإنها كانت حريصة على

سعادتي... أما أبي، فقد أكمل مسيرة الحنان بعد أمي، وكأنه شعر أنني بعد فقدانها بحاجة إلى ركن حنون أوي إليه، فكان - رحمه الله - كلما سافرت إلى الجامعة يدعو لي بالتوفيق، ومن أجل أدعيته لي: «وزادك الله علماً يا ولدي».

وباعت أمي ثوبها من اجلي:

كنت طالباً في المرحلة الجامعية، وكانت حالتنا المادية صعبة للغاية، وذات يوم كنت أريد السفر لكليتي التي تقع في محافظة أخرى، وطلبت نفوداً من والدي فسكت، لقد سكت لأنه لا يملك نفوداً يعطيها لي، سكت والغصة في حلقه والدمع يكاد يفر من عينيه، وما كان من والدي إلا أن قالت لي: انتظر لعل الله يفرجها، وغابت عن البيت نصف ساعة عادت بعدها بالنفود ووجهها منهمل يملؤه البشر، فقلت لها: من أين انتقود؟ فقلت: لقد أفرجها الله تعالى، لا تحمل همّاً، وفرجت بعدها أن والدي قد باعت ثوبها الجديد الذي لم تلبسه والذي أحضره لها ابن عمي من الكويت، ومع أن الزمان فداز دورته وتحسنت حالتنا المادية جداً، لكنني لم أنس لأمي موقفها هذا أبداً، أعانني الله على برها وتعويضها عن سنين الصبر تلك.

أمي... والبطة الحرام:

في المرحلة الابتدائية كنت مهتماً بإسعاد أهلي وخاصة أمي، وكنت كثيراً ما أفكر في كيفية إسعاد أمي، وذات يوم قررت أن أخذ لها شيئاً كهدية لتفرح بها، فأخذت بطة كانت على ترعة صغيرة قريبة من بيتنا، وعدت إليها قائلاً: لقد وجدت في البحر الكبير، وكان تيار الماء أيامها يحمل طيوراً من قرى مجاورة لنا لا نعلم أصحابها، وإن تركناها في الماء تموت، لذلك كان الناس يأخذونها ويعتبرونها حلالاً، ولكن أمي لم تقبل مفاجأتي، وأصرت على أن أعود بها حيث وجدت وأتركها هناك، لأنه لا يمكنها أن تترك في بيتنا شيئاً حراماً، فأقسمت لها أنها حلال، لكنها أمرتني بإرجاعها حيث وجدت، وتكاسلت في إعدادها حتى جاء الليل وعم الظلام ونام الجميع، وفي الصباح استيقظنا على خبر

حزين، لقد ماتت الجاموسة التي نملكها، فقالت والدتي على الفور: كل هذا بذنب البطة الحرام التي تركناها تبيت في بيتنا، وهبت واقفة وحملت البطة «الحرام» لتعيدها إلى مكانها بعيداً عن بيتنا، ومن يومها تعلمت معنى طهارة البيت من الحرام، ومن يومها لم يدخل حياتي شيئاً فيه شبهة حرام، رحمك الله يا أمي فقد علمتني درساً لن أنساه.

وقل الباب مفتوحاً من أجلي؛

كنت في فترة المراهقة، وكنت كمعادة كثير من الشباب غضوباً ناقماً على الأوضاع قليل الاحترام لوالديه، وذات يوم تشاجرت مع أبي لسبب تافه، لكنني أسأت الأدب معه، ولم أكتفِ بذلك بل قررت أن أترك نه البيت وأرحل، وبالفعل أخذت ملاسي وغبت عن البيت شهوراً، وخلال تلك الفترة كان يظنر بيالي بيتنا وأبي وأمي وإخوتي، لقد ظننت أنهم استراحوا برحلي ويعيشون الآن في سلام وأمان بدوني، وذات يوم تفاجأت بإعلان معلق في المدينة التي رحلت إليها، والإعلان يحمل صورتي ومكتوب تحتها، هذا ابننا ونحبه، فإن رأيتموه نرجوكم أبلغوه أننا نحبه ونرجو أن يعود لبيته، وإن كان قد حدث له شيء فهذا رقم تليفوننا فاتصلوا بنا، حيناً قرأت تلك الكلمات شعرت كم كنت قاسياً مع من أحب، إن أبي وأمي وإخوتي يحبونني هذا الحب ويكون جزاؤهم مني المهجر ونكران الجميل، وساعتها قررت العودة للبيت، وحملت حقبي وسافرت عائداً لبيتي، ووصلت هناك ليلاً، وفوجئت بباب البيت مفتوح، فظننت أن هناك مصيبة وأن هناك حدثاً غريباً، فدخلت البيت، وتوجهت نحو غرفة أبي وأمي، فوجدتها هناك نائمين، فأيقظتها وكم فرحاً بلقائي، فسألتهما عن سر هذا الباب المفتوح، فقالوا: هذا الباب لم يعلق من يوم أن رحلت، لقد خفنا أن ترجع يوماً فتجده مغلقاً فنظن أننا لا نريدك، لقد خفنا أن تأتي وترجع فتركناه مفتوحاً من أجلك، لقد تركناه مفتوحاً من يوم أن رحلت، ومن يومها وأنا أعرف معنى حب الأب ورفق الأم، وسأكون مجنوناً إن تركتها ثانية ورحلت، ومرت السنون، ومات أبي وأمي، وأغلق بابها، ولما فكرت في المسألة، وجدت أن هناك باباً واحداً لا يعلق، وهو باب الله تعالى.

حلوى أبي... تحت الوسادة:

عندما كنت طفلة عمري ٦ أو ٧ سنوات، كان والدي - رحمه الله - دائماً يعود من عمله متأخراً بالليل بعدما أنام أنا وأخوتي، وعندما نستيقظ صباحاً كان أول شيء نفعله هو أن نبحث عن الحلوى تحت الوسادة، فقد كان من عادة أبي أن يحضر لنا الحلوى البسيطة معه من عمله، وعندما يجدها نائمين يضع لكل واحد منا الحلوى الخاصة به تحت وسادته، واستمر أبي يفعل تلك العادة الطيبة سنين، ومرت السنون وكبر الصغار وانطلق كل منهم يبني بيتاً جديداً مع شريك حياته، وعندما انتقلت لبيت زوجي كلما أرفع الوسادة لأنظفها؛ أتذكر حلوى أبي، ولا أنساه من صالح الدعاء.

أمي... كيف ريت يتيماً؟



والدي توفي ونحن صغار، فتكفلفت والدي بترينتنا، وأتذكر لها - حفظها الله - عندما كنت بالمرحلة الابتدائية، وكنت أمسك قلمي رصاص وأمي لا تعلم بذلك، وذات يوم تركت أحدهما في البيت وأخذت الآخر معي في حقيبة المدرسة، فرأته والدي بارك الله فيها، حينها ظننت أنني نسيت قلمي، فما كان منها إلا أن أخذت القلم وجاءت به إلى المدرسة لتعطيني إياه، لقد قطعتم مسافة كبيرة سيراً على الأقدام لكي تعطيني القلم، ووقتها لم تكن هناك مواصلات، وكنا نذهب للمدرسة سيراً على الأقدام مع التلاميذ الكبار في السن، لقد حملت أمي القلم وسارت ما يقارب الساعة لتعطيني إياه، فأشفقت على أمي كثيراً وسألتها: لماذا سرت كل هذه المسافة وأتعبت نفسك لتحضري لي القلم؟ فقالت: «فعلت ذلك حتى لا تعرض للمذلة وأنت تطلب قلباً من زميلك، لم أرد يا بني أن تكون كبيراً أمام أحد»، لقد جاءت أمي وأعطينتني القلم حتى لا أكون اليد السفلى، وأعطينتني مع القلم درساً في الحب والاعتزاز بالألم، بارك الله فيك يا أمي ورفع قدرك في الدنيا والآخرة.

أب ٦٥ سنة.. يا ترى كيف يصالح ابنته الطيبية؟

ذات يوم عندما كنت في الفرقة الثالثة بكلية الطب بشري كنت جالسة أذاكر، وحدث موقف من أحد إخوتي ضايقتني بشدة، فتركت المكان حزينة وذهبت إلى الطابق الثاني من منزلنا، وأخذت أصلي ركعتين بنية الحاجة ولعل الله تعالى يفرج همي، ففوجئت بوالدي - رحمه الله وكان في سن الـ ٦٥ من عمره - ومع مرضه الشديد يصعد خلفي ويقف ينتظرني حتى أنهي صلاتي، ولما سلمت وجدته متعباً جداً لدرجة أنه لم يستطع الوقوف فجلس خشية أن يقع، ولما وقعت عينه في عيني؛ ابتم وقال لي: ابنتي حبيبتي لا تحزني (متزعليش)، هدني أعصابك بهذا الأيس كريم، وتاولني إياه، وهنا فوجئت بما فعله أبي، لقد خرج إلى السوبر ماركت رغم سنه الكبير ومرضه الشديد ليشتري لي الأيس كريم الذي أحبه؛ حتى يفرج عني همي ويزيل عني غمي، لقد هنئي ما فعله أبي وأنساني ما كنت فيه، فحب الأب ولمسته الحانية كفيلاً بإزالة أصعب المهموم.

والذي.. والكوفيّة الصوف:



كنت في المرحلة الابتدائية، وكان البرد في مدينتنا شديداً جداً، ومع بداية العام الدراسي فوجئت بمعظم زملائي يرتدون الكوفيّة الصوف، يلفونها حول رقابهم لتحميهم من البرد، فعدت وطلبت من والدي «كوفيّة» مثل زملائي حتى تحمي من البرد، فوعدني أبي بشراء واحدة عندما يمرّ بالمحلات التي تبيعها، وقضيت بقية هذا اليوم في اللعب مخلوطاً ببعض المذاكرة، ونمت باكراً، وعندما فحنت عيني صباحاً فوجئت بشيء قد

وُضع عند رأسي، إنها الكوفيّة التي طلبتها من أبي وباللون الذي أحبه، فقممت مسروراً جداً وأسرعت نحو أبي لأقبله وأشكره، فابتسم لما رأيته وقال: لقد ذهبت لشرائها دون أن

تعلم لتكون مفاجأة، لكنني لما رجعت وجدتك قد نمت، فوقفت بجوارك محتارًا في أمري، فانا لا أريد أن أوقظك من نومك فأزعجك، وفي الوقت نفسه أريد أن أسعدك بإعطائك الكوفية التي طلبتها، فاخترت أن أضعها عند رأسك لتكون أول شيء تراه عندما تفتح عينيك في الصباح، ثم قال: يا بني، عندما تطلب مني شيئًا - أستطيع فعله - لا يمكن لقلبي أن يتأخر عنك، فقلبي يجيك... لقد كان أبي فعلًا يشتري لي كل ما أحتهجه دونما تأخير وبلا إسراف، لم يكن من نوع الآباء الذين يؤخرون الواجبات حتى تصيح ملحات، ولم يكن من نوع الآباء الذين يضعون أبناءهم في مرتبة ثالثة أو رابعة في حياتهم، ومع ذلك فلاني لم أحفظ بشيء مما اشتراه لي أبي من ملابس وأشياء، فقد كان شراؤها كلها في نظري طبيعيًا جدًّا، فهذا أب يشتري لابنه وواجب عليه أن يفعل ذلك، غير أن الكوفية كان لها شأن آخر، لقد احتفظت بها سنين، واستمتعت بلبسها طويلا، وكلما لبستها شعرت بيد أبي الحانية تحوطني بالحنان، ودعوت له بالمغفرة.

أبي... وطريق المعهد الأزهرى:

فكر والدي يومًا أن يحولني من التعليم العام إلى التعليم الأزهرى، وذلك في المرحلة الابتدائية، فأخذني ليشاور مشايخ قريتنا، وكان يأخذني في كل مشورة، وذلك حتى أسمع الآراء بنفسى وأشاركه في اتخاذ القرار، ولما قررنا التحويل من المدرسة إلى المعهد الأزهرى، أخذني معه قبل الدراسة بأيام إلى المعهد، وكانت المسافة بين بيتنا والمعهد حوالي ٢ كيلو ونصف، وجعل أبي لا يمر بوجيه في الشارع أو صاحب محل تجاري أو أحد يعرفه؛ إلا وقف معه وعزّقه بي وقال: سيمر عليك ابني هذا في طريقه إلى المعهد الأزهرى يومئذ، فاستوصي به خيرًا، وبعد انتهائنا من هذه الجولة قال لي أبي: أتدري لم أفعل ذلك؟ فقلت: لا، فقال: لتستأنس في الطريق ولا تستوحش، ولكي تشعر أن كل من تلقاه في الطريق معارف وأصدقاء، وهذا بالتفعل ما حدث، فكنت أسر على الناس الذين عرفني أبي بهم وأسلم عليهم جميعًا ويسلمون عليّ بحب، وهذا ما جعلني سعيدًا جدًّا بالذهاب والعودة من المعهد الأزهرى، ومرت السنون، وأصبحت بفضل الله من شيوخ الأزهر الموقين، كل

هذا لأن لي أبا أجنبي بصدق، وفكر في مصلحتي وشاوري وشاركتني في التخطيط لمستقبلي بحكمة، رحل الله يا أبي.

حفلة منزلية.. ونحن الضيوف:

لما أنهيت دراستي في الكلية وحصلت على الشهادة الجامعية، فرح أبي بشدة وقال: هيا جهزوا عشاء فاخراً جداً، لأنني سأعزم أناساً مهمين جداً عددهم سبعة، وذلك بمناسبة حصول ابنتنا على الشهادة الجامعية، كم كنت سعيدة أن أبي سيحتفل بنجاحي، وبالفعل جلسنا جميعاً نصنع الطعام ونجهز الحلويات وننظم البيت، وبعد صلاة العشاء عاد والدي ليجد المائدة جاهزة ونحن نلبس أجمل ملابسنا لاستقبال الضيوف، لكننا وجدناه قد عاد بمفرده وأغلق الباب، فقلنا: أين الضيوف؟ فقال: أنتم عددكم سبعة، وأنتم ضيوفي الليلة، ألا تستحقون ذلك؟

نجاح.. وأبوه.. والليس الجديد:

كنا في الصف الرابع الابتدائي، وكنت من المتفوقين في مدرسة قربتنا، فقرر أن يزور عدد من تلاميذ مدرستنا تلاميذ مدرسة أخرى في المدينة، فبدأ المدرس يختار من سيشرّفونه في تلك الزيارة، وتوقعت طبعاً أن يختارني، لأنني كنت من المتفوقين، لكنه لم يفعل، إذ كان أساس الاختيار الظالم عند هذا المدرس هو المظهر، لذلك فقد اختار التلاميذ ذوي الملابس القيمة، وكانت ملابسني بسيطة جداً نظراً لحالنا الفقير، لقد عدت يومها من المدرسة مهزوماً كثيراً، وجلست في أحد أركان البيت مهموماً حزينا، فلما رأي أبي على هذا الحال سألتني عن الخبر، فقصصت عليه ما حدث، فرّبت على كتفي وقال لي: يا نجاح، أنت ولد طيب ومتفوق، وكان من حقلك أن يختارك المدرس دون غيرك، لكنني لن أتركك حزينا، عمك قدم من ليبيا بالأمس، فاذهب إليه وقل له، يقول لك والدي: أحضر لي زياً كاملاً: قميصاً ونظلاً وحذاء، وفعلت ما قاله والدي، وقد أحسن عمي استقبالني ونفذ وصية أبي، وفي صباح اليوم التالي كنت في المدرسة من أبهى الأولاد ملبساً،

فغير الأستاذ رأيه واختارني للزيارة لما رأى حالي الجديد، رحك الله يا والذي إذ لم تقبل أن تراني كبيرًا في لحظة من اللحظات، لقد كانت هذه الأزمة كثيلة بهزيمة طفل صغير مثلي، لولا أن الله تعالى جعل أبي يفهم حالي ويشاطرنني همومي، ومن يومها تعلمت أمرين: أن أسأل عن حال أولادي في المدرسة دوسًا، وأنلطف مع الحزين منهم وأرشد الحيران وأساعد الضعيف، أما الأمر الثاني الذي تعلمته من موقف أستاذي - ساعه الله - فهو: ألا أحكم على أحد من خلال لبسه أبدًا.

على باب المدرسة.. بكى أبي:

عندما كنت في الصف الأول الابتدائي، كانت مدرستنا «مدرسة البنات» بعيدة جدًا عن قريتنا، فكانت أُمِّي تذهب معي صباحًا، أما أبي فكان يعود معي بعد نهاية اليوم الدراسي وذلك في طريق عودته من العمل، وذات يوم سافر أبي خارج البلدة، واعتقد أن والذي ستأتي بي من المدرسة، وفي الوقت نفسه ظننت والذي أنه سيرجع من سفره مبكرًا وسيحضرني معه، ولم يكن في أيامها هواتف محمولة، لقد عاد أبي يومها من سفره قبيل المغرب دون أن يمر على المدرسة، وحين وصل إلى المنزل سألت عني، فإذا بأُمِّي تقول: أنا لم أحضر البنت لأنني ظننتك ستأتي بها في طريق عودتك، فجرى والذي مسرعة نحو مدرستي، وكان الوقت ساعتها متأخرًا جدًا كنا المغرب تقريبًا، وحضر أبي ليحديني جالسة وحدي على باب المدرسة أنتظر من يأتي، وما إن وقعت عينه في عيني حتى انهمرت دموعه، ولم أشعر بنفسي إلا وأنا في حضنه الحاني، واليوم بعد مرور السنين أتذكر دمع أبي على باب مدرستي، فأبكي شوقًا لحضنه الدافئ...

أبي تاجر البهائم.. كيف رباني؟

توفيت أُمِّي ونحن براعم صغار، واجتهد أبي في تربيتنا رغم عمله الشاق، فهو فلاح بسيط ويعمل بتجارة البهائم (المراشي)، وذات يوم حدثت مشاجرة بالأيدي بيني وبين أخي، وكنا حينها في المرحلة الإعدادية، وعندما عاد والذي للمنزول وعلم بالخبر، فلم

يكلمتنا ولم يضر بنا؛ لكنه أخذنا إلى الحقل على الرغم من أنه لا يذهب إليه أبدًا لانتغاله بالتجارة، وأقسم أننا لن نعود إلى المدرسة بعد اليوم وسنعمل في مهنة الزراعة، فبكي جدي حينها - رحمه الله - بدموع صامتة، وعلى الرغم من ذلك بدأ أبي في تنفيذ وعيده، وأمرنا بقلع مساحة كبيرة من نبات (اللفت) من الأرض، وبدأنا في تنفيذ أوامر أبي صامتين وأحدنا ينظر إلى الآخر وعينه تقول: يا ترى ماذا ينوي أبي أن يفعل؟ وفي آخر النهار وبعد رحلة من العناء أمرنا أبي أن نجمع ثمار اللفت التي خلعتها ونضعها في العربة التي يجرها الحمار، فأطعناه رغم ما بنا من تعب، وامتلات العربة عن آخرها، ثم أمرنا بتوزيع «اللفت» على أقاربنا، وفي الليل بعد انتهاء المهمة الشاقة، جلس أبي معنا وقال: ما فعلناه مع بعضكم من شجار بالأيدي ليس ما يفعله أصحاب العقول، الجهلاء فقط يهون خلافاتهم بالأيدي، والعقلاء يهون خلافاتهم بالحوار والاتفاق، ومن يومها لم يحدث أي شجار بيني وبين أخي، وعشنا بوصية أبي ندير خلافاتنا بالحوار والنقاش مع بعض الصراخ والتوبيخ؛ دون اللجوء للأيدي، كل هذا خوفًا من تكرار تجربة العمل في حقل أبي، ومرت السنون سرعًا، وأصبحت أنا مهندسًا بينما أصبح أخي أستاذًا بكنية الهندسة، واليوم نحن ندعو لوالدنا لأنه سقانا من حنانه رغم طبيعة تجارته القاسية، وبالرغم من أنه لم يكن يجلس معنا كثيرًا إلا أننا كنا نشعر أنه يتابع كل صغيرة وكبيرة من شئون حياتنا، لقد كنا نشعر بحبه وحنانه في المواقف الحرجة التي نحتاجه فيها بجوارنا...

❖ برد الشتاء يذكرني دومًا بأبي:

منذ طفولتي كانت أمي تهتم بتدفئتي في أيام الشتاء، وفي المرحلة الثانوية والجامعية وحتى قبيل زواجي لم تترك عاداتها الطيبة، لقد كان لها لمسة حانية وطريقة خاصة في تجهيز البطاطين واللحاف، فقد كانت تجهزها لي بطريقة رائعة بحيث أدخل فورًا على السرير بعد عودتي من الخارج، وبحركة واحدة أكون داخل اللحاف والبطاطين؛ لأشعر بدفء وسعادة لا توصف، هذه اللمسة البسيطة جعلتني أدعو لأبي كل ليلة، والله لقد بذلت معنا كثيرًا وتعبت من أجلنا طويلاً، لكن لمسة الحب هذه لا أنساها أبدًا مهما طال بي العمر.

الآن تريد أن يرضى عنك قلبي قبل أن أموت؟

توفيت أمي وأنا في الصف الثاني الثانوي، وقبيل وفاتها بأيام وفي مرضها الأخير نادت عليّ حتى أناولها دواء تحتاجه أو أفعل لها شيئاً تريده، لكنني للأسف لم أجبها، فنادت بصوت أعلى لعلني أسمعها، فسمعتها ولم أجبها، لقد نادت عليّ كثيراً بصوت يعلبه ألم المرض، لكن لا أدري لماذا فضلت ما أشاهده أو ما أسمعه على نداء أمي، ومع تكرار نداءها ذهبت إليها لكن بعد فترة من الزمن، فقالت لي: الآن تريد أن يرضى عنك قلبي قبل أن أموت؟ لقد هزنتي كلماتها فبكيت، وارتيمت في حضنها وقلت لها وأنا أبكي: أريدك أن ترضي، أريدك أن ترضي، وبالفعل اتصلح حالي معها أيامها القليلة الباقية، وظللت في خدمتها وتحت قدميها أفعل ما تريد، ودخلت على أمي يوماً فناديتها فلم تجبني، ناديتها بصوت أعلى، هزتها حتى ترد، لكنني لم أتلق إجابة غير الصمت، وأفقت على الحفيظة المرة، لقد رحلت أمي عن الدنيا، وأرجو من الله تعالى أن تكون قد ماتت وقلبي راضٍ عني.

وبعد الجامعة جاءني أبي معتذراً:

كان أبي يجينا جداً، وذات يوم وأنا في الصف الأول الإعدادي وقعت في أحد الأخطاء في غيابي، وتوعدتني أمي أنها ستقول لأبي وسيفعل كذا وكذا، ولأنني أخاف غضب أبي؛ فقد دخلت غرفتي قبيل عيته وتظاهرت بالنوم حتى لا أواجهه عندما يصله الخبر، ولقد عاد أبي بسلام، وأخبرته أمي كعادتها سريعاً قبل أن يستريح، فسمعتة يقول: «إني أئنق في ابني ولا أتوقع منه أن يفعل ذلك»، لا أدري هل كان أبي يعلم بوجودي في الحجر ساعة أم لا، المهم أن كلماته البسيطة أثرت فيّ جداً وكانت نقطة تحول في حياتي، ومررت السنون، وتخرجت من الجامعة، وذات يوم جاء والدي ليحكي لي موقفاً رآه، لقد رأى أمام المدرسة آباء وأمهات ينتظرون أبناءهم بعد خروجهم من امتحان شهادة دراسية ومعهم طعام وشراب، جاءني أبي ليحكي لي هذا الموقف، ولبعثت عن أنه لم يفعل ذلك

معي طيلة حياته ولو مرة واحدة، لقد قال لي: ساعني يا بني فلم أكن أعرف أن ذلك يحدث، ولو علمت أن الآباء يفعلون ذلك ما حرمتك منه، ثم دمعت عيناه.

قلب أبي أكثر حياً من قلبي:



بعدها تزوجت وانتقلت إلى بيت زوجي، كنت يومياً أذهب إلى البيت والدي لأطمئن على الوالد والوالدة لكبر سنهما، وعندما كان يتعذر على الذهاب إليهما بسبب كثرة المشاغل، كان الوالد - رغم كبر سنه - يأتي هو إلينا ليطمئن علينا، وليعرف سبب عدم ذهابي إليه، ولم يكن أيامها تليفونات أو هواتف عمولة، والموقف الذي لا أنساه: أنني ذات يوم لم أستطع الذهاب إلى والدي بسبب شدة المطر، وكانت المفاجأة أن والدي هو من جاء إلينا مع هطول الأمطار وصعوبة الحركة وظلمة الطريق، وجاءني أبي مبلى الثياب وعليها آثار الطين، ولقد دخل عليّ يومها مبتسماً رغم التعب، لقد استصعبت أنا الذهاب إليهم، لكن الحب الشديد حرك قلب والدي؛ فأتى لرؤيتنا رغم الصعاب.

والدي وال ٢٠٠ جنيه:

في عام ١٩٨٠ ميلادية كنت مسافراً إلى بلد عربي، ولم يكن لي في مصر حينها أي عمل، وطبعاً كنت أحتاج لنقود لأخذها معي، ولم أكن أدري ماذا أفعل، وعند سفري فوجئت بالوادي - رحمه الله - يعطيني ٢٠٠ جنيه والدموع في عينيه وقال لي: هذا ما استطعت تديره لك، لا زلت أشعر بلمسة يده حينما وضع النقود في يدي، وبعدها سافرت أرسل لي والدي شريط كاسيت - أحتفظ به حتى الآن - يقول فيه: ليتني كنت أملك المال الذي يغنيك عن السفر، وأنا لا أريد منك أي نقود على الإطلاق حتى الـ ٢٠٠ جنيه، وأن كل ما تدخره في هذه الرحلة هو لك، ولا أريد منك شيئاً، أتذكر ذلك دائماً، وأدعو له بالرحمة والمغفرة، والعجب أن هذا المبلغ ظل معي لم أقتطع منه شيئاً إلى أن عدت من سفري، فياترى هل يمكنني تعويض أبي عن بعض ما فعله معي؟

لله يا ابنتي:

كانت أمي سيدة طيبة رقيقة القلب، كانت كلما فعلت شيئاً وسألته: ماذا فعلت هذا؟ تقول: لله يا ابنتي، فإذا أعطت مسكيناً سألتها: لماذا؟ قالت: لله يا ابنتي، وإذا أقرضت جارتنا سألتها: لماذا؟ قالت: لله يا ابنتي، وإذا زارت مريضة سألتها: لماذا؟ تقول: لله يا ابنتي، وكنت وقتها صغيرة لا أدرك سوى أن ما فعلته أمي شيء طيب فقط، لم أكن أدرك معنى هذا الإله الذي تعمل من أجله أمي، ودارت الأيام وكبرت قليلاً، ورويداً رويداً بدأت أفهم كم هو عظيم ربنا الذي تجتهد أمي في رضوانه وتسعى لغفرانه، وأدركت أنها كانت تعطي لله وتمنع لله وتكرم الضيف لله وتصنع الطعام لله، لقد كانت حياتها كلها لله، والله عمري الآن ٤٧ سنة ولا زالت أفعالها الطيبة أمام ناظري وكلما ترن في أذني «لله يا ابنتي»، وهكذا تعلمت من أمي كيف تكون حياتي كلها لله، ورحلت أمي عن الحياة ولم تتوفق أفعالها الطيبة، فقد تركت بنتاً تدعو لها صباح مساء وهي تعمل لله، لكن هذه المرة لله يا أمي.

ليت القيامة تأتي حتى أقابل أمي:

يحكي لي أحد الأباء والدعوى تفرق في عينيه والكلمات تلعثم بين شفثيه فيقول: التحقت بدراستي الجامعية بمدينة الإسكندرية، وكنت أحتاج في الأسبوع ٢٠ جنيهاً لأنفق على سكني وطعامي وشرابي ودراستي، وكان والدي لا يستطيع أن يوفر لي هذا المبلغ أو حتى جزء منه، بسبب أعبائه الأخرى مع إخوتي، فكانت أمي تعمل طوال الأسبوع في صناعة الأوعية من الخوص (الففف)، وتدخر لي ثمنها، كما تدخر لي بيض الدجاج وتبيعه وتعطيني الثمن، بل إنها كانت تلجأ للصيام حتى توفر لي نصيبها من الطعام لتساعدني به، ومرت السنون ثقيلة بطيبة وأمي صابرة محسبة، وتخرجت بتفوق وكم فرحت لفرح أمي، وشعرت أن وقت رد الجميل قد حان، وسأريح أمي قدر الإمكان بل فوق الإمكان كما فعلت معي، وبعد أيام بسيطة من تخرجي بتفوق حدثت لي

أكبر صدمة في حياتي، لقد ماتت أمي، ماتت بعد أيام من تخرجي، لم تكذب تفرح حتى بنجاحي، ولم أستطع رد جميل يوم واحد من أيامها معي، لم أستطع أن أعوضها عن أيام الجوع والصبر والحزن الذي تحملته من أجلي، أدعو الله أن تكون قد فرحت هناك في الآخرة، والله دائماً أشعر - مع دعائي الدائم لها - بالتقصير نحوها، وهذا ما يسبب لي ألماً شديداً، أتمنى أن أراها في المنام وهي راضية عني، وأتمنى أن تأتي القيامة سريعاً لأقابل أمي هناك على خير...

نظرات أبي الأخيرة:

كنت أصغر أخواتي فنحن خمس بنات، وكان أبي يعاملني معاملة خاصة، كان - رحمه الله - يبيني كثيراً، وعندما تزوجت بكى لفرقي، فأنا كنت آخر بنت تحون تفارق بيته، ولن أنسى آخر لقاء بيني وبين أبي قبل وفاته، فقد كنت أزوره ذلك اليوم في بيته، كان في صحة جيدة وصعد السلالم ليرى شيئاً فوق السطح، وعلى السلالم فاجأه الأجل، فنظر إلي نظرة عميقة ولوح لي بيديه على سبيل الوداع، وكنت حينها أحمل ابني على يدي فقال: خذي بالك من ابنتك ومن نفسك، وسقط... لن أنسى أبداً تلك النظرة المليئة بالرحمة والحب والحنان، هذه النظرة الأخيرة لا تفارق ذهني أبداً، رحمه الله وغفر له ووسع له في قبره...

هل عندكم مشروع إيماني كبير؟

منذ طفولتي كان والدي يأخذني معه ما أمكنه ذلك، وكان يحرص على صحبتي في أعمال الخير، وأكبر حلة عمل خيرية عشنتها مع أبي كانت رحلة بناء مسجد قرينتنا الكبير، كنت حينها في المرحلة الابتدائية، لقد كنت أرافق أبي في جلسات التشاور مع فاعلي الخير، وحضرت معهم الاتفاق على بناء المسجد، وعاشت مع أبي جمع الأموال والتبرعات، واشتركت مع أبي في الإنفاق على أعمال البناء، كنت ألاحظ دفته في تسجيل التبرعات وفصلها عن أمواله الخاصة، كان يسجل كل شيء يجمعه أو ينفقه، وذلك في كشكول

سميته أنا كشكول المسجد، كم كنت سعيدًا بالسير معه ومصافحة الناس واجلوس بين الكبار، ومررت السنون وبني المسجد كأحسن ما يكون، وعمره المصلون ولعاكفون، وازدهمت جنباته بالراكعين والساجدين، وفجأة رحل أبي واختفى من بين الجموع، رحل أبي عن الحياة لكن أفعاله لم ترحل، فكلما دخلت المسجد تذكرت، فلنا معًا في كل ركن من أركانه ذكرى لا تُنسى، والآن أسأل نفسي: يا ترى ما هو المشروع الحفري الكبير النافع للناس الذي سأشارك فيه مع ابني أو أبنائي وبناتي؟ ما أجل أن تكون أنت وابتك مثل سيدنا إبراهيم وابنه إسماعيل - عليها السلام - وتبنيًا معًا لله بيتًا، ويكون هذا هو مشروعك الإيماني الكبير.

المعصية... ونظرات أمي الحانية:

رأيتي أمي ذات يوم وأنا أفعل معصية، لقد رأيتي متلبسًا بكل معنى الكلمة، فتوقعت منها ضربًا وصرًاخًا وهياجًا، خاصة أنها سيدة عابدة صالحة تحشى الله تعالى، لكنها نظرت لي نظرة رحيمة حزينة معانية، وتركنتي ولم تكلمني أو تفضحني، بل إنها لم تسألني عما كنت أفعل، ولم تعاتبني، لقد كان صمتها أبلغ من كلامها، هذا الصمت أقوى من ضرب السياط وتقطيع السكاكين، لقد قائلت نظراتها ما لا تستطيع الألسنة قوله، لقد قالت: ما هكذا وبيتك، ابني لا يفعل ذلك، كنت أفطنك أفضل من ذلك، كنت أحسبك طيبًا، كل هذا وغيره كثير قالته أمي دون أن تتطق، وبفضل الله تعالى أقلعت عن تلك المعصية ولم أفعلها بعد ذلك، وكلما تذكرت هذا الموقف أقول لنفسي: لقد كان تصرفًا حكيماً جدًّا من أمي، فلو أنها صرخت أو شتمت أو غير ذلك، ربا كنت عاندها وقيلت هيبة المعصية في قلبي وتجرات عليها، ومن يومها كلما هممت بمعصية تذكرت نظرة أمي، فأدعو لها بالرحمة والمغفرة، وكم عصمتني الله عن كثير من المعاصي بسبب هذه الأم الطيبة ويسبب تلك النظرة الحانية.

أمي... والكتاكيت العشرة:

تزوجت منذ سبعة وعشرين عامًا، وبعد فترة من الزواج أكرمني الله بالحمل، فعمت الفرحه بيتنا وظللنا نتنظر المولود الجديد، فهذا يسأل عن اسمه إن كان ولدًا أو بنتًا، وذلك يدعو لي وله بالصحة والعافية، وعلى مدار تسعة أشهر عشت خليطًا من التعب والسعادة؛ إلى أن حانت اللحظة المنتظرة وتبأ الجميع لاستقبال طفلكنا الوليد، وكم صدمت أنا والجميع عندما ولد ابني ميتًا، ولقد أصابني الهم والحزن والغم، وهنا تدخلت رحمة الله على يد والدي الحبيبة، لقد قالت لي حينها: سأشتري لك بجنيته كتاكيت لتربيها، وكان في ذلك الوقت منذ حوالي ٣٠ سنة العشرة كتاكيت بجنيته، فعلا أعطتني إياهم وبدأت رحلة التربية «تربية الكتاكيت»، وفرغت مع الكتاكيت طاقة الأمومة المكونة بداخلي، وكان من طبع الكتاكيت أن الضعيف منها يموت سريعًا، فكانت كلما ماتت كتكوت أخبر أمي، فتقسم أن تعطيني بدلًا من الكتكوت الميت اثنين أحياء تشتريها، لم أكن أدرك حينها هدف أمي، لكنه بفضل الله تحقق، فلقد كانت تربية الكتاكيت عونًا لي على الصبر، وفرج الله بها الكثير من همي، وشغلت بعض وقتي ودفعنتي للتأمل في هبة الحياة وعظمة الموت، وسبحان الله فقد كانت أول وآخر مرة أربي فيها طيورًا في بيتي، ومرت السنون، ورزقني الله بنين وبنات، وكلما نظرت إليهم تذكرت كتاكيت أمي العشر، ودعوت لها بالرحمة والمغفرة، وكثيرًا ما أحكي تلك القصة لأبنائي ونختها بالدعاء لأمي.

أبي يحبني أكثر من زجاج الشباك:

والذي - رحمه الله - كان يتعاقب عن أفعالنا كثيرًا ونحن صغار، وذات يوم كسرت زجاج الشباك، وجلست في حجرتي حزينا؛ لأن والدي عندما يأتي من عمله ويعلم بالخبر، سيحزن لأننا فقراء، وعندما حضر والدي من عمله، اشتكت له والدي مما فعلته، فنظر نحوي وقال بإتسامة صافية جميلة: سبحان الله، اهواء كان شديدًا لهذه الدرجة؟ أسأل الله أن يكون اهواء رقيقًا في المرة القادمة، وسكت أبي، ووصلتني الرسالة، وصلتني رسالة أن أنتبه فيها بعد، ومن قبل ذلك وصلتني من والدي رسالة أهم، وهي أنه يحبني وأنتي عنده أهم من زجاج الشباك.

كيف أترك بصمة حب في قلب أبي؟

بعد انتهائي من الدراسة الجامعية التحقت بالجيش، وبعد انتهاء إحدى الإجازات اضطررت للسفر قبل الفجر، وكانت المسافة بين بلدنا ومحطة القطار حوالي ٣ كيلو مترات، ولا توجد سيارة، وعليّ أن أمشي حتى المحطة، فضبطلت المنية واستيقظت في حوالي الثالثة صباحًا، وتجهزت وهممت بالخروج من البيت حذرًا ألا أوقظ أحدًا، وعلى باب البيت فوجت بأبي جالسًا، لقد استيقظ قبلي ويتظنني ليوصلني إلى المحطة ويسير معي تلك المسافة، فطلبت منه أن يتركني لأذهب بمفردي ويجلس هو مستريحًا فرفض، فمشينا معًا خطوات وأحسست أن المشوار طويل عليه، فحاولت معه أن يرجع فرفض، فمشينا خطوات أخرى وزدت في إلحاحي عليه بالرجوع، فالتريق آمن ولا خوف علي إن شاء الله، وبعد محاولات وترجّ وافق أخيرًا ورجع، وسرت وحدي في هدأة الليل، وفي منتصف الطريق سمعت خلفي صوت رجل يسعل، عرفت الصوت حينها، إنه أبي خاف عليّ أن أمشي وحيدًا، فسار خلفي حارسًا لي دون أن أشعر، إن قلب الأب منعه أن يتركني أن أمشي وحدي، لكم شعرت حينها بصدق محبة أبي، ولقد بقي هذا الموقف بصمة محبة في قلبي لا يمحوها الزمن، ومن يومها قررت أن أرعى أبي كما يرعاني، لكنني سألت نفسي: كيف أترك بصمة حب في قلب أبي كما فعل معي؟

أبي... وسؤال العشاء اليومي:

كان أبي مقتنعًا أن أكبر خطأ يمكن ارتكابه هي الذهاب إلى السرير دون أن نكون قد أضفنا إلى معلوماتنا شيئًا جديدًا خلال اليوم، كان أبي دومًا يقول: «اليوم الذي لا أزداد فيه علمًا لا أعده من عمري»، وكان أبي يكرر هذا الشعار كثيرًا، حتى إنه أصبح جزءًا من تركيبنا العقلي والنفسي، وبإا أن وقت العشاء هو وقت تجميع العائلة ولا يتغيب عنه أحد إلا للضرورة القصوى، فكان يعد اجتماعًا مثاليًا لاقسام المعلومات الجديدة التي تعلمناها في كل يوم، ولذلك قام أبي بابتكار تقليد خاص بعشاء أسرتنا، فكان سؤاله الدائم على كل عشاء: «ماذا تعلمت اليوم؟»، ويثني على الجميع ويشجع ويمدح ويسم ويسرح،

وبالطبع كنا نستعد لهذا السؤال بشيء من الفرح والضحك، وتكررت هذه التجربة يوميًا ولستين كثيرة، لم يمر علينا عشاء دون أن نتعلم خلاله عدة حقائق، كان أبي دون أن يدري بمنحنا شعورًا بالكرامة، وذلك عن طريق استماعه لنا واحترامه لأرائنا، ومرت السنون، ورحل أبي عن الحياة لكن تجربته لم ترحل، فبعد مرور تلك السنين عندما أعود للمنتزل مجددًا في أغلب الأحيان بعد يوم عمل شاق؛ وقبل أن أضغ رأسي على الوسادة، أسمع صوت أبي يدوي بوضوح في الغرفة وهو يسألني: «ماذا تعلمت اليوم؟» فأفكر دقائق فيما تعلمته اليوم وأردده مع نفسي، وفي بعض الأيام لا أتذكر جديدًا تعلمته، فأنهض نحو الكتب لأقرأ شيئًا جديدًا، وحينها فقط أتمكن من النوم، وأنا أشعر أن أبي راضٍ عني، وأني بدوري راضٍ عن نفسي، فقد تعلمت اليوم جديدًا.

أم.. وبناتان.. ونصف فدان:

والدتي - رحمها الله تعالى وأدخلها فسيح جناته - هي أم لأربعة ذكور وبنتين أنا وأحدة منهما، عاشت أُمي مع والدي ٤٠ سنة كلها عناء وشقاء، فقد نشأت في قرية ريفية لا يهتم رجالها كثيرًا بقيمة المرأة ولا بحق البنات في التعليم، وكان هدف أُمي الأول هو تعليم بنتيها، فتحملت زواج والدي - الله يرحمه ويساعده - عليها من امرأتين غيرها، ولم تترك البيت، بل تحملت الضر والمز من أجلنا، وكثر عدد إخوتي حتى صرنا ستة عشر أخًا وأختًا، وكان شرط أبي على زوجاته أن من ترغب في تعليم ابنتها فلتتفق هي على تعليمها، فباعته أُمي ذهبها لتعلمنا، وورثت من أبيها نصف فدان من الأرض الزراعية، أعطته لوالدي مقابل تعليمنا أنا وأختي، والله لم تأخذ من ميراثها حتى قطعة قماش أو كسرة خبز، لقد أنفقته على أنا وأختي حتى نتعلم، وصرنا بفضل الله مدرستين والحمد لله، وقررت بنا عينها، فعلت أُمي ذلك مع أنها كانت أمية لم تكتسب علمًا في مدرسة، ولم تقرأ حتى في كتاب، لكنها بفطرتها النقية وقلبيها الصافي كانت تحمل الحب والعلم معًا، رحمها الله رحمة واسعة وجزاها الله عنا كل خير.

قراءة التشهد في المنام:

عندما كنت صغيراً كانت أمي تعلمني الصلاة، ومن تمام الصلاة أن تعلمني «صيغة» التشهد وتساعدني على حفظها، وكان حفظ التشهد بالنسبة إلي صعباً جداً، حتى إنني نمت منها ذات مساء وهي تردده معي، وعندما استيقظت من النوم أخذتني أمي بالأحضان وهي فرحانة وقالت: لقد قرأت التشهد كاملاً وبصورة صحيحة وأنت نائم، ومن يومها ولي مع التشهد حال خاص.

ومن يومها لم يتحسن خطي:

كنت طفلاً في المرحلة الابتدائية، وكان خطي في الكتابة سيئاً نوعاً ما، وكان لي صديق خطه جميل، وذات يوم جاء صديقي هذا عندنا ليذاكر معي، وبينما نحن نكتب واجباتنا دخلت علينا أمي، ونظرت في كراسة زميلي وكراستي، وقارنت بين خطي وخطه، وكانت المقارنة ظالمة، لم تتكلم أمي وظننت أنها جاءت لتطمئن علينا وترحب بصديقي، لكنها فجأة وبلا مقدمات لطمتني على وجهي بشدة وهي تقول: هل ترى خطك السيئ؟ ألا يمكنك الكتابة مثل خط زميلك الجميل؟ فارتعبت وسقطت على الأرض، لا أدري هل من شدة الضربة أم من هول المفاجأة، لقد انكسرت يومها أمام صديقي، ومن ساعتها خطي أصبح أكثر سوءاً، ورغم كل محاولاتي لتحسينه على مدار عشرين سنة بعد ذلك، إلا أنه ظل سيئاً حتى يومنا هذا، لست أدري هل هذا كله بسبب لطم أمي لوجهي؟ الله أعلم، كما أنني لست أدري هل ساعدت أمي؟ الله أعلم.

رسب أخي.. فصنع أبي له وليمة:

كنا في المرحلة الإعدادية، وبعد نهاية العام الدراسي ظهرت النتيجة، وكم كان خيراً حزياً عندما علمت أن أخي رسب بينما نجح باقي زملائه الذين في شارعنا، هكذا يتعب الناس أنفسهم دوماً بالمقارنات، وكم أنعبت من نفوس وأرهقت من قلوب، وكان أخي

بالطبع حزينا وخائفاً من رد فعل والدي عندما يصله الخبر، وجلسنا ساعتها في البيت ننتظر قدوم العاصفة، وقطع صمتنا جرس الباب، ودخل أبي، وأخبرته أمي بالخبر، فقام فجأة وتوجه نحو أخي (الراسب) وأمسك به واحتضنه، نعم أخذه في حضنه، وقال له: يا بني، أنا أعلم أنك حزين، لكنك ذاكرت وفعلت ما عليك، وعلى المرء أن يعمل وليس عليه إدراك النجاح، وأنا على يقين أنك ستذاكر بعد ذلك أفضل، ولن تجعل أباك يبدو صغيراً بين الناس أبداً، ثم صنع لأخي وليمة، نعم صنع له وليمة مواساة، كأن أبي يقول لأخي بهذه الولىمة: أنت أهم عندي من النتيجة، وحيي لك لن يتوقف مهما حدث، ومن يومها لم يرسب أخي في أي امتحان، مع العلم أن أبي لم يكن متعلماً.

وعلى صدري مات أبي:

كان والدي - رحمه الله - مريضاً بالسرطان، ولم يكن يعرف طبيعة مرضه، ومع أن الألام التي كان يعاني منها كانت شديدة، إلا أنه كان يهارس حياته بصورة طبيعية، كان أبي يحب الصلاة وأكل الخلال وكان يدعو لي كثيراً، وذات يوم صلى أبي العصر، وبعد الصلاة سمعته يقول بلغة عامية: «يا رب، أنا مصعبتش عليك بقة»، ومعنى مناجاته: يا رب ارحمني فقد أرهقتني المرض فترقق بحالي وإنه آلامي وتوفني بسلام، وبعدها بساعتين رحل أبي عن الحياة، لقد استجاب الله مناجاته، ومات وهو يتوضأ للصلاة المغرب، وخرجت روحه وهو على صدري.

أبي... لا تعرف المستحيل:

علمتني أمي أنني أستطيع أن أفعل أي شيء مهما كان صعباً أو مستحيلاً؛ طالما استعنت بالله تعالى وكانت عندي الإرادة لتحقيق ذلك، حتى إنني قمت وحدي - وتشجيع من أمي - بسحب أوراقتي من مدرستي الابتدائية، وقمت بتقديمها في المرحلة الإعدادية، فعلت ذلك وحدي وعمري حينها ١٢ سنة، ومنذ طفولتي وأمي تربطني بدعاء الله تعالى، فقد حفظت معها دعاء «يا ودود يا ذا العرش المجيد...» وعمري حينها

٦ سنوات، وكنت أحفظ «يا صريخ المستصرخين ويا غياث المستغيثين...»، وكانت تربط بين كل عمل أعمله والإيمان خاصة مراقبة الله تعالى، واليوم إذا مرض أحد أبنائي أول ما توصيني به أن أتصدق، وذات يوم تاه أحد أبنائي وضل الطريق، فظللنا نبحث عنه وهي تردد «يا من رددت يوسف لأبيه رد محمود لأبيه»، إن أمي عاشت حياتها لا تعرف المستحيل، وكيف تعرف مستحيلاً وهي تعرف رب العالمين حق المعرفة، هذا كله رغم أنها فقط تقرأ وتكتب.

وقبل الفجر خرج أبي مقترضا:

بعد الجامعة التحقت بالخدمة العسكرية في الجيش، وذات مرة نزلت إجازة لمدة يوم، وكان عليّ أن أعادر من البيت قبل الفجر، وفي الموعد المحدد هممت بالمغادرة لكنني تذكرت أنني بحاجة إلى نفود، فطلبت من والدي، لكنني فوجئت به يجيب حزينا: ليس معي والله ما تريد، لكن اطمأن سأصرف، وغاب عني دقائق خرج خلالها خارج البيت، وفوجئت به عائداً ليعطيني ما طلبت من مال، وعندما سألته: من أين جئت به؟ قال: لقد ذهبت واقترضت من عمك، فعزّ عليّ هذا الموقف، وخرجت يومها من البيت دافع العينين، إذ كيف فعلت هذا بأبي؟ والله كان هذا رغباً عني، وكم بكيت كلما تذكرت هذا الموقف، لقد خرج أبي قبل الفجر ليطرق باب عمي من أجلي، والله أنا متأكد أنه كان منكسراً حزينا على باب عمي، لكنه لم يشعرني بهذا الحزن، بل أعطاني المال مبهتاً، لقد أخفى الحزن داخله وأظهر لي البسمة حتى لا أفارق البيت حزينا، رحمك الله يا أبي وكن على يقين أنني كل يوم قبل الفجر أذكرك، وأدعو الله من أجلك كما تعبت من أجلي.

أبي.. وتاريخ الحب الطويل:

لقد عشت مع أبي أجمل قصة حب بين ابنة وأبيها، فقد كان - رحمه الله - يكرم زميلاتي من أجلي، لدرجة أنه كان يسأل زميلاتي عندما يأتيّن لزيارتي: ما تريدون على الغذاء اليوم؟ وبالفعل يخرج ليشتري ما طلبته زميلاتي ويعطيه لأمي حتى تطهيه، وكان له مع كل واحد من أبنائه أسرار من الحب والمودة، فكل واحد من أبنائه وبناته كان يشعر أنه

أقربنا إلى قلب أبيه، فأنا مثلاً كنت أجلس بجواره وقت الطعام، وكان بعد أن يقسم اللحم على الجميع ينزل يده من تحت المنضدة (الطبلية أو الطاولة) ويعطيني قطعة إضافية من اللحم من نصيبه هو، فعل ذلك مراراً حتى اكتشفته أختي فقالت: لماذا هي؟ فقال مبتسماً: لا تجعليني أكشف ما بيننا من أسرار، واستمر جبه لي حتى بعد زواجي، ففي اليوم الذي يأكل فيه لحماً أو بطاً أو إوزاً يخصني بقطعة منه، كان يلقها بنفسه ويرسلها لي مع أختي إلى المدرسة التي أعمل بها أو إلى بيتي، رحمك الله يا أبي، فقد شعرت باليتم عندما رحلت عن الحياة مع أنني حينها كنت قد تجاوزت الثلاثين.

٧ أعرف كيف أسامح أمي:

كانت أمي قاسية جداً معي، وكانت كثيراً ما تخرجني أمام أصدقائي وجيرانني وأخواني في المنزل، وأتذكر جيداً يوم أن كنت في الصف الأول الإعدادي وحان يوم ميلادي، وأخبرتني أمي أنها ستصنع لي تلك الليلة حفلة عيد ميلاد كباقي صديقاتي، وذهبت ذلك اليوم إلى المدرسة ودعوت زميلاتي لعيد مولدي في المساء، وعدت إلى البيت وفي قلبي حب كبير لأمي، لقد عدت للبيت وقد ساعحتها على كل ما فعلته معي، فهي اليوم ستكرمني أمام الجميع، وفي المساء تجمع الصديقات والزميلات ليشهدن الحفل المنتظر، وفي تلك الليلة صدمت أمي الجميع إذ لم تجهز ما وعدت به من طعام وحلوى، ولم تكنف بذلك بل عاقبتني أمام زميلاتي على دعوتي لهن وسببتي وشتمتني، ونمت تلك الليلة في شر حال، وذهبت إلى المدرسة في اليوم التالي منكسرة حزينة، وقابلتني زميلاتي في صمت وكأنهن لم يفقن من صدمة ما حدث لي بالأمس، وبعدها ظلن يذكرني بما حدث من أمي ويسألن: هل هي حقاً أمك؟ ومررت الأيام، وجرح هذا الموقف في قلبي لم يتدمل، ولا أدري هل سأسامح أمي على موقفها هذا يوماً؟ أم لن أستطيع؟ أرجو أن أسامحها يوماً.

٨ وسامني أبي... وزير التموين:

كنت في صفري أهتم بشراء حاجيات البيت، ولذلك كان والدي يسميني وزير

التموبن؁ وطبعا كانت موزانة الببب منذ صغربى فى بىءى؁ ولأن والءى كان مسرفا؁ فقد كنت أءءر من وراثه كئبزا؁ وفى بوم ءطوبه أءءى أعطبته ما كنت قد أءءرته على مءى سنبن لبشربى لها ءءرة فى ءهازها؁ ولا أنسى موقف أبى بومها؁ لقد أءءنى فى ءضنه وقال لى: أنت نعم العون لى بابنى؁ وما رأى أءءا إلا وءكى له موقفى؁ وءارت السنون؁ ورحل أبى عن الءباة؁ والبوم يصنع ابنى معى ما كنت أصنعه مع والءى رحمه الله.

ءكاىبى مع سورة الفءر :

منء طفولتبى وأنا أعرف أن أبى يصلبى الفءر فى المسءء؁ وعنءما بلغت سبب سنبن كان يصلبى الفءر فى المسءء ثم بعود للببب فببوقظنبى لأصلبى؁ وبعءها نبءس مءا وأرءل له بعض سور القرآن الءبى ءفظئها فى الكءاب أو فى المءرسة؁ وكان بنظر لى بءنان وبسءمع لى بسعاءة؁ وكم كنت أفوم من نومى نشبطا سعبءا لءرصبى على الءبوس مع أبى؁ الءبى يشعربى وهو بسمعنبى بقءربى ومكانتبى فى قلبه؁ وكان - رحمه الله - ءءبا لسورة الفءر؁ فكئء آئلوها له بومببا؁ ولقد وراث عنه ءب هءه السورة (سورة الفءر) فأنا ءنبى البوم وبعء مرور السنبن أعشقها وأءب قراءئها وسباعها؁ وعن طربق ءلسه ما بعء الفءر البومببة؁ علمنبى أبى أن أقرأ القرآن وأن أسءءء به بومبى ومءاكربى وشئون ءبانبى كلها؁ وكان ءافزا لى على القرب من القرآن الكربم وأهله.

أعطئنبى موزئبن ورحلب عن الءباة:

فى صباء أءء الأبام؁ طلبت منى أمى مبلعا من المال؁ فأعطبئها ضعف ما طلبت؁ فءكربئبى وءعت لى قائله: «أسال الله أن بملأ ءببب وبسءر عببب»؁ وعنء الظهبره وراعت أمى علبنا موزا؁ وأعطت كل واحد من إبءوبى موزة واحدة؁ وأعطئبى موزئبن؁ لا أءربى هل أعطئبى الضعبف كما أعطبئها الضعبف؁ أم أنها كانت ءءاف على صءبى نئبببب مرصبى؁ وبعء ساعتبن ءاءرت أمى الءباة؁ ومرت السنون ورابئب بركة ءعاه أمى؁ فقد ملا الله ءعالى ءبببى بالءببر؁ وسءر عبببى عن الءلق.

في حقيبة العروسة.. مفاجأة من أبيها:

أثناء استعدادي للزواج، كنت أشتري ما تحتاجه الفتاة في بيتها، وذات يوم طلبت من والدي شراء شيء أحتهاجه في بيتي الجديد، فاعتذرت بسبب حالتنا المادية وظروفنا التي لا تسمح، وكان والدي ساعتها يسمع حديثنا في صمت ولم يتدخل ولم ينطق بكلمة، ومررت الأيام وذهبت لبيتي الجديد، وهناك فتحت حقيبة ملابسي وكانت المفاجأة، لقد وجدت الشيء الذي طلبت من والدي شراءه، وبعد أيام علمت بالقصة، لقد ذهب والدي دون علم والدي أو علم أحد، واشترى هذا الذي أردته بالتقسيط، ووضع في حقيبة ملابسي دون أن يخبر أحداً، لقد تفاجأت أمي ودمعت عينها، أما أنا فقد التزمت بالصمت والبكاء، لقد فرحت بحب أبي لي، لكنني تساءلت: هل سيحبنى أبنائي مثلما أحببت أبي؟ وهل سأستطيع أن أحبهم بالقول والعمل مثلما فعل والدي؟ أسأل الله ذلك.

أمي.. والحذاء.. والطين:

عندما كنت في المرحلة الإعدادية، كان بيتنا بعيداً جداً عن المدرسة، فكنت أضطر لركوب الأتوبيس لأذهب للدراسة، وكانت أمي تقوم من الفجر لتعد لي الفطور ثم توصيلي إلى المحطة، ولم تكن تعود للبيت حتى أركب السيارة، وفي أيام المطر كانت الأرض بطبعيتها طينية، وبالتالي ينسخ حذاء من يسير فيها، فكانت أمي تحمل في يدها أحد أحذيتي النظيفة حتى نصل إلى المحطة، وهناك أستبدل حذاتي النظيفة بالحذاء المتسخ، وتعود أمي بالحذاء المليء بالطين حاملة إياه في رضا وسعادة، كم كنت أنظر لها وهي عائلة وكلها رضا بما فعلت، كنت أنظر نحوها وبصعوبة بالغة أمسك دموعي، لا أنسى هذا الموقف ما حيت.

وتتنازل أبي عن حلم حياته من أجلي:

طوال عمري كنت أرى أبي يحلم بحج بيت الله الحرام، وكثيراً ما كان يري في المنام أنه

في الحرم أو أنه في المسجد النبوي ويزور قبر النبي ﷺ، وربما قال لي أحياناً: أدعى الله لي يا ابنتي أن أحج بيت الله الحرام وأزور النبي، وكان ينتظر لحظة بلوغه سن التقاعد (الاعاش) بفارغ الصبر، حتى يتسلم مكافأة نهاية الخدمة ويحقق هذه التقود حلمه الجميل، ومع اقتراب والدي من سن المعاش تمت خطبتي وحن وقت زواجي، فألغى والدي حلم حياته وتنازل عنه لأجلي؛ فجهزني بكل ما معه من مال، وأنفق عليّ مكافأته كاملة راضياً سعيداً، ومن يومها كلما رأته أحسست بالدين الكبير الذي طوق به رقبتي، وأشعر بالعجز عن سداه، وحينها أتمنى أن أقبل قدميه، وأريد عمل أي شيء يسعده، وأدعو الله تعالى أن يرزقه حج بيته الحرام، ويدخله الجنة هو والدي.

أمي.. والأرغفة العشرة؛

عندما كنت صغيراً حدثت لنا ضائقة مالية، ورأيت والدي حزناً لأن راتبه البسيط قد نفذ، ولم يعد بالبيت سوى عشرة قروش لا نملك غيرها، واقترح والدي أن يقترض بعض التقود من أحد إخوته، فرفضت والدي ذلك بشدة، وقررت أن نشترى بالتقود عشرة أرغفة، ونأكل خبزاً وملحاً، وبالفعل جلست أنا وأبي وأمي وأخواتي الثلاث نأكل خبزاً وملحاً، كنت أرى نظرات الحزن في عيني والدي ووالدي، وفجأة قالت والدي والعبرة تحنفها والدموع تكاد تفر من عينيها: هذا يا أولاد خير أم يذهب والديكم ليقترض من أحد الناس ويدل نفسه، دعونا نأكل اليوم بعزة، ونؤجل الاقتراض للغد لعل الله تعالى يفرج ما نحن فيه، وبالفعل جاءنا الفرج في اليوم التالي، ودارت الأيام، وكثرت لدينا الأموال، وماتت أمي، لكن كناها لم تمت، وموقف الملح مع الأرغفة العشرة لم ينسأ أحدنا، رحم الله أمي فقد علمتني بهذا الموقف البسيط الرضا والقناعة وعزة النفس.

حكاية حجابي القصير؛

عندما بلغت سن السادسة عشرة من عمري، رغبت أن أخلع حجابي (الخيار الطويل) وأرتدي حجاباً صغيراً (إيشارب)، مع العلم أنني أرتدي حجاباً من سن

السادة، فرضت والدتي بعنف و غضبت كثيراً، وذهبت لتخبر أبي بالكارثة، وكان من الطبيعي أن يثور والدي ويغضب، ولكن رد فعله كان مختلفاً تماماً، فقال لأمي: اتركها تجرب ما تريد وراقبي النتيجة، وفي اليوم التالي ذهبت إلى المدرسة بالحجاب الصغير، والعجيب أنني طوال اليوم كنت أشعر أنني عارية، وعدت إلى البيت مسرعة لأستر نفسي بحجابي الطويل الجميل، وكانت هذه آخر مرة أجرب فيها الحجاب القصير، وعرفت حينها أن أبي كان يريد أن يعطيني درساً بطريقته الخاصة، هذا لأنه كان يعرف ابنته جيداً ويدرك أنها لن تفعل حراماً.

لم أقرضهم المال لأطالبهم فجأة:

أنا من أسرة ميسورة الحال والحمد لله، وذات يوم ونحن صغار مررنا بأزمة مالية مؤقتة، وذلك نتيجة دخول والدي في أحد المشاريع، وهنا طلبت والدتي من أبي أن يطالب بعض الأشخاص المدينين له بنقوده التي عندهم، ليفك بها ما نحن فيه من أزمة، لكن أبي رفض بحزم وغضب قائلاً: أنا لم أقرضهم لأطالبهم بنقودي فجأة ولكن حين ميسرة، ثم قال لأمي ونحن نسمع: علمي أولادك أن الدنيا على هذا وذاك، وبعد هذا الموقف عشنا أياماً في ضيق لم نعهده من قبل، وصبرنا تلك الأيام حتى جاء الفرج من حيث لا نحسب، ومن يومها استفدت من موقف أبي ومروته كثيراً، وكلما أقرضت أحداً مبلغاً من المال، تذكرت أبي ودعوت له، وكلما مررت بأزمة مالية كجزء من طبيعة الحياة، لم أتأثر أبداً بتلك الأزمة وعم بفضل الله بسلام، هذا لأن أبي علمني كيف يكون الصبر حين يقل الرزق.

لتناول الطعام في بيتنا قانون:

كل طفل وفنائة يجيئون تناول الطعام مع أبيهم، ومنذ طفولتنا وضع والدي قانوناً غريباً لتناول الطعام معه، فكان يقول: لا يجلس على الطعام معي إلا من صلى، كان يطبقه معنا برفق وحنو، فبدلاً من أن يسألنا: صليت أم لا ويضطرنا للكذب، تجده يقول: من لم يصل فليقم ليصلي ثم يعود فيجلس معنا، وفي كل مرة كان الطعام يوضع بين يدي أبي،

كنت ترى أحدنا يجلس سعيداً والأخر يسرع نحو الحيام ليتوضأ ويصلي، هذا لأنه يريد أن يلحق بالطعام مع أبيه الحبيب، وكان من قوانين تناول الطعام في بيتنا: أن من يشبع أولاً ويقوم من على الطعام؛ فعليه إعداد الشاي، ومن يتأخر ليقوم آخرًا؛ فعليه رفع الطعام وإعادة الأطباق إلى المطبخ، وكثيرًا ما حدثت مواقف وطرأف بسبب قوانين تناول الطعام في بيتنا، لقد كانت قوانين حازمة رحيمة يطبقها أبي برقة وحزم، وكان - رحمه الله - يشارك بنفسه في تطبيقها، فإذا قام أولاً صنع الشاي، وإذا قام آخرًا رفع الطعام، بل أظنه كان يعتمد فعل ذلك ليكون قدوة لنا، والله كم أشتاق لتناول الطعام مع أبي وتطبيق قوانينه الجميلة، لعل ذلك في الجنة إن شاء الله، هذا لأن أبي قد رحل عن الحياة، رحمه الله.

✍️ واكتشفت أن أبي أكل فولاً:

والذي رمز للرجل العفيف المتعفف ذي العيال، لقد تعب في تربيتنا سنين، وأنا نرى على نفسه كثيرًا، وبمرور الأيام كنت أرى من أبي قلبًا حانيًا وعينًا مشفقة وثرًا باسماً رغم المحن، وذات صباح سافرت معه إلى القاهرة لأشترى جهازي وأنا عروسة، وهناك عزمي أبي على تناول الطعام في أحد المطاعم، وكم كنت سعيدة بدخول المطعم معه، وأسعدني أكثر الجلوس معه كحبيب مع حبيبه، وهناك تركني أبي أختار من قائمة الطعام ما أريد، وجاء الطعام وجلست أكل معه بسعادة وسرور، وعندما انتهيت من طعامي حدثت مفاجأة هزت أعماق قلبي، لقد اكتشفت أن أبي عزمي على أكل غالي الثمن، ودون علمي جلس هو يأكل سندوتشات فول، إذ لم تكن معه نقود كافية ليتناول طعامًا مثل طعامي، فدمعت عيني فمسح دموعي بيديه وقال: كم أحبك يا ابنتي، والله جلوسي معك جعل طعم الفول أجمل من طعام الدنيا كله، ومرت السنون ولم أنس موقف أبي هذا، وعلى كل طعام، وفي كل مطعم، أتذكر أبي وأدعو له بالرحمة والمغفرة.

✍️ وعشت مع أبي بلا ذكريات:

للأسف ليس لي ذكريات مع والدي، وهذا شيء يؤلمني كثيرًا، إنني أكتب لكم هذه الكلمات حول ذكرياتي مع أبي ويدي ترتعش وأبكي الماء، كم أحاول أن أتذكر له معي

ذكرى جميلة، فلا أجد، ولكنني أحاول أن أعرض أولادي عن كل ما حرمني منه والدي من عطف ورحمة، رحمه الله وغفر له، فقد غادر الحياة ولم يصنع له في قلبي أي ذكرى جميلة.

✍️ وجاءتني أمي لأنها أفضل مني:

بعد زواجي ذهبت يوماً لزيارة أمي في منزلها، وحدث بيننا سوء تفاهم واختلفنا وعلا صوتنا، فدخلت أمي حجرتها وهي متعبية، وعدت أنا لبيتي وأنا غَضَبِي، وما إن جلست دقائق في بيتي إلا فوجئت بطرقات على الباب، وفتح ابني الباب قائلاً: إنها جدتي، لقد جاءت أمي ودخلت علينا مبتهمة وقالت: أنا أسفة يا ابنتي لو أحزنتك، فأسعدني مجيؤها لأنها تخاف عليّ من الخزن، وألّمني أنني اتعبتها ولم أكن أنا من سارعت بإرضائها.

✍️ أمية.. لكنها أم تتحدى المعلمين:

وأنا في المرحلة الابتدائية، كان أبي مسافراً للخارج، وأمي كانت سيدة أمية لا تقرأ ولا تكتب، والعجيب أنها كانت تجلس لتذاكر معي، نعم تذاكر معي وتصحح ما كتبت، فقد كانت تقارن بين ما كتبت في الواجب وبين ما هو مكتوب في الكتاب، وهي لا تعلم معنى كلمة واحدة مما تصححه لي، وذات يوم وأنا في الصف الثالث الابتدائي، طلبت مني المدرسة أن أقدم وسيلة تعليمية كلوحة تعلق في الفصل أو ما يشبهها، وعدت وأخبرت أمي فقالت: اذهبي لجاتنا لترسمها لك، فذهبت ورجعت حزينة لأن جارتنا رفضت رسم اللوحة لانشغالها، وما إن رأنتني أمي وعلمت بالخبر حتى قالت: لا تحزني سأرسمها لك أنا، والله ما زلت أتذكر تلك اللوحة حتى الآن، فقد قامت أمي برسم الحيوانات كما هي بالضبط وكأنها من محترفي الرسم، وكتبت أسماءها تحتها (بقرة - خروف)، وفي اليوم التالي لم تصدق المعلمة أن أمي هي من رسمت لي تلك اللوحة، أدام الله أمي بعافية وصحة، وختتم لها بخاتمة السعادة، اللهم آمين.

وقالت أمي: هذا يوم الوفاء بالوعد:

وعدتني أمي إن نجحت بتفوق في الثانوية العامة فستحضر لي ساعة، ونجحت بفضل الله ودخلت كلية الطب البيطري وانتظرت الساعة فلم تأت، ومرت السنة الأولى في الجامعة ولم تأت الساعة، ومرت السنة الثانية وما زلت أنتظر، وذات يوم في الإجازة الصيفية طلبت من والدي أن يشتري لي موبايل فاعتذر لأنه لا يملك نفوذاً كافية، ومرت الأيام وحان موعد بداية العام الدراسي، وفوجئت بأمي ذات يوم تقول لي: هيا البس ملابسك، فقلت لها: لماذا؟ فقالت: لنشتري لك الساعة والموبايل، والله يا بني لم يكن معنا نفود، وكنت كل يوم منذ أن تخرجت (منذ عامين) أتهرب من نظرات عينيك، واليوم رزقتنا الله بالمال، وقد حان وقت الوفاء بالوعد، والله لا تزال هذه الساعة وذلك الموبايل عندي حتى يومنا هذا، وكلما نظرت في الساعة أو حملت الموبايل (مع أنه قديم) أتذكر وفاء أبي وأمي، وأدعو لها بالرحمة والمغفرة.

وكننا يومها لا نملك العشاء:

ذات يوم وجدت مبلغاً محترماً من المال في الشارع، فعدت للبيت فرحانا به، وأعطيتني لأبي - وكان في أشد الاحتياج لهذا المال - لكنه رفض، وسمع الناس في الشارع يبحثون عن ذلك المال، فقال لي: أعطهم ما لهم، حرام عليك، فقلت لأمي: نحن في ظروف صعبة ولا نملك طعاماً للعشاء، فابتسمت ابتسامة تجمع بين الرضا والصبر وقالت: إن الله يختبرك، فإن نجحت في الامتحان زالت المحنة وبقيت البركة، يا بني، إن الله سيفتح عليك الدنيا، وستكون من أحسن الناس، فعش مرحلة الصبر هذه بحلاوة، ربها تشاقق غداً ليوم مما نحن فيه الآن، ومرت السنون، وتحقق وعد أمي الواثق بالله، وفتحت علي الدنيا من أبوابها الواسعة، والعجيب أنني أشتاق لأيام زمان حيث راحة البال.

ليتني لم أحنك يومها يا أمي:

أصيب والدي في عينيه، ونتيجة لتلك الإصابة ضعف بصره بشدة لدرجة أنه أصبح

لا يرى الأشياء إلا إذا كانت شبه ملاصقة لعينه، فهو ابتلاء يشبه العمى تقريباً، وكنت ابنة رحيمة بأبيها مطيعة له مشفقة على حاله، وأذكر أن والدي كان يؤثرنا على نفسه كثيراً ونادراً ما يشتري لنفسه شيئاً، ولقد رغب يوماً في شراء زجاجة مياه غازية، فذهبت مسرعة وعدت حاملة تلك الزجاجة الباردة ليشرها أبي، فشكرني والدي وجلس يشرب، وأخذت أراقب ذلك الأب الخنون الذي نادراً ما رأته يستمتع بشيء وحده، ومع الوقت أوشكت الزجاجة على الفراغ، ولم يبق فيها سوى قليل القليل والذي يستطيع أن يشربه الطفل الصغير في مرة واحدة، وهنا ناولني أبي الزجاجة لأشرب ما فيها هدية منه، فرفضت أن أخذها منه قائلة: لا أريد، فرفعها لغمه ليستأنف الشرب وإذا به يتفاجأ أنه لم يعد بها شيء تقريباً، فقال لي في أسف والدمع في عينيه: اعذريني يا ابنتي إنني والله لم أر ما تبقى فيها، وكنت أتمنى أن أترك نصفها لك، وحزن جداً وطلب مني أن أذهب لشراء زجاجة أخرى وأشرها وحدي، مرّ على هذا الموقف أكثر من عشرين سنة، والله كلما تذكرت هذا الموقف ندمت وقلت لنفسني: ليتني أخذت الزجاجة وشربت ما فيها، ليتني لم أحزنك يوماً يا أبي.

وفعل أبي يومها ما انتظرتة من أمي!

كانت تعليقات الطبيب في حملي الأول ألا أمارس عملاً منزلياً شاقاً أو حتى سهلاً، وكنت لا أستطيع القيام بعمل البيت نظراً لظروفي الصحية الصعبة، وكانت أمي - حفظها الله - تزورني بين الحين والآخر لتقضي حاجاتي وتساعدني في شئوني، فعلت أمي ذلك وأنا لها شاكرة ولفعلها مقدرة، لكن الموقف الذي أثر فيّ بشدة، أنني ذات يوم كنت مريضة جداً، وكانت أواني الطهي كلها متسخة والبيت غير مرتب، مما أثر في حالتي النفسية سلباً؛ لأنني أتمنى أن أقوم بغسلها لكن مرضي يمنعني، وفجأة طرق الباب، وغنيت لو كانت أمي هي القادمة لتزيح هذا الهم عني، لكن الطارق كان أبي، فاستقبلته مرحية به، وجلس معي قليلاً، وما إن رأى حال مطبخي حتى بدل ملابسه، وأخذ يغسل الأواني ويرتب بيتي بفرح وسعادة، والله يومها كدت أطير من سعادتي بأبي، ومررت

السنون ورحل أبي عن الحياة، وكلما تذكرت موقفه هذا معي ترحمت عليه كثيرًا، ودعوت له بالمغفرة.

مفاجأة أبي.. زواج سعيد:

أنهيت دراستي الجامعية، والتحققت بالجيش لأداء الخدمة العسكرية، وذات يوم في إحدى الإجازات تكلمت مع أبي في موضوع خطير جدًا، لقد أخبرته أنني أريد أن أتزوج من فتاة قريبة لنا، فأخذ أبي يتأكد من رغبتني في خطبتها ومتى أريد ذلك وكيف خططت لمستقبلي معها، وما هي خطوات الزواج وهل صليت استشارة أم لا، ومدت متى وأنا أرغب في الزواج منها، لم يكن تحقيقًا بل كان حديثًا أويًا طيبًا، وفي نهايته قال أبي: ربنا يسر لك يا بني ويسعدك في الدنيا والآخرة، وسافرت بعدها للجيش وأنا سعيد لأن أبي وافق على الزواج ووعدني بإتمامه في أقرب فرصة، وقضيت تلك الفترة هناك في الجيش وأنا أفكر في خطوات الخطوبة وكيف سأخذ أبي في الإجازة (ربما تكون القادمة أو التي تليها) وماذا سأصنع يومها، وأخذتني الأحلام والترتيبات، وبعد شهر تقريبًا عدت للبيت في إجازة، فوجدت من أبي مفاجأة لم أتوقعها أبدًا، لقد سافر أبي في غيابي إلى محافظة أخرى بعيدة حيث يسكن أقاربننا، وخطب منهم ابنتهم التي حدثته عنها، وجعل الخبر مفاجأة لي عند عودتي، وكانت والله أحسن مفاجأة، فقد تزوجتها وهي اليوم أم أولادي، وأنا سعيد معها جدًا جدًا، ولا أنسى هذا الموقف الطيب من أبي.

وفي زراعة الأزديروس كثيرة:

كان والدي - رحمه الله - ميسور الحال، فقد كان يملك مزارع وحدائق وفيرة، وكانت كلمته التي نسمعها كثيرًا «إلا الحرام»، ودارت الأيام والتحققت بالجامعة في مدينة الإسكندرية وسكنت هناك، وكان أبي يحرص على زيارتي هناك رغم انشغاله، وعندما كان يأتي إلى الإسكندرية لزيارتي كنت أخرج معه لتشمس ليلا على البحر فيهمس في أذني قائلا: لقد جئت لزيارتك لهذا السبب لتشمس معًا، فمعك أنسى هموم حياتي وأشعر بسعادة تملأ قلبي، ومن المواقف التي تعلمت فيها من أبي كثيرًا، أنني ذات يوم كنت أقوم

بمتابعة العمال وهم يزرعون الأرز لدينا، فلم تعجيني طريقة زراعة أحدهم فهو يعمل ببطء شديد، فنهزته وأخرجته من الأرض وطردته، ولكن أبي تدخل ناهزاً لي أمام الجميع، وأعاد إلى العمل، وأمرني بترك العمال في حالهم والابتعاد عنهم لأنهم يعرفون عملهم جيداً، فخرجت من الحقل وجاء أبي خلفي معاتباً وقال: إن ما فعلته يا بني منافي للرحمة، فهذا رجل ضعيف يبذل جهده بإخلاص، تخيل لو أنك مكانه وعدت للبيت مكسور القلب، يا بني لعل الله يبارك لنا بسبب تجاوزنا عن هؤلاء الضعفاء، وعندما يعود لبيته داعياً لنا شاكرًا صنيعنا، خير ألف مرة من أن يعود كسير القلب حزينا يدعو الله علينا، ويومها تعلمت أن الرحمة بالضعفاء هي زاد للأغنياء.

وعند البلاء يشكر الصابرون:

لقد مررنا كباقي الناس بعدة ابتلاءات يحوطها لطف من الله تعالى ورحمة، ومن تلك الابتلاءات أنني أصبت في صغري بشلل في نصف وجهي، ولقد بكى والدي بحرارة لما رأي بي تلك الحالة، أما أمي فكانت تبكي بصمت يزلزل الجبال، وأذكر أننا يومها لم نكن نملك غير ثمن جلسة العلاج الطبيعي، فكان والدي يؤثر علاجي على المأكّل والمشرب، وظل البيت واجماً حزينا طوال فترة علاجي، ولم تعد البسمة لوجه أبي وأمي حتى شفاني الله تعالى، وفي تلك المحنة تعلمت من والدي الصبر والدعاء والشكر على العافية، كما تأكدت من حب أبي وأمي لي، ومررت السنون وتزوجت وأنجبت، وذات يوم كسر ذراع ابني الأيمن، وبعدها بيومين احترق ذراعه الأيسر في وعاء الشورية الساخن جداً، فلم أملك عندها دموعي، وأسرعت إلى المصل وصليت ركعتين شكراً لله تعالى؛ لأن هذا البلاء لم يكن في ديني، ولم يكن أشد من ذلك، وأرجو عليه الأجر، وأسأل الله منه الشفاء، ومررت الأزمة بسلام، وشفى ابني الحبيب والحمد لله.

أمي... ساعي البريد بين الأحبة:

شخطبت زوجتي وعقدت عليها (كُتبت الكتاب) لمدة ستة أشهر، وكانت أمي - رحمها الله - ساعي البريد بيني وبين زوجتي فترة الخطوبة، فكانت أمي كلنا تذهب

لزيارتها همس في أذني قائلة: ألا تريد أن نكتب خطابًا لزوجتك، وتلح عليّ في ذلك حتى تأخذ مني خطابًا وتسلمه لخطيبتي، وهي راجعة كانت تأتي لي بالرد، ومن يومها أصبحت أُمي مستودع أسرارِي ومستشارِي الخاص، حدث هذا منذ أكثر من ٢٥ سنة، وأصبح مجموع تلك الخطابات قصة رومانسية رائعة، واحتفظت بها زوجتي طوال هذه السنوات، ومرت السنون، وعندما دخلت بناي الجامعة، أخرجت أمهن الخطابات الرومانسية وتقرأها لمن أو تركهن يقرأن بمفردهن، ثم تحدّثهم أهمهم عن الحب الحلال، وكيف هو جميل وواضح وفي النور، وتجبرهم بالمفاجأة الكبرى: لقد كانت جدتكم هي ساعي البريد الذي حمل كل رسائل الحب هذه بيني وبين أبيكم.

📌 وباع أبي ثوبه من أجلي:

كنت أشعر بحب أبي رغم كلياته القليلة، وأذكر أنني ذات يوم مرضت مرضًا شديدًا، فحزن أبي جدًا، حزن لمرضي كما حزن لأنه لا يملك ثمن أجرة الطبيب، لكنه قام فجأة وأخذ ثوبًا له (جلبابًا) كان جديدًا لم يلبسه، وخرج ليبيعه كي يعالجني، ولقد شعرت حينها بألم هو أشد من ألم المرض، كنت أتوجع عندما أشعر أن والذي قد وقف منكس الرأس على باب هذا أو ذلك ليبيع ثوبه، وبالفعل ذهب أبي وعاد وقد باع ثوبه من أجل أن يعالجني، لقد وقف على أبواب الناس وأحرج نفسه من أجلي، أسأل الله أن يفرحك يا أبي كما حزن من أجلي، ويرحم ووقوفك للحساب يوم القيامة كما وقفت على باب الناس منكسرًا من أجلي.

📌 قد يفضب وجهي لكن قلبي يجبك:

كنت في سن الثامنة عشرة من عمري، وكنت شابًا طائشًا، وكنت كثيرًا ما أغضب أُمي وأحزنها، لدرجة أنه كانت تمر عليّ أيام وأنا مخاصمها ولا أحذنها، والعجيب أنها هي من كانت تأتيني وتتودد إليّ، ورغم أنني أكون غططًا في حقها إلا أنني لم أكن ألقي لتقربها مني بالأل، وتعرفت أيامها بأحد الملتزمين في المسجد، وكلمني عن بر الوالدين كلما كنت

أول مرة أسمعه في حياتي، وفهمت معنى كلمة «أم» جيدًا، فذهبت على الفور إلى أمي، وقبلت يدها وقدمها وقلت لها: ساعيني على ما فعلته معك، فقالت: يا بني مها غضب منك وجهي، قللي دائئًا لا يعرف الغضب منك، لأنه يجيك، ومن يومها بدأ بيننا عهد جديد، ومن يومها (منذ حوالي عشرين سنة) لم أعد لأفعالي التي كانت تغضب أمي، والحمد لله.

هات العصا التي تحب أن أضربك بها:

كانت أمي لا تضربنا بيدها أبدًا، لا بد وأن تضربنا بعصا، وإذا أرادت عقابي عندما أخطئ أو عقاب المخيط من إخوتي تقول له بغضب وحزم: اذهب وأحضر العصا التي تحب أن أضربك بها، وكانت العصي كلها فوق سطح البيت، فكان الواحد منا يذهب ويتعمد التأخير وكأنه يبحث عن العصا، ولا يعود إلا بعد نصف ساعة ويده أقل عصا وجدها طولًا وحجمًا، وعند عودته تعاقبه أمي بما تراه مناسبًا من الضربات، ولما كبرنا سألتنا أمي: لماذا كنت ترسلينا لاختيار العصا التي سنضرب بها؟ قالت وهي مبتسمة: كنت أبعادكم عني حتى أهدأ ويذهب غضبي؛ فلا أضربكم وأنا غضبي حتى لا يوجعكم ضربتي، كنت أعطيكم فرصة للهروب، وأعطي نفسي فرصة للهدوء، وكنت أعطيكم الفرصة لاختيار العصا اللينة الرفيعة، لقد كانت أمي حتى في عقابها عاقلة رحيمة صبورة ذات نظر بعيد المدى.

خلافات الكبار كيف نبعدها عنها الصغار؟

في طفولتنا كانت والدي -رحمها الله- إذا اختلفت مع واحدة من أقاربنا (زوجة عمي أو زوجة خالي أو غيرهما)، وإذا قررت مقاطعتها لسبب وجيه، وبدافع الحب لأمي كنا نحاول مناصرة أمي ونقاطع من قاطعته، لكنها كانت تقول: لا تقاطعوا خالتكم فلانة؛ لأن الخلاف بيني وبينها فقط، نحن كبار، أما أنتم الصغار فلا تقاطعوها، لأنه لا دخل لكم فيها حدث بيننا، كم كانت أمي عاقلة حتى في خلافها، فقد كانت تقاطع لسبب

وجيه، وتجعلنا نصل الأرحام لسبب وجيه، والعجيب أن من قاطعتها أُمي عندما كان ترى ودنا لها وتسمع ما قالته أُمي، فكانت لا تملك إلا أن تأتي لأُمي متصاحبة معتذرة مصححة ما سبق من أخطاء.

مكائد الزملاء... اختيار لثقة الأمهات:

وأنا طالب في المرحلة الثانوية، اتصل أحد زملائي بأُمي وقال لها: ابنك يسرق ويهرب من المدرسة ويذهب إلى (الساير) مركز الكمبيوتر والإنترنت، فردت أُمي بشدة ودافعت عني وقالت: ابني لاي يفعل ذلك أبدًا فهو ترمي جيدًا وذكرتني بكل خير، ومررت أيام وأنا لا أعرف بشأن تلك المكالمة وذلك لسبب بسيط، وهو أن أُمي لم تخبرني بها حدث، وذات يوم قابلتني أحد أصدقائي وأخبرني بمكيدة زميلي واتصاله الخبيث بأُمي، لقد أراد أن يفسد ما بيني وبين أُمي حقدًا منه عليّ ولأنني لم أطعه في مسألة ما، فعدت فورًا إلى أُمي وقلت لها: لماذا لم تخبريني بما حدث؟ فقالت: أنا واثقة فيك وأعرف جيدًا من ربيت، فقبلت يدها وتركتها وأنا أدعو لها، فرح الله قلبك يا أُمي كما فرحت قلبي.

ومن يومها وملابسي في مكانها:

كنت حينها أراجع من المدرسة أُلقي بملابسي هنا وهناك، وحاولت أُمي معي كثيرًا وحذرتني كثيرًا ولم أنتبه لكلامها، ظللنا على هذا الحال لشهور، أم تتوسل وتطلب وتتوعد، وابن مهمل يرمي ملابسه هنا وهناك، وذات صباح حذرتني أُمي (بمساندة من أبي) أنها إن وجدت ملابسي ملقاة على الأرض فإنها سوف تلقيها في الشارع، ولأنها توعدتني كثيرًا من قبل ولم تنفذ وعيدها، فقد أخذت الأمر ببساطة، وعدت من المدرسة وأُلقيت ملابسي هنا وهناك، وكانت المفاجأة أن نفذت أُمي وعيدها وأُلقيت بملابسي في الشارع، ولك أن تتخيل منظري في الشارع وأنا أجمع ملابسي أمام الناس، ومن يومها وملابسي في مكانها المخصص لها.

ما أجمل أن ترحم طفلاً ضعيفاً!

كانت ظروفنا الاقتصادية صعبة جداً، وذات يوم ضاع حذائي في المسجد، فخفت أن أعود إلى البيت حتى لا تضربني أمي، فظللت متلهياً في الشارع إلى ما بعد العشاء، وفي النهاية لم يكن هناك مفر من العودة، فعدت إلى البيت ولا أدري ماذا أقول لأمي، فدخلت وسألته أمي: لماذا تأخرت؟ فحكيت لها ما حدث من ضياع حذائي، فردت عليّ قائلة: «فداك الدنيا كلها»، ففرحت جداً بتلك الكلمات وحفظتها في قلبي من يومها، رحلك الله يا أمي كما رحمت ضعفي يومها، تحيل لو أنها ضربتني أو شتمتني ما هي مشاعري حينها؟ وما هي الأفكار التي كانت ستجول بخاطري؟ من المؤكد أنني كنت سأعتقد أن الذهاب إلى المسجد هو السبب في ضياع حذائي، وربما أظن أن المصلين سارقون، وكنت فيما بعد ربما أفكر في الهرب من البيت إذا حدث موقف شبيه، لأنني سأتعلم أن العودة بعد الخطأ تعني عقاباً شديداً، وكنت ربما أشعر أن أمي لا تحبني لأنه لا ذنب لي في سرقة الخلاء، كل هذا عافاني الله تعالى منه بسبب رفق أمي ورحمتها بي، حقاً ما أجمل أن ترحم ضعيف طفلاً ضعيف خائف.

دروس في الحب.. من فلاح يزرع الحب!

كم أعطاني أبي الفلاح البسيط دروساً في الحب الصادق الرقيق، وكما يزرع الخبواب في الأرض فقد زرع الإيمان في قلبي، أذكر أنني في طفولتي وحتى شبابي كنت عندما أرى أبي نائماً في الحقل تحت ظل شجرة؛ كنت أنسلل برفق وأنام في حضنه، فلقد كان ذلك يجلب لي وله السعادة الغامرة، ومن المواقف التي لا أنساها أنني في مرحلة المراهقة كنت أتمسك ببعض المظاهر التي لا يحبها أهلي مثل: الشعر الطويل (الكيش) والبنطلون العريض من الأسفل (الشارلستون)، وذات يوم احتد عليّ خالي الشيخ الأزهري وعاملني بقسوة بسبب مظهره، فكنت أرفض توجيهه لي وأقول له: إن إطاعة الشعر ليس فيها شيء، حيث كان شعر رسول الله ﷺ ما بين شحمة أذنه وكتفه، وهكذا دار بيننا جدال وحدث خلاف، وتركته وانصرفت، ولما علم أبي بأمر مجادلتي لخالي وقسوته معي قال لي برفق: يا

بني، لا أحب أن يقسو عليك أحد، ولن أسمح لأحد برفع صوته عليك، ولا أحب في الوقت نفسه أن ترد على خالك بها مجزئة، ووصيتي لك يا ولدي «افعل ما يحلو لك بشرط ألا يكون حراماً»، وسكت، لكن صوته في ذاكرتي لم يسكت على مرّ الأيام، والله كنت أتذكر كلماته البسيطة في مواقف كثيرة، وأسمعه يقول لي: «بشرط ألا يكون حراماً»، ولقد عصمني الله تعالى بكلماته هذه في مواقف كثيرة، ومرت السنون، وتركت قريتنا والتحقّت بالجامعة في مدينة الإسكندرية وسكنت هناك، وكان أبي يحرص على زيارتي ويأخذني لكي تتمشى في محطة الرمل وعلى البحر في الإسكندرية، كنا تتمشى معاً وأبي يضع ذراعه في ذراعي، وتجبرني بأنه جاء من القرية إلى الإسكندرية حتى يتمشى معي ونشك أبدينا معاً بتلك الطريقة.

كسرت التلفزيون وجرحت المذبةعة:

أنا من بيت متوسط الحال، كنا نعيش في قرية ريفية بسيطة، وكان عدد البيوت التي تمتلك تلفزيوناً في هذا الوقت قليلاً جداً، وكنا بفضل الله من تلك البيوت التي تملك واحداً، وكنا نسعد باجتماع الأصدقاء والجيران حول (تلفزيوننا) في المناسبات والمباريات وغيرها، وذات يوم وأنا بعمر التسع سنوات، رجعت من المدرسة مسرعة حتى ألحق بالمسلسل العربي قبل أن يبدأ، ودخلت البيت مسرعة نحو التلفاز، وفجأة تعثرت في السلك، فسقط التلفزيون معطّماً، عندها انتهت أحلامي في المشاهدة الممتعة، وبدأت تحوفاً من غضب أبي، وفجأة رأيت والدي جالساً أمامي وشاهد الموقف من حطّة دخولي البيت وحتى كسري للتلفاز، ولما وقع المسكين معطّماً قام أبي وتوجه نحوني مسرعاً، توقعت حينها أنه سيضربني، وماذا غير ذلك؟ لكنه أخذني في حضنه، نعم ضمنني أبي في حضنه برفق، وقال ضاحكاً: لقد جرحت المذبةعة ساعحك الله، والله لقد فاجأني رد فعل أبي، فظروفنا الاقتصادية لن تسمح أبداً بشراء تلفزيون بديل، ومع ذلك عاملني أبي برفق، أنعرف لماذا؟ لأنني عنده أهم من مليون تلفزيون، حقيقة لا كلاماً، وعدت لغرفتي والدموع تتساب على وجهي، إنها دموع الفرح أن لي أباً مثل أبي، كم أحبك يا أبي، الحمد لله الذي لم يبدلني بأب غيره، ومرت السنون وتحسنت أحوالنا المادية، واشترينا بدلاً من التلفاز التين والثلاثة، وظل والدي يذكرني بهذا الموقف ونضحك جميعاً، وكما رحل التلفاز

معلمًا رحل أبي عن الحياة مكرّمًا، لكنّه لم يرحل من قلبي، فدعائي له لا يتقطع أملًا في أن نلتقي في جنان الخلد، اللهم آمين.

هل في قلبك رحمة تسع أبناءك التسعة؟

لي مع أبي - رحمه الله - مواقف كثيرة لا تحصى ولا تعد، كان لا يأكل طعامًا جميلًا كاللحم وغيره؛ إلا وكان يقطع منه أجزاء ويضعها بيده في أفواهنا، رغم أننا كنا تسعة بنين وبنات، وظل يتابعنا بحب ورحمة حتى بعد زواجنا، بل إنه ظل يتابع تربيتنا لأبنائنا، فكان يجلس مع أولادنا «أحفاده» ويحكى لهم ذكريات الماضي، ويستمع لأماهم والآمهم، ويعدّهم عن طفولة آبائهم أيام زمان، وعند موته كنا جميعًا حول الأبناء والأحفاد، بل إن معظم أحفاده حضروا غسله، وهم من وضعوه بأيديهم في قبره، وهم نلتقي في بيت العائلة، ونجلس معًا نتذكر هذا الأب الطيب والجد الرحيم، ندعوه بالرحمة والمغفرة.

من يديك يا أبي تحلوا الهدايا:

حقيقة كل مواقف والدي معي لا يمكن أن أنساها، لكن يظل في غيظتي موقف ونحن صغار (كنا ٦ أولاد وبنات)، وذلك عندما كان والدي يسافر للعمل في إحدى المحافظات بعيدًا عن بيتنا، وعند عودته كان يحضر لنا نحن البنات الحلقان والخواتم الزينة، ونظل ننتظر عودته حتى يحضر لنا تلك الهدايا الرخيصة في ثمنها العالية في قدرها، وأجل ما في تلك الهدايا أن أبي كان يلبسنا تلك الحللي بيديه بكل حب وحنان، ومرت السنون، وسمعت حديثًا للنبي ﷺ عندما كان يلبس أم خالد بنت خالد بن سعيد بن العاص الثوب الهدية بيديه الشريقتين^(١)، فقلت: رحم الله أبي، لقد كان يضع معنا سنة نبوية ربوية كريمة دون أن ندري، فرحم الله أبي الذي كان يلبسنا الحللي بيديه.

(١) إروى البخاري عن أم خالد بنت خالد بن سعيد بن العاص قالت: أتى رسول الله ﷺ بتياب فيها خميسة سوداء، قال من ترون نكسوها هذه الخميسة؟ فسكت القوم، قال ﷺ: التروني بأمر خالد، فأني هو النبي ﷺ (وفي رواية: فأني بها تحمّل)، فلبسني بيده، وقال ﷺ: أجلي واغظلي مرتين (كتابة عن طول العمر)، فجعل ﷺ ينقر لي على الخميسة ويشير بيده لي ويقول: يا أم خالد هذا سنة^(١)، والسنة بالسان الخميسة الحسن، وكانت أم خالد قد هاجرت مع أبيها إلى الحبشة وتعلمت بعض كلماتها ومنها كلمة سنة، فخاطبها النبي ﷺ باللغة التي تعلمتها أثناء هجرتها مع أبيها...

وعلى دراجة أبي... يحلو الاستغفار :

أذكر وأنا صغيرة في الصف الثالث أو الرابع الابتدائي، كان أبي يركبني خلفه على الدراجة، وفي الطريق كان يحكي لي الكثير من الحكايات، وأذكر أنه كثيرًا ما كان يمدني عن الميزانية وعن الأموال التي يملكها، وكيف أنها قد لا تكفي نفقاتنا، ويسألني عن الحل، فكنت أسكت وأنا محتارة، فيقول لي: «ألا تحفظين قوله تعالى ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيِّنَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾﴾»، ويطلب مني أن أستغفر الله معه حتى نصل للبيت حتى يفرج الله هنا وي زيد أرزاقنا، ومن يومها أصبح الاستغفار في الشدائد من أخلاقي الثابتة، وأذكر لوالدي أنه كان يقول لي دومًا: اطلبي أكثر يرزقنا الله أكثر.

أبي... والصدقات الملقوفة :

منذ طفولتي كان والدي دومًا يعطيني نفودًا لأعطيها للمحتاجين في بيوتهم، وكان يلف النقود مع بعضها ويعطيها لي قائلاً: أعط هذه لفلانة أو فلان - هكذا، دون أن تفتحها - وسلم لي عليه، أذكر أنه خلال سنوات حياته أرسلني للفقراء مئات المرات، وفي كل مرة كنت أراه سعيدًا، وكان استقبال الفقراء في جيلًا وكانت دعواتهم تلاحقني كلما رأوني، فعرفت أن للعطاء لذة تفوق بكثير لذة الأخذ، ولأن الدنيا ليست دار استقرار فقد مات أبي، وكانت كلماته الأخيرة: «ساعطي للفقراء الكثير، أعطيهم وأسعطيهم، ثم نطق بالشهادة ومات»، ومن يومها أصبحت محبًا للصدقات، ومع كل صدقة أخرجها أتذكر أبي وأدعو له بالرحمة، ولقد تزوجت ورزقني الله بالذرية، ويفضل الله أمارس مع أبنائي فكرة الصدقات الملقوفة التي تعلمتها من أبي.

أبي... والشهادة الجامعية الثانية :

بعد أن حصلت على بكالوريوس تربية رياضية، التحقت بالتدريس في إحدى المدارس، وخلال شهور أحسست بعدم الراحة في التدريس، وشعرت أنني غير محب

لنك المهنة، فأخبرت أمي وقلت لها: إنني أحب الالتحاق بكلية التجارة، فمشجعتني ودفعت لي مصاريف الدراسة على مدار السنوات الأربع التالية، لقد فعلت ذلك راضية مطمئنة، لقد كانت نظراتها تشعرنني دومًا بالرضا، وكانت كلماتها تعطيني أملًا في المستقبل، وبعد سنتين حصلت على بكالوريوس تجارة أعدت به تنظيم حياتي، ومرت الأيام حتى أصبحت الآن مديرًا عامًا للعمليات في إحدى الشركات الصناعية الكبرى، وكلما دخلت مكنتي تذكرت أمي ودعوت لها بالرحمة والمغفرة.

✍️ أم .. بدرجة ممتاز:

ربيتي أمي دائمًا على العزة والكرامة، وعندما كنت أخطئ كانت لا تنشر أخطائي ولا تخبر حتى إخوتي بما فعلت؛ حتى أظل مرفوعة الرأس أمام إخوتي الصغار، أذكر ذات يوم وأنا في المرحلة الابتدائية وقع مني المنبه فانكسر، ولم يراي أحد سوى ابن عمي، فظل يساومني على أن أعطيه مصروفي يوميًا حتى لا يخبر أمي، ووافقت خوفًا من أمي، واستمرت حالة الابتزاز هذه أيامًا حتى ضقت بها ذرعمًا، فأخبرت أمي وأنا متوقفة منها عقابًا شديدًا، لكنني فوجئت بحضن كبير وقبلة حانية، وقالت لي يومها: إنها احترمتني أكثر لأنني أخبرتها بما حدث، وأن علي أن أخبرها بكل شيء حتى تصحح لي أخطائي دون عقاب، ومن يومها تعلمت أن أرفع رأسي وأواجه الدنيا في شجاعة، وعندما كبرت ودخلت المرحلة الإعدادية، كانت أمي دومًا تترك المال معي وتعاملني مثل شابة كبيرة، وتقول لي: اشترى أي شيء مناسب للبيت تجهينه في طريقك، وتناقشني فيما اشتريت، وتعديل أفكارني في هدوء وحكمة، حتى تعلمت تحمل المسؤولية من صغري، وعندما كبرت أكثر علمتني الإنفاق على الفقراء حتى لو لم يكن معي سوى ما أعطيه لهم، فكانت الحكمة في الإنفاق مع الزهد في الدنيا عنواني في الحياة بفضلها، رحم الله أمي فقد كانت أمًا بدرجة ممتاز.

✍️ أبي يريد بيتًا .. حتى يصلني:

منذ طفولتي ونحن نسكن في بيت لا نملكه، بينما جميع من هم حولنا يملكون بيوتًا،

وكان هذا الموضوع يؤرق والدي ويجعله مهموماً، وكان أبي لا يصلي في المسجد أبداً، لم أره في حياتي يدخل مسجداً، وذات يوم زارنا أحد أقاربنا، وسمعته يقول لأبي: لماذا لا تصلي معنا في المسجد؟ فقال أبي كلمة لا يمكن نسيانها، لقد قال: أنا لن أدخل المسجد حتى يعطيني الله بيتاً أملكه، فقال الرجل: اتق الله، كيف تقول ذلك، كيف تشتترط على الله أن يعطيك بيتاً حتى تصلي، فرد أبي: أنا لن أدخل المسجد حتى يصبح لي بيت أملكه، ودارت الأيام، وأبي لا يدخل المسجد وأنا بالطبع مثله، كنت أتساءل كثيراً: هل سيرزقنا الله بالبيت الذي نملكه؟ هل سيفرح به أبي وتتحوّل حياته ويصلي؟ كثير من الأذكاء راودتني، وبمرور الزمن تحسنت ظروفنا الاقتصادية ورزقنا الله بالمال، واشترى أبي بيتاً بجوار المسجد مباشرة، فقلت في نفسي هذه بداية الخير، وجاء الناس مهتئين وذكروا أبي بالوعد الذي قطعه على نفسه، ووعدهم أبي أنه سيبدأ في دخول المسجد ليصلي إن شاء الله، لكن أبي لم يكن صادقاً في كلامه، أو ربما حرمه الله من لذة الصلاة في المسجد، فلم أره بعدها في حياته دخل المسجد، تخيل أن بيتاً ملاصقاً للمسجد وصاحبه لا يصلي، وذات يوم تغير الكون من حولي ودخل أبي المسجد لأول مرة، حتى هذه المرة لم يدخل أبي ليصلي، لقد دخل ليصلي عليه فقد مات، ومن يومها تعلمت من خطأ أبي والتزمت الصلاة في المسجد، رحمك الله يا أبي فقد خدعك الشيطان خدعة كبيرة وعشت محروماً من الصلاة في المسجد.

أرسل ما تعب إلى الجنة:

نحن من أسرة ميسورة الحال والحمد لله، وكان من عادة أُمِّي أن تعد لنا أجل الطعام وأطببه، ولقد كانت أُمِّي منذ طفولتي تقدم لي الطعام الطيب وتقول لي: هل تحبه؟ فأقول: نعم، فتقول ما رأيك أن نجعله يسبقنا لنجده في الجنة وتقرأ قول الله تعالى: ﴿لَنْ نَنسَاكَ أَلَيْسَ حَتَّى نُنْفِقُوا بِمَا نُحِبُّونَ﴾، ونشجعني قائلة: لقد أعددت لك طعاماً آخر تحبه وهذا أيضاً تحبه فيها نعطيه للفقراء، وعند شراء الفاكهة والحلوى كانت تقول: ما النوع الذي تحبه حتى نشترى منه ونعطيه لليتامى؟ وبمرور الأيام تكرر فعل أُمِّي، حتى أصبحت لدينا

عادة يومية هي أن نتفق مما تحب، وسهل العطاء على نفسي وأصبح الإيثار جزءاً من شخصيتي، لقد علمتني أمي أن للعطاء طعمًا ألد بكثير من الأخذ، ومرت السنون ورحلت أمي إلى الآخرة، لكن ما علمتني إياه لم يمت، فأنا ما زلت أطبق فكرتها معي ومع أولادي، بل إنني أتخبر ما كانت تحبه أمي وأتصدق به عليها، لعل الله تعالى يوصله إليها إنه سبحانه على كل شيء قدير.

طفل صغير محبوب في السرير:

في طفولتي وأنا في مرحلة التعليم الابتدائية، تمارضت يوماً حتى لا أذهب إلى المدرسة، وبحس الأم المرهف وبخيرتها الثاقبة شعرت أمي أنني أنماض ولست مريضاً، ومع ذلك وافقت على ألا أذهب للمدرسة، وتركتني في البيت لكنها قررت في نفسها أن تعلمني درساً لا أنساه، لقد فرحت كثيراً بموافقة أمي على غيابي من المدرسة، لكن ما حدث بعد ذلك أذهب كل معاني الفرحة من قلبي، وإليكم ما حدث: بعدما تأكدت أن موعد المدرسة قد فات، قمت من فراشي لألعب هنا وهناك، فاستوقفتني أمي قائلة: عد لفراشك فالمرريض لا يغادر فراشه، فعدت حزينة كثيراً، وجاءت أمي بطعام لتأكله أمامي، فهيمت بمشاركتها لكنها قالت: أنت مريض والمرريض لا يأكل لأنه يتألم، فعدت إلى الحبس في الفراش، وبعد دقائق قلت لأمي: هل تظنين أن باب المدرسة ما زال مفتوحاً؟ فضحكت أمي وقالت: مؤكد أنها مغلقة، وإذا شفاك الله تعالى ستذهب لها غداً إن شاء الله، ومر اليوم بطيئاً جداً، وانتظرت صباح اليوم التالي بفارغ الصبر حتى أذهب إلى المدرسة، حيث أجد مزيئاً من التعب واللعب والحياة، ومن يومها تعلمت ألا أنماض أبداً، وأن أذهب إلى المدرسة فهي خير من الحبس - اللطيف - في السرير.

أبي.. ونغز السجائر العشر:

كنت في المرحلة الإعدادية، وعلم أبي أنني بدأت في شرب السجائر، وكان أبي رجلاً متديناً لا يشرب السجائر أبداً، فناداني وقال لي: يا محمد، اذهب واشتر لي عشرة أرغفة

وعشر سجاثر، وكان سعر كل سيجارة يومها يساوي سعر رغيف الخبز، فتعجبت من طلبه، لكنني نفذت ما أريد، وعندما عدت قال لي: هيا نذهب إلى الحفل معاً، وهناك أوقد أبي نارًا وأشعل منها السيجارة وتركها تحترق وحدها، ووضع رغيفًا في النار ليحترق، وفعل الشيء نفسه مع السجاثر والأرغفة الباقية، كل هذا وهو لا يتلق بكلمة واحدة، وفي النهاية قال: إن من يدخن يجرق مع كل سيجارة خبزًا من قوت إخوته أو من قوت والده الذي يجبه أو من قوت أمه التي تجوع من أجله، ومن يومها أكره السجائر كما أكره العمى، وكلما رأيت من يشربها تذكرت أبي وموقف السجاثر العشر، ودعوت له بالرحمة والمغفرة.

سرقنت من أبي فكافاني بزيادة المصروف:

كان أبي عاملاً بسيطًا، وكنت ككل الأطفال متطلبًا للمزيد من الحلوى والألعاب، وكان مصروفي لا يكفي لشراء كل ما أريد، فمددت يدي يومًا وسرقت من جيب أبي، وتكررت مني مرات السرقة من أبي، واكتشفت أمي يومًا ما أفعله فأخبرت أبي بالحكاية، فما كان منه إلا أن زادني في المصروف دون أن يكلمني في موضوع السرقة، وتعجبت كثيرًا مما فعله معي، إلى أن قالت لي أمي يومًا: اذهب نوالدك في العمل لتعطيه هذا الحذاء، وهناك وجدت أبي يعمل باجتهاد في حر الظهيرة الشديد، وعندما رأني أقبل يعانقني وهو يقول للناس مفتخرًا: هذا ابني أحمد، وعدت للبيت، وفي المساء قال لي أبي: أحمد، أنا أحبك جدًّا، وعندما تريد نقودًا زائفة أخبرني ولا تأخذ من جيبتي، هل تعلم كيف زدت لك مصروفك؟ لقد قررت أن أعمل ساعة يوميًا زيادة بدلًا من الراحة في وقت الظهيرة؛ لأوفر لك كل ما تحتاجه، فرجاء لا تسرق ولا تتخذ أباك أبدًا، وأختني في حضنه وتركتني أبكي، ومن يومها زاد حبي لأبي، ولم أمد يدي للحرام أبدًا، وتفوقت في دراستي أملًا في دفع رأس أبي.

أبي... وحذاء الجيش القاسي:

كان أبي عسكريًا بالجيش، وكنت دون السادسة من العمر ولم أدخل المدرسة بعد،

وذات يوم بعد الطعام مسحت يدي وبها آثار الطعام في ملابسني، فقام والدي بعقابي بصورة «قاسية جداً»، حتى أنني أذكر أنه داس عليّ بقدمه وهو يلبس الحذاء الميري الخاص بالجيش، داس به على صدري وأنا واقف على الأرض من الضرب، وأصبحت يومها برعب شديد، وبالرغم من أن أبي صالحني بعد ذلك، إلا أنه لا يزال في قلبي بقايا من حزن وخوف، لقد حدث هذا الموقف منذ أكثر من ثلاثين عامًا، وأظن أنني لن أنسى هذا الموقف ما حييت.

ومن يومها لم أحفظ آية من كتاب الله:

كان والدي محفظًا للقرآن الكريم، وكان الأولاد يحفظون في بيتنا، ثم يذهبون إلى يوتهم ويلعبون، أما أنا فكانت لا أستطيع اللعب مثلهم، إذ كان والدي يحرص على أن أحمل المصحف في يدي وأحفظ ليل نهار، وذات يوم كنت أرغب في اللعب، ومنعني أبي لأحفظ مزيدًا من الآيات، فما كان مني إلا أن مزقت المصحف نصفين، فعلت هذا وأنا طفل صغير لا يعرف غير أن هذا المصحف يحرمه من اللعب، فضربني أبي ضربًا شديدًا، ومن يومها لم أتمكن من حفظ آية من كتاب الله، رغم كل محاولات أبي، واليوم بعد أن رزقني الله بأبناء، لم أجبر واحدًا منهم على الحفظ، بل أرغبهم وأكافئهم، وصدق من قال: من أحسن فن الراحة أحسن فن العمل، رحمك الله يا أبي وسامحك، فمن الحرص ما قتل.

الملابس المتسخة ومعنى الرحمة:

كنت في المرحلة الابتدائية، وأرسلني أبي بملابسه الخاصة بالعمل إلى المكوجي (الذي يمتحن كي الملابس) حتى يكويها له، وفي الطريق تسببت رغماً عني في وقوع ملابس أبي في الطين، كنا في يوم الجمعة والمطر شديد والأرض موحلة، وكان من المفروض أن يلبس أبي تلك الملابس في اليوم التالي عند ذهابه للعمل، وعدت نلبت حاملاً الملابس المتسخة خائفاً متوقفاً سوء العقاب، واستقبلتني أمي مصدومة وقالت: لن أستطيع غسلها لأنه لا توجد شمس لتجففها، وأرادت أن تضربني، ولكن أبي دافع عني وقال: لقد أسقطها رغماً

عنه، وسيحرص في المرة القادمة، وقال إنه سيرتدي ملبسه الأخرى المتسخة فهي جيدة نوعاً ما، وحينها أحسست بإحراج شديد وتعلمت معنى الرحمة، رحمك الله يا والدي فقد كنت بنا رحيماً.

دعاء أبي الأخير:

لأنني أبي كان رجلاً كبير السن، فقد سكنت معه في بيت واحد، كان هو يسكن في الدور الثاني وأنا في الدور الأول، وفي آخر أيام أبي في الدنيا وفي مرض الموت كنت أخدمه، وفي لقائي الأخير به طلب مني شيئاً معيناً أفعله له، ففعلت ما طلبه أبي ونفذت ما أَرَادَ، وكان حينها نائماً على سريره الخاص به، فسألته: هل تريد شيئاً آخر يا بابا أفعله لك؟ فقال: لا، انزل أنت لتنام، ودعا في قائلنا: «الله يصلح حالك، ويريح بالك، مثلما أرحمتني»، وتركت أبي ونزلت وعدت في الصباح فوجدت أبي قد دخل في غيبوبة، لم يبق بعدها ومات، وكانت آخر كلماته في هذه الدنيا هي دعاءه لي.

وكم تمنيت أن يوقظني أبي:

كان أبي يوقظني بوضع قطع الحلوى في فمي، بينما كانت أمي توقظني بالصراخ والصباح، وكم تمنيت في كل مرة أستيقظ فيها أن أرى وجه أبي فقط.

اليَدِ الصَّغِيرَةِ وَصَنَائِقِ الْخَيْرِ الْكَثِيرَةِ:

منذ طفولتي كان أبي يصطحبني إلى المسجد كل يوم جمعة لأصلي معه، وفي البداية كنت أرى في المسجد شيئاً يحدث لا أفهم ما هو، كنت أرى رجلاً يدور على الناس بين الصفوف حاملاً صندوقاً أخضر، ويمد الناس أيديهم وهم يمسكون شيئاً ليضعوه في الصندوق، وكانت المفاجأة هي أن والدي لم يضع يده في الصندوق مثل باقي الناس، بل أعطاني قدرًا من المال وطلب مني أن أضعه في الصندوق، ومع الأيام فهمت أنه صندوق التبرعات، ولقد جعلني أبي أضع المال فيه سنين، ومنذ تلك الأيام الطيبة ويدي لا تتردد

لحظة عن أي صندوق خير، وأسأل الله أن يجعل لأبي فيها أضعه نصيباً، فقد استطاع أبي - رحمه الله - أن يغرس في قلبي حلاوة العطاء.

أبي والطرطور الألماني :

في طفولتي سافرت مع أبي إلى ألمانيا، وأذكر أول يوم لي في المدرسة هناك، لقد كان أبي مريضاً، لكنه صمم على أن يوصلني إلى المدرسة، وهناك فوجئ بتقليد ألماني غريب، وهو أن كل التلاميذ الجدد يلبسون طرطوراً كبيراً على رؤوسهم، والطرطور ملون وبه حلويات وزينة، ولم يكن قد أحضر لي واحداً، وكان المكان الذي تباع فيه تلك الطراطر بعيداً، إلا أن أبي أصر على إحضار هذا الطرطور رغم مرضه، حتى لا أشعر بأنني أقل من زملائي، وبالفعل تحامل على نفسه وذهب لإحضار الطرطور، وكم سعدت يومها كثيراً، وتسبب ذلك الموقف في اشتداد المرض على أبي، حتى أنني أذكر أنه رقد في السرير بعدها أسبوعاً، وكان كلما رأيته وهو في سرير المرض تبسم وقال: كيف حال الطرطور؟ فجزاه الله عني خيراً.

أخيراً قرأتها يا أبا بكر!

وأنا في نهاية المرحلة الثانوية ذهبت يوماً لحضور درس في أحد المساجد، وكان موضوع الدرس عن قيام الليل وحلاوته، ومن شدة انفعالي أخرجت ورقة وقرأت وبدأت في الكتابة خلف الشيخ، وكان مما كتبت أن أحد الصالحين سئل: لماذا تقوم الليل؟ فقال: إن الله تعالى ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا ويقول: هل من تائب فأتوب عليه؟ هل من سائل فأعطيه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ وإذا نزل ربنا إلى السماء الدنيا وجب على الصالحين (المحبين) استقباله، وأنا أحشى ألا يقوم أحد الليل من قرينتنا فيستقبل الله، فأنا أستقبله تعالى نيابة عن أهل قرينتنا، المهم أنني تأثرت كثيراً بموضوع الدرس، وكتبت أجمل ما سمعت، وعدت للبيت ووضعت الورقة بجوار التلفزيون، ويمرور الأيام نسيت الورقة ولم أقم الليل كما سمعت، ومرت الأيام وفوجئت بتغير غريب في حال أبي، إذ كان

من عاداته أن يصلي قيام الليل مرة في الشهر، لكنه بدأ يستيقظ يومياً قبل صلاة الفجر بساعة ويصلي لله تعالى ثم يذهب لصلاة الفجر، ومع تغير حال أبي بدأ شيء آخر غريب يحدث، بدأت الورقة التي كنت قد كتبتها عن قيام الليل تصادفتني كثيراً في البيت، فمرة أجدها على مكتبي، ومرة أراها على سريري، ومرة أجدها في جيب البدلة التي ألبسها، كنت أستغرب كثيراً لكتنتي لم أكن أفكر في الأمر، حدث هذا معي على مدار حوالي عام ونصف أو عامين، ولما طال وجود الورقة في جيبتي (حوالي ستة أشهر) بدأت أفروها كثيراً، ومع قراءتها أشعر أن أبي يريد أن يقول لي شيئاً لكنه لا يتكلم، كنت أجلس معه بالساعات نتكلم لكنه لم يقل لي شيئاً، وفجأة فهمت الرسالة: إن أبي يريدني أن أنفذ ما كتبت في الورقة، فهو الذي لم يحضر الدرس قرأها وانتفع بها، وحان دوري في الاستفادة العملية مما سمعت، وذات ليلة وفقني الله تعالى أن أبدأ في رحلة قيام الليل، وتوضأت وصليت ركعتين، وفي التسليمة الثانية سمعت من يقول من ورائي: أخيراً قرأتها يا أبا بكر! إنه أبي، ومن يومها بدأت رحلتي العملية مع قيام الليل... ومرة الأيام، وأصيب أبي بمرض شديد استلزم علاجاً كيمياوياً، وكنت بفضل الله تعالى في خدمته صباح مساء، عشت معه رحلة المرض كاملة، وذات ليلة وأنا بجوار سرير أبي في المستشفى، سمعت المريض المجاور له يتألم ويتوجع بشدة، فقال لي أبي: يا بني، اذهب وساعد هذا الرجل فإنه ليس مع أحد، ونفذت ما طلبه أبي وذهبت لمساعدة الرجل ومواساته، وعدت لأبي فوجدته قد دخل في غيبوبة، لقد جعلني أساعد الرجل وبدأ هو يرحل عن الحياة، لقد أتر الرجل بمساعدة ابنه رغم احتياجه لها، وخلال ساعات فارق أبي الحياة، وكانت آخر كلماته لي: «ساعد هذا الرجل».

أبي وحكاية العشرة الآف جنيه:

عندما كنت في المرحلة الابتدائية، كان أبي كثيراً ما يزرع في الثقة بالنفس، وكان أبي تاجرًا معروفًا، وذات يوم فوجئت به يحضر إلى المنزل عشرة آلاف جنيه، وكان هذا المبلغ كبيرًا جدًا في أيامها، وطلب مني أن أحفظه له، في البداية فوجئت بطلبه واستغربت منه،

لكنه شجعني وقال: أنت يا ابنتي تحفظين كنوز الدنيا كلها ولا تضعين، لقد دفعني نحو مزيد من الثقة بالنفس، وعلمت حينها كم أنا كبيرة، وأن ثقة أبي في كبيرة جداً، ومن يومها هانت النقرود في عيني، وزادت ثقتي في نفسي، وزاد حبي لأبي، رحمك الله يا أبي فلقد أشعرتني يوماً أنتي عندك أهم من كنوز الدنيا، وأنتي بحق شريكة لك.

هل دعا عليك أبوك يوماً؟

في بداية التزامي كنت شديداً وعنيفاً ومتعصباً، كان ذلك منذ حوالي ٣٠ سنة تقريباً سنة ١٩٧٩ ، ١٩٨٠، وكنت حينها أنعامل بعنف مع والدي، حتى إنه كان يخشى من إخراجي له أمام أصحابه، وذات يوم ذهبت إلى المقهى الذي يجلس فيه أبي مع أصحابه، ووجدته هناك يلعب كوتشينة مع بعضهم، وبلا مقدمات توجهت نحوه وأخذت الكوتشينة من أيديهم ورميتها على الأرض، ومن هول الصدمة سكت أبي ولم ينطق بكلمة واحدة، وهاج الناس وماجوا وأبي صامت لا يتكلم، فتركتهم وعدت إلى البيت وأنا أظن أنني قد أوقفت منكرًا كبيرًا، وفي تلك الليلة عاد أبي حزينا منكمرا، وسمعته يصلي ليلاً ويدعو عليّ لأنني أهنته وسط الناس، لقد نيت عن منكر وارتكبت منكرًا أشد منه، فذهبت إليه وطلبت منه أن يسامحني، ويقبله الطيب سامحني ودعا لي بالهداية، ومن يومها تعلمت الرفق واللطف والحكمة والموعظة الحسنة، رحمك الله يا أبي فقد نصحتني بصبرك وصمتك ورفقت بي.

أمنية أبي الأخيرة ليبتني أعرها:

كان أبي قوي الشخصية ذا هيئة ووقار، ابتلاه الله تعالى قبل موته بمرض شديد وهو ضمور في الأعصاب، ولقد بدأ مرضه ببطء ثم زاد شدة وألما يوماً بعد يوم، وكان الله تعالى يزيد له في البلاء يوماً بعد يوم، في البداية توقفت رجله عن الحركة، ثم توقفت يده، وتبعاً توقف جسده جزءاً تلو الآخر حتى وصل الشلل إلى لسانه، وقبيل وفاته بساعات كان يمههم بلسانه يريد أن يطلب منا شيئاً لكننا لم نستطع فهمه، ولم نعلم ما يريد، كان يحاول طلب شيء منا لكننا جميعاً لم نفهم كلامه، ويده مشلولة لا يستطيع أن يكتب، كم

كانت لحظة صعبة وقاسية، دمعت عيناه ودمعت عيوننا، وتوفي - رحمه الله تعالى - بعدها مباشرة، تحمّل وهو يرحل عن الحياة يريد أن يقول لمن يجب شيئاً لكنه لا يستطيع، تحمّل أن أبك يموت ويقول لك شيئاً وأنت لا تفهمه، هذه كانت لحظات اللقاء الأخير بيننا، والآن كل أمنيته في الحياة أن أعرف ماذا كان يريد والذي الحبيب قبل وفاته؟ وماذا كان طلبه الأخير حتى أنفذه؟

الاذكار على السرير لها طعم خطير:

في طفولتنا كان والدي كلما صلى الفجر وعاد إلى البيت؛ يجمع كل من في البيت حوله فوق السرير ويغطينا جميعاً معه بغطاء واحد، كنا نجلس مع أبي وأمي وإخوتي في دفء عجيب، ثم يقرأ والدي الأذكار لمدة ٢٠ دقيقة تقريباً، والله لقد كانت من أسعد الدقائق في عمرنا، فعل ذلك معنا كل يوم لسنتين عديدة، حتى حفظنا الأذكار عن ظهر قلب، وكذلك سورة الكهف في أيام الجمعة، والنتيجة أنني لا يمكن أن أنسى كلمة من الأذكار أو أتخلف عن قراءة سورة الكهف أيام الجمعة، ويمرور الأيام كبر الصغار وتفرق الجمع ورحل أبي عن الحياة، ولقد تزوجت ورزقني الله تعالى بطفل عمره ستة أشهر، أتمنى أن يكبر سريعاً لأنفذ معه فكرة والدي الجميلة، ليدعولي بعد موتي.

خاطرة الفجر والابن المعلم:

كنت في المرحلة الثانوية، وفي أحد أيام رمضان سمعت قصة عن فضل الاستغفار وحلّوته في المدرسة، وعندما عدت للبيت وحكيته لأبي، فتبسم ودعاني بالخير، وخرجنا معاً لصلاة فجر اليوم التالي، وهناك ألقى أبي خاطرة الفجر كعادته فهو شيخ مسجداً، لكنني فوجئت به يحكي القصة التي حكيتها له ويقول: لقد حكى لي أحد الشباب الطيبين (ونظر نحوي وابتسم) قصة عن الاستغفار أحب أن أحكيها لكم، وهي قصة جميلة ومؤثرة، والله لقد شعرت حينها بسعادة لا أستطيع وصفها، وأعطاني ثقة في نفسي وحباً للعلم ونهياً في طلبه.

هذا الأب كيف أحبه؟

طلبت من أبي يوماً أن يصنع لي تورتة لأحتفل بعيد ميلادي مثل أولاد خالي، فرفض بغلظة قائلاً: «هذا حرام»، فحزنت وصدمت، وبعدها وعدني أكثر من مرة عندما أتجج وأنفوق بجهاز بلاي ستيشن، وبالفعل نجحت وانتظرت هدية أبي، لكنه لم يوف بوعده وخان عهده معي بحجج واهية لم أصدق منها شيئاً، والعجيب أنني كنت في الإجازة الصيفية عندما أجلس لألعب على الكمبيوتر؛ يطلب مني عدم نضيب الوقت وترك الكمبيوتر لفعل شيء نافع، بينما يجلس هو على الكمبيوتر ليفعل ما يراه هو نافعاً من رؤية الأخبار وقراءة المقالات، أتصدق أنه يجعلني أترك الكمبيوتر حتى لا أضيع وقتي بينما يجلس هو ليضيعه؟ وكانت الخاتمة عندما أخطأت ومددت يدي على نقوده أكثر من مرة، فضربني بشدة لدرجة أنه شوه جسدي وازرق وجهي وحطم كرامتي، فيا ترى هذا الأب كيف أحبه؟؟؟

من حبي لأبي أحببت الوطن:

كانت لنا مع والدي جلسات يحكي لنا فيها تاريخ بلدنا مصر، حكى لنا الكثير من تاريخ مصر الحديث وبعضاً من التاريخ الفرعوني والفتح الإسلامي لمصر، ومن خلال جلسات المحبة هذه أحببت أبي أكثر، وأحببت بلدي منذ الصغر، وجعلني أفتخر بوطني وأتمسك به مهما حدث.

هدية أبي اليومية قراءتها فورية:

كان والدي دائماً عندما يعود من سفر، يأتي إلى البيت حاملاً كتاباً أو جريدة، ويدخل مسلماً علينا ويعطيني ما جاء به، فأسرع نحو حجرتي وأعكف على قراءة وتصفح ما جاء به حبيبي بابا، فعل أبي ذلك معي لسنين عديدة، فعلمتني حب القراءة منذ الصغر، ومنذ ذلك الحين وأنا أعشق القراءة، وما إن تقع يدي على كتاب أو جريدة إلا وشعرت وكأنني وقعت على كنز لا يقدر بثمن.

أنت الولد الصالح الذي تركته بعدي:

قبل وفاة والدي الحبيب بأسبوع ناداني وقال لي: «أنت الولد الصالح الذي تركته في الدنيا من بعدي فلا تنساني يوماً من صالح دعائك»، هذا بالرغم من أنني أصغر أبنائه الخمسة وكم قصرت في حقه، فهل تراني بعد هذه الكلمات أنسى الدعاء له يوماً؟

من حبات الفول إلى أبواب الجامعة:

كنت في المرحلة الابتدائية ضعيفاً في الحساب، وصبر أبي عليّ ولم يضرني، بل ساعدني على تجاوز محنتي؛ لدرجة أنه كان يجلس معي ويفرغ نفسه ليعلمني الحساب باستخدام حبوب الذرة والفول، والحمد لله أنا الآن قد تخرجت من كلية الهندسة، واليوم لا أرى حبات الفول أو الذرة في البيت أو في الحقول إلا وتذكرت أبي ودعوت له من كل قلبي.

من أجلك يا أبي ساكون رجلاً:

في مرحلة المراهقة، زارني زملائي يوماً في بيتنا، وقرروا أن يصنعوا بي مقنباً حتى يجعلوا أبي يضرني أمامهم، فقالوا لبايا فجأة وبلا مقدمات: ابنك محمد يشرب السجائر، ومن هول الصدمة توقعت أن ينزل بي العقاب الشديد، لكن أبي ابتسم ونظر نحوي وريثاً على كتفي وقال لهم: محمد ابني يستحيل أن يفعل ذلك، لقد رببته جيداً، والله كنت أيامها أدخن السجائر بعنف، ومن يومها قررت أن أرفع رأس أبي كما رفع رأسي أمام زملائي، فامتنعت من يومها عن التدخين وقررت أن أكون الرجل الذي يتمناه أبي.

حفل ضرب جماعي:

من المواقف السيئة التي لا يمكن نسيانها لأبي، أنه إذا حدثت وأخطأت أنا أو أحد إخوتي، كان يجتمعنا كلنا في حجرة واحدة ويضربنا بشكل جماعي، وهذه الحفلة (المؤلمة) جعلتنا نحاول حل مشاكلنا بعيداً عن أبي، بل إنها تركت في نفسي إحساساً بالكآبة

والانكسار، وقررت مع أبنائي أن أربهم على الحرية والكرامة، وذات يوم اكتشفت أن ابني الذي في المرحلة الابتدائية يهرب من المدرسة ليلعب على الإنترنت في مراكز الكمبيوتر، فعمت بزيارته في المدرسة لأتأكد من الخبر، وبالفعل لم أجده هناك فقد حضر صباحاً وهرب سريعاً، وبحتت عنه في مراكز الكمبيوتر حتى وجدته، وما إن وقعت عيني في عينه حتى سألته: لماذا لست في المدرسة؟ فكذب عليّ وقال: لقد خرجنا من المدرسة اليوم مبكراً، فأخذته معي وعدنا إلى المدرسة، وهناك قلت للمدرس أمام التلاميذ في فصل ابني: لقد كانت أمه في احتياج شديد إليه وطلبت منه أن يأتي إلى البيت، وتركته هناك وانصرفت، وبعد انتهاء اليوم الدراسي عاد من المدرسة، فقلت له: أتدرى لم سترت عليك ولم أفضحك؟ فقال: نعم حتى لا أخرجني مع أصحابي ويكس، ومن يومها انتظم في دراسته واستقام حاله.

دوري في الرحلات الأبوية:

كان والدي - رحمه الله - عند خروجه في المناسبات أو الزيارات، يأخذ واحداً منا نحن أبناءه الثلاثة، وهكذا أصبح لدينا دور للخروج مع أبي، وبما فرحته من عليه الدور اليوم، لقد فعل أبي ذلك معنا لسنتين، وذات يوم كان أبي سيخرج لزيارة صديق، فنشأجرنا على من منا عليه الدور هذه المرة، وكانت النتيجة أننا حُرمتنا جميعاً من الذهاب معه، وكم كان حزيناً وهو يخرج وحده، لكنه أخبرنا أنه فعل ذلك لتتعلم درساً، وأصبحنا بعدها نكتب في ورقة أدوارنا في الخروج معه حتى لا نختلف بعد ذلك فنحرم من صحبة والدنا الحبيب، والله لقد كنا نحب صحبة أبنائنا، وهو كان يحرص على أخذ أحدنا في كل فرصة متاحة، وبالطبع يكون لكل واحد منا أسراه الخاصة مع أبيه خلال تلك الرحلة، والتي لا يحكيها طبعاً لإخوته لأنهم يملكون أسراراً أخرى، ولهم في قلب أبيهم نفس رصيد الحب.

لم يكن أبي بل كان صديقي:

كان والدي - رحمه الله - يحترمني بصورة عجيبة ويقدرني بطريقة غريبة، لدرجة أنني كلما دخلت عليه وهو نائم أو مضطجع كان سريعاً ما يعتدل قاعداً ويكلمني، وإذا كان

يمد رةله عدلها وأبعدها عن رةهه، والله لم يكن يعاملني كأب وإنما كأخ أكبر وصديق ريبب، والله لقد اأرمني أبي حتى أأجلني من نفسي، وكنت طبعاً أقبل ربه رهب واحترامه باأرمام أشد، ولما كبرت اكتشفت أن أبي كان يطيق - دون أن يشعر - سنة نبوية ربوية ريبلة، هذه السنة فيها رواه أبو داود والترمذي (وصححه الألباني) عن السيدة عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت: «ما رأيت أأداً كان أشبه سمناً وهدياً ودلاً برسول الله ﷺ، من فاطمة كرم الله رةهها؛ كانت إذا دخلت عليه قام إليها، فأأخذ بيدها وقبيلها وأأجلها في رةلسه، وكان إذا دخل عليها قامت إليه، فأأخذت بيده فقبلته وأأجلسته في رةلسها».

رسالة من دار العلوم إلى أبي العنون:

كنت أسكن في مدينة القاهرة أثناء دراستي في كلية دار العلوم، وأثناء الامأناات نفذ الزاد والمال، فأرسلت لوألدي رسالة أسأغيت به، وكتبت فيها قوله تعالى: ﴿وَأَوْلاً تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِتْلَاكُمْ نَحْنُ نَرُزِقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾، وأوصلت الرسالة مع زميل لي مسافر إلى بلدتنا، ووصلت الرسالة إلى أبي صباحاً، وفوجئت به أمامي مساء اليوم نفسه، لقد جاء أبي رةم بعد المسافة من قرينتا إلى القاهرة وهو رجل كبير السن ضعيف البدن، إنه لم يتأخر عني لحظة وجاء معه ما لذ وطاب من الطعام والمال، لقد دخل علي أبي وعليه أثر السفر والتعب، وسلم علي وأأضنتني رةضن لن أنساء، ولم يتكلم، لكن رةضته الدفاع كان يقول: وكيف أأصيع من أأب؟ لقد كان عمر أبي يومها حوالي ستين عاماً، ومرت الأيام والسنون، وبلغ أبي من العمر ٨٢ سنة، وفي أيامه الأأخرة دخل في رةبوبة لمدة ثلاثة أيام، وفي اليوم الثالث رةلست بجواره أقرأ القرآن، فإذا به يمد يده ليمسك بيدي، ويفتح عينيه ويتشم لي ثم يفارق الحياة، لقد عاش رةنوفاً رةبباً إلى حتى في أأر لحظة من عمره.

فكرة في المصروف:

في المرحلة الإعدادية، كان أبي يعطيني أيام الدراسة مصروفه بالأسبوع، لكل يوم مبلغ يكفيه، ثم يعطيني فوق المبلغ الكلي ربع رةنيه زيادة (٢٥ قرشاً)، ويقول لي: هذا

المبلغ (كان جيدًا أيامها) لك زيادة خارج مصر وفاتك الأساسية، فاعمل به ما يحلو لك، رحمه الله فقد غرس في - بهذا المبلغ الزهيد - الكرامة والأمانة وحسن إدارة المال.

اللهم أحسن استقبال أبي في الآخرة:

كان أبي تاجرًا كبيرًا للماشية، وكان عادة ما يرجع من السوق مرهقًا متعبًا، وكنت أقف في استقباله منتظرًا يجيئه على مسافة بعيدة من البيت، وكان يلقاني بحفاوة بالغة، لدرجة أنه كان يحضني ويقبلني ثم يحملني على كتفيه، ثم يسير بي نحو البيت لمسافة كبيرة، كل هذا يفعله في الشارع أمام الناس رغم مكانته بينهم، لقد أحسن استقبالي بهذه الطريقة لسنين، وفجأة فقدت هذا الاستقبال، ليس هذا لأن أبي غيّر عاداته الطيبة، بل لأنه غادر حياتي فجأة، وكتم انتقدت استقباله لي بعد وفاته، فأسأل الله تعالى أن يحسن استقبال أبي وهو وافد عليه في الآخرة، وأن بكرم - سبحانه - وقوف أبي بين يديه، كما كان بكرم وقوفي بين يديه.

من أبي تعلمت الورع:

منذ الصغر كنت أساعد والدي في إدارة المحل الذي يملكه، وذات يوم وأنا معه في المحل، طلب مني إحضار بعض الأشياء من المخزن، وكان عمري حينها ١٤ أو ١٥ سنة، وكان المخزن بدون إضاءة، فأعطاني أبي كشافًا يعمل بحجارة البطارية الصغيرة ليضيء لي الطريق، لكن الكشاف لم يكن به حجارة بطارية، فأخذت اثنين من التي تباع في المحل، وذهبت فقط لدقائق أحضرت خلالها ما طلبه أبي، وعدت وناولته ما أُرَاد ثم أخرجت حجري البطارية من الكشاف وهممت بوضعها وسط باقي الحجارة التي نبيعها، فلاحظ أبي - رحمه الله - ما حدث، فقال لي بحزم: ماذا تفعل؟ فقلت له: سأعيد حجري البطارية مكانها، فقال أبي: هل ستبيع بلا ضمير ولا ذمّة؟ أترضى أن يأتي من سيشتري حجري البطارية الذي استخدمتها يوم القيامة لياخذ منك حقه الذي أضأت به كشافك دقائق؟ أترضى أن تكون غشاشًا؟ ومن يومها عرفت سر البركة في تجارتنا بل في حياتنا كلها، إنه صدق أبي وأمانته وورعه، وكان موقف أبي معي وكلماته الصادقة سببًا في ميلاد تاجر أمين، هو أنا.

✍️ عن المغفرة كان أبي يبحث:

كان والدي عالمًا مرموقًا بالأزهر الشريف، ومع ذلك كنت أراه يمسك المكتسة بكل فخر ويكس المسجد، ويغسل الحصى، ويمسح التراب من على المنبر، وعندما كنت أسأله: لماذا تفعل ذلك؟ أليس هذا هو عمل العمال؟ يرد قائلاً: هذه بيوت الله، وأنا أنظفها ليكرمني صاحبها ويعفو عني، وأنا اليوم بعد سنين أصبحت مثل أبي، أعشق خدمة المساجد وتنظيفها، أفعل ذلك راجيًا عفو ربي وكرمه، وداعيًا بالرحمة والغفران لوالدي.

✍️ المفاجأة كانت في محفظة أبي:

تزوج والدي من امرأة أخرى غير أمي، وكانت زوجة أبي هذه أصغر سنًا من كل أولاده، فأخذ الجميع منه موقفًا معاديًا، وكنت أنا الوحيد الذي عامله بلين ورفق، وكم نصحت إخوتي أن يفعلوا مثلي لكنهم رفضوا، وذات يوم اشتد بيننا الخلاف لدرجة أن أبي أقسم أنه لن يكلم أحدًا منا وسيقاطع الجميع، وظننت حينها أنه وضعني ظلمًا في كفة من أساءوا الأدب معه، وبعدها بأيام توفي أبي فجأة وهو في البنك، فطلبني ضابط الشرطة وأخبرني بالخبر، ثم قال لي: تعال وحذك فقط لاستلام الجثة، ولم أعرف سبب طلبه الغريب، وذهبت مسرعًا وهناك اكتشفت المفاجأة، إن والدي قبل موته كتب رسالة ووضعها في محفظته يقول فيها: عند حدوث مكروه لي يكون الاتصال بابني فلان (اسمي أنا) فقط، وهو الذي يصلي علي ويدعو لي، فكانت سعادي بتلك الوصية ملء الدنيا لأنني كنت راغبًا في بر أبي، ولقد مات راضيًا عني.

✍️ ٢٠ كيلومترًا... تشهد على محبة أبي:

عند التحاقني بالثانوية الأزهرية، لم يكن في قريننا معهد أزهرى، فالتحقت بمعهد في المدينة التي تبعد عن قريننا حوالي ١٥ كيلومترًا، ولأن المواصلات في أيامها كانت نادرة؛ فقد سكنت في المدينة بجوار المعهد، وذات يوم مرضت مرضًا شديدًا وأنا مع زملائي في السكن، ووصل والذي أخبر، كنا أيامها في الشتاء والجو بارد جدًا، فخرج أبي من بيتنا

فور بلوغه خبر مرضي، وانطلق سيرًا على الأقدام قاصدًا المدينة حيث أسكن، مشى تلك المسافة ينفحه البرد ويؤذبه المطر ويتعثر في الطين، ووصل بعد طول عناء إلى حيث أسكن بحمله الشوق والعطف واخنان، ولقد احتضنتي أول ما رأي، ولكم أشفتت عليه نأ رأيته عليه من ملابس مبتلة وأطراف باردة، وهمني أبي فورًا إلى الطبيب، وبعد أن هدأت الأحوال واطمأن عليّ، عاد إلى قريننا سيرًا على الأقدام تلك المسافة كلها، فمضى يومها من أجلي ٣٠ كيلومترًا في برد ومطر وطنين، وكم شكرت الله تعالى يومها على أن رزقتني بهذا الأب المحب، والله كلما مشيت في هذا الطريق تذكرت خطوات أبي التي مشاها من أجلي، أسأل الله أن يكرمه بكل خطوة خطأها ليصل عندي، وأن يغفر له بكل لفحة برد ذاقها من أجلي، وأن ينزل عليه الرحمات بكل نقطة مطر نزلت عليه في طريقه إلى.

ومن يومها أشعر بحرارة النار كلما اقتربت من المعصية :

كان أبي رجلًا أميًّا غير متعلم، وكان ذا فطرة نقية، ولأنني كنت طفلًا ضعيف الجسم فقد كان أبي لا يضربني أبدًا لأنه يخاف أن يؤذي، وذات يوم ذهبت مع أخي الذي يكبرني بثلاث سنوات إلى المخبز لشراء الخبز، وكان عندي حينها خمس أو ست سنوات، وكان صاحب المخبز يعرض المخبوزات الشهية على منصدة في الخارج، فسرت فطيرة بالمعجوة أعجبتني وأكلتها، ورأني أخي وأخبر أبي، فخفت جدًا من رد فعله، لكن أبي وقع في حيرة كبيرة، إن ضربني قد أصاب بمكروه، وإن تركني سيخون أمانة تربيته، وصمت أبي طويلاً ليفكر، كنت ساعتها كمن ينتظر لحظة النطق بالحكم، ثم قال لي: أين يدك التي سرقت بها، وأمسك بيدي وأحضر شمعة وجعل نقطة من الشمعة تقع على يدي التي سرقت بها، فوقعت بها، وهي ساخنة فألمتني، فقال لي: هذه نار الدنيا، نار ربنا في الآخرة أشد بكثير، وكم أخاف عليك يا بني من نار الآخرة، وأمرنا بالعودة لصاحب المخبز وإعطائه ثمن الفطيرة، وكم كان استقبال الرجل لنا رائعًا، إذ أعطانا مكافأة على أمانتنا، وأصبحتنا فيما بعد من أصدقائه، ومن ساعتها أصبحت أشعر بحرارة النار إذا اقتربت من المعصية.

ومن ساعتها لم أضع سيجارة في فمي:

ذات يوم وأنا طالب في الجامعة، رأني والدي وأنا جالس واقف أشرب سيجارة مع بعض زملائي، فسلم عليّ وعلى زملائي دون عتاب ومر كأنه لم ير شيئاً، ومضى وانصرف متجهاً نحو البيت، ولقد وقفت بعده عرجاً منجمداً لا أدري ماذا أضغ، وعدت للبيت حاملاً له الجميل لأنه لم يجر جني أمام زملائي، وفي الوقت نفسه خائفاً من غضبه وثورته وعقابه، وأول ما رأني ووقعت عينه في عيني رحّب بي، وأخذني إلى غرفتي وجلسنا على الفراد، وشرح لي أضرار ما فعلته، وطلب مني وعداً بعدم تكرار ذلك، كل هذا دون غضب أو سب أو ضرب، وعاملني كصديق أو كأخ، ومن ساعتها لم أضغ سيجارة في فمي، أتدري لماذا؟ لأن أبي احترمني أمام زملائي ولم يهينني، وكان لزاماً عليّ أن أرد له الجميل وأكون معه رجلاً كما كان معي رجلاً.

اللهم ارحم أبي.. فقد كان بنا رحيماً:

نسكن في محافظة في جنوب مصر تبعد عن القاهرة حوالي ٣٠٠ كيلومتر، وأبلى الله أختي بمرض شديد، اكتشفنا بعد ذلك بأنه ورم خبيث، واستلزم الأمر نقلها للعلاج في معهد الأورام بالقاهرة، فسافر معها أبي، وأقامت هي في المعهد، ولم يجد أبي مكاناً ليرافقها، فاضطر للمبيت يوماً عند أخته (عمتي) في جنوب محافظة الجيزة، وكان كل صباح يعد لأختي طعام الغداء، ثم يحمله ويركب الميكروباص ساعة ونصفاً كاملة ليصل إلى أختي في المعهد، فيزورها ويواسيها ويطعمها بيديه ويقضي معها طوال اليوم، وفي المساء يعود إلى بيت عمتي، وذات يوم خرج أبي صباحاً من عند عمتي حاملاً غداء أختي متوجهاً نحو المعهد، لكن الميكروباص الذي ركب اصطدم بسيارة أخرى، وانقلب الميكروباص ومات الرجلان الجالسان بجوار أبي، وأصيب أبي في قدمه إصابة بالغة، وكان لا بد وأن يذهب إلى المستشفى - لا ليتعالج - بل ليطعم أختي، لقد رفض الذهاب إلا لمعهد الأورام ناسياً جراحه متذكراً فقط ابنته المريضة حاملاً لطعامها الذي نجا من الحادث، وبعدها بأيام ماتت أختي رحماً الله، وعاد أبي حاملاً ابنته الحبيبة ليواربها الترى

بيديه، لقد ماتت أختي لكن ما فعله أبي لم يمت، فقد بقي ساكنًا في قلوبنا لا تمحوه السنوات.

جاء ماشيًا.. لأعود راكبة:

كان والدي أعظم وأحب ما لدي في هذا الكون، ومن المواقف التي لا أنساها لأبي، عندما كنت في المرحلة الثانوية، وكانت مدرستنا في قرية مجاورة لقريننا، فكنا نركب سيارة ذهابًا وإيابًا، وكانت أجرة الفرد يومها خمسة قروش ذهابًا وخمسة قروش إيابًا، وذات صباح طلبت من والدي نقود المواصلات، فلم يكن معه حينها إلا خمسة قروش أعطها لي وهو منكسر وحزين، فقلت: لا عليك، سأذهب راكبة السيارة، وأعود ماشيًا مع بعض زميلاتي، وانصرفت إلى المدرسة، وفي نهاية اليوم الدراسي فوجئت بأبي منتظرًا أمام باب المدرسة، فقلت في نفسي: يا ترى ما الخبر؟ وفوجئت بأبي يعطيني خمسة قروش لأعود راكبة السيارة بدلًا من السير على الأقدام، لقد خاف والدي من إخراجي أمام زميلاتي، وخاف علي أن أعود ماشية، فنصرف وأحضر لي القروش الخمسة، وكانت قمة المفاجأة أن أبي حضر من بلدتنا سيرًا على الأقدام وعاد بنفس الطريقة، كل هذا ليوفر لي القروش الخمسة التي سأعود بها أنا راكبة، ومع أن الزمن قد دار، وتحسنت أحوالنا المادية كثيرًا، لكنني لا يمكن أن أنسى هذا الموقف النبيل والعالي من أبي وحببي.

لن أترك لابنائي شيئًا غير دينهم وتعليمهم:

كنت تلميذة مجتهدة، لذلك مرت سنوات دراستي في المرحلتين الابتدائية والإعدادية بسهولة ويسر، ولا أنسى يوم ظهور نتيجتي في الصف الثالث الإعدادي، إذ كان يومًا سعيدًا وحزينًا في الوقت نفسه، كان سعيدًا لأنني نجحت، وكان حزينًا لأن أعمامي نصحوا أبي بالأكمال دراستي الجامعية، وأن أكتفي بدخول دبلوم معلمات، وقالوا لأبي: هي بنت وهذا يكفيها، ولقد أحزنني كلامهم جدًا لأن عندي طموحًا أن أدخل الجامعة، ولأن أبي كان يعلم ذلك جيدًا، فقد فوجئت بالوالدي يقول لهم: ما دامت ترغب في إكمال

تعليمها الجامعي (ثانوي ثم جامعة) فأنا معها حتى آخر المشوار، ثم قال كلمات لا أنسى، قال: أنا لن أترك لأبنائي شيئاً بعد وفاتي غير دينهم وتعليمهم، وبدأنا المشوار على بركة الله، وتعب أبي معي وصبر وتحمل سبع سنوات، ويفضل الله تخرجت من الجامعة منذ زمن، وأعمل الآن في مهنة محترمة، والله كلما تسلمت نقود الراتب نهاية كل شهر، أتذكر وقوف أبي بجواربي، وأتذكر أنه سبب في هذا المال؛ فأدعو له من كل قلبي بالرحمة والمغفرة، والله لا أنسى ما فعله معي بالرغم من أنه مات منذ ١٥ سنة.

حب وخصام.. هل هذا كلام؟

كان والدي يعنني بصورة غير عادية، وكلياً أهداني شيئاً يكتب لي عليه: «إني من أرى الدنيا بعيني»، لسنين عديدة كانت هذه الكلمات هي الإهداء الذي يكتبه لي أبي مع كل هدية، ومع هذا الحب كان أبي إذا وقعت في خطأ يغضب مني لفترات طويلة، وربما يحدث ذلك بسبب أشياء بسيطة، ومن الطرائف التي لا أنساها أنني بعد زواجي بستين، جاء أبي يوماً لشقتي يطلب مني أن أذهب معه لأكون في استقبال أقاربنا الذين سيحضرون اليوم لبيته، فقلت له: دقائق سألبس وألحق بك، وانصرف أبي ودخلت لأتجهز، إلا أنني انشغلت في أمور أولادي، ونسيت تماماً موضوع أبي، وانتهت فجأة وكنت في حيرة شديدة، لقد تأخرت عليه كثيراً، وهو سيحزن من تأخري هذا جداً، وتوجهت إلى زوجتي أستشيرها فيما أنا فيه من هم وغم، فأشارت علي أن أمثل أنني مرضت فجأة، وهي ستخبر أبي بذلك، وبالفعل نفذنا الخطة، وجاءني أبي مسرعاً لما وصله الخبر، جاء تاركاً أقاربنا وكله حزين وخوف علي، ولو لا تلك الفكرة لكان أبي مخصصاً لي حتى يومنا هذا.

مدرستنا شاهدة على حب أبي:

توفي والدي وعمري ثنائي سنوات، وكنت حينها في الصف الثاني الابتدائي، وأتذكر جيداً أن أبي كان يعطيني المصروف يومياً، ولا يكفني بذلك بل كان يأتيني في المدرسة ويحضر في أي نوع من الفاكهة أو بعض الحلوى، ويعطيني ما جاء به في الفسحة، ويقبلني

وينصرف، واليوم عمري ٣٥ سنة، ومازلت أذكر ذلك لوالدي وأدعو له بكل خير، بل إنني كلما مررت على مدرستي ورأيت الموضع الذي كان يلقاني فيه أبي، أحن للماضي، وتدعم عيني، وأدعو له بالرحمة والمغفرة.

أبي.. دعني أشرب هذه السجارة معك:

كان أبي ممن يدخنون السجائر، وكان من عادته أن يشرب السجارة مع كوب الشاي، ومع انتهائه من السجارة يكون قد انتهى من كوب الشاي، وعندها يطفى السجارة في بقايا الشاي التي في الكوب، كم كنت أشعر حينها بسعادته بما يفعل، وهذا تمتعت كثيراً أن أفعل مثله، وحانت اللحظة الموعودة وبراءة الطفولة قلت لأبي: أعطني نَفَسًا من السجارة، فانفضض أبي ثم سكت قليلاً، ثم قال: والله من اليوم لن أشربها أبداً، ومن ساعتها أقطع تماماً عن التدخين، حدث هذا منذ أكثر من ثلاثين سنة، هذا ما فعله براءة الطفولة في قلوب الآباء المحبة.

ربما أمرض ابنك ليشفي لك قلبك!

كان أبي ممن يدخنون السجائر بشراهة، وذات يوم أصابني مرض شديد، وبعد أن كشف علي الطبيب قال لأبي: ممنوع أن تدخن بجواره، ابتعد عنه بسجائرك مدة مرضه، وكم أثرت تلك الكلمات في أبي، واكتشف فجأة أن تلك السجائر ستكون سبباً في بعده عني، وكان أبي بين اختيارين، بين أن يفتار السجائر فيدخنها بعيداً عني، وبين أن يبقى بقربي بدون سجائر، ولأن أبي رجل طيب القلب يحب ابنه بصدق؛ فقد اختارني وترك السجائر، حدث هذا منذ ٢٥ سنة، ومن يومها ترك أبي التدخين نهائياً ولم يمسك سجارة منذ ذلك اليوم، وصدق من قال: ربما أمرض لك ابنك ليشفي لك قلبك.

أبي.. وفنّ إذاعة الخير:

ذات يوم وجدت مبلغاً زهيداً من المال في الطريق، كان عندي حينها حوالي عشر سنوات، فعدت إلى البيت وأعطيت المال لوالدي وعرفته المكان الذي وجدته فيه ليحت

عن صاحبه، ومكث أبي أيامًا طويلة يجر من يأتينا في بيتنا عن أماتني، ويحكى لهم الموقف البطولي الذي فعلته، والله إن موقفه هذا جعلني أحب الأمانة وأرعاها بقية عمري.

وعند العصر موعدنا:

كنت بنتًا محبة لوالدها وأمها، ولقد ابتليت بموت أبي وعمري ١٢ سنة، ومع قصر المدة التي عشتها مع أبي إلا أنني لا أنساه أبدًا، ففي تلك السنوات فعل معي من الخير الكثير والكثير، وكأني عشت معه سبعين عامًا، ومن المواقف التي لا أنساها له أبدًا - رحمه الله - أنني عندما بلغت من العمر سبع سنوات، يومها أحضرني وقال لي: اليوم من حقلك عليّ أن أعلمك الصلاة والوضوء وفقهها لأنك بلغت سن السابعة، فمن الآن كل يوم بعد صلاة العصر أعلمك شيئًا من فقه الصلاة، والله لا أنسى تلك الجلسات وهذه اللمحات التي تعلمتها من أبي، كم جلس معي أيامًا كثيرة بعد صلاة العصر يعلمني من فقه الصلاة بالقول والعمل، وواظبت على الصلاة - بفقهها وحكمتها - منذ بداية جلسات أبي معي وحتى يومنا هذا، واليوم وقد بلغت من العمر ٣٨ سنة وتزوجت وورزقتي الله بالذرية؛ أطبق مع أولادي ما فعله معي أبي، ولقد أصبح من ثوابت بيتنا جلسة الفقه الخاص بالصلاة لمن بلغ سبع سنوات، ما زلنا نارسها كما علمني أبي إياها بعد العصر، نطبقها بحب ورفق وفكاهة ودعاء لوالدي صاحب السنة الحسنة.

يا بني.. أطفئ الشر مبكرًا:

في شبابي تشاجرت مع جيراننا في الحقل، وعلم والدي بذلك، فأغضب ما فعلت بالرغم من أنني كنت محقًا، وذهب إلى الجيران واعتذر لهم، ولم يتحدث معي في الموضوع نهائيًا، وبعدها بيومين جلس معي في الحقل وقال لي: خذ عودًا من الكبريت وأشعله، ففعلت، فقال لي: انفخ فيه لتطفئه، فنفخت فيه وأطفأته بسهولة، وبعدها قال لي أبي: أشعل الكبريت في الحطب، فأشعلت الكبريت وأضربت النار في الحطب فاشتعل سريعًا وانتهت نيرانه، فقال لي أبي، هيا انفخ فيه لتطفئه كما فعلت في عود الكبريت، فقلت له:

لن ينفع، فقال لي: هكذا الشر في النفس البشرية، كلما أطفأته مبكراً كان أفضل، وهذا ما فعلته أنا مع الجيران حين ذهبت لهم وتصافيت معهم، ومن يومها تعلمت من أبي درساً لا ينسى، وأسعى دوماً لاحتواء الفتن وإطفائها قبل اشتعالها.

أبي الفلاح معه قلبي يرتاح:



كنت في الصف الخامس الابتدائي، وذات يوم أحسست بالضيق والصداع، فشكوت لأبي، وعلى الفور أخذني في رحلة من القرية إلى المدينة، فعل ذلك ليخفف عني الموموم ولأشعر ببعض الراحة، ويومها عدت مرتاحاً ولم أنس لأبي تلك الرحلة البسيطة أبداً، وأذكر لهذا الأب اخائي أنني كنت أحب لعب الكرة جداً، وكنت ضمن فريق البلدة، وكنت أذهب مع أبي إلى الحقل يومياً في الصيف، كنا نعمل معاً، وما إن يمين موعد صلاة العصر يقول لي: اذهب فصل، ثم الحق بفريقك في الملعب، كم كان صعباً علي أن أتركه يعمل وحيداً، لكن ذلك كان يسعدني ويسعد.

جيرانتا والحصان الميت:

كان جيرانتا يملكون عربية وحصاناً، كانوا يعملون في نقل البضائع على العربة التي يجرها الحصان، وذات يوم مات حصانهم، مات من غير العربة، فقال لي والدي: يا بني أغلق الراديو مواسة للجيران؛ حتى لا يسمعون أننا نسمع الأغاني والبرامج، فأطفأته، كان هذا عام ١٩٨٠م، وبعدها بشهر استأذنت والدي في أن أفتح الراديو، فقال: يا بني هذا الحصان كانوا يتكسبون من ورائه وهو عزيز عليهم، فأصبر حتى يجعل الله لهم فرجاً ومخرجاً، ولم نفتح الراديو حتى رزق الله تعالى جيرانتا بحصان جديد ویدهوا العمل من جديد، هكذا علمني أبي احترام الجار، ومن الطرائف أن جيرانتا كانوا قد فتحوا الراديو الخاص بهم قبلنا وحصانهم ميت، لقد نسوا مصيبتهم لكن أبي لم ينسها بإحساسه الطيب الرقيق.

الآب المحبب.. هل ينسى ما طلبه أولاده؟

والذي كان رجلاً بسيطاً، هو عامل في إحدى الشركات، وكنا نحن أولاده الخمسة في مراحل التعليم المختلفة، وذات يوم طلبت من أبي علبه ألوان غالية الثمن، فاعتذر لي قائلاً: ليس معي نقود، فقعدت الأمل في الحصول عليها، ومرت الأيام ونسيت علبه الألوان تلك، لكنني فوجئت بأبي بعد مدة طويلة يحضرها لي ويقول: أنا لم أنس طلبك، ولما ربنا فرجها ورزقني بالمال جنت لك بها، ومن يومها تعلمت عدم الإلحاح على أبي أو على غيره في الطلب، وتعلمت أن الأب الذي يجب أولاده لا ينسى ما طلبوه أبداً.

ومن يومها أحب النظر في السماء:

كان من أفضل مواقف والدي أنه كان يأخذني مع إخوتي ويصعد على سطح البيت في ليالي الصيف الجميلة، وتأخذ معنا سجادة حصير وماء وأريكة، ونظل نتسامر معاً وهو نائم على ظهره ناظرًا إلى السماء، وكنا نراقب النجوم والقمر معاً، وربما راقبنا حركة النجوم يوماً بعد يوم، لقد كنت أنظر إلى السماء بما فيها من نجوم وقمر وأستشعر ما فيها من صفاء وروحانية، لقد حجب أبي النظر في السماء إلى قلبي، وكلما نظرت إلى السماء دعوت لأبي رحمه الله.

وبعد القبة الثالثة.. مات أبي:

كنت أخدم أبي في مرضه الأخير، ولا أنسى أبداً ليلة وفاة أبي، في تلك الليلة كنت أجلس بجواره على سرير مرضه، أضع بعض حبات العنب في فمه وهو يعضه، وفجأة قال لي وهو في شدة المرض: أعطني قبة يا ابنتي، فقبلت جبهته وقبل هو تحدي، ثم قال ثانية: أعطني قبة، ففعلت وأعطيته قبة على جبينه، وكرر طلبه للمرة الثالثة: أعطني قبة، وفعلت ما طلبه أبي للمرة الثالثة، ثم سكت أبي فجأة، لقد مات، وكانت تلك القبلات الثلاث آخر العهد بيننا، لا أدري هل كان يودعني؟ أم كان يقول لي سأشتاق لك؟ أم كان

يفارق الحياة وهو يقول لي سأظل أحبك والموعود اجنّة إن شاء الله؟، أحمد الله تعالى أن هذه القبلات كانت آخر عهدي بأبي.

ومن يومها أنهت أمي الحوار بيننا:

جلست يوماً أتحدث مع أمي، وما أجل أن تستمع الأم لابنتها وما أروع أن تفتح البنت قلبها لأمها، في تلك الجلسة كلمت أمي عن صديقة لي تضع كريباً على وجهها وتلبس ملابس داخلية مثل النساء الكبيرات، ففوجئت بأمي تنتفض بشدة وتصرخ في وجهي غاضبة: عيب بلا مسخرة، أنت ما زلت صغيرة على هذا الكلام، وتركنتي وانصرفت، ومن يومها توقف الحوار بيننا، وانقطعت كل سبل التفاهم، والله ما زلت أستحي منها حتى بعد زواجي، فلا أتذكر أنني مرة قلت لها إنني حامل أو متى ميعاد الوضع من خجلي منها، رغم أنها حنونّة جداً، لكنها أنهت الحوار بيننا - يومها - دون أن تشعر.

كان يبدأ باختي.. وكنت دائماً الثانية:

كانت أختي الأصغر أكثر مني جمالاً وأشدّ بياضاً، فكان أبي - للأسف - يؤثرها عليّ كثيراً، فكان يدخل من الخارج سائلاً عنها قاصداً إياها، يقبلها ويعطيها الحلويات أولاً، كان دائماً يبدأ بها في كل شيء، وكان نصيبي منه هو الإهمال، كنت دائماً في الدرجة الثانية، بل كان كثيراً ما يحطّن ويناديني باسم أختي هذه، وهذا الموقف أثر في حياتي كلها بشكل سلبي.

كلمات أبي الصباحية.. جميلة وزكية:

توفي أبي منذ أكثر من ٢٥ سنة، ولكني لا أنسى كلماته الحانية التي كان يقوّلها لي عند استيقاظي من نومي، ففي كل صباح بعد استيقاظي كنت أقول له: صباح الخير، فرد قائلاً: «صبحك الله وربحك، وبين عبادته لم يفضحك»، كم كانت كلماته بداية جميلة ليوم

فتاة مثلي، وكنت أحزن عندما أتأخر في النوم ويضع علي كلمات أبي الصاحبة، وبعد مرور هذه الستين على فقدان أبي، مازلت أشعر به كل صباح وهو يقول لي كلماته الجميلة.

كيف تحسن خط طفلك؟

كان أبي يشجعني على تحسين خطي، وكان يقول لي دائماً:

يبقى الخط زماناً بعد كتابه... وكانت الخط تحت الأرض مدفون، فكان سبباً في تحسين خطي، بل والسعي نحو التأليف والكتابة حتى أموت تاركاً شيئاً بخطي ينفع الناس من بعدي.

هل ما فعله أبي كان صواباً؟

ذات يوم ضربني أحد أقراني في الشارع، فسال الدم من رأسي، وعندما عدت إلى البيت استقبلتني أمي بعطف وحنان وأخذت تمسح الدم عن رأسي، وتواسمني وهي تضمد جروحي، وفجأة ظهر أبي ونهر أمي وطردني من البيت قائلاً: لا تمد حتى تسيل دمه كما أسال دمك، وبالفعل ذهبت نحو من ضربني، وأمسكت بحجر وأمدت دمه كما أسال دمي، وهنا استقبلني أبي وضمد جروحي وأثنى علي ما فعلت، فهل ما فعله معي أبي كان صواباً؟

أبي الفقير.. والطائرة التي تطير:

كان أبي في مرحلة من مراحل حياته شديد الفقر بصورة يصعب وصفها، وفي تلك المرحلة العصبية كنت طفلاً حديث السن، وذات يوم رأني أبي ألعب بلعبة من طين، فكان من الطبيعي أن ينهري ويضربني حتى لا تسخ ملابس المتواضعة، والتي اشتراها لي بصعوبة بالغة، لكنه نظر لي بعمق وظل للحظات صامتاً ثم انصرف، وغاب أبي قليلاً ثم عاد حاملاً في يده طائرة لعبة، وأعطها لي قائلاً: أنت لازم تلعب بأحسن لعبة، والله لا أنسى هذا الموقف أبداً، وبسببه أدعو لأبي وحببي كثيراً.

إنه مسجل عند الله تعالى :

سافر أخي للعمل في دولة أخرى، وكانت وسيلة التواصل بيننا وبينه في ذلك الوقت هي الخطابات وشرائط الكاسيت، لم يكن يوماً هناك إنترنت ولا إيميلات ولا شات، وذات يوم جلس والدي في ركن من أركان البيت لسجل لأخي شريطاً بصوته، وخلال تسجيله ضايقتني أحد إخوتي، فرفعت صوتي غاضبة وقلت له: أنت تخفتني أنت كذا وكذا... وطبعاً وصل صوتي حيث المسجل وأنا لا أشعر، وبعدها بسويغات وكنت قد نسيت ما حدث، جاءني أبي قائلاً: تعالي اسمعي ما سجلته لأخيك في الشريط، وأسعني صوتي العالي وكلامي القاسي، كنت فعلاً أتكلم ساعتها بصورة قبيحة وخاصة من بنت مثلي، ثم قال أبي: يمكننا أن نسمح ذلك المقطع من على هذا الشريط، لكن المشكلة أنه مسجل عند الله تعالى، هيا فكري كيف نسمحه؟ وتركني وانصرف بإسماً، لقد تركني أبي وانصرف بعد أن قال لي أجل حكمة عرفتها فناة في مثل سني، ومن يومها وأنا أفكر في الكلام قبل أن أقوله، وخاصة أنني سأسجله في كتاب عند ربي، لا يضل ربي ولا ينسى.

وترك ابنه ميتاً ليصلي الظهر في جماعة :

كان أخي مريضاً بأحد تلك الأمراض الخبيثة، وبعد دوران لا يتوقف على الأطباء وتجربة لأنواع كثيرة من الدواء، ذهبنا به للعلاج إلى مستشفى معهد ناصر، وبعد أيام من دخوله المستشفى جاءنا خبر وفاته، فتأثر والدي بشدة ودمعت عيناه، وأسرعت مع والدي وأقاربي إلى القاهرة لكي باتوا بجثة أخي لدفنها، ونحن راجعون في الطريق ومعنا جثة أخي، سمعنا أذان الظهر، فطلب والدي من السائق أن يقف عند أول مسجد حتى يصلي الظهر في جماعة، فتعجبت أنا وأقاربي من موقف أبي، أي قلب هذا الذي يجمل ابنه ميتاً ثم يتركه ليصلي الظهر جماعة؟ إنه قلب أبي المطمئن الموصول برب العالمين، لقد عرفت اليوم كيف عاش أبي صوراً ثابتاً، إنه ممن يستعين بالصبر والصلاة، ومن يومها تغيرت نظرتي لأبي، فأصبحت محبباً للجلوس معه والاقتراب من نوره والتعلم من صبره،

ومرت السنوات، وحضرت أبي الوفاة، وكنت بجواره في تلك اللحظات، وكان آخر ما قاله أبي من كلمات هو: «لا إله إلا الله» ثم فاضت روحه.

وتحسنت أحوالي لأجلس على مائدة المصلين:



عندما بلغت من العمر اثني عشر عامًا، اكتشف والدي أنني غير منتظم في أداء الصلوات، صنع مائدتي طعام، واحدة لمن يصلي، وواحدة لمن لا يصلي، وأمر أبي أن تضع لي طعامًا في وحدي على مائدة من لا يصلون، وهكذا قام أبي بإيعادي عن مائدة الطعام التي يجلس عليها الجميع، وجعنتي أتناول الطعام بعيدًا وحيدًا لأنني لا أستحق الجلوس مع المصلين، وأخبرني أنه سيركضني أكل وحدي حتى يتحسن حالتي وأنتظم في صلواتي، وشعرت حينها بخزي شديد، لا يمكنني أن أصف مدى الحزن الذي كان يعصف بي حينها أجلس وحيدًا، كنت أمسك بالملعقة وأحركها في الطبق لكنني لا أكل شيئًا، ونتيجة لذلك قررت -من يومها- أن أواظب على الصلوات في وقتها، لأنعم بالجلوس على مائدة المصلين، ولقد راقبني أبي واستحسن أفعالي وأعادني سريعًا إلى مائدة المصلين، وأخبرني بسر عجيب، فإن عندما كنت تجلس وحيدًا، لم يكن للطعام بدونك طعم، لكنني فعلت ذلك لأنني أحبك، ومن يومها لم أعرف الجلوس على مائدة غير المصلين أبدًا.

كلمات أبي الصادقة وكلمات الكذابين:

كان أبي رقيقًا جدًا معي، ودائمًا كان عند خروجي من البيت ينظر إلى ملاسي مبتسمًا، ويمدح ليسي الجميل وشكلي المفرح، ويلاطفني بعبارات مثل: ما أروع لبسك يا ابنتي! تناسق الألوان رائع، إنك أجمل عروسة تذهب إلى المدرسة اليوم.. وهكذا، كنت أخرج من البيت وأنا أكاد أطير من على الأرض، فعل أبي معي ذلك منذ طفولتي وأنا مراهقتي

وحتى أيام الجامعة . حتى أصبح من مراسم خروجي من البيت أن أسمع تلك الكلمات قبل أن أخرج، وككل الفتيات تعرضت أكثر من مرة لمجاملات الكذابين من لصوص الأعراض، إن استئالة قلب الفتاة يبدأ من مدح مظهرها، وهذا ما حدث مع بعض زميلاتي، لقد حاول الكذابون أن يمدحوا شكلي، لكن كلماتهم كان مكانها سلة القمامة، هذا لأنني أملك كلمات أبي الصادقة، كيف يحتفظ بعملة مزيفة من يملك الكثير من العملة السليمة؟ لعل السبب في رفضي لكلماتهم الكاذبة هو صدق كلمات أبي وجاهاها وعذوبتها، لقد أشبعني أبي بكلمات المدح والثناء فخرجت نحو الشارع لا أحتاج من يمدحني، ولا أستمع لمن يمدحني من الشباب بالثناء على شكلي، لقد خرجت إلى المجتمع متحصنة بقوى وعفاف رباني عليه أبي، ويكنز من كلمات المحبة والثناء غفري بها أبي، فأبي قيمة لكلمات الكذابين مع فتاة مثلي؟ فالحمد لك ربي أن جعلت هذا الرجل أبي.

٤/ لن أرمي شعر ابنتي في القمامة :

كنت أدرس في مدرسة داخلية خاصة بالبنات، وبالتالى كنا نسكن هناك، وفي بداية كل عام دراسي كنا نأخذ لوازم الحياة من ملاءات وبطاطين وغيرها إلى سكن المدرسة، وهذا كان يحتاج إلى مساعدة من أبي، مرة في بداية العام ومرة في نهايته، وذات عام بعد انتهاء الدراسة، حضر أبي ليحمل معي متعلقاتي، وأخذ أبي يساعدي بسعادة غامرة، وخاصة أنني عائدة لأثير بيته الحبيب، وبينما كان أبي يرفع الملاء سقط منها بعض خصلات الشعر الناتجة عن تسريحي لشعري، كان من الطبيعي ألا يعياً أبي بها، لكنني فوجئت به يجمئها ويضعها في جيبه، لقد توقعت منه حينها أن يرمي بقايا الشعر هذه في القمامة لكنه حملها في جيبه، ومع أنني تعجبت مما صنعه أبي لكنني تصرفت وكأنني لم أر شيئاً، انتهينا من جمع المتع وعدنا للمبيت سالمين، وهناك أخبرت أمي بما حدث، فتوجهت أمي نحو أبي وسألته عن سبب ما فعله، فقال والدموع تترقرق في عينيه: «ما كان لي أن أرمي شعر ابنتي في القمامة»، لم أكن قبلها أعرف أن أبي يجمئني إلى تلك الدرجة، ومن يومها تغيرت حياتي، فأصبحت أكثر نفة بنفسي وحباً للحياة، ولم لا أفعل ذلك ولي أب مثل أبي؟

اسجدي ولا ترفعي رأسك حتى تشعري بالرضا:

كنت فتاة مجتهدة محبة للدراسة، وفي الثانوية العامة اجتهدت كثيرًا وتوقع لي الجميع الخير، وظهرت النتيجة فذهبت لإحضارها، وهناك فوجئت أن مجموعي ضعيف وغير متوقع، فعدت للبيت حزينة منكسرة، فما كان من أبي إلا أن احتضنتني هو وأمي وقال لي: أنا فرحان جدًا بما رزقك الله به من مجموع، فقدر الله تعالى كله خير وفي مجموعك الخير، وخاصة أنك اجتهدت وعملت ما عليك، وعلى المرء أن يعمل وليس عليه إدراك النجاح، وأعطاني أبي ٥٠٠ جنيه مكافأة على مجهودي لا مجموعي، وطلب مني أن أصلي ركعتين شكرًا لله تعالى، وألا أرفع رأسي من السجود الأخير إلا في حالة إحساسي بالرضا التام والحمد والشكر الجميل، فدخلت في الصلاة حزينة، لكن مع ابتسامة أبي وحضن أمي، ومن قبلها عطف ربي، فقد خرجت من الصلاة راضية وسعيدة، لم أرفع رأسي من السجود الأخير حتى رزقني الله تعالى الرضا التام، وشعرت بسعادة عجيبة، والله من يومها أشعر بالرضا في كل شئون حياتي.

لدخول المطبخ مع أبي طعم آخر:

كان والدي كالتسمة الرقيقة الجميلة، لا تشعر بقيمتها إلا عندما تفقدها، كان نقي القلب عفيف اللسان، ومن مواقفه التي لا أنساها: أنه كان يشجعني دائمًا على تجربة كل جديد في عالم المطبخ لأنني بنت، فكان يقول لي: تعالي نجرب أكلة جديدة، ويحضر لي الأشياء المطلوبة في المطبخ، ويساعدني في التجربة، بل ويستمتع بنتائجها أيًا كانت، ومن لمساته الحانية أنه كان يشجعني أثناء المذاكرة بأشياء لطيفة مثل: إعداد طبق من الخيار والجوز يضعه بجوارني على المكتب أثناء المذاكرة، أو علية من الحلوى يقدمها لي وأنا أذاكر، وكان من طبعه أنه كان يحب أن يطبق سنة النبي ﷺ، وذات يوم جلس يكتب وصيته، فكنا نمزح معه كثيرًا، لكنه مزاح مزوج بخوف من فقدان هذا القلب المحب، وظل أبي يحتفظ بتلك الوصية معه، وفجأة حان موعد تنفيذ تلك الوصية، لقد مات أبي

وقرأنا وصيته، فوجدناها تفيض بكلها من الحب والشوق، مع وصايا ناعمة في كل جمع شئون حياتنا، ولقد نفذنا وصية أبي بقلوب محبة، لقد علمنا أبي بأفعاله أكثر من أقواله، وعلمنا حباً ومبتاً كيف يكون الحب، واليوم كلها دخلت المطبخ وصنعت شيئاً من وصفات أبي، أشعر أنه واقف يساندني ويبتسم.

دعاء الصباح.. ربنا يرزقك يا بابا:

كان أبي يعمل تاجرًا، ورزقه الله من الأولاد ثمانية ذكور، مات منهم ثلاثة وتبقى خمسة، ثم رزقه الله بابتنتين هما أنا وأختي، وكان لنا من معاملة أبي الطيبة أوفر الحظ والنصيب، وأتذكر لوالدي - رحمه الله تعالى - أنه كان يوميًا لا يذهب إلى العمل حتى أدعو له أنا وأختي قائلتين: ربنا يرزقك يا بابا، ثم يأتينا رده المعتاد: الآن أنا سأذهب إلى العمل ومتأكد أن ربنا إن شاء الله سيرزقني، نفعل ذلك معه يوميًا بلا انقطاع، وإذا خرج أبي يومًا إلى العمل ونحن نائمتان، وإذا لم نستيقظ أنا وأختي في وقت عمله، فإنه يأتي في المساء ويعاتبنا بحب قائلًا: أرايت، لم يوسع الله في رزقي اليوم لأنك لم تدع لي اليوم عند الصباح، وبهذه الطريقة ارتبطنا بالدعاء وأحببنا أبانا حبًا يزداد مع كل صباح.

أبي.. ومسابقة أجمل صلاة:

ذات مساء جمعنا أبي أنا وأخواتي، وقال: «هيا نعمل بينكن مسابقة أجمل صلاة، وأفضل واحدة منكن تصلي لها هدية وفسحة معي»، وقال: «إن المطلوب هو أجمل صلاة وليس أسرع صلاة»، وبدأت المسابقة وأسرعنا فرحين نحو الوضوء، وعندنا لنصلي أمامه العشاء، وهو بدوره قد جلس خلفنا يراقب، أذكر يومها أنني نسيت ركعة وصليت ثلاث ركعات فقط، فخرجت من المسابقة منسحجة، لكن أبي أعادني قائلًا: «صلي الركعة التي نسيتها، وتحزرك سجدتنا سهو وصلاتك صحيحة»، والغريب يومها أن أبي كافأنا جميعًا لأن صلاتنا جميلة، وفزنا بالفسحة والخروج معه، ويبدو أن أبي نفذ فكرة مسابقة أجمل صلاة هذه لثلاثة أسباب: أولها: أن يتأكد من استيعابنا لما كان يعطيه لنا من دروس

الصلاة قولاً وعملاً، السبب الثاني: أن ينهنا بطريقة مباشرة إلى أن المطلوب هو أجل صلاة وليس أسرع صلاة لأن بعضنا كان ينقر صلاته بسرعة، السبب الثالث: هو أن نبعثنا نحو الصلاة لأننا بسببها اجتمعنا وبسببها خرجنا للمرح معه، وأعتقد أن كل ما خطط له أبي قد تحقق، على الأقل في نفسي أنا.

✍️ العلو في البلكوثة.. من أبي:

كان أبي حنوناً عطوفاً، وخصوصاً علينا نحن البنات، ورغم انتقالنا إلى بيت زوجي، إلا أن أبي ظل يغرمني بعطفه ويلمسني الحانية، وبيتي الجديد «بيت الزوجية» يقع في طريق أبي، فهو يمر من أمامه مرتين في اليوم، مرة عند ذهابه للعمل والثانية عند عودته منه، ومن يوم أن تزوجت بدأ أبي يطبق معي إحدى أفكاره المبدعة، فقد كان يقوم برمي الحلوى لي في البلكوثة وهو عائد من العمل، يفعل ذلك يومياً باستمرار وبحب ودون خجل من أحد، كنت أفتح البلكوثة لأجد فيها الحلوى من أبي ومعها رسالة منه مليئة بالشوق والحب، ومرت السنوات، وتوقف أبي عن الذهاب للعمل لبلوغه سن التقاعد (المعاش)، لكنني مازلت أذكره كلما فتحت البلكوثة أو نظرت نحوها.

✍️ أبي.. والشجرة.. ومفتاح البيت:

في فترة المراهقة، كنت أحب التأخر خارج البيت وأتمنى أن أعود وقتاً أشاء، لكن أبي كان يشدد عليّ في الحضور إلى المنزل مبكراً، كان يريدني أن أعود عقب صلاة العشاء، في البداية كان أبي يترك باب البيت مفتوحاً، فكنت أنسلل منه بعدما ينام وأخرج للسمر مع أصحابي وأعود متأخراً جداً، ولما شعر أبي بها يحدث لم يعاتبني ولم يواجهنني، فقط أغلق الباب بعد عودتي حتى لا أتمكن من الخروج مرة أخرى، ولأنني أحب السهر فقد كنت أدخل مبكراً وأوهم أبي أنني نمت، ثم أضعت مفاتيح لثنام مكاني وأعطيتها وأنزل من على شجرة مجاورة لبيتنا، وهكذا أعود متأخراً وقتاً أشاء بنفس الطريقة التي خرجت بها من على الشجرة، وظللت أياماً كثيرة أفعل ذلك، وفتنت أن أبي لا يشعر بنا أفعل، إلا أنني

فوجئت يوماً بأبي يقطع الشجرة، لم أسأله لماذا يفعل ذلك حتى لا أفصح نفسي وهو لم يكلمني في شيء، ومن حبي في السهر استبدلت الشجرة بحبل، فكننت أنزل بعد العشاء وبعد نوم أبي مستخدماً الحبل، وعند عودتي أستخدم الحبل للصعود، فعلت ذلك أياماً كثيرة وأنا أظن أن أبي لا يشعر بي، إلى أن عدت ذات ليلة متأخراً، وتسلفت الحبل وقفزت فوق سطح البيت برشاقة، فإذا بمن يقول لي: «حمداً لله على سلامتك»، تفاجأت لدرجة أنني جلست في مكاني، إنه أبي جالس ينتظرني، واستأنف حديثه قائلاً: يا بني، إن كان كلامي لا يعجبك فهذا مفتاح البيت خذه، وتعال من الخارج متى تشاء وتركني ونزل، ومن يومها تغير حالتي، وأصبحت من عشاق العودة المبكرة للمنزل، ودارت السنون وتزوجت وأنجبت، وما زلت أتذكر تلك الحكاية وأروها لابنائي، وندعو معاً لأبي بالرحمة والمغفرة، كما أدعو ألا أكرر ذلك المسلسل مع أحد أبنائي، هداهم الله.

ابني.. أي لقمة ستشبعك:

لأن أبي كان مريضاً، فقد كانت أمي تعد له طعاماً خاصاً، وذات ليلة عدت إلى البيت وطلبت الطعام من أمي، فلم أجد طعاماً جاهزاً، فصحت في أمي وعلا صوتي ودخلت غرفتي مغضباً، وبعد دقائق فوجئت بأبي يطرق على الباب، ودخل وفي يده طبق به طعام، ووجدته يقول لي بهدوء يشويه حزن: «هذا طعام يا بني كنت سأعشيه به، خذه أنت فكله ولا تحزن نفسك يا حبيبي، وإياك أن تحزن من أجل طعام أبداً فأني لقمة ستشبعك»، ووضع أبي الطبق من يده وتركني وانصرف، لقد ذبحني أبي ليلتها بتلك الكلمات، ولم أستطع الرد عليه من هول الصدمة، ولقد أغلقت على حجرتي وأخذت في البكاء، ومن يومها عاهدت نفسي ألا أحزن أبداً من أجل طعام، فأني لقمة ستشبعني، رحمك الله يا أبي فقد كنت صبوراً علي رغم مرضك، رحيماً بي رغم تعبك، واليوم عندما أحكي هذا الموقف لزوجتي، تضحك سعيدة فرحانة، لأنها أول المستفيدات من هذا التحول الذي حدث لي.

أفسدت كهرباء منزلنا.. فكافاني بشراء بطارية سيارة؛

في صغري منذ حوالي أكثر من ٣٠ سنة، كنت مغرماً بألعاب الفك والتركيب، كنت أحب تصليح ما فسد من أجهزة بيتنا، وأحياناً إنساد ما هو سليم منها، المهم أن أعمل في فك وتركيب المعدات والأجهزة، وذات يوم حاولت إصلاح مسجل قديم جداً، وما إن وضعت الفيشة في الكهرباء، حتى انقطعت الأنوار عن البيت كله، واستقبلت أمي ما فعلته أنا بالصراخ والعيول، وتوعدتني بالويل والضرب عندما يحضر أبي، فجلست منتظراً حضور الوالد الحاني ليعاقب الابن الجاني، وعندما حضر أبي أخبرته أمي، فقال لها: دعيه سأصرف معه، وخرج من البيت وغاب فترة من الزمن، وبعد طول انتظار عاد أبي حاملاً بطارية سيارة لتوليد الكهرباء، وبمجموعة من سلوك الكهرباء وعدة لمبات إضاءة، وناولها لي وقال: «هذه لك لأنك أفسدت الكهرباء، تعلم فيها ما تريد»، كم فرحت بك يا أبي يومها، ولقد زاد فخري بذلك الأب عندما علمت فيها بعد أنه اشترى تلك المعدات بالتنسيط، لأنه لم يكن يملك يومها الثمن، ولقد كان لما فعله أبي أكبر الأثر في تفوقتي العلمي والمهني بعد ذلك.

أبي.. وسور المستشفى العسكري؛

بعد تخرجي من الجامعة، التحقت بالجيش، وأثناء التدريبات في وحدتي العسكرية في الصحراء، أصبت إصابة بالغة استوجبت نقلي لمستشفى عسكري في المدينة، ووصل أبي خبر إصابتي ليلاً، في هذا الوقت لم تكن هناك أية وسيلة اتصال بيننا ليطمئن علي، ولم ينتظر أبي للصبح وأسرع نحو المستشفى في جناح الظلام، وعلى الباب حاول الدخول لكنه منع من ذلك لأنها ليست مواعيد الزيارة، وحاول مع الحراس بشى الطرق لكنه فشل، فأخذ يدور حول سور المستشفى العسكري، وفي غفلة من الحراسة قفز فوق السور، ودخل المستشفى لكنهم أمسكوه هناك، كل هذا وأنا لا أعرف ماذا يحدث، كنت نائماً في سريري وفجأة فتح باب غرفتي، ودخلت علي مجموعة الحراسة مسكة بأبي،

والرجل المسكين بين أيديهم والدموع على خده، وما إن وقعت عيناً أبي في عيني حتى قفز من بين أيديهم وانطلق ليضميني نحو صدره ويبكي قائلاً: الحمد لله.. الحمد لله أنك بخير، وهنا قال قائد الحراسة: لقد صمم والدك أن يراك لدرجة أنه قفز من فوق السور.

القسط الشهري جعل أبي يظلمني:

كان أبي يزرع فينا معاني المراقبة، فكان يقول لي: اجلس مع نفسك آخر كل يوم وراجع أعمالك وحاسب نفسك كل ليلة قبل أن تنام، وكان يكره المال الحرام بشدة، ومن مواقفه التي لا أنساها أنه ذات يوم اشترى من أحد التجار شيئاً بالنقسيط، وكان عندي حينها عشر سنوات تقريباً، وكنت أنا المتكفل بسداد تلك الأقساط، ففي كل شهر يعطيني أبي المال، وأذهب أنا للتاجر حتى أسدده، كان أبي يزرع في الثقة في نفسي، وكم كنت أعتز بذلك المشوار الشهري، وكان أبي يغمزني بالثناء والمدح، لقد أصبح هذا التقليد الشهري محبباً جداً إلى نفسي، وذات يوم بعث التاجر رسالة لمنزلنا يقول فيها: عندكم قسط متأخر لم تسددوه منذ شهرين، وعاد أبي من العمل وفاجأته أمي برسالة التاجر، وعلى الفور وبلا تردد أمسك أبي بالخرطوم ودخل علي غرفتي، كنت أذاكر حينها وفوجئت به ينزل ضرباً فيّ، لقد ظن أنني سرقت ذلك المال ولم أسدده للتاجر، فقد قاده ظنه الكاذب إليّ فظلمني وضربني وأفزعني، كل هذا الضرب وأنا لا أعرف ما السبب، وبعد أن هدأ أخبرني بما حدث من التاجر، فأقسمت أنني أعطيته المال، ودليل صدقي عند التاجر، فذهبنا إليه مسرعين، وهناك تفاجأت أنه لم يدون أنه قد أخذ مني القسط في شهر من الشهور، فذكرته بالموقف الذي أعطيت له فيه النقود وأمام من أعطيته له، فذكر التاجر، واعتذر لنا، وأتضيتا باعتذاره وانصرفنا، أما أنا فهل يكفيني اعتذار أبي حتى أسامحه؟

وأصبحت هذه الآية نوراً يضيء حياتي:

لقد كنت فتاة مجتهدة في دراستها، وكانت درجاتي مرتفعة دائماً، وفي الثانوية العامة اجتهدت قدر استطاعتي، وبعد الامتحانات حان موعد ظهور النتيجة، فذهبت لمهوفة

إلى المدرسة لمعرفة مجموع الدرجات، لقد كنت مشغولة جداً بما سيحدث لي، وما الكلية التي سألتحق بها، وفي المدرسة فوجئت بأن مجموع درجاتي أقل مما كنت أحلم به، وقد لا يساعدني على دخول الكلية التي أحيها، لذلك عدت يوماً للبيت مصدومة ومهمومة وحزينة وخائفة؛ ودخلت من باب البيت منكسة الرأس محبوسة عن النطق والكلام، ولما رأي أبي على تلك الحالة، فهم على الفور ما حدث، فاستقبلني بهدوء وحكمة، وقرأ لي آية من سورة يونس هي قوله تعالى: ﴿وَمَا يَغْرُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾، لم يتكلم أبي حينها بأي كلمة غير تلك الكلمات التورانية المضيقية، فأفقت من تلك الحالة التائهة، وهدأت نفسي واطمأنت روحي، وفي الأيام التالية وقف أبي بجوارتي، وفتح لي باب الأمل والرحمة، ومرت الأيام، والتحققت بالكلية، وتخرجت منها، وتزوجت وأنجبت، وطوال تلك السنين وهذه الآية نور يضيء حياتي كلها.

عشرون عاماً.. من أجلك يا بني:

عشت ستين مع أبي وأنا أسمعه يكرر: «كم أكره التدخين، التدخين حرام، انظر لهذا المدخن كيف يجرق المال، اللهم يتوب عليهم، عافك الله يا بني من التدخين، وغيرها»، لم أكن أعرف سر كراهية أبي الشديدة للتدخين، ولم أكن أعرف معنى قوله لي: «عندما تصيح سنك عشرين سنة ستكتشف سر كراهيتي للتدخين»، لكنني كنت أنتظر هذا الموعد بشوق، كم أخحت عليه ليخبرني هو أو أمي بالسر، فرفضاً بائسامة لطيفة.

وعندما أتممت عشرين عاماً من عمري، أقام أبي حفلة منزلية كبيرة من أحلي أنا، وكانت هديته لي صندوقاً قديماً وغريباً، مكتوباً عليه «من أجلك يا بني.. سأترك التدخين»، وضع أبي الصندوق أمامي وقال: هذا الصندوق مصنوع منذ عشرين سنة، صنعه يوم مولدك، لقد كنت يا بني من المدخنين بشراسة، في شبابي وبعد زواجي، لم يقلح أحد في إقناعي بترك التدخين، لا جدك ولا أمك ولا حتى شيخ مسجدنا، لكن يوم مولدك نظرت في عينيك، فأقنعتني ما فيها من براءة بضرورة ترك التدخين، لقد قررت

يومها أن أترك التدخين من أجلك يا بني، كما قررت أن أصنع هذا الصندوق، وأضع فيه يومياً ثمن علبة السجائر التي كنت أدخنها يومياً، وسألت الله أن يساعدني ويلهمني الصبر والعزم على أن أكمل المشوار عشرين سنة، ونويت أن أعطيك هذا الصندوق هدية عندما تبلغ سن العشرين، واليوم وقد أكرمني الله بتحقيق أمني، فهذا الصندوق ملكك، أنا اليوم أحتفل بمرور عشرين سنة على تركي للتدخين والفضل لله وحده.

ناولني أبي الصندوق، وفتحته وأنا في حالة من الحب والإعجاب بهذا الرجل، وفي الداخل وجدت نقوداً كثيرة، كنت مثل علي بابا عندما حصل على الكنز، وبين النقود وجدت كيساً قديماً وبداخله ورقة، ففتحتها فإذا مكتوب فيها:

ابني الحبيب..

إذا حصلت على هذا الصندوق بعد وفاتي، ورأيت ما فيه أثناء غيابي تحت الثرى، فاعلم أنني فعلت هذا من أجلك، لأنني أحببتك، ووصيتي لك ألا تضع سيجارة في فمك طول عمرك، فتخيل لو أنني ظللت أدخن، لكنت حرقت كل هذه النقود التي بين يديك، ولم يصلك منها شيء، وتحملت أنا الحساب عنها بين يدي ربي، واعلم ثانية أنني أحبك.

أبوك

لقد قرأت الكلمات، وبكينا جميعاً، واحتفلنا سوياً، لكن طوال الاحتفال كان هناك سر يحزنني كثيراً، لقد بدأت رحلتي مع التدخين منذ شهر، لكنني قررت ألا أعود، وكيف أعود وأخون وصية أبي، ومن يومها كرهت التدخين، وأصبحت من محبي أبي.

يا بني.. ضع إصبعك في البحر:

كان أبي يأخذنا معه كل صيف لنستريح عدة أيام على البحر، كانت رحلة سنوية رائعة، كنا نستريح فيها ونجلس معاً لتلقي القلوب والأجساد، وتعود بعدها أكثر تفاعلاً وأقل احتلاقاً، وكان أبي لا يضع فرصة إلا وغرس في قلوبنا معنى إيماني عميقاً، لكن

بهده ورفق ومرح وسعادة، وبعيدًا عن المحاضرات والمواظب المطولة، وفي كل عام على البحر كان أبي يجمعنا ويقول: ليضع كل واحد منكم إصبعه السبابة في البحر ويخرجه، بماذا خرج إصبعك؟ بنقطة ماء، ما حجمها مقارنة بالبحر؟ لا شيء، فيقول لند حديث النبي ﷺ الذي يقول فيه: «ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه في اليم، فلينظر به يرجع، وأشار بالسبابة»^(١)، ويعلق أبي بعد الحديث قائلًا: هذه هي الدنيا، وتكرر هذا الموقف معنا عامًا بعد عام، في البداية كنت طفلًا أفرح فقط بقرب أبي والمرح معه وأعتبرها لعبة جميلة، ومرت السنوات وكبرت، وكبر معي معنى لعبة أبي، حتى هانت علي الدنيا، وكلما أصابني هم أو ابتلاء أو أقبلت على الدنيا وأدبرت؛ وضعت إصبعي في الماء وأخرجته، ثم أنظر إليه وأقول: هذه هي الدنيا نصير جميل، رحل الله يا أبي فقد علمتني حب الآخرة والزهد في الدنيا، وعلى شاطئ البحر لن أسناك أبدًا يا حبيبي.

كيف توظف طفلك بطريقة أبي المبدعة؟

في أيام طفولتي كنت أصحّر من النوم بصعوبة شديدة، وخاصة إذا كان الجو باردًا وساقوم للمدرسة، فكان أبي يبدع في إيقاظي، لم يكن يضربني ولا يرفع صوته ولا ينهرني، لقد كان بقلبه الرحيم يرفض أن يفزعني، تخيل أن طفلًا نائمًا في أمان الله يقوم مفزوعًا على صوت أبيه يصرخ فيه، كيف سيكون يوم هذا المسكين؟ كانت طريقة أبي المبدعة في إيقاظي كالتالي: كان ينادي عليّ باسمي عدة مرات، ويمسح ظهري بيده الخانوية، ويحدثني في شيء أحبه قد فعلته بالأمس أو سأفعله اليوم، فيقول لي: ما الذي فعلته مع صديقك فلان بالأمس؟ كيف كانت الرحلة؟ هل تذكر الموقف الطريف؟ لقد أعجبتني حين فعلت كذا كيف فعلته؟ متى ستخرج اليوم مع أصحابك؟ هل ستلعبون مباراة اليوم في المدرسة؟ لقد كان يكلمني في شيء محبب لي فعلته أو سأفعله، وكنت بدوري أبدأ في التجاوب معه رويدًا رويدًا حتى أستيقظ، فيتسم أبي لأن حيلته قد نجحت معي، واليوم بعد مرور ما يزيد على الثلاثين عامًا أنفذ فكرة أبي المبدعة مع أبنائي، وكم هي طريقة رائعة

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٥٨/٥٥) في الجنة وصفة تعبهذ.

وفاعلة وذكية، وكم أتمنى أن يجرب الآباء والأمهات طريقة أبي المبدعة في إيقاظ أطفالهم، أرجوكم اصبروا عليهم وأيقظوهم دون أن تفرغوهم، وعندما تنجح معكم هذه الطريقة، فلا تنسوا أبي من صالح دعواتكم.

وفي الحقل تحلودعوات أبي:

كنت كمعادة أبناء الفلاحين أساعد أبي في الحقل، هذا بالإضافة إلى الذهاب إلى المدرسة، كنت أرى الفلاحين يرغمون أبناءهم على الذهاب معهم إلى الحقول، وهناك بيتون أبناءهم إن تكاسلوا أو تأخروا، أما أبي فقد كان يقابل مساعدتي له بكل حب وتقدير، فكان عندما يدخل عليّ وأنا أعمل في الحقل يقول لي: «يا بني، ربنا يقويك ويعطيك الصحة»، دعاها لي سنين وستين، فعل ذلك كلما رأني أساعده في العمل، كم كنت أحب العمل معه حتى أسمع تلك الدعوات، كانت تعطيني طاقة وعزيمة وثقة وأملًا، وعشت طوال عمري وأنا أشعر ببركات دعوة أبي، والحمد لله أعيش بصحة جيدة جدًا.

وفي الأتوبيس يزداد حب أبي:

كان أبي يعمل محصلًا للتذاكر (كمسريًا) في أحد أتوبيسات النقل العام، ورغم عمله الشاق فقد كان يأخذني معه أحيانًا أثناء رحلة العمل اليومية، وكان يجلسني بجوار أحد الشبابيك لأشاهد الدنيا أثناء سير الأتوبيس، وكان غدائي في هذا اليوم مع أبي والسائق، وكانا يتركان لي فرصة اختيار نوع الطعام، وإذا انتهى اليوم عدت مع أبي إلى المنزل وأنا أحمل في يدي الكثير من الخلوى التي اشتراها لي، ومرت السنون، ويمرورها كان حب أبي يزداد في قلبي، واليوم بعدما انتهت رحلة أبي في الحياة ورحل إلى الآخرة؛ أشواق لرحلة من رحلات الماضي معه، إنني كلما رأيت أتوبيسًا أو ركبته أو حتى سرت في طريق رحلة أبي اليومية التي كنت أقطعها معه منذ سنين؛ شعرت بشوق جارف نحوه، لقد كان فقيرًا لكنه كان غنيًا بقلبه، أعطاني من الحب ما عوضني عن الفقر، لقد عشت معك يا أبي

ولم أشعر يوماً بأبني أقل من غيري، هذا لأنك غمرتني بمحبتك، أسأل الله تعالى أن يجمعني بك في الجنة لنجلس معاً نتذكر ما كان بيننا في تلك الرحلات.

سرير واحد.. وقلب كبير:

دخل أبي المستشفى لمرض شديد ألم به، ودخلت معه مرافقاً حتى أساعده لغير سنة وتدهور صحته، ولكثرة عدد المرضى لم أجد لي سريرًا أبيت عليه ليلاً، لم أفكر في شأن السرير كثيراً إذ كان كل ما يهمني هو حالة أبي الصحية، وخدمة أبي كخدمة أبي كخدمة أبي كخدمة أبي كخدمة أبي، وبدأت رحلة خدمته في الليل، وفجأة إذا أنا فيه من تعب، جلست على كرسي بجوار أبي، وبدأت رحلة خدمته في الليل، وفجأة إذا بأبي يشير إلي أن أقرب، وهمس في أذني: يا بني تم بجواربي حتى ترتاح قليلاً، واستجبت للكلامه ولم أرد عصيانه، وأفسح لي أبي بجواره حتى أنام، ورغم ما به من ألم انزوى في جانب السرير حتى يفسح لي، ومن شدة إرهاقي نمت حتى الفجر واستيقظت على لمسات يد أبي الحانية على شعري، فقلت شاكرًا له معتذرًا عن مضايقتي له، وما هي إلا ساعات حتى فارق أبي الحياة، والله لن أنسى كيف أن حب أبي استمر حتى لحظات عمره الأخيرة، لن أنسى كيف أثرتي بالنوم بجواره رغم ألمه الشديد، ورغم احتياجه لمساعدتي له، فقد ظل مستيقظًا وتركني أنا، إن الحب يصنع في قلب الأب معجزات، رحمك الله يا أبي، فقد مت صابرًا محتسبًا محبًا حنونًا، اللهم ارفق به كما رفق بي.

كيف جعلني أبي أحب سيرة النبي ﷺ؟

كنت أدرس في الأزهر الشريف، وكنا ندرس سيرة النبي ﷺ، وكان تعاملنا مع السيرة النبوية تعامل مادة دراسية فقط، نحفظها لنكتبها في الامتحان ثم ننسأها، وفي يوم من الأيام وأثناء عودتي مع أبي من الصلاة في المسجد فقال لي: يا بني، نحن نعود من المسجد يوميًا في صلاة العشاء معاً، وتستغرق عودتنا لمنزلنا حوالي خمس دقائق، ونو حسبناها في عشر سنوات سنجدها تساوي حوالي ٣٠٠ ساعة من عمرنا، فما رأيك يا بني أن نستغلها في فعل الخيرات، ما رأيك أن تحدثني كل ليلة ونحن عائدان من المسجد عن

شيء من سيرة النبي ﷺ التي تدرسونها في الأزهر؟ وبالفعل بدأت الرحلة اليومية مع أبي بعد صلاة العشاء، كان أبي يترك لي حرية اختيار مواقف السيرة التي أحكيها له، وكم كان يثني عليّ ويعمل في جيبه الهدايا التشجيعية، وكنت أنتظر موعد صلاة العشاء يومياً بفرحة وسعادة، وكم كنت أحنن إن مشى معنا أحد وقطع علينا الحديث، لكن أبي كان يكمل الحديث معي في البيت، وممرت السنون وعشقت سيرة النبي ﷺ وحفظت مواقفها عن ظهر قلب، وزاد حب النبي ﷺ في قلبي وطبعاً زاد حبي لأبي، ورحل أبي عن الحياة وتوقفت رحلاتنا اليومية بعد صلاة العشاء، لكن مواقفه معي وذكراياته الجميلة لم ترحل، رحمك الله يا أبي وجمعك بالنبي ﷺ في أعلى جنان الخلد.

✍️ في ضياع القلم.. قصص وحكم:

ما الذي تفعله عندما يعود طفلك من المدرسة وتساله عن قلمه، فيخبرك أنه قد ضاع؟

إن ردة فعلك قد تستغرق ثواني، قد تنفعل وقد تصرخ وربما تضرب أو تصبر، ورده فعلك هذه تنساها أنت سريعاً، لكن طفلك سيظل يذكرها لك مدى الحياة، وهذا ما توكده الذكريات التالية:

يقول أحد الآباء: كنت في المرحلة الابتدائية، وذات يوم ضاع قلمي الرصاص ونحن في المدرسة، فعدت للبيت حزياً، وعلم والدي بالخبر، فضربني ضرباً مبرحاً قاسياً، وكم بكيت يومها كثيراً، وأذكر أنني نمت حزياً تلك الليلة، لقد أراد والدي أن يعلمني أن أحافظ على ممتلكاتي، لكنه علمني بقسوته أن أحافظ على ممتلكاتي بأي طريقة كانت، ومن يومها تعلمت ألا أعود للبيت بدون قلم، فلو ضاع قلمي كنت أسرق قلم زميلي لأنجو من الضرب، بل كنت أسرق أقلاماً أخرى وأخبئها في البيت حتى لو ضاع قلمي في أي وقت وجدت له بديلاً، وهكذا صنع مني واندني سارقاً للأقلام، ولولا لطف الله تعالى بي لكنت اليوم سارقاً، ولكن الله سلم، ساعدك الله يا أبي إذ لم يكن ضياع القلم يستحق كل هذه القسوة.

يقول أب آخر: هذا الموقف حدث معي عندما كنت في الصف الرابع أو الخامس الابتدائي، لقد عدت للبيت وقد ضاع قلمي الرصاص، وما كان من أبي إلا أن غربنى بشدة، وجاءت إحدى ضرباته على عيني، وساعتها شعرت أن الدنيا أظلمت وعيني أغلقت، وأخذتني أمي إلى المستشفى، وبعد الكشف كتب لي الطبيب أدوية كثيرة، وظلت أمي تعالجنني أيامًا حتى شفى الله عيني، كنت أقول ساعتها في نفسي: ما أجهل أبي، لقد ظلمني وأحزنتني وأضاع على علاج عيني من النقود أضعاف ثمن القلم الذي أضاعته، فمن الذي أضاع النقود فينا؟

قول إحدى الأمهات: وأنا في الصف الأول الابتدائي ضاع مني قلمي الرصاص، فخفت من عقاب أبي وأمي، فقررت ألا أعود إلى المنزل بلا قلم، وقمت بتفتيش حقائب زميلاتي في غيبتهن إلى أن وجدت قلمًا جديدًا وجميلًا في حقيبة إحداهن، فأخذته ووضعت في حقيبتي، وبعدما رجعت إلى المنزل، أمسكت والدتي بحقيبتي لترى ما أخذناه في المدرسة اليوم، وإذا بها تجد القلم فعرفت أنه ليس قلمي، فما كان منها إلا أن قالت لي (بكل نطف): من أين أتيت بهذا القلم؟ فقلت لها: لقد ضاع قلمي ووجدت هذا القلم في الفصل، فقالت لي: إيالك أن تكون قد أخذته من أحد لأن هذا حرام وربنا يكره الحرام، لقد كررت تلك العبارة كثيرًا حتى حفظتها، وبعد إلحاح من أمي أخبرتها بالحقيقة، فجعنتني أعيد القلم لمكانه دون أن يشعر بي أحد، واليوم بعد مرور أكثر من ثلاثين عامًا على هذا الموقف مازلت أذكر كلمات أمي، ومن يومها لم أمد يدي على شيء ليس ملكي مهما تكن الظروف.

رست في الامتحانات.. فهل يعطيني أبي مكافأة؟

كان أبي فلاحًا بسيطًا وكان له سبعة من الأولاد أنا واحد منهم، وقد اعتاد مكافأتنا جميعًا نهاية كل عام دراسي، فعند ظهور النتيجة كان يعطي كل واحد منا مبلغًا من المال، وذات عام رست في الامتحانات ونجح إخوتي، فمنح أبي إخوتي الستة المكافأة المالية المعتادة، وما كان منهم إلا أن سخروا مني وأصابوني بالحزن واليأس، وكنت أخشى

من مواجهة أبي وأهرب من الجلوس معه، وفجأة وجدته أنا وأبي وجهًا لوجه، وتوقعت منه الضرب والمهانة، لكنني فوجئت به يعطيني ضعف المكافأة التي أعطها لكل واحد من إخوتي التاجحين، وقال لي: أعلم أنك حزين وأنا مثلك تمامًا فقلبك جزء من قلبي، وأنا على يقين أنك سترفع رأسي في العام القادم، كم كانت كلمات أبي رقيقة لكنها كانت في الوقت نفسه قاسية، كم كانت المكافأة كبيرة لكنها جعلتني أبدو صغيرًا، لقد احتفظت بالبقود أيامًا كثيرة وكنت أنظر إليها وأقسم ألا أجعل أبي يحزن بعد اليوم، لقد كانت تلك المكافأة وهذه الكلمات نورًا هداني الله به السبيل، وواقفًا للسير على طريق التاجحين والمتفوقين، وفي العام التالي قررت أن أفرح قلب أبي كما أحزنته، وبفضل الله نجحت وبتفوق، وتوالى النجاح عامًا تلو الآخر حتى حصلت على درجة الدكتوراه، واليوم أنا عضو هيئة تدريس بإحدى الجامعات المرموقة في بلادي، والفضل كله لله وحده ثم المكافأة أبي الحكيمه وكلماته الطيبة.

اللهم خذ أبي وأرسل لنا أبا طيبًا:

كنت أرى الآباء يصطحبون أطفالهم هنا وهناك، كنت أراهم يتكلمون مع أطفالهم ويصطادون معهم وربي يشاركونهم لعب الكرة، بينما كنت محرومًا من هذا كله، ليس لأن أبي مسافر أو لأنني يتيم، فأبي حي يرزق ويعيش بيننا، لكنه كان قاسي القلب كثير الشتام قنبل الصبر كثير الضرب، كل هذا بسبب شربه للكحول والخمور، لقد كان أبي مثال الرجل السوء الذي لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكراً، وعلى عكسه تمامًا كانت أمي، امرأة مؤمنة صابرة محتسبة رسالتها في الحياة حماية أطفالها وتربيتهم على خير وجه، فمنها تعلمت الصلاة والارتباط بالله والدعاء لأبي بالهداية، لقد كنت أدعو لأبي بدعاء طفولي صادق، كنت أقول: اللهم خذ أبي وأرسل لنا أبا طيبًا، لقد دعوت كثيرًا وكنت أنظر إلى السماء منتظرًا الفرج، وذات يوم مرضت مرضًا شديدًا دخلت على إثره المستشفى، وهناك احتار الأطباء في أمرى لدرجة أنهم يشعرون من شفاتي، وأخبروا بذلك أبي وأمي، ويجوار سريري بالمستشفى رأيت أبي جالسًا والدموع تنحدر من عينيه لأول مرة في حياته، لقد

رأيت رجلاً غير الذي أعرفه، ولقد سمعته وأنا في حال تشبه الغيبوبة يدعو ربه ويقول: «إن شفيت ابني سأغتر حياتي، أعاهدك على ذلك»، واستجاب الله دعاءه وشفائي بما يقول عنه الأطباء معجزة، وجاء الدور على أبي للوفاء بنذره، وقد كان، فقد تحول أبي من الظلمة إلى النور، وبدأت أرى فيه أباً آخر غير الذي أعرفه، وأبت أباً كنت أتمناه من سنين، لقد استجاب الله دعائي، وأخذ أبي السنين، وأرسل لي أباً طيباً.

ابتناسمة أبي الأخيرة:

كان والذي قليل الكلام قليل الابتسام، كنت أراقبه وهو يتردد للناس وبيتهم معهم، كنت أشعر حينها أن أبي يحتزن ابتساماته الحلوة للغرباء، كم كنت أفرح في المرات القليلة التي كان يجادني فيها بحب أو يتسم لي بود، لقد كانت ابتسامته أبي تعني لي الكثير، كانت تشعرني بالحب والحنان والأمان، ومرت السنون سريعاً، وحضرت أبي الوفاة، وفي ساعات الاحتضار كنت واقفاً بجواره ومعني عدد من أقاربي وأصدقائه، وبدأ بصر أبي يزيغ يميناً ويساراً، وعندما وقعت عيناه في عيني.. ابتسم، وبعدها بساعتين غادر الحياة، لقد كنت حزينة لأن أبي مات، وكنت سعيدة لأن ابتسامته الأخيرة كانت من نصيبي أنا، قد غادر الدنيا لكن ذكره الطيبة لم تغادر قلبي، ودائماً ما أدعو الله تعالى أن يسعد أبي كما أسعدني، اللهم آمين.

مظروف أبي السنوي:

منذ طفولتي كنت أرى أبي يتعب من أجلنا كثيراً هو وأمي، كنت أراه يعود من العمل مرهقاً لكنه لم يشتك لنا يوماً، كنت أشعر به عندما أنظر إليه وأرى علامات التعب يادية عليه، لقد كان أبي عفيفاً متعقفاً ذا عيال، لذلك كنت أعمل في الإجازة الصيفية حتى أجمع مبلغاً من المال يكفيني لشراء ملابس ومصاريف وكتب المدرسة، وفي بداية كل عام دراسي، كان أبي يصمم على أن يعطيني نقوداً لأنفقها على متطلبات الدراسة، ويصمم على أن يعطيني إياها رغم أن معي ما يكفي من النقود، لم يطعم يوماً أبي في مال اكتسبته، وكان

من عادته أن يعطيني المال في مظروف ورقي صبيحة أول يوم دراسي، فعل ذلك بنفس الطريقة سنين طويلة حتى صار ذلك المظروف من طقوس بداية العام، وظل الحال هكذا حتى قبيل نهاية المرحلة الجامعية، ففي صيف أحد الأعوام خلال الإجازة الصيفية رحل أبي إلى الأخيرة صابراً راضياً، وبعد حوالي شهر من وفاته بدأت الدراسة، وفي صباح أول يوم دراسي فوجئت بأبي يعطيني مظرفاً ورقياً وتقول لي: كنت أبحث في أوراق أبيك، فوجدت هذا المظروف ومكتوب عليه اسمك، ففتحت المظروف لأجد بداخله مبلغاً من المال كان أبي قد أعده ليعطيني إياه، لا أدري كم من الوقت حينها ظلمت أبكي، لقد احتفظت بالمظروف لسنوات، كنت كلما شعرت في الحياة بضيق أو بغدر صديق؛ أخرجت المظروف وتأملت؛ فأشعر حينها أن هناك من أحتني بصدق... إنه أبي، لك الله يا أبي كم كنت أبا عطوفاً كريماً محباً لأبنائك، لقد مر على هذا الموقف أكثر من عشرين عاماً، لكنني مازلت أحكي الحكاية لابنائي وأصدقائي؛ إذ كيف أنسى أبي أو أنسى مظروفه السنوي.

● ليعلم أبي في قبره أن له ابناً يحبه:

كان أبي صادقاً في محبته للناس، وكان للجمع في قلبه مكان، كم كنت أحب الجلوس بين يديه كنت أشعر حينها أنني أحب الناس إلى قلبه، وكان عالماً عابداً فقد كان إمام مسجد حيناً، كما كان فقيراً عفيفاً زاهداً في الحياة، حتى إنني أذكر أن سقف بيتنا كان مصنوعاً من الخشب وبمرور الزمن تهالك السقف، فطلبنا من أبي أن يغيره ونشترى خشباً جديداً، لكنه رفض وقال: ليس معي نقود والأخرة مقبلة والدنيا مدبرة، فقلنا نحن شباب ونعمل فخذ مالنا واشتر به خشباً فجميعنا يسكن هذا البيت، فرفض بشدة واعتذر بحب، وتشاورت مع اخوتي دون علمه كيف نغير سقف البيت بالخيلة دون علم أبي؟ ووصلنا لحل جميل، كان من عادة أبي أنه يسافر إلى صعيد مصر (وكننا بالإسكندرية) لزيارة أهله وأرحامه أسبوعاً كل عام، فاتفقنا على أن نشترى الخشب بنقودنا ونجهزه لتغير السقف في أسبوع سفر أبي، وقد كان وسافر أبي، وبدأنا في تنفيذ الخطة فور مغادرته للبيت، لكن أبي فاجأنا وعاد قبل مواعده بيوم، فلما رأى المشهد ابتسم والدموع في عينيه

وقال: ساعوني، والله لم أكن أريد أن أخذ نفودكم التي تعتم بها، وإن كان هذا ما أردتم فسوف أبعدهم، ومرت السنون ورحل أبي عن الحياة وترك لنا بركة طاعته لله، فحل الغنى محل الفقر، وامتلات بيوتنا خيرًا كثيرًا، ولأنني كنت أحب أبي فقد حرصت على براه حتى بعد موته، لقد قررت أن أصل أصدقائه الذين كان يجيهم وبوجه الخصوص صديقه الشيخ إبراهيم، لقد ظلمت أزوره وأتصل به وفي كل مرة أقول له: ادع الله لأبي، فعلت ذلك لعشر سنوات كاملة بعد وفاة أبي، وذات يوم احتفى الشيخ إبراهيم فجأة ولم أعر له على أثر، بحثت في كل مكان أعرفه واتصلت بكل تليفون أذكره، حتى إنني اتصلت بجيرانه لبحثوا معي، وأخيرًا اكتشفت أنه ذهب إلى دولة الإمارات ليزور ابنه هناك، فبحثت عن رقم ابنه خمسة عشر يومًا حتى وجدته، وبعد طول اشتياق جاءني صوت الشيخ إبراهيم في التليفون ليقول لي بعدما عرف حكايتي: يا سلام يا إسمايل، رجلي والقبر وما زلت أعلم منك برك لأبيك، فقلت له: أنا أريد دعوة تصل لأبي من الإمارات حتى يعرف أن له ابنًا يبحث عما يسعده في قبره، حتى يعلم أبي في قبره أن له ابنًا يجبه.

رسالة أبي في علبة السجائر :

كنت في مرحلة المراهقة، ومثل كل الشباب حاولت أن أجرب بعض الأشياء التي تشعر المراهق بأنه رجل، وكانت السجائر المدخنين من تلك الأشياء التي جربتها، وشيئًا فشيئًا بدأت علاقتي بالسيجارة تتوطد، وكنت على اعتاب أن أصبح عضوًا في نادي المدخنين هدامهم الله أجمعين، غير أن الله تعالى لطف بي وأنقذني على يدي والدي، ولذلك قصة سأحكيها لكم: كنت أحترم أبي جدًا، وطبعًا كنت أخفي عنه أمر السجائر، كنت أخفيها هنا وهناك، وكنت مطمئنًا لأن أبي لا يعرف بأنني أدخن، إلى أن جاء اليوم الذي اكتشف فيه السر، كنت أخفي علبة السجائر في مكان يصعب أن يصل إليه أحد، وكنت أنتظر لحظة خروج أبي من البيت لأخرج العلبة وأخذ منها سيجارة، وفي ذلك اليوم خرج أبي من البيت، وتوجهت مسرعًا نحو المخبأ السري، وأخذت علبة السجائر بنهفة، وخيأتها في جيبتي صعدت نحو سطح البيت، وفتحت العلبة بشوق وفجأة تسمرت يداي

في مكانها، لقد وجدت العلبه فارغه رغم أني تركتها ممتلئه، فقلبتها وفحصتها بدهقه، وإذا بي أجد فيها ورقة ملفوفة، ففتحتها لأرى ما فيها فوجدت مكتوباً فيها:

ابني الحبيب..

مهما فعلت فأنت ابني الحبيب، سأكره المعصية التي تفعلها لكنني سأبقى أحبك، وأنا على يقين أنك لن تخذلني، أنا على يقين أنني أنجيت رجلا يعرف الخير من الشر، السجائر معي، فإن كنت تريد أن تكمل هذا الطريق فستجدها تحت وسادتي، وإن كنت نويت التوبة - وهذا أملي فيك - فأنا على يقين أنك لن تشتري بالتفود التي أنتعب فيها شيئاً محرق فيه تعبي.

أبوك...

قرأت الرسالة ولم تعد قدماي قادرتين على حلي، فجلست حائرا لا أدري ماذا أفعل، وفي النهاية قررت أن أكون ذلك الرجل الذي أنجبه هذا الرجل الطيب «أبي»، لم يعرف أحد غيري أنا وأبي بشأن تلك الرسالة، ولم يكلمني في هذا الموضوع أبداً، فقط كان ينتظر، كان يكفيه أن يعرف إجابتي بنظرة واحدة تحت وسادته، كان أبي يتسم كلها قابلي، ومن يومها تركت التدخين إلى غير رجعة، لقد أقسمت يومها ألا أحمل بين يدي سيجارة أبداً، ولقد أعانني الله تعالى على البر بقسمي، لقد حدث هذا الموقف منذ أكثر من عشرين سنة، وما زالت رسالة أبي معي، وما زالت سجائري تحت وسادة أبي.

يا بني.. دع غيرك يأخذه:

لا أنسى لوالدي - رحمه الله - أنه كان يأخذني معه كثيراً هنا وهناك، نذهب إلى المسجد معاً وعند أصدقائه وأقاربه، أبتاً وجدته تجديني إلى جواره، كان ذلك أيام الطفولة الجميلة، وذات مرة كنت أسير معي في الطريق، نظرت إلى الأرض فوجدت قرشاً (واحداً من مائة من الجنيه المصري)، وكان القرش أيامها يمثل لطفل مثلي ثروة كبيرة، لذلك أسرعرت بأخذه من على الأرض، وانحنيت فرحاً لأمسك بهذا الكنز، لكن أبي جذبني

برفق ومعني من أخذه، فقلت له: سأأخذه غيري، فقال لي: «دع غيرك يأخذه»، كل هذا ونحن عندئذ لا نعلم بشدة فقرنا إلا الله، هذه الكلمات لم أنسها يوماً، ومرت السنون وكلنا رأيت في حياتي شيئاً فيه شبهة تركته قاتلاً لنفسي: «دع غيرك يأخذه»، رحمك الله يا أبي فقد علمتني العفة والمراقبة رغم فقرك الشديد واحتياجنا للقرش الذي لا صاحب له.

لومات أبي.. هل ستموت الحياة معه؟

كنت عندما أخاف أحتسي بأبي، وعندما أحتاج أطلب من أبي، وعندما أحزن يسعدني أبي، وعندما أمرض يرعاني أبي، حتى ظننت أن أبي لومات ستموت الحياة معه، ويبدو أن والدي شعر بما يدور في عقلي، فقال لي يوماً: «يا بني، ما دمت حياً فلا تخف من شيء»، سأظل بجوارك أحملك وأعطيك وأدافع عنك، لكن يا بني لن أبقى حياً معك طوال العمر، فكن مع الله فهو خير لك مني وأبقى، واطمئن ولا تخف من شيء، هذه الكلمات نفعتني الله بها كثيراً، وبدأت من يومها رحلة حبي لله تعالى، واعتيادي عليه وسؤالي له وتوكلي عليه سبحانه، رحمك الله يا أبي فإنك قدمت ولم تتركني وحيداً.

١٥ سنة بين جدران المستشفيات:

هذا ليس موقفاً لأمي أحكيه لكم، إنها هو ملحمة مليئة بالكفاح والصبر والأمل، منذ طفولتي كنت مريضاً جداً، كنت أضي نصف العام تقريباً بين جدران المستشفيات، حدث هذا على مدار خمسة عشر عامًا، كانت سنوات المرض كفيضة بكسر الصمود وزرع اليأس في قلوب الكثيرين عن حولي، لكن ذلك لم يحدث لأمي، فرغم فقرها وقلة حيلتها إلا أنها صبرت بعزم وبذلت بحب، كانت يومياً تمشي على قدميها من بيتنا إلى المستشفى لمدة ساعتين (تقريباً) لتأتي، فتطمئن عليّ وتعطيني الدواء وتساعدني على الاستحمام وتطعمني، وتنصرف بعدها راضية محتسبة، كانت تقترض المال لتسد نفقات علاجي، كانت تبكي كل يوم وتقول لي: أتمنى من الله أن يشفيك يا بني وتضمني إلى صدرها ثم تنصرف، كانت كلمات أُمِّي ودعائها يعطيني طاقة عجيبة وأملًا كبيرًا، لقد كانت أُمِّي

تطعمني الصبر مع الطعام، وتسقيني الأمل مع الدواء، ومررت السنون واستجاب الله دعاء أمي بعد صبر دام خمسة عشر عامًا، واليوم أنا أعمل في منصب مرموق جدًا وبي مكانة عالية بين الناس، أتدري لماذا؟ لأن أمي كانت سببًا في تفوقي الدراسي وأنا بين جذران المستشفيات، فقد كانت تحضر لي الكتب وتشجعني على المذاكرة والتفوق، ومنذ أن شفاني الله تعالى وأنا أدعو لأمي يوميًا بالجنّة، فعلت هذا لسنتين كما رعيتي أمي سنين، وكلّ أمل و يقين في أن الله تعالى سيستجيب دعائي لأمي كما استجاب دعاءها لي.

✍️ يا بني.. اقرأ القرآن حتى ترتوي:

كنت في المرحلة الابتدائية، وكنت أعمل في الحقل مع أبي، كان الجو حارًا والعمل شاقًا جدًا، كل هذا وأنا صائم في شهر رمضان، كنت أشعر بعطش شديد جدًا لدرجة كبيرة حتى جف حلقي وشفثائي، وكانت أشد أوقات العطش بعد العصر، فكان أبي يُربت على كفتي ساعتها بحنان ويقول لي: «اقرأ القرآن حتى ترتوي»، وجريت وصية أبي، وبدأت بقراءة القرآن، وكانت المفاجأة العجيبة أن ذلك خفف العطش عني؛ مع العلم أنه كان يُقال: لا تتكلم كثيرًا وأنت صائم حتى لا تعطش، لكن كلام الله فيه شفاء لكل داء، رحمك الله يا أبي فقد علمتني كيف أن القرآن يروي العطشان.

✍️ ماذا تفعل لو كنت مكان أبي؟

ماذا تفعل لو: ذهب ابنك يوميًا إلى المدرسة الثانوية، وحضر جميع الامتحانات، وظهرت النتيجة، فانتشمت فجأة أنه كان يمدحك ولم يدخل الامتحانات أصلاً؟ هذا ليس سؤالًا خياليًا، بل هو ما حدث بيني وبينني والذي بالضغط، ففي الثانوية العامة رأيت - بيني وبين نفسي - أنني لو دخلت الامتحانات بمستواي الدراسي الذي كنت فيه؟ فإنني لن أحقق المجموع الذي يؤهلني لدخول كلية الهندسة التي كنت أحلم بها، لذلك قررت - دون علم أحد - ألا أدخل الامتحانات هذا العام، ولم أستطع أن أخبر أبي أو أمي، وأوهمتهم أنني قد ذهبت الامتحانات وانتظرت النتيجة، ولأن الكذب بلا أرجل

وسيق صاحبه طال الزمان أو قصر؛ فقد جاء يوم النتيجة وانكشفت حياتي. وكان من حق والدي أن يفعل بي ما يشاء، فقد أنفق ماله وأتعب نفسه وعاش خدعة كبيرة على مدار شهور كثيرة، وانتظرت يومها أن يفعل والدي الكثير، لكن - والحمد لله - غيب ظني، لقد قابلني يومها ومد يده نحوي، لا ليضربني بل ليبرئني عن كفتي وقال: «ما فعلت كان الأفضل، وأنا على يقين أنك على قدر كلمتك وستحقق العام القادم ما وعدت به، فقط كان من حقي عنيك أن أخبرني، لكنني واثق فيك لأنك رجل»، لقد شعرت يومها أنني كبير جداً بكلبات أبي وثقته بي، كما شعرت بمسئولية كبيرة تلقى على عاتقي، لقد كانت كلمات أبي وموقفه الحكيم سبباً في تغير حياتي نحو الأفضل. لقد كانت سبباً في التزامي وتديني وتفريقي، وفي العام التالي حققت بفضل الله ما وعدت به أبي، والتحقت بكلية الهندسة، ومرت السنوات ورحل أبي عن الحياة، ولقد أحببت أبي أكثر عندما أنجبت أطفالاً وجريت شعور الأب يوم ظهور نتيجة أبنائه، رحمك الله يا أبي فأنا لا أسألك أبداً وخاصة في وقت ظهور نتيجة أبنائي.

أمي.. والجنينيات الأخيرة:

توفي والدي وأنا صغير، فقامت والدي بتربيته ورفضت الزواج بآخر، ومن مواقفها التي لن أنساها أننا كنا في أواخر شهر رمضان المبارك، ولم يكن معها من المال إلا القليل من الجنينيات، وفجأة طرقت بابنا سائل يطلب صدقة الفطر، فلم تردد في إتفاق كل ما معها، فلما اعترضنا على ما فعلت، قالت لنا بنبرة واثقة: «إن الله لن يتركنا»، وانتظرت لينتها ترقب ما سيحدث، هل كلام أمي سليم وثقتها صحيحة؟ هذا ما كنت - بعقل الطفل الصغير - أفكر فيه، والله لم يمضي نصف الليل حتى جاءها ما يعادل عشرة أضعاف المبلغ الذي أنفقته، فنظرت نحونا والدموع في عينيها فقالت: «ألم أقل لكم، لا تشكروا في كرم الله أبداً»، ومن يومها أتق دوماً في كرم ربي، وأعلم علم اليقين أنه لا يضع أجر من أحسن عملاً.

الصلاة في المسجد.. وحلوى أبي:



كان والدي - رحمه الله - يأخذني أيام طفولتي معه إلى المسجد، كان عمري أيامها حوالي ٨ سنوات، وبعد الصلاة كان يشتري لي الحلوى من محل (كشك) مجاور للمسجد، وهذا ما جعلني أحرص دومًا على صحبته، لقد أحببت المسجد والصلاة بسبب حلوى أبي البسيطة، وارتبط عندي الذهاب إلى المسجد بالحب والعطف والحلوى، ومرت السنوات وانتهت سنوات طفولتي، واتشغلت بالدراسة الجامعية، وكنت بين الحين والآخر عندما أصلي مع أبي أقول له: أئن تحضر لي حلوى مثل أيام زمان؟ فيبتسم ثم يذهب فيشتري من نفس الرجل، كم كانت سعادة أبي غامرة بهذا الطلب البسيط، وفجأة رحل أبي عن الحياة، لكن ذكرى الحلوى لم ترحل، فكلما ذهبت إلى المسجد تذكرت حلوى أبي، ودعوت الله أن يطعمه من ثمار الجنة.

اللهم اقسم أجر هذا العمل بيني وبين أبي:

من أفضل الأشياء التي أصر أبي على تعليمها لي، هي حرفة إدخال الكهرباء إلى البيوت والعمارات والمساجد، فكنا ننسب البناء على الجدران ولا نتركه إلا وهو مضاء وجاهز تمامًا للاستخدام، فقد علمني أبي تلك الحرفة لأنفع بها نفسي، كان أبي يعمل بالحكمة القائلة: «حرفة في اليد خير أمان بإذن الله من الفقر»، لقد علمني أبي أن أمد يدي لأعمل لا أمدها لأطلب من أحد مالا، أمدها لأقبض أجره عملي لا أمدها لأنومل بها مالا من أحد، ومرت السنوات واحترقت تلك المهنة، وبعد موت أبي وخلال سنين كثيرة، وفقني الله تعالى أن أدخل الكهرباء والصوتيات فيها يقرب من خمسة عشر مسجدًا، استلمتها كلها على الجدران وما تركتها إلا وهي مضاءة ونداء الحق يصدح فيها، كل هذا حسبه الله تعالى دون أجر من أحد، ودعوت ربي أن يقسم ثواب هذا العمل بيني وبين أبي،

وأن يصل هذا الجزء إلى والدي في قبره ليضيفه له كما علمني أن أضيء بيوت الله تعالى للساجدين والراكعين والمصلين^(١).

رجل أبي قبل أن أعطيته الدواء

كان والدي ينجني جداً، وكان في آخر حياته مريضاً طريح الفراش، وذات يوم ذهبت لأسلم عليه قبل الذهاب لعملي، فطلب مني أن أحضر له علبه حبوب دواء للقلب في طريق عودتي، فقلت أفعل إن شاء الله وقبلت يده وانصرفت، وبعد انتهائي من العمل اشتريت علبه الدواء وهممت بالعودة إلى البيت، لكن أصحابي أصروا على أن أذهب معهم، كنت محتاراً بين الإحساس بضرورة العودة إلى المنزل لإعطاء الدواء لأبي، وبين الرغبة في الذهاب مع أصدقائي، لكنني اخترت الذهاب معهم وتناسيت أمر أبي، وقيل المساء عدت إلى البيت، ودخلت لأعطي أبي علبه الدواء، فإذا بجميع من في البيت يبكي، لقد مات أبي، مات بينما كنت مع أصحابي، مات وترك علبه الدواء في جيبه دليلاً على

(١) لإشارة المساجد فضل كبير، فقد روى ابن ماجه وأبو داود عن ميمونة مولاة النبي -ﷺ- قالت: "يا رسول الله -ﷺ- أتنا في بيت المقدس، قال: فإن لم تأتوه فابعدوا بزيت يسرج في قناديله" والحديث ضعفه الألباني أنظر ضعيف أبي داود ح ر ٤٥٧، ولقد كان المسجد النبوي الشريف في عهد النبي ﷺ في بداية أمره إذا جاء الليل، يضاء بسعف النخل توقد فيه النار، وعندما قدم نعيم النداري إلى المدينة المنورة في سنة ٩ هـ، فوجد المسجد يضاء بسعف النخل فاستبدل ذلك بقناديل تضاء بالنار، كان قد أحضرها معه. فقد روى أبو نعيم عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: "أول من أسرج في المسجد تميم الداري". والحديث ضعفه الألباني أنظر ضعيف ابن ماجه ح ر ١٥١، وروى صاحب كتاب الاستيعاب في معرفة الأصحاب عن سراج غلام تميم الداري قال: (قدعنا عن النبي ﷺ ونحن خمسة غلمان لتميم الداري - فأمسي - يعني تميم - فأسرجت المسجد بقناديل فيه زيت، وكانوا لا يسرجون إلا بسعف النخل، فقال رسول الله ﷺ: من أوقد مسجدنا؟ فقال تميم: غلامي هذا، فقال: ما اسمه؟ فقال: فتح، فقال رسول الله ﷺ: بل اسمه سراج - فسأني رسول الله ﷺ سراجاً الاستيعاب على هامش الإصابه ١٣١/٣.

وروى القرطبي أن نعيم النداري حمل معه من الشام إلى المدينة قناديل وزيتا ومسطحاً، فلما انتهى إلى المدينة وافق ذلك يوم الجمعة فأمر غلاماً له يقال له أبو البراد فقام فشد للقطط وهو يهضم الميم وسكون القفاف وهو الخبيل وعاقب القناديل وصب فيها الماء والزيت وجعل فيها القطن، فلما غربت الشمس أسرجها، فخرج رسول الله ﷺ إلى المسجد فإذا هو يزهو، فقال: من فعل هذا؟ قالوا: تميم بن رسول الله، قال: نورت الإسلام نور الله عليك في الدنيا والأخرة، أما إنه لو كانت في ابنة لزوجتكها، فقال نوظل بن الخرت بن عبد المطلب: في ابنة بن رسول الله تسمى أم المغيرة بنت نوفل، فأنفل فيها ما أردت، فأنكحه إياها على المكان...اهـ. واخبر ضعيف كما أشار ابن حجر في الإصابة ١٨/٤.

تقصيري في حقّه، مات وتركتني بعده حزيناَ لأنني تأخرت عليه، ومن يومها ما زالت عليه الدواء معي، وكلما نظرت إليها تذكرت أبي وتمنيت أن يساعني، ولا أدري كيف سأقابله في الآخرة، اللهم أحسن لقاءنا هناك.

هدية النجاح اشتراها أبي قبلها بعام:



على أعتاب الثانوية العامة كنت غير واثقة من نفسي، وشعرت أنني مهيا فعلت فلن أصل إلى ما أتمناه، ورغم تفوقي الدراسي إلى حد كبير إلا أنني كنت أشعر أن الامتحانات وحش كاسر يهاجمي ولا أستطيع مقاومته، وفي الإجازة الصيفية وقبل دخولي للصف الثالث الثانوي،

ذهب أبي إلى حفل المتفوقين الخاص بمدرستنا، وكنت في الصف الثاني الثانوي من أقل الأوائل مجموعاً، ولاحظ أبي يومها أنني لست سعيدة بها يحدث، فأخذني بعد خروجنا من الحفل وجلست معه في مكان هادي، وهناك حدثني أبي عن أمنيته لي في الثانوية العامة، وأنه يريدني أن أكون من الأوائل، فلما لاحظت صمتي وحيرتي، أخذني معه واشترى لي هدية قيمة جداً وقال لي: «هذه هدية نجاحك مقدماً لأنني أثق تماماً أنك لن تخذلينا ولن تخذلي نفسك، أعرف أنك ستحققين ما تأملين وأريدك أن تجتهدتي لتحقيق ما تريدن، واعلمي أن على المرء أن يعمل وليس عليه إدراك النجاح، واستمر الأيام وستذكرين موقفني هذا وتقوين: كان أبي على حق يوم أن قال لي إنك ستحققين ما تمنيت بإذن الله، وعندما تحققين هدفك تذكريني يومها بالدعاء سواء كنت حياً أو ميتاً».

لقد أعطتني كلمات أبي أملاً وعزماً، وثبت الله بها قلبي وألهم عزمي، ومرت العام الدراسي، وحقق الله لي ما تمنيت، والحق أقول إنني لم أتذكر والدي يومها بالدعاء، هذا لأنني ما نسيت حتى أتذكره، لقد ظللت أَدعو له بعد يوم الهدية التي قدمها لي مقدماً وحتى يومنا هذا، وأسأل الله تعالى أن يجمعني به مع سيدنا محمد ﷺ في أعلى جنات الخلد، فقد مات أبي.

ناولتني كوب الشاي.. وسقطت ميتة:

منذ حوالي ثلاثين عامًا كنت في الثانوية العامة، كنت أيامها أذاكر ليلاً، وكانت أمي - رحمها الله - تأتيني كل ليلة بالمشروبات الدافئة، وترتّب على كنتفي، وتبتسم في وجهي، وتدعوني بالتوفيق، وذات ليلة وبينما أنا أذاكر في هدأة الليل، جاءت أمي كعادتها حاملة كوب الشاي ووضعته على المنضدة، ودعت لي بالخير كعادتها، وفجأة سقطت على الأرض، فأسرعت نحوها ووضعت رأسها في حجري وحاولت أن أوقفها، لقد ظننت أنها وقعت فاقدة الوعي، لكنني صدمت عندما أدركت أنها قد فقدت الحياة، لقد ماتت أمي بعدما ناولتني كوب الشاي ودعت لي بالتوفيق، رحمك الله يا أمي فقد كنت بي حانية حتى آخر لحظة من عمرك.

ابنة راسية.. وأب حنون:

عندما كنت في الثانوية العامة اجتهدت قدر استطاعتي، وبعد الامتحانات ظهرت النتيجة، وذهبت لأعرف مجموع درجاتي، ففوجئت بأنني راسية، عدت يومها للبيت حزينة وقدمائي لا تستطيعان هلي، دخلت البيت صامتة وتوجهت نحو غرفتي وأغلقت على نفسي الباب، وجلست أفكر في أبي، فقد كان رجلاً متوسط الحال، وعندما سيعرف الخبر من الطبيعي أن يمزق ويشتم وربما يضرب، هكذا يفعل أمثاله، وقطع علي تفكري صوت طرقات على باب غرفتي، واستأذن أبي ودخل علي، وتوجه نحوي وأخذني بين أحضانه وقال لي: «لا تحزني، إن شاء الله تعوضينها العام القادم بإذن الله، هكذا الحياة يا بني، ونحن نتعلم من الفشل أكثر مما نتعلم من النجاح»، وربّت على كنتفي وتركتني وانصرف، كم كانت كلماته حانية وصادقة ومعلمة، بسببها استطعت النوم تلك الليلة وتفوقت العام التالي، وتعلمت من الفشل أن رسوب عام ليس نهاية الحياة، حدث هذا منذ سنين طويلة، لكنه موقف لا يمكن أن أنساه لك يا أبي.

ساعتها عرفت أنه أحسن أب:

كان والدي مكثوف البصر «أعمى» لا يرى، لكنه كان يرى ببصيرته أكثر مما يرى غيره بصبرهم، ويجب أبناءه ويحبو عليهم أفضل من الآباء المبصرين، ذات يوم رجعت إلى البيت من امتحان اللغة الفرنسية مهمومة حزينة، هذا لأنني لم أجب في الامتحان جيداً، فشمع والدي بحالتي، فنادى عليّ وقال لي: ماذا فعلت في الامتحان؟ فقلت: غير جيد، فقال لي: هات ورقة الأسئلة لأرى بنفسني، فأحضرت الورقة وناولتها لوالدي، وكان من عادتي أن أسجل الإجابات على الورقة، وعندما قلب فيها والدي دقات قال لي: ما شاء الله، لقد أجبت جيداً، إن شاء الله سنتنجحن، وظهرت النتيجة بعدها بأيام، ونجحت فعلاً، وعندما أمسكت بيدي الشهادة وتأملت درجة اللغة الفرنسية، تذكرت موقف والدي معي، فقلت في نفسي: كيف عرف والدي يومها أنني قد أجبت جيداً وهو لا يعرف شيئاً في اللغة الفرنسية، بل إنه كيف لا يرى، ساعتها عرفت أنه أحسن أب.

إذا مت... فلا تضعني في قبري:

قبيل وفاة أمي بخمسة عشر يوماً، نادى علي وقالت: «يا بني، إذا أنا مت فلا تدفني أنت ولا تضعني في قبري، دع غيرك يفعل ذلك»، فقلت لها: ولماذا؟ فقالت: «حتى لا تبكي بعد وفاتي ولا تتذكر موقف وضعك لي في التراب فتتعذب»، هكذا كان قلب أمي، تخشى حزني حتى بعد وفاتها، فيا رب ارحمها واغفر لها وأدخلها الجنة.

عشاء أسرتنا لأصدقائي الضيوف:

كان والدي إذا جاء زملائي لزيارتي في بيتنا، وجنسوا معي ليلاً وجاء وقت العشاء، قدم لنا أبي العشاء المعد للأسرة كلها، وبعد أن تنتهي من الأكل وترفع الأطباق من بين أيدينا، يأكل أبي وأمي وإخوتي ما تبقى فيها من طعام، فعشت بين أصدقائي مرفوع الرأس كريماً جواداً، وعاش أبي في قلبي عطوفاً عاقلاً مقدراً لي وإخوتي، لم يكن أبي يفعل هذا معي وحدي، بل كان يفعل الأمر نفسه مع زملاء إخوتي وإخواني، فهل هذا أب نساء؟

✍️ يا ابنتي.. ألقى شعرك في القمامة :

سأحكي لكم موقفاً ترك بصمة سوداء في نفسي لسنوات، كم جعلني هذا الموقف أبكي وأحزن وأهجر النوم والطعام، لقد أمرني أبي بالحجاب وأنا في الصف الرابع الابتدائي، وكنت صغيرة ولا أريد أن أتحجب، فكنت ألبسه يوماً وأخلعه يوماً آخر، رأني والدي ذات يوم خارجة من البيت بدون الحجاب، فأمرني أن أحضر مقصاً، فقلت لعله يريد أن يقص به شيئاً، فذهبت ببرياء الأطفال وأحضرته له، قائلة: تفضل يا بابا، فأمسك بشعري بشدة وكان شعري طويلاً، وقام على الفور بقص شعري وأمرني أن ألقيه في القمامة، هذا والله ما قد حدث، وتحيل إحساس فناء بريئة في سن الطفولة تذهب إلى سلة القمامة لترمي شعرها بأمر من والدها الحاني الرحيم، لا أدري مقدار الحزن والألم الذي شعرت به، ولا أدري مدى الاكتئاب الذي عانيته، لكن الله لطف بي وأرسل لي يداوي جراحي، إنها أختي التي كانت تكبرني بعشر سنوات، لقد جعلها الله دواء لما فعله أبي، ولولاها بعد الله تعالى لكنت كرهت الحجاب طيلة حياتي، ولولا الله والدين والأخلاق لما لبست الحجاب يوماً، إنني أتذكر أبي في اليوم مرتين، مرة عندما أسرح شعري، ومرة عندما ألبس حجابي، ساعحك الله يا أبي فلولا لطف الله بي لكنت بغلظتك صنعت مني مشكلة.

✍️ هدية أبي السنوية.. قراءتها فورية :

لقد بدأت رحلتي مع الكتب منذ أن كنت في الصف الأول الابتدائي، ولقد كان والدي سبباً في حبي للقراءة، فقد عودني على هدية سنوية عند ظهور النتيجة، ففي الصف الأول الابتدائي كانت هدية نجاحي عبارة عن مجموعة من القصص وكتب الأطفال، واستمرت هذه الجوائز حتى الشهادة الإعدادية، فعل مدار تلك السنوات التمتع تلقيت من والدي الكثير من القصص والكتب مكافأة لنجاحي، حتى أصبحت الكتب من ثوابت حياتي، كنت أقرأ تلك القصص بنهم شديد، كنت أحتفظ بتلك الكتب بحرص

عجيب، وفجأة توقفت تلك العادة الكريمة، كنت حينها في بداية من المرحلة الثانوية، أتدري لماذا توقفت؟ لأن أبي رحل عن الحياة، مات وأنا في الصف الأول الثانوي وحرمت أنا من تلك الهدية السنوية الرائعة، وكم كان صعباً علىّ يوم ظهور النتيجة في ذلك العام، فقد عدت إلى البيت فلم أجد لأبي ولا هديته السنوية، لقد مات أبي وترك ابنًا يحب العلم ويعشق القراءة، ومازالت كتب أبي وهداياها في مكتبي حتى اليوم شاهدة على حبي له وحبه لي، اللهم اجمني به في الآخرة على خير، يا أرحم الراحمين.

احترام أبي.. بين طفولتي وشبابي:

كانت علاقتي مع أبي طوال حياتنا شعارها «حب واحترام»، ففي أيام الطفولة عندما كنت أذهب مع زملائي للحقل لأكل أي شيء من الخضراوات التي نزرعها مثل الفول والبادنجان وغيرها، كان والدي يترك لنا الحقل ويذهب ليجلس بعيداً، ولا يعود حتى نتصرف، كل هذا لتأخذ راحتنا ولا يجرح زملائي، كنت أشعر حينها بالفخر والرجولة والسعادة... ومرت السنون وقارب سني العشرون، وحينها بدأ احترام والدي لي يأخذ شكلاً آخر، فما كان والدي ينام أبداً وأنا جالس، ولو دخلت عليه وهو نائم كان يجلس حتى أخرج، كأنه هو الابن وأنا الأب، فكنت نتيجة لذلك أحبيت والدي حباً حب الابن وحب الأب معاً، وحتى يومنا هذا وبعد مرور أكثر من عشرين عاماً على وفاته، أدعو له بالرحمة والمغفرة.

كيس البونبون.. من أبي العنون:

لقد كان أبي عطوفاً كريماً، لا أذكر أنه ضربني أو أهانني أو جرح مشاعري يوماً، فمنذ طفولتي وهو يعامل جميع بناته بالحب والرحمة، وكنت أنا من أفرهين إلى قلبه، لدرجة أنه كان يدخر أمواله معي، ومن ذكرياته الطيبة معي والتي لا يمكن نسيانها، أنه كان يحضر لي كل يوم جمعة كيساً مليئاً بالبونبون والحلوى، كل جمعة بعد الصلاة بلا انقطاع، واستمرت تلك العادة الطيبة حتى بعد زواجي، فكل جمعة يحضر لي كيس الحلوى والبونبون بعد

صلاة الجمعة، واستمر الحال حتى أصبح بحضر « كيس الخلوى » لي ولأطفالي، لقد تعلمت من أبي كيف أدخل السرور على قلوب من حولي، وعلمني كيف أكون أكثر حنوً على الآخرين، فهل تتخيل أن يأتي يوم جمعة وأنسى فيه أبي بالدعاء والرحمة والمغفرة!!!؟

أحب أن أسمع القرآن منك يا بني:



كان والدي رجلاً أميناً لا يقرأ ولا يكتب، ولا أنسى يوم أن التحقت بالمدرسة كم كان سعيداً، وزادت سعاداته يوم أن سلموني في المدرسة مصحفاً، كنت يومها في نظر أبي كمن حاز كنزاً لا يقدر بثمن، ومن يومها بدأ حال أبي معي يتغير، كان بين الحين والآخر ينادي علي ويقول:

افتح المصحف واقراء لي بعض الآيات، فأقول له: يمكنك أن تسمع من إذاعة القرآن الكريم، فيرد علي بحب قائلاً: إني أحب أن أسمعك منك يا بني، واستمرت تلك العلاقة تربطنا نحن الثلاثة: القرآن وأنا وأبي، لسنوات طوال جلس أبي بجوارني يستمع للقرآن بصوتي بحب وشوق وسعادة، والنتيجة أنني ارتبطت بكتاب الله تعالى ارتباطاً عجبياً، وكان هذا سبب التزامي وابتعادي عن كثير من المعاصي، إذ كيف أعصي الله وأبي يجيني ويجب سماع القرآن مني، لقد أصبحت قارئ البيت المحبوب، ومرت السنوات ورحل أبي عن الدنيا، وكلها أمسكت المصحف تمنيت أن يسمع أبي صوتي، بل إنني أذهب أحياناً إلى قبر أبي وأقرأ القرآن، حتى يفرح بسماع صوتي ويستأنس بجلوسي هناك بجواره.

فوق كتفيك لن أتعب يا أبي:

أبي كان دوماً يجمنني على كتفيه أيام طفولتي، وكلما تعب من حلي كان يقول لي: «لقد تعبت يا بني، ألا تنزل تمشي قليلاً؟» فكت أقول له: «عندما أتعب أنا سأنزل»، فكان - رحمه الله - يضحك ويتركني فوق كتفيه، حدث هذا منذ أكثر من ثلاثين سنة.

كنا نحسد بعضنا على المرض:

كان أبي لا يظهر عواطفه بسهولة، فمن الصعب جداً أن يظهر حبه لأبنائه، وكان نادراً ما يقبل أحدنا أو يناديه باسم «دلع» أو يأخذ أحدنا في حضنه، كل هذه المظاهر التي تشعرك بالحب كانت مفقودة في أبيتنا، لكن الحق يقال إن هناك حالة واحدة كان أبي يسمح لمشاعره الخائنة أن تظهر، ويطلق فيها عواطفه الجميلة من عيبتها، هذه الحالة هي: المرض، فما يكاد أحدنا يمرض، حتى يهرى أباً غير الذي نعرفه، حينئذ عطوفاً ذا قلب كبير وحب عميق، لكن هذه الحالة العاطفية كانت تشمل المريض وحده، مما جعلنا نحسد بعضنا على المرض، فالمرض سيناله من أبيه حباً وحناناً دون إخوته، لدرجة أننا كنا نقول لأخيها أو أختنا المريضة: يا فرحتك، يا حظك؛ لأنك مريض.

مذكرات طفل.. يكتبها رجل في الأربعين:

هذه المذكرات بروياها رجل في الأربعين من عمره، احتزنها في ذاكرته طوال هذه السنين، فلما بلغ أشده وصار أباً أمسك بالقلم ليسطر ما جرى له أيام طفولته، وكيف تمت تنشئته على أيدي أبوين صالحين، بصورة يرى أنها أقرب إلى المثالية...

بهذه الكلمات قدم الأستاذ عامر شياخ لكتابه الرائع «علمي أبي.. مذكرات طفل»، والذي كتب فيه ذكرياته الجميلة مع والديه، وفي بعض صفحات الكتاب يقول:

كنا إذا شرعنا في الأكل يسمى أبي أولاً ثم نسمي بعده، فإذا لاحظ أن أحدنا لم نسم قال: من نسي تذكره؟ باسم الله أوله وآخره...

ولقد كان لوالدي -رحمه الله- طريقة عجيبة في التذليل على عظمة الخالق وقدرته، فلا يفوته مخلوق من مخلوقاته إلا لفت نظرنا إلى نواحي الإعجاز فيه، بمسك الثمرة من الفاكهة ويقول قبل أن يأكلها: اللهم إني أشهد أن لك رباً وخالقاً، بسم الله... وكان هذا يسترعي انتباهنا، فكان يتوقف عن الأكل ويقول: تأمل يا فلان إصبع الموز مثلاً، ضعم لذيذ، وقطعة خالصة من الخلاوة مغلفة بغلاف جميل يحفظها لأكلها من التلوث

والعطب، وانظر إلى خلاياها كيف تم صنعها بهذه الطريقة التي يستحيل وصف دقتها، بل انظر إلى ملايين الأصابع من الموز، نجدها كالبرش، هيئتها العامة واحدة، لكن يختلف كل أصبع عن الآخر في الشكل والحجم ولو قليلاً...

لقد عاقبني أبي في طفولتي كثيراً، وقد نسبت ذلك كله، إلا عقاباً واحداً لم أنسه؛ حيث ألمني وقتها أشد الإيلام، ومن شدة تأثري به ما زلت أذكر تفاصيله اليوم بعد أكثر من ثلاثين عاماً على وقوعه، لقد كانت عادة والذي أن يسألنا في نهاية اليوم عن الصلاة، وفي أحد الأيام انشغلت عنها باللعب.. فإذا فعل؟ لم يضربني ولم يعنفي، وإنما أمر أمي أن تضع لي طعامي وحدي، بعيداً عن بقية أفراد الأسرة، ولمدة يومين... وأذكر أنني - اعتراضاً على قرار أبي - لم أذق طعاماً خلال هذين اليومين، حيث كانت أمي تضع الوجبة وترفعها كما هي دون أن أكل شيئاً، إلا أن ذلك لم يغير من رأي أبي ولم يرق قلبه تجاهي، بل أصر على استكمال العقاب رغم توسلات أمي وإخوتي، والحق أقول إنني لم أنقطع عن يومها عن صلاة واحدة - والحمد لله - إلى اليوم...

لقد كان والدي قوي الشخصية، خبيراً في معالجة (التراعات)، أستاذاً في (التفاوض) لديه القدرة على حل أعقد المشكلات، نشبت (خناقة) كبيرة بين أخوين لي أثناء وجوده بالمنزل، وكان سببها التلفزيون، أحدهما يريد مشاهدة إحدى قنواته والثاني يريد مشاهدة قناة أخرى، تركها حتى انتهت (معرضها) الكلامية، وأمرني بوضع التلفزيون في (كرتونة) ووضعها في الدولاب، ولم يتفوه بكلمة واحدة، وبعد أسبوع كامل من الاعتذارات من جانب شقيقي، وقبل أن يعيد التلفزيون - الذي حُرمتنا منه جميعاً - إلى مكانه، جلس مع الشقيقين (المذنبين) جلسة، لقنها خلالها دروساً في الأدب، والإشارة، والعطف، لكنني أذكر أن شقيقي خرجاً بعد جلستها معه متعانقين ضاحكين.

من الهندسة إلى مصنع الخياطة:

عندما كنت طالبة في كلية الهندسة، كنت أخطط ملابسني بنفسني، فكانت صاحباتي وزميلاتي يعجبين بها وبذوقها العالي، ويطلبن مني أن أخطط لهن مثلها، فكننت أقول لهن:

بعدما نتخرج من الكلية، كنت أحاول - فقط - صرفهن عني بتلك الكلمات، تكرار طليهن كثيرًا وكانت إجابتي واحدة: بعد التخرج من الكلية، ومرت السنوات وتفرجت من الكلية، وفوجئت بصدىقاتي وزميلاتي يأتين إلى البيت لأوفي بوعدني لهن وأخيظ ثيابًا لهن، فقنت: سأفكر في الأمر، وبعدما غادرن البيت سألتني أبي عن سبب زيارتهن، فأخبرته بالخياطة، فقال أبي: وما المشكلة في ذلك فكري في الأمر، وبعد أيام فوجئت بأبي يحضر لي ماكينة خياطة حديثة جدًا، وقال: «هذه هدية تخرجك من الكلية»، وهكذا بدأت رحلتي مع خياطة الملابس النسائية، ومرت الأيام واحترفت تلك المهنة، كانت هدية أبي فتحة عظيمة لي، والآن أمتلك مصنعًا كبيرًا على أحدث مستوى، وينتج أفخم الملابس ويخط أحدث المواضع، فالحمد لله تعالى، والشكر موصول لأبي صاحب هدية التخرج المبدعة.

هذا غفره الله.. وهذا تقبله الله:

وأنا في بداية المرحلة الإعدادية، علمني والدي أن أكتب ما يسمى بالمذكرات اليومية، كانت بشكل بسيط في البداية، وكان والدي يجلس معي دقائق قبل أن أنام، ويستمتع بقراءة ما كتبت، كنا صديقين لذلك كنت أستمتع بقراءته لما كتبت، وكان أبي يوميًا يعلق على تلك المذكرات ويبدى رأيه فيها، وكان يوجهني لتصحيح أخطائي بأسلوب طيب، فكان يكتب تحت المواقف الحسنة التي فعلتها ودونها بقلم أحمر «هذا تقبله الله»، ويكتب عند المواقف التي أخطأت فيها «هذا غفره الله»، لقد جعلني أكتب المذكرات ليصوب أخطائي ويقوي مواطن الخير في قلبي.

أبي الحلاق.. وهداء الصلاة:

كان أبي يعمل حلاقًا، وعندما كنت صغيرًا في المرحلة الابتدائية، كنت أذهب مع أبي إلى المحل بعد الدراسة لأساعده، وكان أبي يحنو علي كثيرًا ولا يعاملني بقسوة وبخاصة أيام الزبائن، وكان من عادات أبي الطيبة أنه كان يحتفظ لي في المحل بهدايا مخصوص أساه

«حذاء الصلاة»، كان لا يخرج من المكان المخصص له إلا عندما يؤذن المؤذن، فأصبح معروفًا عندي وعند كل الناس أن أبي عندما يسمع الأذان سيخرج «حذاء الصلاة» ويعطيني إياه حتى أذهب إلى المسجد وأصلي، وبعد عودتي كنت أرجع حذاء الصلاة إلى مكانه، كان أبي سعيدًا بما يفعل وكنت فخورًا بأنه أبي، لقد استطاع بقلبه الطيب أن يفرس في قلبي: حب الصلاة، والارتباط بالمسجد، وأن يكون هناك ملابس خاصه للصلاة، وأشعري بالفخر بين الناس لأنني ابن الاخلاق الذي يصلي، رحم الله يا أبي، فرغم فترك وعدم التحاقك بالمدرسة؛ فقد علمتني من الخير ما عجز عنه أصحاب الأموال والشهادات.

يا أولادي.. تعالوا نؤمن برينا ساعة:

والذي الله يبارك فيه كان يداوم على أذكار الصباح والمساء، فكان عند الصباح والمساء ينادي علينا جميعًا حتى أمي ينادي عليها، وتكون حينها نتكلم مع بعضنا أو غيرها مما ينشغل به الناس، فينادي علينا قائلًا كلمته الجميلة: «تركوا اللغو.. وتعالوا نؤمن ساعة مع رينا»، كان يقوفا برفق وتبسم دون عنف ولا قسوة، فتعودنا المداومة على الأذكار في حضوره وغيباه، لقد رأيت هذا من والدي في طفولتي وفي صباي وفي شبابي، وهذا ما جعلني محبًا للأذكار مراظبًا على قراءتها.

كيف صنعت أمي مني داعية؟

كانت أمي تدفع بي لدروس العلم في المساجد وتشجيني على حضورها، رغم أنني بنت، وبعدما كنت أرجع من أي درس كانت تسألني عما سمعته وما سأعمل به مما سمعت، وهكذا صرت أحضر دروس العلم وأعود لأتقلها لأمي، وبسبب ذلك أصبحت أحسن الإحصات للعلماء وأستفيد كثيرًا مما أسمع، إن أمي كانت ذكية جدًا، فلم تكن تعطيني المحاضرات في الأخلاق والقيم كما يفعل آباء اليوم، بل كانت تشجيني على حضور دروس العلم لدى علماء أجلاء فثقت لأسمع منهم ما أرادت هي قوله، كنت

عندما أعود وأنقل لها المحاضرات فتسمع مني باحترام شديد، لقد جعلتني أنا من تلقى المحاضرات بدلاً منها، لقد كانت أمي سيّبا لما وصلت إليه الآن كداعية إسلامية، أما أبي فلا أتسى جلوسه بجوارى ودعوته الكثيرة من أجلي، فإما من مرة جلست معه إلا وكان آخر شيء، يفعله هو أن يدعو الله من أجلي، واستمرت تلك العادة الطيبة حتى بعد زواجي وانتقالي إلى بيت زوجي، فقد كان أبي يزورني ويجلس ما شاء ثم يرفع يديه ليُدعو لي، ثم ينصرف، لقد استجاب الله تعالى دعوات أبي ولم يضع سبحانه جهد أمي، اللهم اغفر لهما وارحهما كما ربياني صغيراً.

١/ لبيت السيارة تصدمني.. لأخذ بعضاً من حب أبي:

ذات يوم صدمتني سيارة، ولم أكن أتوقع أن حب أبي وأمي لي بهذه الدرجة، لقد رأيت حينها قلب أب وأم يملؤها حب كبير، لم أسمع منها حينها كلمات العتاب مثل: كان لا بد وأن تنبه للسيارة، لماذا سرت في هذا الطريق؟ لم أسمع كلمات العتاب التي تعودت عليها، كل ما سمعته هي كلمات اللهفة والمحبة: كيف حالك؟ هل أنت بخير؟ الحمد لله على سلامتك، احمدى الله، لقد فوجئت حينها بحبهم الشديد، والحقيقة أنني كنت أتمنى قبلها أن يحدث لي أي شيء كمرض أو حادث، أي شيء حتى أرى حبهما، والحمد لله الذي سلم بي وأراني من حبهما ما أتلج صدري، وأراح قلبي وأزال همي، واليوم وبعد مرور السنين لا أنتظر حتى تصدم سيارة ابني أو ابنتي لأشعرهم بحبي، لقد تعلمت الدرس وحي يغمر أبنائي صباح مساء.

٢/ حديث العشاء.. سطر واحد:

كان والدي - بارك الله في عمره - عندما نجلس لتناول طعام العشاء معاً، كان يطلب من كل واحد منا أن يقول حديثاً للنبي ﷺ، بشرط ألا يزيد الحديث النبوي الشريف سطر واحد، وكنا تتسابق طوال النهار حتى نحفظ حديثاً لنقوله لبابا، وكان ينهي علينا كثيراً، وفي النهاية يقول لنا حديثاً هو الآخر، وكان يعطينا الهدايا والجوائز، ظلت

تلك عادة بيتنا لسنين حتى أحيينا السنة وتعلقت بها قلوبنا، رب ارحم أبي واجعله مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقاً.

هل يمكنك أن تترفق بأمك؟

كنت في مرحلة المراهقة فظلاً غليظاً مع أمي، لدرجة أنني كنت أرفع صوتي عليها وأشيح عنها بوجهي، وربما رددت عليها بكلام قاسٍ، لم أكن أدرك ما أفعل، كنت في غفلة نائمة، وذات يوم فوجئت بورقة موضوعة على وسادة سريري، فتناولتها لأرى ما فيها، فإذا مكتوب فيها: «تمنيك قبل أن توجد، وأحببتك قبل أن تولد، وعشت من أجلك حتى يومنا هذا، فهل يمكنك أن تترفق بأمك»، لقد ظلمت أقرأ الرسالة وأبكي، لقد أتميت أمي كثيراً لأنيت أنني رجل، أو لأنني لا أريد لأحد أن يفرض رأيه علي، كل هذه الأفكار وغيرها جعلتني أظلم أمي، هذه الرسالة أبقتني من غففتي وجعلتني أبدأ مع أمي عهداً جديداً، هو عهد الحب والرفق.

حضن أبي الأخير على محطة القطار:

بعد الثانوية العامة التحقت بكلية في جامعة أسيوط (جنوب مصر)، ولأنني من مدينة الإسكندرية فكان لزاماً علي أن أسكن في أسيوط، واستأجرت مع زملائي سكناً خاصاً بجوار الكلية، وذات يوم جاء أبي من الإسكندرية لزيارتي والاطمئنان على أحوالي، ومكث أبي معي في السكن ساعات ثم توجهت معه إلى محطة القطار ليعود إلى الإسكندرية، وهناك فعل أبي شيئاً لم يفعله معي طوال حياتي، لقد احتضنتي وقبّلني، لأول مرة في حياتي، كانت أول مرة وآخر مرة، فقد كان هذا هو لقاوي الأخير بأبي، فقد توفاه الله بعد عودته إلى الإسكندرية وفي غيابي، لقد ركب في القطار أكثر من عشر ساعات وجاء إلى أسيوط ليودعني وليقول لي - بحضنه الدافئ - أحبك، كم كنت أتمنى لهذا الحظن أن يطول، كم وقفت على محطة القطار وبكيت، اللهم لا تحرم أبناً من حضن أبيه.

لقد ربيناك لتكون مدرساً :

منذ طفولتي كان حلم أمي أن أكون مدرساً أعلم الناس الخير، ومرت السنوات وشاءت إرادة الله تعالى أن ألتحق بكلية التربية، وبعد أن تخرجت من الكلية كنت أنتظر التعيين، وخلال تلك الفترة أريد أن أنزل المحلل الذي تملكه لأعمل مع إخوتي، فاعترضت أمي قائلة: «لن تعمل إلا مدرساً، لم ننفق عليك لتعمل في المحلل، أنت تحمل العلم للناس وهو ميراث الأنبياء، اعمل في أي مدرسة ولو بالمجان، وخذ مني ما شئت من مال»، وخلال عامين قبل مجيء التعيين عملت بنصيحة أمي ودرست هنا وهناك، ولقد أصبحت مهتني من أحب المهين إلى قلبي، ومنذ سنين وأنا أعلم الأطفال الخير، ومازلت أشكر لأمي - رحمها الله - مواقفها وكتباتها التي علمتني معنى أن يكون الإنسان مدرساً، فنعم الأم كانت أمي ونعم التربية كانت تربيتها، لقد كنت أجد سعادي في تقبيل رأسها ووضع خدي على قدمها، وبعد أن فارقت الحياة أجد راحتي عندما أجلس بجوار قبرها، رحمها الله تعالى رحمة واسعة.

هل القسوة على الأبناء مرض وراثي؟

ذات يوم وأنا في الصف الثاني الإعدادي، خرجت ألعب أنا وأخي دون علم أبي، وعندما رجعنا كان عقاب أبي القاسي ينتظرنا، لقد أوقفنا في الشمس معذرين لمدة ساعة، وخلال تلك الساعة شعرت بقسوة أبي، فلو رأنا أحد الغرياء لرحم حالنا، ومرت الأيام والسنوات وهذا الموقف لا يمكنتي نسيانه، ولا أدري هل ساءحت أبي أم لا، كنت أعتقد أن أبي كان قاسياً في تربيتنا، ونويت إن رزقني الله بأولاد ألا أكون مثله... ومرت السنون وتزوجت ورزقني الله بالأبناء، ونسيت ما كان بيني وبين أبي، وذات ليلة كنت أصلي في المسجد وأرى الشباب من حولي في خشوع، كنا في أواخر رمضان وفي ليلة نلتمس فيها لُبلة القدر، ونظرت في الشباب الحضور فلم أجد ابني (ثانية جامعة)، فخرجت باحثاً عنه والحزن عليه يملأ قلبي، فوجدته يتمشى مع أصحابه، فما كان مني إلا أن رفعت يدي

وصفعتها على وجهه، بلا مقدمات ولا تعليقات، نعم صفعته في الطريق بين زملائه، أنا على يقين أنه لن ينساها في رغم محاولاتي لتطبيب خاطره وإصلاح كرامته التي حطمتها تلك الليلة، والسؤال الذي يحيرني من يومها: من أين جاءتنا نحن الآباء تلك القسوة؟ هل وراثتها عن آبائنا؟ أم هي نتيجة لضغوط الحياة؟ أم مرض وراثي يجب علاجه؟ أنا لا أعرف الإجابة، لكن ما أتمناه أن يساعتنا المظلومون من أبنائنا وبناتنا على تلك القسوة اللاأبوية.

✍️ الفرحة في عيون أبي.. جعلتني متفوقًا:

ظهرت نتيجتي في البكالوريوس (بكالوريوس الطب) وأكرمني الله تعالى بتقدير ممتاز، وكنت ساعة ظهور النتيجة خارج البيت ولم أعلم بخبرها، وأبي في البيت قد وصله الخبر قبلي فجلس خارج البيت ينتظري، وعندما رجعت من الخارج لمحت من بعيد أبي - رحمه الله - واقفًا يبكي في الشارع، ولما وصلت عنده ضمني وهو يبكي وأخبرني الخبر، لا أنسى هذا اليوم أبدًا ولا هذه الدموع ولا تلك الفرحة في عيون أبي، والله ما فرحت يومها بكليتي ولا بتبجتي، ولكنني فرحت لأنني أسعدت أبي الذي طالما أسعدني، وأذ الآن على وشك الانتهاء من الدكتوراه، ويعلم الله أن ما دفعني لإكمال دراستي والتفوق فيها هو نظرات أبي السعيدة في ذلك اليوم.

✍️ غسالة أتوماتيك.. وقلب محب:

بعد أن تزوجت وانتقلت لبيت الزوجية، جاءت أمي ذات يوم لزيارتي، فرأيتني أغسل على الغسالة العادية وملابسي مبللة وألجو بارد، فنهضت داخلها عاطفة الأم ورفقت لحالي رغم أنني لم أشكُها من شيء، ومرت سنوات نسيت خلالها موقف أمي، وكنت في حياتي راضية مطمئنة، وفوجئت يومًا بأمي تدخل علي وقد اشترت لي غسالة أتوماتيك، لقد عارضتها بشدة وتبريت من أخذها كثيرًا، لكنها صممت على قبول هديتها وقالت: «إني لم أنس يوم أن زرتك ورأيتك واقفة بجوار الغسالة العادية وملابسل مبللة

والجو بارد، وأول ما سحت لي الفرصة وتوفر المال كان لزأماً علي أن أشتري لك تلك الغسالة، إن أمي لم تنس مشهداً زأني فيه مجهدة وحملته في قلبها سنين إلى أن اشتريت لي تلك الغسالة، فهذا والله هو قلب الأم.

أمي.. ويرميل المشاغبين:

في طفولتنا كثيراً ما أتعبنا أمي برمي الملابس هنا وهناك، وكم صرخت وتوعدت ووبخت وعاقبت وكافأت حتى تضع ملابسنا في مكانها؛ فلم تفلح، ومرت الأيام وظننا أننا انتصرنا في المعركة ورضيت أمي لأمر الواقع، لكنها جمعتنا ذات يوم وعلى وجهها ابتسامة عجيبة، وفي يدها برميل أزرق اللون، ثم قالت: «من اليوم وداعاً للملابس المرمية هنا وهناك، سوف أضع ما أجده مرمياً من ملابسكم في هذا البرميل، أياً كان صاحبه وفي أي مكان أجده، وسأعتبر الملابس مرمية إذا وجدتها خارج مكانها المخصص لذلك»، فنظرنا لبعضنا وابتسمنا وكاننا نريد أن نقول: لن تفلحي أبداً يا أمي، لكن أمي باغتتنا بقولها: «وعلى صاحب الشيء الموضوع في البرميل أن يأخذه خلال أسبوع، وإلا سأرميه في الشارع»، ابتسمنا جميعاً وظننا أن هذا تهديد كالذي مضى ولن يفلح، ومرت الأيام، وكان من يضع منه شيء يبحث عنه في البرميل، وأردنا أن نخبر صدق وعيد أمي، فوضعت جورباً قديماً على الأرض، وبالطبع ذهب في البرميل، وتركته هناك أسبوعاً، وفي اليوم الذي انتهى فيه الأسبوع كنت عائداً من المدرسة فوجدت الجورب «الشراب» في الشارع، هنا تأكدنا من تصميم أمي، وقررنا أن نتغير ونجرب النظافة والنظام، ولقد وجدناها أفضل، ولولا فكرة أمي المبدعة ما فعلنا ذلك.

أمي.. لقد أنجبت رجلاً:

ذات مرة شتمتني أمي بكلمة غير لائقة، فقال لها أمي: «لا، ابني ليس (هكذا)، أنا ابني رجب»، لا تدري ماذا فعلت كليته في قلبي، لقد قررت من يومها أن أصبح رجلاً حتى لا أخيب ظن أمي، وكان أمي - رحمه الله - عاملاً بسيطاً، يذهب إلى عمله صباحاً سيراً على الأقدام، وفي أيام الشتاء يمشي في البرد والطين، وأحياناً كان يقع على الأرض

وتسبح ملايسه، وعندما يعود إلى البيت لا بد وأن يرتدي ملايسه المتسخة من الطين ويقول: «أنا لا أريد لكم أن تتعبوا هكذا مثلي، أريدكم أن تتفوقوا وتعلموا، أريدكم أن تذهبوا لأعمالكم وأنتم تركبون سياراتكم»، كانت كلماته تلهب عزمنا وتشجعنا على التفوق الدائم، ومرت السنوات، ورحل أبي عن الدنيا، لكن كلماته بقيت حية في ذاكرتي، واليوم أنا أذهب إلى عملي راجباً سيارتي، وكل صباح أذكر أبي، لكنني أذكره أكثر عندما أمر على المصنع الذي كان يعمل فيه، رحمك الله يا أبي فقد أكرمك الله بأن أنجبت رجلاً.

لن أترك بيتك يا أبي:

في شقة متواضعة في بيت الوالد، أكرمني الله بالزواج فيها، وأنجبت أطفالي في رحابها، عشنا فيها أياماً جميلة في صحبة الوالد والوالدة، وذات يوم جاءني عمل أفضل في محافظة أخرى، فقررنا الانتقال للسكن هناك، ورتبنا كل شيء وحانت ساعة الرحيل، وازلنا لنسلم على أبي، ولأول مرة في حياتي أرى دموع أبي، أول مرة أراه يبكي، إنه يبكي لفراقنا وأنا وأبناي، عندها أيقنت بحبه الشديد لنا، وعندها قررت ألا تسافر، قلت له: ما دمت نحنا هكذا فلن نتركك أبداً، وهلل أبي بالأطفال، وفرحت زوجتي وأولادتي، لقد قررنا جميعاً ألا نترك الأهل ونمضي بعيداً، إذ كيف نترك من نادلهم الحب إلى حيث لن نجد مثلهم؟ وكيف أترك أبي حزيناً من بعدي؟ ومرت الأيام وتحسنت حالتي المادية جداً بسبب بري بأبي، بل إنني بنيت بيتاً جديداً بجواره لكنني لم أترك الحياة معه.

اليوم هم أبناؤك.. وغداً يصبحون إخوتك:

أمي الحبيبة تدعو لي دوماً بالحخير، وأراها بجوارتي في كل أزمة، وعندما رزقتني الله توأمين بعد ولدين، أصابني حالة من العصبية والانزعاج الشديد، فكانت سبباً في طمأنة قلب واستقرار نفسي، وعندما يتعني أولادي تقول لي: «اصبري، هم اليوم أبناؤك، وغداً سيكبرون ويصبرون إخوتك، هم من سيساعدونك ويقفون بجوارك، وبصبرك عليهم اليوم سيصبرون عليك غداً، هكذا فعلت معك أنت وإخوتك»، كم كانت تلك الكلمات سبباً في صبري وتحملي، وأنا اليوم أربي أبنائي حتى أراهم غداً إخوتي، حسب كلام أمي.

هذه الوقت مخصص لابني:

أبي تاجر كبير، يسافر كثيرًا هنا وهناك، ذات يوم قلت له: بابا، أليس لي حق في الجلوس معك، فقال: أنت تعلم كم أنا مشغول، لكنني أعنيك بأن أصحبك معي في رحلة عمل لي إلى مدينة أسوان في إجازة منتصف العام، كنت حينها في الصف الثاني الثانوي، وكان أبي ذاهبًا إلى هناك لشراء كميات كبيرة من الثمر وغيرها من المنتجات التي تشتهر به أسوان، وبدأت رحلتنا من محطة القطار بالقاهرة، ووصلنا أسوان مساء ونزلنا في فندق جبل، وفي صباح اليوم التالي تجهز أبي للخروج للعمل ولعقد الصفقات، فقلت له: هل ستركني هنا في الفندق وحدي، فقال: عندي عمل بسيط أنجزه وسأعود إن شاء الله بعد صلاة الظهر لنبدأ رحلتنا معًا، فقط المطلوب منك أخذ نشرة من الفندق للمزارات ورتب لنا رحلة كما تحب، وكان أبي صادقًا إذ عاد بعد الظهر مباشرة، وكنت قد جهزت البرنامج لرحلتنا، فتناولنا الغداء ونزلنا لنبدأ المرح، وفي استقبال الفندق نادى رجل أعرفه على أبي، إنه مساعد أبي الذي يرتب له المواعيد، سمعته يقول لأبي: لقد اتفقت لك مع واحد من أكبر تجار أسوان ويمكنه استقبالك بعد ساعة، هنا كاد قلبي يسقط، لقد خفت أن يفعلها أبي ويقبل، لكنه نظر نحوي وقال لمساعدته: «اعتذر له، فهذا الوقت مخصص لابني»، لقد فاجأتني كلمات أبي، كم أنا سعيد بك يا أبي لأنك فضلتني على عملك، كم أحترمك، كم أحبك، لن أنساها لك أبدًا.

بعد عشرين سنة عرفت أنه يحبني:

كان أبي يعاملني دومًا بقسوة، مما جعلني أظن أنه لا يحبني، وكبر هذا الشعور معي يومًا بعد يوم حتى تأكدت منه تمامًا، ولما دخلت الجيش بعد انتهائي من الدراسة الجامعية، رجعت في أول إجازة لي وكانت لحظات لا تنسى، عندما دخلت البيت - بعد غياب دام شهرًا ونصفًا - وقع بصري على حجرة أبي، وما كاد أبي يسمع صوتي ويراني حتى قام نحوي مسرعًا وسلم علي وقبلني، كانت هذه أول مرة يفعل ذلك معي، وكانت أول مرة أشعر فيها أن والدي يحبني، لقد كنت طوال عشرين سنة مشتاقًا للمسة محبة من أبي،

وكنت على استعداد تام لأن أغفر له بخله العاطفي معي، وفي هذا اليوم ساعته.

وصدق القاضي عياض عندما قال:

إن البخيل بلحظه أو لفظه أو عطفه أو رفقه لبخيل

كيف أخذ أبي دماً غير دمي؟

أصبحت وأنا صغير بمرض أنيميا الفول، وكنت كلما احتجت إلى نقل دم كان أبي يعطيني من دمه، كان يفعل ذلك بحب وحنان، وكله أمل في شفاء ابنه الحبيب، لقد تعب أبي معي كثيراً حتى تعافيت بفضل الله، ومرت السنوات وتزوجت وأنجبت، وصار أبي رجلاً كبير السن يحتاج إلى رعاية وحنان، فحاولت أن أرد شيئاً من صنيعه معي، فكنت أخدمه وأرعاه، وذات يوم أصيب أبي بأحد الأمراض التي تطلبت سرعة نقل الدم له، كنت ساعتها مشغولاً جداً في عملي، وتأخرت على أبي، فنقله إخوتي للمستشفى ونقلوا له دمًا من غيري، ولما ذهب إليه وعرفت ما حدث، عاتب نفسي كثيراً، وقلت لأبي معتذراً: ساعني يا أبي أنا أسف، فقال لي: «يا بني.. أنا أب.. إني أساعك»، كم طمأننتي كلماته وذبحنتني في الوقت نفسه، هل هذا أب يستحق الخذلان من ابن تعب معه كثيراً؟ الحمد لله الذي رزقني باب سامح، وأسأل الله أن يساعني على تقصيري مع أبي فيما مضى، ويعينني على بره فيما بقي.

والله ما نسيتها لك يا أبي:

وأنا صغيرة - منذ أكثر من عشرين سنة - كنت في الصف الرابع الابتدائي؛ وطلبت منا مدرسة العلوم من كل طالبة أن تزرع شيئاً في البيت وتحضره بعد فترة من الزمن، وذات يوم طلبت المعلمة منا أن نحضر ما زرعناه غداً، وعدت وأخبرت بذلك أمي، وفي اليوم التالي ذهبت إلى المدرسة ونسيت أن أخذ البصلة التي زرعتها، كانت حصص العلوم بعد الفسحة مباشرة، وتذكرت فجأة أنني لم أحضر التربة التي زرعتها، فجلست خلال الفسحة مهمومة حزينة لا أدري ماذا أفعل؟ وفجأة وعلى باب المدرسة المغلق وجدت من

يصعد فوقه وينادي علي، إنه أبي صعد على السور حتى يعطيني نبتة البصل التي نسيتها، فعل ذلك لأنه قد خاف أن تعاقبني المدرسة على نسيانها، وكم فرحت لأنني نجوت من بطش المعلمة، ويومها نبتت في قلبي زهرة حب لأبي، لم تجف يوماً لأنه رويها يوماً بعطفه وحنانه.

بيت أبي.. واحة لذوي الأرحام:

علمنا أبي صلة الأرحام بالعمل لا بالكلام، وفي حياتي لم أر رجلاً يحمل الخير لأقاربه مثل أبي، فقد استضاف حماته (جدتي لأمي) في بيتنا ١٧ سنة، هذا لأن زوجها ضاق بها لكبر سنها وطردها من بيتها، فاستضافها أبي عندنا معززة مكرمة حتى ماتت، وأمّه (جدتي لأبي) مكثت في بيتنا ٧ سنوات في آخر عمرها وكان أبي هو من يخدمها، حتى أخته (عمتي الكبرى) لما أصيبت بمرض أقعدها وشل حركتها؛ تكفل هو بها وأقامت عندنا ٥ سنوات، وأذكر ما قاله يوم أن أحضر عمتي للعيش عندنا، قال: «لا أحد معها يخدمها، وهي أختي ولحمي ودمي وأنا أولى بها»، كل من استضافه أبي ليعيش معنا كان في آخر عمره، وفارق الحياة في بيتنا، كان أبي هو من يتكفل بهم وينظفهم ويطعمهم، قد نظن أنه فعل ذلك لأنه كان من الأثرياء، على العكس تماماً إذ لم يكن يملك سوى سبعة فرائط من الأرض الزراعية، وكان يستأجر أرضاً من عمي مساحتها كبيرة، وذات يوم طلب عمي استرداد أرضه التي يستأجرها أبي حتى يبيعها، وكان أيامها المستأجر لا يخرج من الأرض أبداً حسب قانون الإيجار الدائم القديم، وإذا أراد صاحب الأرض إخراجه يأخذ نصف الأرض بلا ثمن، فشاورني أبي يومها وقال: ما رأيك؟ فقلت: الرأي رأيك يا أبي، فقال: «بعها بأعلى ثمن، وأعط المالك كله لعمك؛ فلا تريد حراماً في بيتنا»، ومرت السنوات، ورحل جميع ضيوف بيتنا من ذوي الأرحام إلى الآخرة، وبعدهم بسنين مات أبي واقفاً على قدميه، وأمي اليوم تسكن معي وقد كبر سنها، وأخدمها وأنا سعيد لأنني أمشي على خطوات أبي.

ويبقى مع أبي جنيته واحد:

منذ أكثر من عشرين سنة، كنت طالبًا بالفرقة الثانية بالجامعة، ولأن الكلية تبعد كثيرًا عن قريتنا، فقد كنت أسكن بإحدى الشقق في فترة الدراسة، وكنت أعود إلى بيتنا مرة كل يوم خميس، وذات مرة مكثت بالسكن أسبوعين متواصلين لم أعد خلالها للبلد، ولم يكون هناك يومها أي وسيلة اتصال، فذهب والذي إلى أحد زملائي وسأله عن صحتي وحالي بإلحاح، واستفسر عن سبب بقائي بالسكن أسبوعين؛ هذا لأنهم تعودوا أن أعود للمنزل نهاية كل أسبوع، وكان مع والذي حينها عشرة جنيتهات، فأعطى زميلي تسعة جنيتهات كي يوصلها لي، وأبقى له جنيته واحدًا لا يملك غيره، هذا ما رأيته زميلي ونقله لي، وأكده أبي بعد ذلك، وكم كان هذا الموقف سيئًا في اجتهادي حتى لا أضيع تعب أبي، إذ كيف ألعب وأبي الذي أحبه يضحى من أجلي.

يا بني.. لا تذهب حزينا:

كنت طالبًا في الجامعة، وفي يوم من الأيام أعطاني والذي مصاريف الأسبوع، فشعرت أنها قليلة وأخذتها وانصرفت وأنا متضايق وحزين، لقد ظننت ساعتها أن أبي يبخل عليّ بهاله ولا يقدر تكاليف الدراسة، وخرجت من البيت بانسًا ومشيت في الطريق نحو محطة القطار، وبعد مسافة من البيت - حوالي كيلومتر - سمعت والذي ينادي عليّ وهو يجري خلفي، فوقفمت منتظرًا ما يريد أبي، ولما وصل أبي عندي، ضمنني نحو صدره وقال لي:

«لا تحزن، والله لا أملك غير المال الذي أعطيتك لك، ولو كان معي غيره ما بخلت به عليك، أرجوك لا تسافر وأنت حزين»، وتركتني وانصرف والدمع في عينيه، لكنني ما نفذت وصيته، لقد ذهبت إلى الجامعة حزينا مما فعلته بأبي، إذ كيف لا أشعر بهذا الرجل الطيب، فهذا الموقف لا أنساه أبدًا وأسأل الله أن يجازي أبي خيرًا، وأن يساعني.

أبي... هل تريد أن تجبطني؟

أكثر يوم أحببني فيه أبي وأشعرني أنني لا شيء، هو أكثر يوم وضع قدمي فيه على الطريق الصحيح، وصوب مسار حياتي كلها، سأحكي لكم كيف ذلك...

بعد أن تخرجت من كلية التربية الرياضية، قررت أن أفتتح شركة لتسويق الأجهزة الرياضية، وكانت آمالي وطموحاتي عالية جدًّا، وبعد سنة من الكفاح والتعب، لمحت في الأفق صفقة تجارية سأربح منها كثيرًا، لم أتأمل لحظة في إتمامها، كنت سأربح من ورائها ما يمكنني من شراء سيارة متواضعة، وبسرعة البرق تمت الصفقة ودفعت المال (٦٠٠٠٠ جنيه)، واكتشفت الكارثة لقد نصب علينا وضاعت أموالنا، نعثر بعدها قليلًا، لكنني ما لبثت أن وفقت على قدمي ثانية، كنت طموحًا عجولًا لا أكاد أنام، وفجأة زارني أبي في مقر الشركة، وجلس يتحدث معي، وتوجه نحو سبورة كنا نستخدمها في عرض المشاريع، وأمسك بالقلم ورسم مربعًا يعرض السبورة كلها، وقال: «هذا هو عالم التجارة في مجالك، ثم رسم دائرة صغيرة في أقصى الشمال وقال: هذا هو أنت، قل لي من أنت؟ أخرج ورقة وقلِّبًا وقل لي: اسمك، مكان شركتك، حجم رأس مالك، حجم الشركاء، حجم تجارتك، صافي أرباحك، أخرج ما معك من نقود وعددها... وغيرها»، فعلت كما أراد لكنني كنت في قمة الغيظ والإحباط، كنت أتمنى أن تنتهي الجلسة فوزًا، ما الذي يريد مني هذا الرجل يكفيني ما أنا فيه، وبإصرار منه كتبت ما أراد، وهكذا جعلني أكتشف حجم تجارتي الحقيقية، وأني قد أفلست في أي لحظة بل ربما لا أجد ثمن إيجار المكان، مما زاد من إحباطي، وفجأة أمسك أبي بالقلم ورسم دائرة في أقصى اليمين وقال: «هذا أنت بعد سنين، ما هي أهدافك وأحلامك اكتبها»، وبعدها رسم بين الدائرتين سهمًا يصل بينهما، وقسم السهم إلى ثلاثة أقسام، في الأول (بجوار دائرة من أنت) كتب «مرحلة البقاء»، وفي الوسط كتب «مرحلة التعايش»، وفي الثالث الأخير كتب «مرحلة الانطلاق»، ثم قال: «أنت الآن في مرحلة البقاء، تصارع من أجل البقاء، فعش في هذه المرحلة جيدًا وركز في البقاء وعدم الخسارة، وبعد أن تحقق النجاح في البقاء ستنتقل إلى مرحلة التعايش، وفيها ستبدأ تأخذ مكانتك في السوق وتربح وتستقر، وفي النهاية ستصل إلى

مرحلة الانطلاق، وفيها مستطلق في السوق تحقق الأرباح وتفتح الفروع، لكن احذر أن تكون في مرحلة البقاء وتنصرف كأنك في مرحلة الانطلاق، وانتهت الجلسة بسلام، لكن أثرها في حياتي لم ينته، فقد سرت على خطي تلك الفكرة الإدارية التجارية المبدعة، وبدأت أناضل من أجل البقاء، ورويداً ورويداً انتقلت لمرحلة التعايش، والآن أعيش بفضل الله في مرحلة الانطلاق، فقد سافرت لأكثر من دولة لاستورد الأجهزة، وافتتحت فروعاً في أكثر من مكان، ولقد كان أبي يتابعني في كل مرحلة وتجبرني أين أنا، حدث هذا خلال سنين، ملأتها بالصبر والجهد والتركيز والثقة والتخطيط، وكان توفيق الله حليناً، ولم لا وقد سرت على خطي أبي المحبطة جداً في بدايتها، المشرقة جداً في نهايتها، وصدق من قال: من كانت له بداية محرقة، كانت له نهاية مشرقة.

أمي.. والنقود المعطرة

كانت أمي وأنا صغيرة تبعثني بصدقة شهرية ثابتة لإحدى جاراتنا الفقيرات، كانت أمي عندما تستلم راتبها الشهري، تعطيني مبلغاً من المال وتعطره بالعطر وتقول لي: اذهبي به لخالتك فلانة بارك الله فيك، هل تعلمين لم عطرته؟ إنه يقع في يد الله أولاً قبل أن يقع في يد الفقراء، فلتنك رائحته طيبة، فعممتني حسن الجود وذوق الكرم.

غسل الصحون.. وأمي الحنون:

كنت في صفري وفترة المراهقة لا أتعل بالصبر، وخاصة في بيتنا مع أمي، فعندما كنت أعود من الخارج كنت أطالب بسرعة إحضار الطعام، وإذا تأخرت أمي لا تسلم من لساني، وكانت أمي تعذرنني أحياناً بأن غسل الصحون هو الذي أخرها فلا أعبأ بكلامها وأستهزئ بتلك المهمة السهلة، وهل غسل الصحون يؤخر الطعام هكذا؟ وذات يوم التحقت بالكشافة، وخرجت معهم معسكرًا ثلاثة أيام، وهناك كان الطعام بمواعيد صارمة وبكميات محددة، فاضطرت لأخذ ساندويتش من وراء العاملين في المطبخ، ووصل الخبر لقيادة المعسكر، وبعد بحث وتقصص وصلوا للجناتي وهو أنا، وحكموا عليّ بغسل أطباق جميع من في المعسكر بعد وجبتي الغداء والعشاء، وكان لزاماً علي أن أنفذ

تلك العقوبة، تخيل منظري بين تلك الأطباق وأنا أغسلها جميعًا، وأكثر من ٣٠٠ طبق، كم من الوقت يلزمك لغسلها «باتقان»؟ كم أرفقتني تلك المهمة، لكنني بسببها عدت لبيت شخصًا آخر، عدت ولم أخبر أحدًا بما حدث معي، عدت مدرّكًا لمعنى كلمة أمي «تأخر الطعام بسبب غسل الصحون»، ومن يومها إذا طلبت طعامًا، وقالت أمي: سأغسل الصحون، فأرد بأدب قائلًا: خذني راحتك، ثم أقول في نفسي: «لقد جربت غسل الصحون».

الصلاة تريح قلبي يا بني:

في كل ليلة بعدما يتام جميع من في بيتنا، كنت أرى أمي تقوم الليل تصلي وتقرأ في المصحف وتدعو لي، فكنت أستيقظ وأقول لها: ألا ترناحين يا أمي؟ فكانت تقول: «الصلاة تريح قلبي يا بني»، فكنت كلما ضاق صدري وزاد همي؛ توضأت وصليت حتى أجزب ما تقوله أمي، وكنت لا أقوم من سجودي إلا وقد زالت همومي، ولماذا لا تزول وقد شكوتها لله تعال وجعلت اعتيادي عليه سبحانه.

معنى الرجولة... تعلمته من أمي:

كنت طفلًا يتيماً، توفي أبي وتكفلت أمي بتربيته، لا أنسى لأمي موقفها عندما انتصرت لي من رجل ضربني على وجهي في الشارع ظمًا، وظلت - رحمها الله - تلاحقه يوماً وراءه يوم حتى اعتذر لي، وأصرت على أن يعتذر أمام الأشخاص أنفسهم الذين رأوه وهو يضربني، وذلك حتى تربيتني على معنى الرجولة، وحينها عرفت أن القوي هو من كان الحق معه، وأن الحق الذي وراءه مطالب لا يضيع أبدًا.

هل الدعاء وحده يحرك الكرة؟

عندما التحقت بالمدرسة الابتدائية، بدأت رحلتي مع المذاكرة والتعب، كنت أجتهد قدر استطاعتي وكانت درجاتي غير دليل على ذلك، وذات يوم حضرت صلاة الجمعة مع

أبي، وكان موضوع الخطبة عن الدعاء، وكيف أن الله تعالى يستجيب لمن دعاه، فعدت وقد قررت أن أجرب، لم أخبر أحدًا بها سأفعله، وبدأت أهمل مذاكرتي وأزيد في دعاء ربي، ليس الله بقادر؟ إذاً سأنجح وهو سبحانه سيتقبل دعائي، مرت أسابيع على هذا الحال، وأنا مقتنع تمامًا بما أفعل، وفجأة جاءت درجاتي نحية لكل آمالي، فعاتبني أبي وقال: ماذا حدث لك لقد كنت جيدًا؟ فقلت له: شيخ المسجد هو السبب، فقال أبي مستغربًا: وكيف ذلك؟ هل قال لك لا تذاكر؟ فقلت: أخبرنا في خطبة الجمعة أن الله يستجيب دعاء من دعاه، ولقد دعوت الله أن يوفقي وهذا لم يحدث، فقال أبي: وهل اكتفيت بالدعاء وتركت المذاكرة؟ قلت: نعم ليس الله قادر على أن يجعلني أنجح وأنفوق بلا مذاكرة؟ فابنم أبي وسكت قليلاً، ثم قال: قم فأحضر الكرة، فقلت مستغربًا: هل سئلب الآن؟ فابنم وقال: فقط أحضر الكرة، وذهبت وأحضرتها، فقال: ضعها هنا على الأرض، فوضعتها، فقال أبي: هيا بنا ندعو الله تعالى أن يحرك الكرة، ورفعنا أيدينا لندعو الله: اللهم حرك الكرة، اللهم عليك بهذه الكرة، يا رب حرك لنا هذه الكرة... وبعد دعاء طويل لم تتحرك الكرة، هنا سألتني أبي: هل ستتحرك الكرة بمفردها؟ فقلت: لا، فقال: إذا لا بد من يد أو رجل تحركها، وندعو حينها قائلين: اللهم ساعدنا في لعب الكرة جيدًا، هذا بالضبط ما حدث معك، أهملت العمل وظللت ندعو، إن الله قوانين في هذه الدنيا تسمى سننًا، ومن تلك السنن أن الدعاء ينفع مع العمل، وهذا يسمى توكلاً على الله، وهناك دعاء بلا عمل وهذا يسمى توكلاً، ونتيجته الخسارة، فعون الله لمن يعمل مضمون، يمكنك أن تدعو قبل وأثناء وبعد العمل، فالعمل يحتاج إلى دعاء والدعاء يحتاج إلى عمل... ومن يومها بدأت أعمل وأدعو الله تعالى، فأصبح التوفيق بفضل الله حليفي.

لماذا لا أهاب التواجد بين الرجال؟

عندما كنت في الصف الثاني الإعدادي، طلب مني والدي أن أذهب معه للعراف في أحد المتوفين من حيننا، فقلت له: كيف ذلك وأنا ما زلت صغيراً؟ فقال: بل أنت رجل، وقد كان، وذهبت معه للعراف، وبعدها بأيام، أخذني معه لحضور فرح وقمت معه بهتة

العريس، وتوالت المناسبات واستمتعت كثيرًا بصحبة أبي، وكان أكثر ما يعجبني حينها طريقة تقديمه لي، فقد كان يقول للناس: «هذا ابني، وهو رجل»، ومن بعدها أصبح أبي يعتمد عليّ في المشاركة في المناسبات الاجتماعية، وشيئًا فشيئًا أصبح يرسلني وحدي، وهكذا أصبحت من صغري لا أهاب التواجد بين الرجال.

لماذا يفتش أبي في محفظتي؟

كان أبي دائمًا ما يدخل حجرتي ويفتش في محفظتي، ليس بحثًا عمّا أخفيه من أسرار، ولكن اطمئنًا على حالتي المادية، فإن وجد المحفظة فارغة؛ يترك فيها نقودًا ويخرج، مع أنه كان عاملًا بسيطًا في مصنع للطوب.

سبورة أبي خلف الباب:

كان أبي - رحمه الله - يعمل مدرسًا، وكانت المدرسة التي يعمل بها بعيدة جدًا عن بيتنا، ولم تكن له وسيلة للمواصلات سوى الدراجة، لذلك فكان يمشي من بيتنا بعد الفجر قبل أن نستيقظ، وبهذه الطريقة كان لا يفطر معنا أبدًا، وكم آله وألنا ذلك، فمن أسوأ الأمور لأطفال مثلنا أن يبدؤوا يومهم بدون لمسة حانية من أبيهم تضيء على يومهم الأيمن والطمأنينة، ولأن كان أبي يتألم مما نتألم منه ويفتقد الفطور معنا كما نفتقده؛ فيا كان منه إلا أن وضع سبورة خلف باب البيت، وكان كل صباح يكتب لنا فيها رسالة قبل أن يذهب لعمله، فكانت أول رسالة يكتبها: «صباح الخير يا أطفال الحلوين، كم كنت أتمنى أن أكون أول وجه ترونه عند استيقاظكم، كم كنت أتمنى أن أفطر معكم، لكنني رحلت للعمل مبكرًا من أجلكم، لا تنسوا الدعاء لي، مع حيي وقبلاقي»، ومع مرور الأيام توالى الرسائل، وتنوع محتواها بين الحب والتكليف بعمل شيء ما أو إعطاء أمر وربيا العتاب، وكنا بدورنا أحيانًا نكتب له ردًا على ما كتب، وهكذا لسنتين كان أول شيء تقع عليه عينونا عند الصباح سبورة أبي، وأول شيء يتفقده بعد عودته من المنزل هو السبورة، ومرت السنوات، وانتقل أبي إلى مدرسة قريبة، وبدأت رحلتنا مع الحوار المباشر، وكم

كان سهلاً علينا الانتقال من الحوار عبر «السبورة» إلى الحوار عبر الوجوه، فقد كنا في شوق له.

أصدقاء السوء لن يبعدهم السوء:

كنت في الثانوية العامة، وذات يوم كنت أمشي في الشارع مع أصدقاء سوء، وفجأة وجدت أبي أمامي وجها لوجه، فسلم على الشباب وناداني من بينهم برفق، وأخذني على جنب ووضع يده على كتفي وقال: «يا بني، لا تمشي مع هؤلاء فأنت ولد جيد، وأنا لم أفل لك هذا الكلام أمامهم حتى لا أخرجك»، فعل ذلك برفق وبدون أن يهينني، ومن بعدها لم أمشي معهم وبدأت أهتم بمذاكرتي وبدروسي، ولو كان أبي أهانني بينهم، لا أعلم كيف ستكون ردة فعلي ساعتها؟ لو عاملني أبي ساعتها بسوء أظنني لم أكن لأبتعد عن أصدقاء السوء.

وفي النهاية عدت إلى البيت:

رست مرة في إحدى سنوات دراستي، فتركت المنزل خوفاً من بطش والدي، فخرج أبي وأمي للبحث عني ودموعها تنهمر، لم ينجحاً طوال النهار في الوصول إلي، وم أنجح أنا طوال النهار في وجود مكان أبيت فيه، فاضطرت في النهاية أن أعود إلى البيت مع حلول الظلام، عدت وأنا واثق من بطش أبي، وما إن اقتربت من البيت حتى رأيت أبي جالساً هناك ينتظر، وما إن رأني حتى جرى نحوي واستقبلني بحضن كبير وضمني إلى صدره قائلاً: «قدر الله وما شاء فعل»، وأعدت أمي لي طعاماً جيداً، ونمت بخير حال، وكانت هذه السنة بداية انطلاقي وتفوقي.

أبي يمك بصفارة الحكم:

في طفولتي كان الآباء يمنعون أطفالهم من اللعب أيام الدراسة حتى يتفوقوا، إلا أباً واحداً هو أبي، فلم يكن يمنعني من اللعب، بل كان هو من يحكم (يقوم بدور الحكم)

مباراة كرة القدم التي أقيمتها أنا وأصدقائي، وبإسعاد من كان الحكم أبوه، والعجيب أن هذا جعلني أذكر وأجتهد وأكون الأول - بفضل الله - على جميع زملائي المحرومين من اللعب، وصدق من قال: من أحسن فن الراحة، أحسن فن العمل.

اختبارات أمي للعريس:

كان إذا تقدم أحد الشباب لخطبة واحدة من بنات العائلة، كان أبي وإخوتي يسألون عنه الأقارب والجيران، أما والدي فكان لها دور عملي جميل، فكانت تختبر «العريس» عملياً عندما يأتي لبيتنا، فمثلاً: تحدد موعد زيارته لنا قبيل المغرب ساعة تقريباً، لترى ما سيفعله العريس عندما يؤذن للمغرب، فإذا استأذن للصلاة انتقل إلى الاختبار العملي الثاني، وهكذا يمر العريس - دون أن يشعر - بعدة اختبارات عملية بسيطة، فإن نجح فيها وافقت أمي على الزواج ورحبت به، وفي كثير من الأحيان كان رأي أمي فيه الكثير من الحكمة والبركة.

أبي... ورحلة النجاح إلى الأقصر:

كنت في الصف الثالث الإعدادي وكنت طالبة مجتهدة، وكان والدي موجهاً للغة الفرنسية بالمعاش، ووعدي إن حصلت على الدرجة النهائية في اللغة الفرنسية فإنه سوف يأخذني مع أمي في رحلة إلى مدينة الأقصر، حيث ثلث آثار العالم تقريباً، وبفضل الله حصلت على الدرجة النهائية، ووفى أبي بوعدته وبدأت رحلتنا، كانت رحلة جميلة بالقطار، وكلها مررنا على بلد كلمني أبي عنها وعن ذكرياته فيها، وفي الطريق هدأت سرعة القطار، فنادى علي أبي وأخذني حيث باب القطار، وهناك قال: هذه هي «كوم أمبو»، وهي كما تشاهدین مشهورة بمساحات قصب السكر الواسعة، ها هي أمامك، سأحكى لك قصة، منذ أكثر من ٤٠ عامًا، خرجت في رحلة لأوائل كليات جامعة القاهرة إلى مدينة الأقصر، وفي هذا المكان نفسه هدأت سرعة القطار يومها، فنزل زملائي من القطار قائلين: «قصب.. قصب»، نزل الكثيرون وأخذوا من الأرض قصبًا، ولحقت بهم متأخرًا،

فأخذوا ما أرادوا وعادوا إلى القطار قبلي، ولحق بي صاحب القصب وجري خلفي وهو يجعل عصا غليظة ويشتمني، ولحقت بالقطار بصعوبة وهريت من الرجل حاملاً عوداً من القصب، عدت مبسماً واستمتعت بأكل ما أحضرت، لكنني اليوم أسأل نفسي: هل ساعني هذا الرجل أم لا؟ والله لو أعرفه لذهبت إليه حتى يساعني، ودعمت عينا أبي... دامت رحلتي مع أبي أسبوعاً، كان ممتعاً ورائعاً وجيلاً، لكن أكثر شيء لا أنساه لأبي في تلك الرحلة، هي قصته مع عود القصب، وندمه على ما فعل، وبحثه عن السياح من صاحب القصب.

ابصق على قبري لو نجحت:



كان أبي كثيراً ما يتعمني بالفشل هذا لأني بطيء الحفظ، وكان المدرسون - ساعهم الله - يريدون حفظ كل شيء، كانت طريقتهم في الامتحانات تختبر الحفظ في الأساس مع قليل في الفهم، وكنت طبعاً أجيب عن السؤال الذي أفهمه وما يتطلب حفظاً أتركه، وبالطبع كانت درجاتي سيئة، وسمعت أحد المدرسين يوماً يقول لأبي: «ابنك غبي»، ومن يومها كلما رأي أبي قال: «أنت غبي»، ومن يومها كان شعاره معي: «جاء الغبي... راح الغبي»، لدرجة جعلتني أقف أمام المرأة وأسأل نفسي: هل أنا حقاً غبي مثلما يقول الجميع؟ وبعد حوار طويل مع نفسي؛ قررت أن أثبت للجميع أنني لست غيباً، ونجرت ذات يوم وقلت لأبي: إني لست غيباً كما تظنون وسأثبت لكم، فما كان من أبي إلا أن فرح بي وقال: هذا ما أتمناه، وفي اليوم التالي قلت الكلام نفسه لأحد المدرسين، فما كان منه إلا أن سخر مني وقال: «ستعيش غيباً، وانتقل (ابصق) على قبري لو أفلحت»، كم أملتني كلماته لكنها زادتني إصراراً، وأخبرت أبي بما قاله المدرس فقال: «يا بني لقد أتجبت رجلاً هو أنت، وأنت لن تجعل أباك يبدو صغيراً أمام أحد»، ومرت السنون سريعة، ولم أفلح كثيراً في الدراسة، لكنني أفلحت في التجارة وصرت رجلاً ذا شأن بين الناس، وذات يوم سمعت من صديق لي أن أحد المدرسين الذين درسوا لنا ونحن صغار قد مات، ولما أخبرني باسمه عرفته على الفور، إنه ذلك المدرس الذي قال لي: «ابصق على قبري لو أفلحت»، فقلت لصديقي: زيارة قبر أستاذنا واجبة، وذهبتا للمقابر، وهناك خاطبت

أستاذي وقلت له: أتذكر يوم أن قلت لي كذا، ها أنا ذا بفضل الله يتمنى الجميع أن يكونوا مثلي، ولقد ساعمتك، وأرجو ألا تكون كلماتك القاسية قد حطمت أحداً غيري.

رسالة أمي الأخيرة.. على التلاجة:

في فترة المراهقة كنت أبتعد كثيراً عن البيت وأتأخر في العودة، وكان ذلك يغضب أمي كثيراً؛ لأنني لا أكل في البيت، ولأنني كنت أقضي معظم النهار نائماً ولا أعود ليلاً إلا متأخراً بعدما تنام أمي، فما كان منها إلا أن بدأت تترك لي قبل أن تنام رسالة على باب التلاجة، وهي عبارة عن إرشادات لمكان الطعام ونوعه وكيفية تجهيزه، وبمرور الأيام تطورت الرسالة فأصبحت طلبات لوضع الملابس المتسخة في الغسيل وتذكير بالمواعيد المهمة، وهكذا مرت فترة طويلة من مراقبتي على هذا الحال، وذات ليلة، عدت إلى البيت، فوجدت الرسالة المعتادة على التلاجة، فتكاسلت عن قراءتها، وخلدت للنوم، وفي الصباح فوجت بأبي يوقظني والدموع في عينيه، لقد ماتت أمي، كم ألمني الخبر وتماسكت حتى دفناها وتقبلنا العزاء، وفي المساء عدت للبيت وفي صدري بقايا قلب من كثرة الأحزان، وتمددت على سريري، وفجأة قمت منتفضاً، لقد تذكرت رسالة أمي التي على التلاجة، فأسرعت نحو المطبخ، وخطفت الورقة، وقرأتها، فأصابني حزن شديد، هذه المرة لم يكن بالرسالة أوامر ولا تعليمات ولا نصائح، فقط كان مكتوباً فيها: «ابني الحبيب، وحشتني كثيراً، وأتمنى أن نجلس معاً فأنا أمك، أم هل نسيت أن لك أمًا، وأنا متأكدة أن في داخلك خير كثير سيظهر يوماً ما، على العموم أسامحك وأحبك، أمك»، ومن يومها تغير حالي، وهدأت روحي، وانتهت مراقبتي، وبدأ عهد الرجولة، وعملاً بوصية أمي التي كانت تريد الجلوس معي، فقد أصبحت أزورها في قبرها كثيراً، وأنس بها وأدعو لها بالرحمة والمغفرة.

تذكريات كثيرة وسريعة:

هذه طائفة من الذكريات الجميلة كتبها عدد من الآباء والأمهات، ولأنها قليلة الكلمات كثيرة المعاني، فقد ضمنتها لتقرأها معاً، لعلك تجد بينها شيئاً تنفذه مع أبنائك

ليكون نعم الذكرى لهم:

- أذكر أن أبي كان يأخذني معه أثناء توزيع الصدقات؛ لأقوم أنا بإعطائها للفقراء.
- في امتحانات الثانوية العامة خرج معي أبي ذات مرة على البحر (عند رأس البر على بعد كيلومترات منا) أنا وهو بمفردنا؛ حتى يُذهب عني ما أنا فيه من ضيق بسبب المذاكرة.
- وأنا في السنة النهائية من المرحلة الإعدادية، كان والدي عندما يهاديه أي شخص بقلم، كان يأتي مسرعاً ليعطيني إياه، ويخصني به دون إخوتي.
- أبي يدعو لي قبيل صلاة الفجر وأسمعه وأنا نائم، يفعل ذلك منذ سنين.
- كان أبي يعرف حبي للقراءة، وعند عودتي من المدرسة كنت أمر على مكان عمله وهو في طريق عودتي، فكان ينتظرنني في الشباك وينادينني لكي يعطيني الجرائد، وكان يحرص على أن يشتريها من أجلي.
- كان أبي - رحمه الله - يعمل سائقاً، وكان يأتي كل يوم من السفر متأخراً فيوقظني من النوم ليعطيني من الفاكهة التي أحضرها، فعل ذلك معي خمس عشرة سنة، ولو دعوت له بقية عمري كل ليلة ما وفيته حقه، كم أشتاق لنظرة عينيه عند المساء.
- منذ عشرين سنة، كان والدي مسافراً خارج البلاد، وبعث لي يوماً بورقة مرسوم عليها ورده بالكمبيوتر وكتب عليها: «ابنتي الحبيبة، وحشتيني قوي قوي قوي، مع قبلاي قوي قوي قوي»، ما زلت محتفظة بهذه الرسالة، ويتابني إحساس غريب وفريد كلما قرأتها، وكم تدمع عيني اشتياقاً لرؤية والدي.
- كان عمري عامين، ورأيت والدي وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة، حينها سمعته يوصي الحاضرين عليّ وينطق بأسمي، وكرر عليهم الوصية بي خيراً وقاضت روحه، نعم لقد أوصاهم بي، لكنه في الحقيقة أوصاني أنا به خيراً، وكأنه قال: «لا تنسيني في صالح دعائك، فأنا أفارق الحياة وأنا أحبك».

- كان والدي في طفولتي يضع حبات العنب في فمه، ثم يضعها من فمه في فمي مباشرة، في جو من الحب والمرح، فيأرب أطعمه من طعام الجنة.
- والدي كان رجلاً بسيطاً من صعيد مصر، كان يعطيني ما أريد دون حساب حتى كنت أظنه من الأثرياء، وفي أحد الأيام اصطحبني معه إلى عمله، وكم كانت المفاجأة كبيرة، فهناك رأيت كيف يكسب هذه الأموال التي يعطيني إياها، رأيت يكسبها بجهد يصعب وصفه فهو عامل بناء قبل اختراع الآلات التي نراها اليوم.
- كان والدي عندما يراني مع زملائي يسلم عليّ ويقبلني، وبعدما ينصرف يقول لي زملائي: إن أباك يحبك جداً، ليت لنا أباً مثله.
- عندما كنت في الشهادة الإعدادية وظهرت نتيجة الامتحانات، ذهبت لإحضار النتيجة وعدت فرحاً أحمل الشهادة لأنني نجحت، ودخلت على أبي وهو جالس مع أصدقائه وأخبرته الخبر، فقام أبي من مجلسه وقبني، والله لا أنسى هذه الملمسة الحانية من والدي، رحمه الله.
- عندما كنت أذهب لأوقظ أبي من نومه، كان يفتح لي ذراعيه وأنام بجواره وتحدث، ثم يقبلني ويقوم من نومه.
- كان الوالد - رحمه الله - في الجو الحار يقف بجوارني ناحية الشمس؛ ليحجب عني أشعتها ويظللني بظله.
- كنت في المرحلة الابتدائية والإعدادية معتكفاً في المسجد، وكان والدي يحضر في البطانية إلى المسجد رغم كبر سنه.
- كان والدي - بارك الله فيه - ييمعنا عندما تنقطع الكهرباء ويعم الظلام، ويحكي لنا قصص الصحابة والأنبياء عليهم السلام، فوالله كنت يوماً أتمنى أن ينطفئ النور وتنقطع الكهرباء؛ لأنعم بالقصص الأبوية الحانية.
- قبيل موت أبي كان كثيراً ما يقول لي: يا بني... كلما تذكرتني وذكرت معروفًا

- صنعت معك؛ فاصنع معروفاً لي، واسأل الله لي المغفرة.
- عندما كنت صغيراً؛ كنت أذهب مع أبي إلى الحقل، فكان يعلمني الصلاة تحت شجرة في الأرض الزراعية، والله كلما ذهبت إلى ذلك المكان تذكرت أبي ودعوت له بالرحمة والمغفرة تحت نفس الشجرة...
 - أتذكر والدي يوم أن أعطتني الذهب الذي تملكه لأخطب به زوجتي.
 - كنت في كلية البنات بالقاهرة، وكنت أسكن هناك وأعود نهاية الأسبوع لبلدتنا، ولا أنسى استقبال أمي لي عند عودتي وهي تقول: لم أذق طعاماً منذ غيابك، وكان الاستقبال بالشوارع العام بحضن كبير.
 - كنا دائماً ننام على صوت أمي وهي تقرأ القرآن، وهذا ما أحاول أن أفعله مع أولادي.
 - والدي كانت لا تشوي السمك لنا مرة واحدة، بل كانت تشوي نصيب كل واحد منا عند عودته من الخارج، حتى يأكله الجميع ساجداً.
 - كان أبي يضربني بالحذاء إذا غضب مني، أحاول نسيان ذلك لكنني لا أستطيع، أحاول مساعته ولعلي أنجح في ذلك يوماً.



الفصل الثاني

ذكريات

صنعها

الأبناء والبنات

تمهيد

كيف سيتذكر أبنائك طفولتهم؟

كيف تتوقع نظرة أبنائك لطفولتهم عندما يصبحون كباراً؟

هل سيتذكرون رحلات في المتنزهات وبناء قصور من الرمال على الشاطئ ولعب مع الآباء والأمهات ومواقف جميلة كثيرة ورائعة؟ أم أنهم سيتذكرون فقط جلوسهم أمام شاشة التلفزيون والكمبيوتر، مع صورة غير واضحة لوالدين يظنون برءوسهم من الباب من حين إلى آخر؟

كيف سيتذكر أبنائك فترة مراهقتهم؟

هل ستكون مليئة بالرفق والمحبة والنصح المخلوط بالرفق؟ أم ستكون عبارة عن أم تصرخ وتهدد، وأب يضرب ويشتم؟

إنك بحاجة لأن تملأ حياة أطفالك بما يجعل لطفولتهم ولشبابهم طعمًا ولونًا، طعم المحبة ولون الفرح، يجب أن يقضوا أوقاتهم مع أب محب وأم حنون، ليس المهم أن تعطي أبنائك أموالاً وأشياء، الأهم أن تعطيهم أوقاً واهتمامات، المهم أن تكبر أسرته متقاربة جداً من بعضها البعض، يستمتعون ببعضهم البعض ويمضون بعض الضحكات من القلب.

وما ورد في هذا الفصل يساعدك على تطبيق تلك المهمة، ففيه ستجد حوالي ١٥٠ تجربة مر بها آباء وأمهات يعيشون حولك، همومهم مثل همومك، أبنائهم متعبون مثل أبنائك، لكنهم توقفوا عن الشكوى وانطلقوا يبنون في عصر كثر فيه اغادامون، وما دام للكون إله حكيم سبحانه؛ فلن نتوقف يوماً عن الأمل، ولن نتوقف عن البناء والتربية، نعم قد نتعب لكننا لن نياس، ابداً الآن وافرأ تجارب الآخرين بحلوها ومرها، لتأخذ منه

العبرة والعظة، وتحمي نفسك من الوقوع في الأخطاء التي ارتكبوها، ولتتبع مع أبنائك بتطبيق ما ذكره من تجارب تربوية بسيطة وواقعية ومؤثرة.

عمر.. وحفل الصلاة الأول:

لما سمعت حديث النبي ﷺ: «مروا أبناءكم بالصلاة لسبع سنين، واضربوهم عليها لعشر سنين، وفرقوا بينهم في المضاجع»^(١)، أضمني الله فكرة جميلة ومبدعة، قلت بدلاً من حفل عيد الميلاد، سأقيم لابني عمر حفلاً للصلاة، ويكون بداية جميلة لأمره بالصلاة، وقررت أن أقيم له حفلين، الحفل الأول يكون عند تمامه لسبع سنوات، وأسميه «حفل الصلاة الأول»، وعندما يتم عشر سنوات أقيم له حفل الصلاة الثاني، وبعد طول انتظار وشوق لدخول عمر في زمرة المصلين، بلغ سبع سنوات وأقيمت له حفل الصلاة الأول، وكان هدف الحفل أن يشعر عمر بجمال دخوله عهد الصلاة ووقوفه مع المصلين في المسجد، وقبل الحفل جعلته يدعو كل من يجب من أصدقائه في الحي، وأحضر عشرين ممن يلعبون معه، وأكرمهم بشدة وأحضرت لهم الحلويات والمشروبات، وشرحت لهم نوع هذا الحفل، وكما كانوا سعداء ومستغربين في الوقت نفسه، لدرجة أن أحدهم (عشر سنوات) قال: سأعود لأعاتب أبي لماذا لم يفعل لي حفلاً للصلاة كهذا، وقال آخر (١١ سنة): بما أن الحفل قد فاتني، فسوف أقيم واحداً لابن أختي، ولكي أضفي على الحفل بهجة؛ قلت لهؤلاء الأولاد: ليحك لي كل واحد منكم كيف يزوغ من أبيه ولا يصلي عندما يأمر بالصلاة أو بالذهاب إلى المسجد، ولقد اهتمت علي أفكارهم، لكنني لم أتفاجأ بها، فقد فعلناها قديماً قبلهم، ولقد صورت الحفل بالفيديو والصور الفوتوغرافية، نسيت أن أقول أنني قبل الحفل بأشهر وأنا أستعد له وأهين عمر لهذا الحدث الجميل، لدرجة أنني كنت أقول له أحياناً: هل ستأتي معي للصلاة في المسجد، فيقول: ٢٠ رمضان (يوم ميلاده) لم يأت بعد، فأتركه مبهتاً، ولما اقترب الموعد بدأ هو العد التنازلي بسماعة انتظاراً

(١) الحديث رواه أحمد في مستدركه ١١ / ٣٦، وصححه الألباني في إرواء الغليل ج ٢، ٢٩٨، وفي رواية للترمذي: "علموا الصبي الصلاة ابن سبع سنين، واضربوه عليها ابن عشر" والحديث صححه الألباني في صحيح الترمذي ج ٢، ٤٠٧.

للحفل، ومن أجل ما استعددت به للحفل أني طلبت من عمي أن يتكرم ويؤلف قصيدة مخصصة لحفل عمر، ولقد وفي عمي بوعدته وكانت القصيدة جاهزة في موعدها، وأعطاني إياها في المسجد، فعدت فرحاً مسروراً لأقوها لعمر وأمه، وكم فرحت وزوجتي بها كثيراً، لكن عمر نظر بترث وقال: كنت أحسب أن فيها حلوى كلها كلام و فقط، فابتسمنا وقالت أمه: ستعرف قيمة هذه الكلمات يوماً ما، إنها كلمات رائعة يقول فيها عمي على لساني:

السيح ولت يا عمر

قِرَّة العِينِ عَمَّر	قُبْلَةَ مَنْسِي إِلَى
مَعْلَنَا أَحْلَى خَبَّر	أَسْعَدَ الرُّوحَ بِهَا
بَارَكَ اللهُ الْعُمْسَر	السَّيْحَ وَلْتَ يَا بَطْل
خَصَّهُمْ رَبُّ الْبِشَّر	صَرَتْ فِي صَفِّ الْأَوْلى
تَدْعُوكَ أَنْ أَقْبَلَ عَمْر	هَازِي الْمَسَاجِدَ كُلِّهَا
وَكَنْ فِي أَوَّلِ مَنْ حَضَرَ	فَاسِعِ إِلَيْهَا يَا بَنِي
دَرْبٍ إِلَى الْعَيْشِ النَّضْر	وَاحْفَظْ صَلَاتِكَ إِنَّهَا
عِنْدَ الْمَلِيكِ الْمُقْتَدِر	وَمَنْزَلٌ مَبَارَكٌ

وانتهى الحفل بجمال وبركة وسلام، وقلت لعمر: ألف مبارك لقد كبرت وأصبحت واحداً من المصلين، وبدأ عمر بفضل الله بصلي شيئاً فشيئاً، وكلما تكاسل أذكره بحفل الصلاة، ويمرور الأيام بدأت أجهز لحفل الصلاة الثاني، وذلك عندما يتم عمر عشر سنوات، عندها وفي الحفل ستكون هديتي له «عصا»، نعم عصا سأعطيها له وأقول له: ألف مبارك، لقد كبرت وسوف أضربك على الصلاة وهذه العصا هديتك، لكنني على يقين أنني لن أضربك بها، فقط سأضعها في ركن هناك للطوارئ، وأنا على يقين أنني لن أستخدمها معك أبداً، لأنك ولد طيب محب للصلاة، وسأعطيها دليلاً على ذلك إحصائية بعدد الصلوات التي صلاها منذ حفل الصلاة الأول، وهي كثير جداً بفضل الله، اللهم تقبل وبارك في الجهد القليل.

رسب في الإنجليزية .. فتركته يلعب بحرية :

كان ابني في الصف السادس الابتدائي، وكان متفوقاً، وبعد اختبارات نصف العام ذهبت لإحضار نتيجته دون أن يعرف، فوجدته قد حصل على درجات مرتفعة في كل المواد ما عدا اللغة الإنجليزية؛ حصل فيها على أقل من النصف، وهذا معناه أنه راسب فيها، وكانت صدمة كبيرة لي، ولأنه ذاكراً واجتهد فتم أخيره بتلك النتيجة، وقررت أن أتركه يستمتع حتى تمضي إجازة نصف العام بسلام، وبعد انتهاء الإجازة واستمتعته بهاء أخبرته بخبر اللغة الإنجليزية وكيف أنني لم أفسد عليه إجازته، وأخذت بيده وطمأنته وشجعته، وكانت نتيجة ما فعلته معه مزيد من الاجتهاد، وقبلة على خدي، وحضن كبير لن أنساه يوماً، ومرت الأيام واجتهد الغلام ونجح وأصبح كل شيء تمام.

الختام قبل المنام :

لمدة سنين كنت مع أبنائي أنفذ فكرة الختام اليومي، وهي تعني أننا في كل ليلة نشترى - ولو بقليل المال - شيئاً حلواً نختم به ليلتنا، فمرة نشترى حلوي، ومرة آيس كريم، ومرة قصباً، ومرة... وفي كل ليلة بعد العشاء يجتمع حوئي أطفالاً قائلين: «الختام يا بابا»، وهذا معناه: هات النقود لنشترى شيئاً حلواً نختم به يوماً، فعلنا هذه الفكرة معاً سنين كثيرة، وأنا على يقين أنني بعد أن أموت سأترك أبناء وبنات يذكرونني بكل خير، ويدعون الله من أجلي كلبية في ميعاد الختام.

وسمحت لابني بأن يهرب من المدرسة :

كنت أسمع كثيراً عن الأولاد الذين يهربون من المدرسة، وكنت أخشى أن يكون ابني واحداً منهم؛ فجلست يوماً معه وكلمته برفق، وفي النهاية عاهدني أمام الله تعالى ألا يهرب (يزوغ) من المدرسة أبداً، وقلت له: «أنا واثقة أنك صادق، وإن هربت يوماً دون علمي فسوف أعلمك بذلك يوم القيامة»، ومرت الأيام وهو منتظم في حضوره، وذات يوم

اتصل بي قاتلاً: «أستاذك يا ماما عششان (أهرب) أزوغ مع أصحابي، كلهم سيذهبون للعب الكرة في الاستاد، أنا لم أهرب معهم بدون علمك لأنني صادق معك، فهل أذهب»، احترمت اتصال ابني كثيراً وفرحت بصدقه معي، ووافقت على وعد أن تكون آخر مرة.

زيت الشعر ولسة الحنان الضائعة:

جلست ابنتي ذات الست سنوات يوماً بعد المدرسة لكتابة الواجب، وجلست بجوارها أراقب ما يحدث، وإذا بها تكتبه بطريقة خاطئة، فنهرتها بطريقة فظة وطلبت منها إعادة كتابته مرة أخرى، وكنت في صباح ذلك اليوم قد وضعت على شعرها نوعاً جديداً من زيوت الشعر، فذكرت ذلك ونظرت إلى شعرها ووضعت يدي عليه بقصد اختبار نوع زيت الشعر الجديد، وجعلت أتلمس بيدي شعرها بهذه النية، فقالت ابنتي فجأة: يدك جميلة يا ماما هذا هو حنان الأم، وقالت لي: إن هناك أنشودة تأخذها في المدرسة تقول:

بعد الأب مقيش تربية... بعد الأم مقيش حنية

والله لقد هزنتي كلمات ابنتي، ودفعتني لترك الغلظة والاستمتاع مع ابنتي بالرفق والرحمة، لقد تغيرت تماماً بعد هذا الموقف لأصبح أمّاً حنونة بصدق، لا يسبب زيت الشعر.

لن تضرب ابني فهو في ذمة الله تعالى:

في هذا الزمن الذي كثرت فيه المنصائب وكثر فيه خوف الآباء على أطفالهم بين وينات، فكرت كثيراً في كيفية حفظ أبنائي، فالتذت كافة وسائل الأمان، لكنني وجدته غير كافية فنوجهت لبياب الحافظ سبحانه، وسألت نفسي: كيف أجعل أطفالي في حفظ الله وذمته كل يوم؟ ووقفني الله تعالى أن سمعت أحد المشايخ يذكر قول النبي: «من صل

الصحيح في جماعة فهو في ذمة الله حتى يميء^(١)، فشرعت حينها أنني وجدت ضالتي، وعدت للبيت فرحاناً وأخبرت زوجتي وأطفالي بالحديث واتفقتنا على أن نبدأ برنامج الحياية الربانية بصلاة الفجر في جماعة، وبمرور الأيام بدأنا جميعاً نتنظم في صلاة الفجر وبالفعل زاد شعورنا بمعية الله وحفظه لنا، وذات يوم عاد طفلي من المدرسة فرحاً مسروراً وقال: كم أنا سعيد يا أبي لأنني في ذمة الله، لقد دخل مدرس الرياضيات اليوم فصلنا وأعطانا مسألة أخطأنا فيها جميعاً، فقرر عقاب الفصل كله، وبدأ يضرب الجميع حتى وصل عندي فقلت له: لن تستطيع ضربي، فقال: لماذا؟ فقلت: لأنني صليت الفجر في جماعة وأنا الآن في ذمة الله وحمايته، فسكت المدرس قليلاً ثم ابتسم وقال: عندك حق، وعفا عني وعن باقي زملائي، فشكرت طفلي الحبيب واحتضنته وسجدت شكراً لله تعالى، وقررت أن أذهب للمدرس وأشكره.

في أي شارع يقع منزلك يا أبي؟

لقد كان في تخيلي أن مهمة الأب هي الجري خارج البيت بحثاً عن لقمة العيش وأن دوره الأسري الوحيد يتمثل في جلب المال لتعيش الزوجة والأولاد في أسعد حال، بينما تقوم الزوجة بباقي الدور التربوي مع الأولاد، عشت هكذا مهاجراً خارج بيتي لا أعود إلا منهكاً متعباً للراحة والنوم، وذات يوم أخذت طفلي ذات الخمس سنوات معي في السيارة لنشترى شيئاً ما، وظلت ابنتي صامئة طوال الطريق وفجأة قالت: بابا، في أي شارع يقع منزلك؟ وصدمني سؤالها لدرجة أنني أحسست بغصة في حلقى وانعقد لساني فلم أنطق بكلمة، لقد أردت أن تقول: إنك لا تمثل في بيتنا سوى ضيف يظهر قليلاً

(١) روى الإمام مسلم عن النبي أنه قال: امن صلي الصبح فهو في ذمة الله، وفي رواية: امن صلي الصبح في جماعة فهو في ذمة الله، صححه الألباني في صحيح الترغيب للألباني ج ١ ر ٤٦١، وفي رواية: امن صلي العداة كان في ذمة الله، حتى يميء، صححه الألباني في صحيح الجامع ج ١ ر ٦٣٤٣، ومعنى في ذمة الله: أي في عهده، وأمانه وضمانه في الدنيا والآخرة، فلا تعرضوا له بالأذى لأنه في أمان الله وحفظه، من تعرض له فذن الله تعالى سيأخذ حقه منه في إختار ذمته ونقض عهده، لما جاء في رواية ابن ماجه: امن صلي الصبح فهو في ذمة الله فلا تخفروا الله في عهده فمن قتله طلبه الله حتى يكبه في النار على وجهه، صحيح ابن ماجه للالباني ج ١ ر ٣٢٣، أي لا تنقضوا عهده تعالى بإذناه، من صلي الصبح في جماعة فلن الله سيستمه له، الديباج على مسلم ٢ / ٢٩٧، و تحفة الأحوذني ٢ / ١٢.

ويخفي كثيراً، إنني أرى أموالك لكنني لا أراك، إن الصغيرة بقطرتها النقية رأته أن بي بيته آخر أسكن فيه، فالبيت عندها معناه السكن ولقاء الأحبة والحوار معهم والقرب منهم، وكل هذه المعاني كنت أفقدها، وحمدت الله تعالى على هذه الرسالة الربانية التي جاءت على لسان طفلي الصغيرة لتقول لي: لا بد وأن تصحح معنى كلمة أب في عقلك، ومن يومها تحول معنى البيت في حياتي من استراحة وفندق إلى سكن ومحبة ومودة، ومن يومها غيرت محل إقامتي وسكنت حيث تسكن زوجتي وأولادي، فسكنت روحي وهدأت نفسي وارتاح بدني، ولم يقل رزقي شيئاً.

سئري القمر ونذكر بعضنا بالدعاء:

أخذت أبنائي الصغار لنرى القمر ليلة البدر، فسالوني من خلق القمر؟ وإلى أين يذهب؟ فأجبتهم باستفاضة، فكانوا كل شهر يحدوني عن القمر في ليلة اكتماله بدرًا، ويطلبون مني الخروج لرؤيته، وهكذا أصبح منتصف كل شهر هجري موعدًا لخروج العائلة، حيث نرى القمر معًا، وذات يوم تعاهدنا إن فرقنا الموت أن نخرج لنرى القمر ونذكر بعضنا، وتدعو لمن مات بالرحمة والمغفرة.

خطاب الحب... يقرأه كل من نحب:

كتبت ابنتي يومًا خطاب حب لي، فلم أكتف بشكرها واحتضانها وتقبلها، بل جعلت أقدمه لكل من يزورنا من أقاربي الذين تحبهم، كنت أقول لهم: هل رأيت ابنتي كم تحبني؟

لقد كتبت لي هذا الخطاب، وهو أجمل خطاب تلقيته في حياتي، ولقد علق جدها قائلاً: «يبدو أنك تحبين أمك كثيراً ربنا يديم بينكم المحبة»، ولقد قالت جدتها: «ما شاء الله ما أسعد أمك بحبك هاه»، ومع كثرة التعليقات الطيبة قررت في النهاية أن أغلف الخطاب وأضعه بجوار سريري في أحد إطارات الصور الفوتوغرافية (برواز)، وبعدها توالت خطابات المحبة بيني وبين ابنتي، لكن أول خطاب كان له طعم خاص.

لن أسامحك يا أمي على سوء ظنك بي:

حدث لي موقف مع ابني جعلني أبكي كثيرًا، كنت دائمًا أراقبه ولا أفوت له خطأ دون عقاب، كنت أتابعه دراسيًا لدرجة أنني طلبت منه نسخة من الجدول المدرسي، وذات صباح بعد أن ذهب للمدرسة، جلست أقرأ جدولته الدراسي الخاص باليوم، وللأسف أخطأت في قراءة اليوم، بمعنى أننا كنا يوم الأحد وظننته يوم الإثنين، وعندما فتشت في كتبه الدراسية التي على المكتب، ظننت أن ابني قد نسي تحضير جدولته المدرسي ونسي كتبه بالبيت، فاشتعلت غضبًا وقلت لوالده: أنا لا أتحمّل إهمال ابنك الذم، لقد نسي أخذ كتبه للمدرسة وتركها هنا بالبيت، لا بد وأن تذهب لدرسته وتعاقبه على هذا الإهمال، وذهب زوجي للمدرسة مغضبًا، وعاقب ابني الحبيب على إهماله أمام الجميع، وللأسف بعد ذلك اكتشفت أنني كنت مخطئة، وأنتي السبب في عقابه وإحراجة قليلًا، لقد كانت كتبه معه وأنا أسأت الضن به، وحتى يومنا هذا لم ينسَ ابني ما فعلته معه ولم يسامحني.

من قال لك توقظني الآن يا حيوان؟

عندي ولدان وبنات، ولد في الابتدائي وبنات في الروضة خمس سنوات، وابن رضيع، عندما يأتي ابني الكبير وأخته من المدرسة؛ أكون دومًا نائمة لسهري مع الرضيع طوال الليل، وبعد أن أستيقظ لاستقبالهما وفتح الباب لهما وتجهيز ما يمكن من طعام، أقول لهما: «أسأنام قليلاً.. إنني تعبانة»، وفي كل مرة رغم كل تنبيهاتي يوقظونني، فأصرخ فيهم وأعتفهم، وذات مرة استيقظت من النوم دون أن يشعروا بي، وذهبت نحوهم فرأيتهم يلعبون، البنات تمثل دور ماما، والولد يمثل دور الابن، والولد يمثل أنه رجع من المدرسة وماما (البنات) نائمة وهو أيقظها، فإذا بها تصرخ فيه قائلة: من قال لك توقظني الآن يا حيوان؟ ضحككت ساعتها جدًا، لكنني في الوقت نفسه حزنت على ما فعلته في نفسيتهما، ومن ساعتها وأنا أستيقظ قبل حضورهما لأكون حاضرة في حياتهما.

طفلي المسكين .. وكلمات المدرسين:

ذات يوم قرأت في كراسة ابني كلمات كتبها له المدرس بخط عريض، لقد كتب له: «أرجو الاهتمام يا مهممل»، فقلت لطفلي: لم كتب لك المدرس هذا الكلام؟ فسكت خوفاً مني، لقد توقع حينها أن أضربه أو أشتمه، فقلت له: «ابني ليس مهملاً، سأتصل بالمدرس وأقول له إن ابني ليس مهملاً، وسيثبت لك أنه عكس ما تقول»، ومرت أيام وظن ابني أنني سأنساه ولن أتصل بمدرسه، لكنني فاجأته يوماً بأن اتصلت بالمدرس أمامه وقلت له: «لم هذا الكلام الذي كتبه لابني؟ إنه سيثبت لك العكس إن شاء الله»، ولقد سعد ابني كثيراً بهذا الموقف البسيط، ونتيجة لذلك بدأ خطه يتحسن وأصبح أكثر نظاماً، كل هذا بفضل الله الذي أكرمني بحسن التعامل في هذا الموقف، ولا أدري ماذا كان سيحدث لو ضربت طفلي المسكين عندما قرأت كلمات المدرس القاسية؟

أبوكم في ضائقة مادية:

عندما يشعر أبناؤك أنك تمر بضائقة مادية، ماذا يفعلون؟

نقول إحدى الأمهات: نحن أصدقاء لأولادنا، وخصوصاً زوجي فهو دائم الحوار معهم، ويفضل الله لا يوجد حواجز بيننا، وذات يوم جلس والدهم معهم وأخبرهم أننا نمر بضائقة مالية، وإذا بأولادنا - جميعاً - يجمعون ما في حصالاتهم من نقود (نحن نعلمهم الادخار)، وقدموا تلك الأموال لوالدهم قائلين: «تفضل يا بابا تقردك».

ونقول أم أخرى: ذات يوم شعرت ابنتي الكبرى أننا في ضائقة مالية، فبدأت نفسها بتنفيذ فكرة غريبة، بدأت تذهب للدروس ولا تذهب، تخرج في مواعيد الدروس وتوهنها أنها ذاهبة للدروس، ولكنها تذهب لتذاكر في المسجد، فعلت ذلك كثيراً، ويوم أن أعطيناها نقود الدروس لتعطيها للمدرسات، ردتنا لنا قائلة: «هذه مساهمة مني في أزمة البيت المالية، وأنا لست بحاجة إلى الدروس فأنا أذاكر جيداً»، وهذا العام بالذات تفوقت

ابنتي في دراستها جدًا.

ويقول أحد الآباء: دخل علينا عيد الفطر المبارك، وقبله بأيام لم أكن أملك من المال ما يكفي لشراء ملابس جديدة لابنائي الخمسة، ففكرت أن أعقد لهم اجتماعًا وأحدثهم عن ظروفنا المادية، وبالفعل جمعتهم كلهم، وجلست بينهم قائلاً: لأننا فريق واحد كان لنا علي أن أجمعكم لأحدثكم عن ظروف أسرنا المادية، أنا لا أملك سوى ٣٥٠ جنيهًا هي الزائدة عن مصروفاتنا، وهي لا تكفي إلا لشراء ملابس العيد لائنين منكم، فما رأيكم؟ إن أردتم أن أقترض لكم مالا وأذل نفسي لأحد حتى أشتري ملابس العيد لكم جميعًا، فساأعمل ذلك؟ وإن آثرتم بعضكم واخترتم اثنين منكم فقط لأشتري لهم الملابس هذا العيد، والباقيون إن شاء الله يكون دورهم العيد القادم، سأكون شاكراً لكم، فما رأيكم؟ ساد الصمت بينهم قليلاً، ثم نظفت ابنتي الكبرى قائلة: أنا عندي ملابس قيمة سأحضر بها العيد ولا أريد ملابس جديدة، وتبعتها باقي الأبناء كلهم لا يريدون ملابس هذا العيد، كلهم يؤثرون أخوتهم ليحموا أبيهم من ذل سؤال الآخرين، وكم دمعت عيني يومها، واحتضنت أبنائي جميعًا وشكرتهم، ويشاء الله تعالى أن يرزقني في اليوم التالي بمبلغ كبير من المال، فيشرتهم بالخير وقلت لهم: هذا بسبب إيثاركم لبعضكم، وحصل الجميع على ملابس جديدة بها في ذلك أنا وأهمهم.

يقول أحد الآباء: كنت رقيق الحال فقير المال، ورزقني الله تعالى من العيال حفظاً وافرًا، وكانت ابنتي الكبرى محط اهتمامي ومستودع أسراري، كانت تساعدني في ترتيب العيشة وإنفاق الراتب الشهري، وذات يوم خرجت معها لنشتري لها حذاء، وشتريناه من أحد المحلات وأعجبها بشدة، وبعد أن خرجنا من المحل وفتت قليلاً وقالت: بابا، هذا الحذاء لا يعجبني، فقلت لها: إذا نرجعه، لكنني لن أعود لصاحب المحل لأرجعه لأنه يعرفني وسأكون محرجًا منه، فاذهبي أنت وأرجعيه لأنك من أوقعتنا في تلك المشكلة، فذهبت ابنتي وأرجعت الحذاء وأحضرت ثمنه، ومشيئا، فقلت لها معاتبًا: لم أرجعه وقد أعجبك في البداية؟ فقالت: «ثمنه غالٍ، فأردت أن أرجعه حتى يتبقى معك المال لنشتري لإخوتي»، هنا صمت لساني، ودمعت عينا، وقلت في نفسي: بارك الله فيك يا ابنتي،

وجعلك نعم العون لأبيك على صعب الحياة.

نقول إحدى الأمهات: يمتلك زوجي ورشة نجارة لتصنيع بها الأثاث، ومنذ سنين حدث موقف طريف من ابني الحاصل الآن على بكالوريوس تجارة، فعندما كان في المرحلة الابتدائية، كان زوجي يصنع الأثاث في ورشته ثم يعطي ما صنعه لأحد جيراننا للتجارة؛ ليعرضه في معرضه الذي يقع في نفس الشارع الذي نسكن به، وفي فترة من الزمن تكس الأثاث في معرض جارنا، فتوقف عن أخذ ما لدى زوجي من منتجات، وبالتالي تراكم قطع الأثاث في ورشتنا، وبقيتنا ننتظر الفرج من عند الله تعالى، وأخذ زوجي يمر على الكثير من المعارض ليأخذوا منه الأثاث، لكنه لم يوفق، عشنا حينها أزمة مالية، وكنا نتكلم عنها أمام أطفالنا، زوجي كان يقول لهم: لم يعد معي نقود وكل الفلوس نفذت (خلصت) من فوق الدولار، فقد كان يحتفظ بالمال في كيس فوق الدولار، فما كان من ابني (٩ سنوات حينها) إلا أن ذهب إلى جارنا التاجر في نهاية الشارع وقال له: يا عم محمد، لماذا لم نشتر الأثاث من عند بابا؟ فقال الحاج محمد: لست محتاجاً إليه، فقال له الولد: أروجك خذها، فبابا لم يعد معه نقود فوق الدولار، وفي الصباح فوجئنا بالحاج محمد يأتي إلى زوجي في الورشة ويشتري الأثاث كله وهو غير محتاج إليه، وحكى لنا قصته مع ابنتنا الذي تصرف بقطرته، وما زلنا نضحك على هذا الموقف حتى الآن، مع أنه حدث منذ عشر سنوات.

يقول أحد الآباء: اشترت قطعة أرض وتبقى على مبلغ من بقية ثمنها، ومررت بعد ذلك بظروف مادية صعبة، وحين وقت سداد المبلغ المتبقي، فجلست مهموماً حزينا لا أدري ماذا أفعل لأنني لا أملكه، وبينما أنا في تلك الحالة، فوجئت بأبنتي الأربعة يقولون لي: ما المبلغ المطلوب منك؟ فقلت: أي نقود ستقتذي من الورطة التي أنا بها، وما هي إلا دقائق حتى جاء كل واحد منهم بها معه من مال، ولأول مرة أشعر أنني ربيت رجالا، وقبلت منهم المال شاكراً، لقد شاءت جميعاً في سداد الدين في موقف لن أنساه، لقد كان موقفاً سعيداً جداً بالنسبة إلي، وإنما مضت يومها أننا كثيراً ما نسيء الظن بأبنائنا، ثم تأتي المحن لتثبت أنهم رجال، ونسيء العن بترينتنا لهم، فتأتي الشدائد لتثبت أن تربيتنا

لن تضيق، إننا كثيراً ما نستعجل الحصاد قبل أوانه، ونستعجل نضج الثمرة قبل اكتمال نمو العود، ومن يومها تغيرت نظرتي لأولادي وعلمت أن بيوتنا خيراً كثيراً.

أبي... بكم تبغني ساعة من وقتك؟

أنا رجل أعمال ناجح، كل دقيقة عندي لها ثمن، وللأسف لا أتمكن من الجلوس مع أولادي كثيراً، حتى وإن جلست أو خرجت معهم فالتليفون لا يتوقف والمشغل لا تنتهي، وذات يوم قال لي أحد أبنائي: «بابا، أحتاج إلى الجلوس معك، ألا يمكنك أن تلعب معي أو تخرج معي في نزهة»، فقلت له: «أتعلم يا بني، كم أحب الجلوس معك لكن لا وقت عندي، أنا وقتي يساوي نقوداً كثيرة، إن الساعة من وقتي تكلفني الكثير من المال»، فانصرف ابني حزينا ولم أنتبه كم كانت كلماتي قاسية عليه، وبعد أسبوعين تقريباً فوجئت بنفس الابن يدخل علي وأنا جالس في مكنتي، وقد خبأ شيئاً خلف ظهره، وقال: «بابا، أنت تقول إن وقتك يساوي النقود، فيكم تبغني ساعة من وقتك؟» فاجتني كلامه وانعقد لساني فلم أنطق، فأخرج ما قد خبأه خلف ظهره وناولني إياه قائلاً: «هذا ما جمعته خلال الأسبوعين الماضيين من المصروف الذي تعطيني إياه أمي، هذه خمسون جنيهاً هي كل ما استطعت ادخاره، هل تكفي يا أبي لشراء ساعة من وقتك؟» فقلت والدموع تنساب من عيني: «هل تكفي لشراء عمري كله»، واحتضنت طفلي الحبيب، ومن يومها أصبحت أغل ساعتني تلك التي أفضيها مع أبنائي، ولن يستطيع تجار الدنيا - بكل ما معهم من أموال - أن يشتروا ساعة من وقت أولادي.

هل يسمعك الجيران تدعين على أبنائك؟

رزقني الله بطفلين، أحدهما في الخامسة من عمره والآخر رضيع، ذات يوم ذهب طفلي ذو الخمس سنوات لزيارة عمه، ونتيجة لتأثره بأفلام الكرتون، فقد قام بالقفز من شقة عمه بالدور الثاني، وتجمع الناس حوله وأخذوه للمستشفى، وبلغني الخبر عن طريق جاري، فلم تحملني قدماي ولم أستطع الذهاب للمستشفى، وإذا بزوجي يدخل علي

حاملاً ابناً الحبيب، لقد وصله الخير وذهب إلى المستشفى وأحضر ابني معه، استقبلته بلهفة وأخذت الطفل منه بمحبة، تفحصته بعناية، فوجدته بفضل الله سالماً معافٍ إلا من بعض الجروح والكدمات وكسر بسيط، حمدت الله كثيراً وجلست أدعو على أفلام الكرتون وصانعيها، لكن جارتي اقتربت مني وهمست في أذني قائلة: «أفلام الكرتون ليست السبب، أنت السبب، إنني أسمعك كثيراً تدعين على أبنائك»، كم صدمتني كلماتها، لكنها كانت صادقة، إنني أدعو عليها كثيراً بسبب وبدون سبب، ومن يومها تغير حالي وهجرت الدعاء على أبنائي، وبدأت رحلة الدعاء لهم بالخير والسعادة.

تعلمت من أبي... ألا أكون مثله أبداً:

للأسف مررت في حياتي بفترات عصيبة كادت أن تعصف بالبيت وتهدم أركانها، وكدت ذات مرة أطلب الطلاق من زوجي، وصارحت أحد أبنائي وقلت له: «ماذا أستمر مع والدكم إذا كنتم لا تتعلمون منه أي شيء» يفيدكم في حياتكم، إن وجوده في حياتكم مثل عدمه»، فقال ابني: «والله لقد تعلمت منه كثيراً جداً»، فقلت له وأنا مذهولة: ماذا تعلمت؟ فقال: «تعلمت ألا أفعل مثله، تعلمت ألا أكون مثله أبداً»، فضحكت وبكيت في آن واحد.

في تقبيل يد الوالدين سر عجيب:

ذات يوم كنت جالسة مع ابني نستمتع لإذاعة القرآن الكريم، وكان الحديث عن برّ الوالدين، وطلب الشيخ من المستمعين تقبيل يد ورأس الوالدين كل يوم صباحاً، وقبل أن ينتهي البرنامج فوجئت بابني يقوم ويقبل يدي ورأسي تنفيذاً لما سمع، وغمسك بتلك العادة بعد ذلك كل صباح مع أنه لم يفعلها من قبل سماعه لكلام الشيخ، ولما فكرت بعمق في سرعة تأثر ولدي بما سمع، أدركت أن الجزء من جنس العمل، ففي بداية التزامي سمعت درساً في المسجد عن بر الوالدين، وطلب منا الأستاذ تقبيل يد الوالدين، فعندما رجعت من المدرسة نفذت الوصية ولم أكن أفعلها قبل ذلك، وظللت مواظباً على تلك العادة الكريمة مع والدي، حتى رحلا عن الحياة.

الرمال ماذا تصنع في قلوب الصغار؟

كان عندنا كمية من الرمال متبقية من بعض الأعمال الإنشائية في البيت، وكان ابني الصغير (٦ سنوات) مغرمًا باللعب في تلك الرمال، وذات يوم قامت زوجتي بإعطاء ذلك الرمل لجارتنا، وعاد ابني الصغير من الروضة (الحضانة) فأصابته صاعقة، وانطلق صائحًا: لقد سرق الرمل، أين الرمل؟ من أخذ الرمل؟ وبعد أن اكتشف ما فعلته أمه، غضب منها كثيرًا، وتركها وجاءني في المحل مسرعًا غضبان وقال: أمي باعت الرمل لجارتنا، وعليها أن تختار أحد الخيارات:

(١) دفع ثمن الرمال لي.

(٢) إرجاع الرمال.

(٣) الذهاب إلى بيت أبيها (مثلها يهددها أبوه بالطلاق).

هل أعطيك وردة.. ثم تضربني برجلك؟

ذات يوم رجع ابني من الخارج حاملًا وردة ليهدئها لي، ففرحت بها كثيرًا لأن ابني تذكرني، ومن النادر أن يتذكر الولد أباه بمثل هذه الهدية، ولأن أمه كانت مريضة يومها، فقد قمت لأعد له الطعام هو وأخته، وبعد تعب وجهه وضعت لها الطعام، في كان من ابني هذا إلا أن اعترض على نوعية الطعام وقال: لا أريده، وفي لحظة غضبه حرك يده فأسقط أطباق الطعام، فأسرعت نحوه غاضبًا وضربته بقسوة وركلته بقدمي، فقال وهو يبكي ويتألم: ما كنت أقصد، ثم سمعته يقول بصوت خافت حزين: لقد أعطيتك وردة منذ قليل، لقد آلتني كلماته جدًّا، كم شعرت ساعتها بالقسوة وعدم العرفان بالجميل، لقد أعطاني وردة منذ قليل مع أخطائي معه وتقصيري في حقه أحبائيًا، ومع أول خطأ ارتكبه دون قصد رددت له الجميل وركلته بالرجل، ومن يومها صححت حالي، وتكلمت غيظي، وعرفت لأبني حقه.

حب جديد.. بين الجد والحفيد:

اضطرتني ظروف العمل أن أسكن بعيداً عن بيت والدي، رغم أنني أمتلك فيه شقة، ومرت السنوات والتحق ابني بالجامعة في نفس مدينة أبي، فاحترت في أمري، هل أترك ابني يعيش مع جده، مع أنني لا أثق فيه وأخاف أن يزعم جده، أم أترك ابني معي يؤنسني ويسافر يومياً إلى كليته وهذا أحب إلى قلبي، فاستشرت والدي في الأمر فقال على الفور وبلا تردد: هاته معي فأنا وحيد وهو سيسلي وحدتي، توكلت على الله وآثرت أبي على نفسي وتركت ابني يقيم معه، ومرت الأيام وأنا خائف من أن يفسد ابني العلاقة بيني وبين أبي، لكن العكس قد حدث، لقد توطدت العلاقة بينها سريعاً، وإذا عاد ابني ليجلس عندي يومين في الإجازة؛ يتصل جده ويقول له: لم تأخرت تعال بسرعة، فقلت لابني يوماً: ما سر هذا التآلف السريع بين الجد والحفيد، فنظر ابني في وجهي مبتسماً وقال: لأن لها عدواً مشتركاً واحداً.. هو أنت.

سر كراهية البنات لطباخ الأمهات:

جلست يوماً مع جاري، فحدثتني عن تجربتها مع ابنتها الكبرى، قالت: إنها دخلت يوماً المطبخ فوجدت ابنتها تحاول غسل الأطباق؛ لكنها بللت الأرض بالماء وأفسدت سائل التنظيف، فنهرتها بعنف وعاقبتها بشدة؛ ومن يومها بدأت البنت تكره دخول المطبخ، فالبقاء خارجه أقل ضرراً وأكثر راحة، وبمرور الأيام أصبحت البنت تكره المطبخ، انتهت جارتي من حكاية قصتها لي وأخذت منها العبرة والعظة، وذات يوم حاول طفلي الصغير مساعدتي، فدخل المطبخ دون علمي وغسل الأطباق وملا البيت بالماء، تخيل منظر السجاد يسبح في الماء، وتخيل وجه الصغير مبتسماً بفخر لأنه ساعد أمه، في هذا التناقض العجيب من يتنصر، طفلك المبتسم أم سجادة المبلل؟ رزقتني الله ساعتها الصبر وذكرني بتجربة جاري، ففرقت بطفلي الحبيب وضحكت معه، وعلمته كيفية غسل الأطباق، وشكرته على حبه لمساعدتي، وبمرور الأيام تكررت مرات مساعدته لي، وتكرر

شكري له وصبري عليه، كان هذا أيام طفولته، وهو الآن في مرحلة التعليم الجامعي، وبفضل الله يساعدي في جميع أعمال المنزل بحب واحتراف.

أطفالي الصغار وحضن الصباح:

عودت أطفالي الصغار كل صباح بعد أن يستيقظوا من نومهم مباشرة أقول لهم: أين حضن الصباح لأما؟ كان هذا الحضن مهمًا جدًا بالنسبة إلي ولإلهم، ويوم أن أغضب من أحدهم أعاقبه بالآلا أحضته، وهذا يؤلم المخطئ لدرجة لا تتخيلها، فابنتي ذات يوم ارتكبت خطأ كبيرًا، فعاقبتها بمنعها من حضن الصباح، وكلما جاءت تحضنني أرفض أو أفق مثل الصنم، فبكت وقالت: «إلا هذا يا ماما، إلا حضنتك مقدرش أستغني عنه، لما بتحضنيني أشعر إن الدنيا آمان»، إن لمسات الحب تشيع الروح والقلب والنفس، والحرمان منها عقاب مؤلم ولا يدرك قسوته إلا المحبون.

هكذا تصبح ابنتك ذليلة:

ذات يوم أغضبتني ابنتي لدرجة لا تطاق، فرفعت حذاء المنزل (الشبشب) لأضربها به، فأصرع أبوها نحوي وأمسك بيدي وقال: «لا تضربها بالحذاء؛ لكي لا تكون ذليلة وتفقدبها عزتها»، فوضعت الحذاء وسكتُ رغيًا عني، لكنني بعدها فكرت في كلام زوجي، ووجدته عبقًا في كلامه، كم من آباء وأمهات يتغنون بالحرية ويتحدثون عنها ويطالبون الحكام بها، والواحد منهم في بيته أكبر دكتاتور في الدنيا، إن الولد الذي لا يعيش بكرامة في بيته، كيف تطلب له كرامة في الخارج، إن البيت التي لا ترفع رأسها بعزة في بيتها، كيف ترفع رأسها في الخارج؟

ماما.. إشعال ذاتي:

أنا أم عصبية، قد أصرخ وقد أشتم، لأقل سبب أثور، ولأنفه مشكلة أضرب، وهذا رغيًا عني، ودومًا ألتمس لنفسي عذرًا وألصق التهمة بأبنائي لأنهم السبب، وذات يوم

قال ابني لوالده وهو يمزح: «أتعرف يا أبي، إن ماما تشبه أحدث البوناجازات العالمية، لا تحتاج إلى كبريت، ماما إشعال ذاتي»، فضحك الجميع، كنت جالسة ساعها فضحكت معهم، لكنني فكرت في كلمات ابني كثيرا، وذات مساء اجتمعنا جميعا بعد العشاء، فطلب زوجي من ابنتي أن ترتدي ملابس وتقلد طريقي في الكلام على سبيل المزاح، فقامت ابنتي وقلدتني باحتراف، وبصراحة صدمت مما فعلته، وقلت لزوجي: هل أنصرف هكذا في عصيبيتي؟ فقال: «نعم، وأكثر من ذلك» فخرجت من نفسي جدا، واعتذرت لابناتي لأول مرة عن عصيبيتي معهم، وقلت لزوجي: جزاؤك الله خيرا على تحمل عصيبيتي، ومن يومها بدأت رحلتي (الصعبة) مع الهدوء.

ابني في العلم يقتل أمه:

قال لي ابني ذات يوم: «لقد رأيت في المنام (الحلم) أنني أقتل أمي، رغم أنني أحبها ولا أحب ما فعلته بها في الحلم»، فطمأنته وقلت له هذه كوابيس من الشيطان، وحاول نسيانه فأنت تحب أمك وهي تحبك، ولا تخبر أمك بذلك حتى لا تحزن، وبعدها بأيام فوجئت به يخبرني أنه رأى الحلم نفسه، ومع تكرار الحلم قررت أن أبحث عن أسبابه، وبدأت أراقب تصرفات أمه معه، رأيتها تقسو عليه وتغضب منه وتضربه وتشتمه وتهدهده وتخبره أنها لا تحبه و....، كما رأيت أنها تفضل إخوته عليه كثيرا لأنه غير متفوق في دراسته، فاستشعرت الخطر وأخبرتها بالخبر، واتفقت معها أنني كلما رأيتها ترتكب خطأ في حق سأنبهها بكلمة السر وهي «الحلم»، وهذه الكلمة لها معنيان، فهي تعني «الحلم» بضم الحاء وهو ما يراه النائم، وفي الوقت نفسه «الحلم» بكسر الحاء وهو الرفق، وبمزيد من الصبر والجهد والحب الصادق؛ توقف ابننا الحبيب عن هذا الحلم، وبدأت رحلته مع الأحلام السعيدة.

كلام الحب.. له طعم آخر:

قلت لابنتي (في الصف الرابع الابتدائي) ذات يوم: أحبك جدا، فقالت: بالله عليك يا أمي أنت فعلا تحبيني؟ فقلت: نعم وبشدة، فقالت لي: لن أنسى أبدا أنك تحبيني، فقلت:

لها: إنني أحبك منذ عشر سنوات منذ ولادتك، وتصرفاتي معك طوال تلك السنوات تؤكد أنني أحبك، فقالت: «ولكن يا ماما، كلام الحب له طعم آخر».

موعد خاص مع طفلة الروضة:

عند ولادة طفلتني الثانية، شعرت الكبرى (أربع سنوات) بإحباط غير عادي، وخصوصاً أن مولد أختها تزامن مع دخولها للحضانة (للروضة)، فأصبحت لا تأكل جيداً وعادت للتبول اللاإرادي وبدأت تنصرف مثل الرضع، ولما لاحظت ذلك، وجدت له أسباباً مقنعة، فأنا طوال النهار أضع أختها أو أحملها أو أغير ملابسها أو أنظفها، حتى وإن نامت قليلاً فأنا أريد من الكبرى ألا تنفَس حتى لا تروِّق أختها، وهكذا كانت ولادة الصغرى بمثابة سجن للكبرى، وهنا قررت أن يكون لي مع ابنتي المسكينة الكبرى موعد ثابت أسبوعياً، نخرج فيه معاً أنا وهي فقط، وفي هذا الموعد لا أخرج من اللعب معها وأكل الأيس كريم وغيره، ولكي نستمتع بموعدنا كنت أترك الرضاعة عند جدتها، وبمرور الأيام أصبح لهذا الموعد الخاص تأثير كبير على علاقتنا، فقد استمر معنا سن أيام الروضة وحتى أيام الجامعة، ثلاثة عشر عاماً وموعدنا الأسبوعي لم يتوقف، ونفذت الفكرة نفسها مع كل أبنائي وبناتي حسب وقتي واستطاعتي، كم أشعروني هذا الموعد. أنني أم حقيقية تربي وتعظ وتحب وتلعب، بالإضافة لتلك الأم التي تغسل وتطبخ وتمسح وتنظف.

تخييل الجنة مع الصغار.. ماذا يفعل فيهم؟

ذات يوم جلست مع أبنائي (أعمارهم من سن عام حتى ١٠ سنوات) لتخييل نعيم الجنة، وما سوف يطلبه كل واحد منا فيها، وما هو أحلى شيء نحب أن نستمتع به في الجنة، فالصغير أحب أن يجيد في الجنة رماً يلعب بها وحلوى يأكلها، والبنيت أرادت أن تجيد في الجنة حديقة تزرع فيها ما تشاء من زهور جلسنا نصف ساعة تقريباً، وكم كانت أمنيائهم جميلة ورائعة، لكن أجمل أمنية سمعتها هي ما قالته ابنتي الكبرى، قالت: «أمنيتي

أن نجتمع في الجنة معاً، فلن تكون الجنة حلوة بدون أحدنا، وبعد أن انتهينا من التمتع بذكر الجنة، انتهت الجلسة الطيبة وبعدها فوجئت بكل واحد من أطفالي - وبدون توجيه مني - قام ليفعل خيراً، فهذا قام يصلي، وذلك يدعو ربه، وهذه تحاول عمل شيء طيب.

ابني ٧ سنين.. كيف أحب المساكين؟

منذ سنين كنا في نهاية شهر رمضان، فأخذت نقود الزكاة وهممت بالخروج من البيت لتوزيعها، فقال ابني ذو السبع سنوات: إلى أين يا ماما؟ قلت لتوزيع نقود الزكاة على الفقراء، هل تريد أن تأتي معي؟ فقال: بشرط أن أحمل النقود معي، فوافقت، وجاء معي حاملاً النقود في جيبه الأيمن، وقبل أن نصل إلى بيت التي سنعطها أطلب منه إخراج مبلغ من المال، وهو طوال الرحلة يسمع دعوات جميلة وأمنيات طيبة ويشعر بلمسات الفقراء الحانية، يومها أظنه قد بدأ يشعر بلذة العطاء، وبعدها بأيام بدأت الدراسة، وكنت قد تعودت أن أعطيه مصروفاً وأفسمه نصفين، فلو أعطيته جنيهاً كنت أفكه إلى نصفين (خمين قرشاً)، ليضع كل نصف في جيب من جيوب البنطلون، حتى إذا ضاع واحد بقي له الثاني، فأعطيته الجنيه نصفين كعادي وانتظرت أن ينفذ ما تعودنا عليه، لكنني فوجئت به يضع النقود كلها في جيبه الشمال، وتكرر الأمر يوماً بعد يوم، فسألته: لمَ تعد تقسم النقود كما تعودنا؟ فقال: «خلاص يا ماما، أنا جيب الأيمن لن أضع فيه إلا نقود المساكين، جيب الأيمن من اليوم هو جيب المساكين»، كم فرحت بكلامه وحضنته وشجعت، ومن بعدها أصبحت أعطيه صدقة أسبوعية ليضعها في جيب المساكين، حتى يعطيها لهم، فما أحمل أن يشعر أناؤنا بلذة العطاء، بدلا من تربيتهم على لذة الأخذ فقط.

سأضرب الوسادة بدلاً منكم!

أنا أم عصيبة جداً، وعصبيتي كانت سيِّباً في فساد العلاقة بيني وبين أبنائي، لدرجة أنهم أصبحوا يخافون مني ولا يتكلمون معي بحرية، وإن حدثت وكلمتهم وزفعت يدي نحوهم خافوا من ضربي له، كم تأملت حينها هممت بلمس كتفه واخنتو عليه فنظرت في

ترقب وخوف وحذر ورفع يديه ليتقي ضربة يدي، جلست يومها أفكر في حالي، في عصبيتي، في خوف أطفالي، وهذاني الله ساعتها لفكرة جميلة، لقد قررت أنني كلتها تعصبت وهمت بضرب أحد أولادي؛ سأذهب فوراً نحو غرفة النوم وأمسك بوسادة «مخدة» وأضربها حتى أفرغ الطاقة السالبة فيها وأهدأ، ثم أعود بعدها نحو أولادي لأري وأعلم، وجرت الفكرة ونجحت كثيراً، وعادت الأمومة لي بعد أن ضيعتها العصبي، وزال الحوف رويداً رويداً عن أولادي، وهنا عرفت قيمة أن يكون لدى الواحدة منا وسادة «مخدة» عندما تجهز شقتها.

هكذا احتفل مع ابني بصلاة التراويح:

كان عمر حينها ست سنوات، وكان يذهب معنا لأداء صلاة التراويح في رمضان، وكم فكرت كيف أجعله يصبر على طول القيام حتى لا يفسد علينا صلاتنا، كما فكرت في كيفية جعله يحب صلاة التراويح، وفي أول ليلة من رمضان كان الفتح الرباني وورقتي الله بفكرة نفذتها في الحال، لقد قلت له: سوف نشترى كرة جديدة وجميلة نسمةا كرة التراويح، وبعد عودتنا كل ليلة من التراويح سنلعب معاً مباراة جميلة أسميناها «مباراة التراويح»، وبدأنا المشوار، وزادت الفرحة، وشارك معنا أبناء الأقارب والجيران، وسعد الجميع بكرة التراويح ومباراة التراويح، لدرجة إنه قال لي يوماً: أبقتني يا بابا «صلاة الفجر، فأنا أحب صلاة الفجر، ولقد ضحككت في نفسي حينها وقلت: لا تتوقع مني أن أقيم معك مباراة لصلاة الفجر.

فن أسافر أبداً وابني شامم:

سافرت منذ عدة أعوام وتركت ابني نائماً ولم أخبره بسفري، فقام من نومه بعد رحيلي يبحث عني، فأخبره الجميع أنني سافرت وسأعود قريباً، لقد غبت عن البيت شهرين في رحلة عمل، وحوال تلك المدة كان يسأل عني مراراً في الصباح ومررت في المساء، ولما رجعت من السفر عوضته عن فترة غيابي، وبعدها بسنوات، سافرت يوماً خارج مدينتنا، لقد سافرت وكان ابني هذا نائماً، ظننت أنه طفل لا يدرك فقلت لداعي

بإخياره بشأن غيابي ذلك اليوم، ولما قام من النوم بحث عني فلم يجديني، ولما سأل أمه وعلم بسفري؛ ظل يبكي طوال اليوم بكاء شبه متصل، وعلى لسانه عبارة واحدة يرددتها لأمه وأخواله وأعرامه: «كيف تركتم بابا يسافر، فقد سافر ولن يعود كما فعل من قبل لما سافر وغاب شهرين، ولو كنت مستيقظاً لمنعته من السفر، أبي ذهب ولن يعود»، واستمر في البكاء حتى نام، ومن يومها تعلمت كيف أراعي مشاعر ابني الصغير وأودعه قبل أن أخرج من البيت.

موقف أخجلني جداً:

اعتادت ابنتي أن تقبلي كل ليلة قبل أن تنام وتقول لي: تصبحين على خير يا ماما، وفي أحد الأيام كانت حالتي النفسية صعبة جداً، وجاءت ابنتي لتقبلي كعادتها، فصرخت فيها قائلة: هو كل يوم؟ فانصرفت ابنتي منكسرة حزينة، وفجأة أدركت غلطتي، فأمرعت نحو غرفتها لأصلحها، فوجدتها قد نامت لدموع على خدها، فانتخلع قلبي لمنظرها الحزين ولم أدري ماذا أفعل، وعدت لغرفتي ونمت دامعة العين حزينة القلب، وفي مساء اليوم التالي جاءت ابنتي لتقبلي، لكنها وقفت بعيداً وترددت، فناديت عليها وأخذتها في حضني وتأسفت لها عما صدر مني بالأمس، وعاهدت ربي ألا أفعلها ثانية أبداً.

ساحبك يا بني كما أنت:

ابني خالد منذ نعومة أظفاره ومستواه الدراسي بين الستين والسبعين بالمائة، وفي الصف الرابع الابتدائي كنت أضغط عليه جداً ليتفوق، وفي كثير من الأوقات كانت أمه تقارنه بزملائه وإخوته وأقاربه، لدرجة أنه تأزم نفسياً وبدأ يكلم نفسه كثيراً ويكي وهو نائم، ومر المسكين بحالة اكتئاب شديد، وذهبت لأكثر طبيب نفسي، ووجهت أمه الطبيب نحو ما يشغله وهو قلة حفظ خالد، فأعطانا الطبيب دواء لتقوية الذاكرة؛ نسب لاحقاً في تكوين مائة على المدرس، وذات يوم أحسست أننا نقود خالدًا نحو الجنون، نريد أن نحقق فيه حلم التفوق الدراسي وقطع، كأننا نطلب من حصان أن يمشي بسرعة القطار، أحسست

أن ابني يضيع متي؛ فقررت تغيير طريقي القاتلة معه وفعلت التالي: ذهبت لزيارته بالمدرسة، واستأذنت من مدرس فصل خالد في أنني أريد أن أقول كلمة لابني أمام زملائه، ووقفت أمام كل التلاميذ، وناديت على خالد ليقف بجواري، وأحطه بذراعي وقلت لزملائه: اسمعوا يا شباب، خالد هذا ابني، وأنا أحبه كثيرًا، هو يجتهد كثيرًا ويذاكر، ومهما كانت درجاته قليلة، فحبه في قلبي كبير، مهما فعل فهو ابني وحيبي، من اليوم سأطبق معه القاعدة التي تقول: «على المرء أن يعمل وليس عليه إدراك النجاح، ومن اليوم إن ذاكر وكان الأول فهو ابني وحيبي، وإن ذاكر ورسب فهو ابني وحيبي، أريد أمامكم أن أتأسف لخالد عما فعلته معه فيما مضى»، وقبلت رأس خالد أمامهم، وانهمرت الدموع من عيني ومن عيني خالد، وأخذته في حضني وصفق جميع تلامذة الفصل، وعدت يومها للبيت مرتاحًا، وعاد خالد بعدي من المدرسة سعيدًا وقال لي: لقد رفعت رأسي اليوم يا أبي، لقد قال لي زميلي الأول على الفصل: «ليت لي أبًا مثل أباك»، ومرت الأيام وأنا أطبق قاعدة على المرء أن يعمل وليس عليه إدراك النجاح، وجاءت اختبارات الشهر لتثبت خالد أنني ملتزم بتلك القاعدة، وبمرور الوقت بدأ خالد يطمئن في نومه وتوقف عن كلامه لنفسه واخفى النبول اللاإرادي، لقد تحسن حال خالد وهدأت نفوسنا من حوله، لكن مستواه الدراسي لم يتحسن ونحن نقبله كما هو لأن هذه هي قدراته، ونصيحتي لكل أب بعد تلك التجربة: لا تضغط على ابنك كثيرًا، فربما يتعب نفسيًا، فتفتق في علاجه كل ما تملك ليعود طبيعيًا كما كان ولا تستطيع، فاستمتع بابنتك كما هو.

أسرار الماضي عندما يحكيها الشباب الصالحون:

جلست يومًا مع أبنائي الكبار لأحدثهم عن أفعالهم في الماضي منذ أكثر من عشرين عامًا، وفوجئت بهم يفتحون قلوبهم ويحكون لي أسرار الماضي، فقال لي صغيرهم (٢٠ سنة): هل تعلمين يا أمي أننا لما كنا نذهب لصلاة الجمعة، كنا نذهب إلى بيت مهجور نلعب فيه، ونعود لنكذب عليك وعلى والدنا، وقال الآخر: عندما كنت في ثانوي كنت أدخل غرقتي ولا أصلي وأقول لكم صليت وكنت أسمع الأغاني، ولقد فاجأهم عندما

قلت لهم: كنت أعرف هذا كله، وكنت على يقين أنكم ستصبحون أفضل، لأنها أيام وستمر بسلام إن شاء الله، وكانت مرحلة والحمد لله ربنا قضاهها على خير، وعادوا جميعاً للهدى والرشاد، والله إنني لأوصي الأمهات بالصبر على أبنائهم، وإياكم والياس فالزمن جزء من العلاج.

اللعب بدلاً من النقود:

كنت أعطي طفلي مصروفًا يوميًا نصف جنيه، وطلبت مني مرات كثيرة نقودًا أخرى فلم أعطها، فأصبحت تقول لي: عندما أطلب منك نقودًا زائدة عن مصروفي فلا تعطني، ولكن اللعب معي بدلاً من النقود، بمعنى إذا طلبت منك ربع جنيه لاعبني خمس دقائق، وعندما أطلب نصف جنيه لاعبني عشر دقائق وهكذا، وبذلك الطريقة أصبح اللعب بديلاً عن النقود... وسؤالي الآن لكل الآباء والأمهات: أيها أفضل؟ أعطي أبنائنا نقودًا أم أوقاتًا؟

دورة تنمية بشرية لابنائي.. فهل تنجح؟

يقول أحد المديرين الكبار في شركة عريقة: فكرت يوماً لماذا لا أعطي لابنائي ما أعطيه للموظفين في الشركة في مجال التنمية البشرية والإدارية، مثل دورة قيادة فريق العمل - الإيجابية - الابتكار - التخطيط، وبعد تفكير عميق قررت أن آخذ إجازة لتطبيق هذه الفكرة مدتها عشرون يوماً، واخترت إجازة نصف السنة الدراسية لأخذ فيها تلك الإجازة، وهي فرصة لا تتكرر بسهولة للقاءنا، فأبنايتي بين الجامعة والدروس الخصوصية ومواعيدهم كثيرة وانشغالهم متعددة مثلي تمامًا، وبدأت التطبيق معهم بمعدل دورة كل أسبوع ونطبقها بعدها معاً في بيتنا أولاً، هذا مع الخروج والزهرات النهارية والليلية، وأذكر أنه بعد دورة إدارة فريق العمل قلت لهم: هيا نطبقها علينا، فمن يريد أن يديرنا لمدة يوم كبداية، والمفاجأة أن ابنتي ذات العشر السنوات هي من بدأت تدير البيت بكفاءة لمدة يوم، تلاها بقية إخوتها، وخلال تلك الإجازة وضعنا أهدافاً لبيتنا، وخططنا لمستقبلنا

جميعًا، واليوم كم أستمتع في العمل بتدريس تلك الدورات للموظفين، وكم أستمتع عندما يسألني أحد أبائني عن الجديد في الدورات، وكم تغيرت حياة أبنائي بعد تلك التجربة، لقد كنت أظنهم صغارًا لكنهم أثبتوا لي العكس تمامًا.

في بريطانيا هل ينفع الدعاء لعقلي؟

كنا نعيش في بريطانيا، ومرض ابني مرضًا شديدًا وكان عمره مستين، ودخل المستشفى وقال لنا الأطباء: إنه لا رجاء في حياته فمرضه لا شفاء منه، فتوجهت لبيب الكريم سبحانه، وظللت أصلي من أجله صباح مساء إلى أن شاهدني زوجي فقال لي: «انوي أن تفعل شيئًا دائمًا من أجله إن شفاه الله تعالى، فقليل دائم خير من كثير منقطع»، فنذرت صلاة ركعتين طيلة حياته، وبكرم الله ثم شفاؤه بيا يقول عنه الأطباء معجزة، وهو الآن تخرج من الجامعة ويعمل في وظيفة محترمة ومقبل على الزواج، ومازلت أصلي هاتين الركعتين كل ليلة من أجله.

جمعية لتحقيق آمانيات الأطفال:

أصيبت ابنتي بمرض السرطان، كان عمرها خمس عشرة سنة، وأخذ المرض الفئاك ينتشر في جسدها، كانت تشعر بقرب الرحيل وكذلك كان يقول الأطباء، وظلت تتمنى أن تذهب لأداء العمرة، لكن ظروفنا الاقتصادية لم تكن تسمح، ظلت تردد: «أتمنى أن أزور الكعبة وأعمل عمرة قبل أن أموت»، وكنت أعدها بتحقيق طلبها إن شاء الله، كنا نحتاج مبلغ خمسة آلاف جنيه حتى تؤدي ابنتي العمرة وأنا برفقتها، وحاولت جاهدًا أيامًا وليالي جمع المبلغ، ورويدًا رويدًا اقتربت من تحقيق أمنية ابنتي، وذات مساء اكتمل المبلغ فأسرعت نحو ابنتي لأخبرها، دخلت عليها غرفتها في المستشفى، توجهت نحوها، ناديت عليها، وبشرتها بالخبر، لكنها لم تجيني، لقد ظلت صامتة ولم تتحرك، لقد رحلت عن الحياة قبل أن تحقق آمانياتها، وبعد أن واريناها الثرى ظلت حزينا مدة طويلة، لم أكن حزينا لوفاتها فهذا قدر الله الذي لا مفر منه، لكنني كنت حزينا لأنني لم أستطع تحقيق

أمنيته، ظلت التفود معي وكم وضعتها أمامي وأخذت أفكر في أمنية ابنتي، وذات يوم قلت لنفسي: يا ترى من طفل وطفلة تمني شيئاً قبل أن يموت ولم يستطع والده تحقيقه؟ لا بد وأن هناك كثيرين، فإذا كنت لم أستطع تحقيق أمنية ابنتي، فما المانع في أن أساعد الآخرين في تحقيق أمنيات أطفالهم المرضى، ولتحقيقي ذلك أسست مع جماعة من أصدقائي جمعية «لتحقيق أمنيات الأطفال»، وبدأ العمل بجهد واجتهاد، كان هذا منذ عشر سنوات، وحتى يومنا هذا استطعنا بفضل الله تحقيق أمنيات العشرات من الأطفال، كنت مع كل طفل تتحقق أمنيته على أيدينا أتذكر ابنتي، وأقول: لقد ماتت وما استطعت تحقيق أمنيتها، لكنها كانت سبباً في تحقيق أمنيات الكثيرين من الأطفال قبل رحيلهم عن الحياة.

وفي السجود وجدت حل مشكلة ابنتي:

أنا أم لأربعة أبناء، ولدين وبتين، الابن الأكبر ٨ سنوات، والابنة الثانية ٧ سنوات وهي من ذوي الاحتياجات الخاصة مصابة بشلل دماغي، وكان أخوها الأكبر يكرهها نظراً لاهتمامي بها، فكان يعاملها بشدة وعنف، وكنت أعامله بقسوة شديدة نظراً لقسوته مع أخته، وفي يوم من الأيام كنت أصلي وأخته جالسة أمامي على كرسي وهو بجوارها يلعب، ورأيت أخته أثناء صلاتي تقع من على الكرسي، وكان أخوها يستطيع إمساكها لكنه نظر لها ولم يساعدها وتركها تسقط، أحسست بحزن جارف يمتاح نفسي، كل هذا وأنا في الصلاة، فسجدت ودعوت الله أن يرشدني لطريقة التعامل معه، وبعدما انتهيت من الصلاة جلست بجانب ابني، وكلمته برفق وحب، وأخذت أشرح له حالة أخته المعاقة لأول مرة، كلمته عن سبب المرض وعن أعراضه واحتياجات أخته، وأخبرته أنها ستكون سبباً في دخولنا الجنة إن شاء الله، وبعدما تكلمت معه وسألني كثيراً عن حالة أخته وأجبته، أصبح من يومها هو الأكثر حناناً عليها، لقد كان تحولاً عجيبياً والسبب في ذلك أنني كنت أجرب القسوة لسنين فلم تفلح، ولما جريت الرفق ونجح والحمد لله، لقد كنت كمن يحاول فتح باب بغير مفتاحه، كنت مصممة على الفتح بالطريقة الخاطئة، لكنني لما جريت مفتاح الحب والرفق؛ فتح قلب ابني الطيب وأصبح عطفاً رقيقاً مع أخته.

أنا سعيدة لأنك أبي:

ابنتي في الصف الثالث الإعدادي، أخذتها ذات مرة بسيارتي في نزهة خاصة بنا أنا وهي فقط، ووقفنا في مكان روماني، وفتحت لها قلبي كثيرًا وشجعته على الحديث معي، حكيت لها عن بعض طفولتي، وما كنت أشعر به أو يمر بي وأنا في مثل سنها، وكيف أنني أتفهم طبيعة هذه المرحلة التي تمر بها، وهناك شعرت ابنتي بالأمان وتحدثت معي في أمور خاصة جدًا، ثم رجعنا ونحن سعداء، فكان أول شيء فعلته ابنتي بعد عودتنا، أنها ذهبت إلى أمها واحتضنتها قائلة: عندي أب هو أفضل وأحن وأغل أب في الدنيا، أنا سعيدة أن الله قدر رزقي هذا الأب.

بناتي.. ومنكر وكبير:

عندما كانت بناتي في المرحلة الابتدائية، تمت معهن بعمل مشهد تمثيلي، وكان مشهدًا تربويًا وضعت فيه ما أريد توصيله لهن، وكانت النتيجة رائعة واستمر أثرها الطيب لسنوات، تمت بالتمثيل معهن وكانت إحداهن تمثل الملك الذي يسجل الحسنات (منكر) والثانية كانت تمثل الملك الذي يكتب السيئات (نكير)، بينما تقوم أنا وأختهم الثلاثة بفعل سيئات وحسنات فيسجلها كل ملك في الصحيفة التي بيده، وفي النهاية نرى أنا وابنتي حمل حسنات كل واحدة أكثر أم سيئاتها.

وعلى خد طفلي تزول الأحزان:

قالت لي أُمِّي يومًا: «يوم أن كنت صغيرة، كنت كلما أصابني هم أو غم؛ كنت آتي نحوك، وأضع خدي على خدك حتى يلتصقا، ورويدًا ورويدًا تزول عني الهموم والأحزان»، ومرت الأيام وتزوجت ورزقني الله بطفل، وذات يوم جريت فكرة أُمِّي، وفوجئت أنني لا أضع خدي على خد ولدي إلا وأشعر بسعادة غريبة، ويزول عني ما كنت أجد من غم وهم، إننا نملك في بيوتنا ثروة كبيرة هم أبناؤنا، وبينهم نجد السعادة

التي نحرم منها خارج البيت، ومن الجميل أن ولدي وقره عيني عمره الآن ٧ شهور، والله عندما أنظر له وينظر إلي، تقول عيوننا كلامًا لا يقوله أفصح الشعراء.

هل سأحمي ابنتي من النار حقًا؟

تساجرت ابتنائي يومًا، وكانت ابنتي الصغرى هي المعتدية أولاً، فقالت لها أختها الكبرى المظلومة: «ستدخلين النار؛ لأنك ظلمتني»، فقالت لها الصغرى بعفوية جميلة: «لا، سأحمي يومًا بأبي ولن أدخل النار»، لقد هزنتي كلماتها البريئة وأحزنتني كثيرًا، لأنني لا أدري إن كنت سأحميها من النار يومًا أم لا؟ ولكي أكون أمًا حقيقية تحمي ابنتها من المخاطر، فكرت كثيرًا في كيفية حماية أبنائي من آلام الآخرة، وفوجئت أنني أحاول حمايتهم من حر الدنيا؛ فأحضر لهم المراوح والمكيفات ولا أجعلهم يسرون في الشمس، لكنني لم أفكر يومًا في كيفية وقايتهم من حر الآخرة، كنت أخاف عليهم من الظلام، فجهزت جميع الاحتياطات اللازمة من شموع وكشافات في حال انقطاع النور، لكنني لم أفكر في ظلمة القبر وكيفية حمايتهم منها، ومن يومها بدأت أحفظ لحماية أبنائي في رحلة الآخرة.

وأحسست بالذنب ستين يومًا:

أنا أم قاسية جدًا على أولادي، فأنا أعاقبهم عقابًا شديدًا، وأظن أنني عصبية جدًا لأن أبنائي متعبون جدًا ويعتمدون إثارة أعصابي، في أحد الأيام تسبب أحد أبنائي في فتح بركان الغضب الكامن في داخلي، فغضبه بشدة ودفعته بعنف نحو الجدار، فوقع على ذراعه وبدأ يتألم، وعند الطبيب اكتشفنا أن ذراعه مكسور، وبعد أن قام الطبيب بتجبيسه، عاد ابني إلى البيت متألمًا حزينًا، جلست أنظر لذراعه وأنا ألم، لن أكون كاذبة إذا قلت أن قلبي هو الذي انكسر وليس ذراعه، من يومها لم أشعر بطعم البسمة ثلاثين يومًا مدة الجبس، وبعد تمام الشهر ذهبنا للطبيب لفك الجبس، وكانت المفاجأة أن الذراع قد التصق في وضع خاطئ، فكسره الطبيب وأعاد تجبيسه للمرة الثانية، واستمر مشوار الألم ثلاثين

يوماً أخرى، كم شعرت خلالها أنني أم قاسية جداً، والله لقد أحسست بالذنب ستين يوماً إلى أن فك الطبيب الجبس بسلام، وانطلاقاً من هذا الموقف غيرت تعاملي مع أولادي، فصرت أهدأ وأحن وأكثر تعبيراً عن الحب الكامن في قلبي، والله بدأت أستمع بأموستي وأعيش بلا عصبية أجمل أيام حياتي مع أبنائي الأحباب.

العُصَبُ في يوم الإجازة:

لكثرة غيابي عن المنزل؛ قرر أبنائي جميعاً أن يأخذوا يوم السبت إجازة (غياب) من مدارسهم ليقابلوني ويجلسوا معي؛ هذا لأنني لا أتواجد بالبيت سوى يوم السبت، وبقيّة الأيام في طاحونة الحياة ومشاريع لا تنتهي ونجارة لا تتوقف، لقد أعطاني أبنائي درساً كبيراً في الحب والتضحية، فغياهم هذا اليوم احتاج ترتيباً مع أهمهم وسيترتب عليه دروساً سيذكرونها وحدهم، وقلت لنفسني: من الذي يجب عليه أن يأخذ إجازة؟ أنا أم أبنائي؟ وإن لم أستمع بالحياة مع أبنائي اليوم فمتى سأجلس معهم؟ ولذلك قررت تعديل حياتي حتى أكون متواجداً أكبر قدر ممكن بين أبنائي، لا للنوم ومشاهدة التلفاز، ولكن للترية وتبادل الحب وصنع الذكريات.

لمسة حنان غيرتني:



كنت قاسية جداً على ابنتي وألومها على كل شيء مهمها كان نافعاً ويمكن التغافل عنه، وذات يوم مرضت مرضاً شديداً؛ فأخذت الدواء ونمت في سريري، وفي منتصف الليل استيقظت فوجدتها نائمة على الأرض بجوار السرير الذي أنام عليه، لقد تركت سريرها في هذا الجو البارد ونامت على الأرض تحت قدمي لتلبي طلباتي، كم حزنت ساعتها إذ لم أكن أتوقع منها كل هذا الحنان، ومن يومها تغيرت علاقتنا، وتحسنت حالة الحوار بيننا، وزاد الود والحب، وكم اكتشفت فيها من خير وقدرات وأخلاق وصفات طيبة كثيرة، كان غضبي في السابق يعميني عن رؤيتها.

رنة تليفون ابنتي.. يا رب صبرني:

ابنتي الكبرى ١٦ سنة، ذات عقل كبير وشخصية محترمة، كنت دائماً على خلاف معها، فأنا أريدها أن تسمع كلامي فقط، لكنها بالطبع تحاور وتعارض وتبدي رأيها بكل جرأة، فلا تجد مني غير الصد والتهديد والتبكي والتعنيف، ولما فاض بها الكيل جعلت رنة تليفونها الخاص برقمي أنشودة «يا رب صبرني»، فكانت كلما اتصلت بها ينطلق الموبايل معنياً: «يا رب صبرني»، ويومها جلسنا نضحك، ولكني بيني وبين نفسي كنت حزينة، وطلبت منها تغيير تلك الرنة الخاصة برقمي على تليفونها، وفعلاً غيرتها، ومن ساعتها بدأت أتعامل معها بحب وصدقة ورفق، وأملّي يوماً أن تجعل رنة رقمي على تليفونها رنة أحب صديقاتها إلى قلبها.

عيون لا ترى غير الأخطاء:

مشكلتي مع ابنتي أنني دوماً أركز على أخطائها حتى أعالجها، فلا أترك لها هفوة دون توجيه أو توبيخ، وذات صباح توجهت إلى عملي وتركت البيت بأسوأ حال، فالأطباق متسخة والمطبخ كساحة المعركة بعد انتهائها والأسرة غير مهندمة... إلخ، كنت يومها مجهدة واستيقظت من نومي متأخرة، وعندما عدت إلى البيت وجدته جميلاً مرتباً نظيفاً، لقد قامت ابنتي بفعل ذلك كله ولم تنس شيئاً من أعمال المنزل، وجلست تنظر قدومي لأفرح بتلك المفاجأة، واعدة نفسها بسبل من الشكر والمكافأة، لكنني دخلت البيت في صمت، ومررت بها كأنني لم أرها، ولم أقل لها حتى كلمة شكرًا، لقد دخلت نحو غرفتي دون أن أحترم مشاعر هذا الكائن المسكين الذي يسمى ابنتي، وكم أذيت مشاعرها بهذا التصرف الذي يتناقض مع كلمة أم، فأثر ذلك في نفسها وغيضت مني غضباً شديداً وخاصمتني فترة طويلة، ظلت كذلك حتى اعتذرت لها، فرفضت سريعاً وسامحتني، لكنني لم أسامح نفسي على ما فعلته في السنوات الماضية معها، لماذا كنت أرى فقط أخطأها ولا أرى حسناتها؟ ومن يومها عاهدت نفسي أن أرى ما في ابنتي من خير، ولقد كانت النتيجة مذهلة لي ولها.

وبعد النوم أعتذر لابنائي

أنا بصراحة أم قاسية مع أولادي بالرغم من أني أحبهم كثيرًا، ولعل تلك القسوة تكون نتيجة لخوفي الشديد عليهم، وفي كل ليلة بعدما يتامون جميعًا؛ أدخل عليهم حجتهم وهم نائمون فأجدهم كالملائكة طيبين وكالأطفال مساكين، فأندم كثيرًا على ما أفعله معهم وأبكي بينهم كثيرًا، ثم أبدأ في غناطبتهم وهم نائمون: يا أولادي سامحوني أنا غلطانة في حثكم والله أحبكم، أفعل ذلك معهم كل ليلة وأغطيهم وأقبلهم وأدعو الله ألا يجرمني منهم، لكنني لا أظهر لهم الحب والرحمة إلا وهم نائمون كل ليلة، فدمتي يأتي اليوم الذي أفعل ذلك معهم طوال النهار وهم مستيقظون، قل عسى أن يكون قريبًا.

طفل الثالثة كيف يجب أباه؟

بدأ ابني بنام بجوارري منذ بلغ الثانية من عمره، وبدأت معاناتي كأب من طلبات الليل التي لا تنتهي، ظل هذا الحال عامًا كاملًا، وفي ليلة من الليالي قام ابني من نومه في منتصف الليل وذهب ليشرب ماء، ثم جاء وهو يمسك الكوب بيده وأيقظني من النوم وقال بصوته الطفولي العذب: تشرب يا بابا؟ فكانت تلك الكلمات من أسعد ما سمعت في حياتي، إنه حب الطفولة الصادق النقي، فاحتضنته وشكرته ونمتا في حضن بعضنا، أذكر في تلك الليلة بالذات أنه لم يكن وحده يستمتع بحضني، بل كنت أنا أيضًا مستمتعًا بالنوم في حضننه، ومن يومها أحاول استخراج ما في قلب ابنائي من محبة، كما أجتهد في الاستمتاع بأبوتي قبل فوات الأوان.

ابنتي بين كوب الذل وكوب المحبة:

أنا أم تربت وسط ثمانية إخوة وأخوات، كنا جميعًا نشترك في عمل المنزل بحب وسعادة، واليوم لا أعرف كيف أجعل ابنائي يسمعون كلامي، فمثلا إذا طلبت كوبًا من الشاي فنادرًا ما يستجيب أحدهم، لدرجة أنني سميت كوب الشاي «كوب الذل»،

ونتيجة لهذا العصيان العام، كنت أظن أن أبنائي لا يحبونني ولذلك لا يسمعون كلامي، وذات يوم مرضت مرضاً شديداً وارتفعت حرارتي، ففوجئت بابتني تسهر بجوارني طوال الليل لتضع لي الكمادات، فعلمت حينها أن حب أبنائي لي كبير، وجلست أفكر كيف أحول كوب الذل إلى كوب المحبة، ولقد نجحت بفضل الله في اكتساب طاعة أبنائي، لما غيرت في طريقة تعاملهم معهم وإدارتي لهم.

📌 لن أطيعك يا أمي إلا بضرب النار:

طلب مني ابني يوماً أن أتوقف عن الصراخ في وجهه وقال لي: «يا ماما! لو قلت لي يا ابني يا حبيبي افعل كذا بالذوق والهدوء، سأطيعك فوراً وسأفعل ما تريدني»، ووعده بالتغيير ووعدي بالطاعة إن غيرت طريقة طلبي منه، وبعدها عاملته بالترفق والذوق كما طلب، وصبرت عليه ألف مرة، حتى جاء إلي يوماً وقال لي: «تصوري يا ماما! أنا فعلاً لا ينفع معي الذوق ولا أمشي إلا بضرب النار، ساعيتي، لا تحزني مني أنا غلطان»، لكنني لم أغبر أسلوبي معه، أتعلمون لماذا؟ هذا لأنني في الحالتين لم أكن أحصل على طاعته لي، فلماذا أصرخ والنتيجة في الحالتين واحدة، والعجيب أنني رددت عليه قائلة: سأصبر عليك وستكون أفضل فأنا أحبك، ومن يومها بدأ التغيير شيئاً فشيئاً.

📌 وفي الغيبوبة أفاقت روح ابني الطيبة:

كانت طفولة ابني رائعة طاعة وأدب وصلاة وقرآن، وعندما دخل في مرحلة المراهقة تحول تماماً، فحل العصيان محل الطاعة، وبدأ صوته يعلو عليّ وقل احترامه لي، وذات يوم حدث لابني هذا حادث أليم فقد على إثره الوعي ودخل في غيبوبة لمدة شهر، وتبعه ثلاثة أشهر تعب شديد، كان عمره حينها ١٨ سنة، وحينها كنت أنظفه وأغير له ملابسه مثل الأطفال تماماً، فقد كان فاقدًا للتحكم في عملية الإخراج، أذكر ساعتها عيونه فقد كان ينظر لي حينها حزيناً معتذراً، وكنت أقول له: أنا ماما ولا حرج، وممرت الأيام وشفاء الله بكرم منه سبحانه، وبعدها أصبحت علاقتنا أفضل من السابق بكثير، وعاد لما تربى عليه من خير.

بالحنان.. نجح ابني في الامتحان:

ذات ليلة أثناء امتحانات ابني في الصف الأول الثانوي؛ وجدته يجلس صامتاً ولا يذكر، فقلت له: لم تجلس هكذا؟ فقال: امتحان الفلسفة غداً ولا أفهم شيئاً في تلك المادة، فقلت وأنا غضبي: اليوم تقول لي هذا الكلام؟ هيا مات الكتاب وسأحاول مساعدتك لتذاكر وتفهم شيئاً، فقال: بدلاً من ذلك تعال نتحدث معاً كابن وأمه، فوافقت على مريض، وجلسنا ساعة أو أكثر نتحدث حديثاً من القلب إلى القلب؛ ثم ودعته بحب وقلت له قم لتنام وغداً يسر الله لك، فودعني وقام ليُدخل غرفته، وفوجئت به يجلس ليذاكر، وفي اليوم التالي دخل الامتحان ومر بسلام، ولما ظهرت النتيجة كانت المفجأة أن أعلى درجة حصل عليها ابني كانت في مادة الفلسفة، ولم لا وقد دخل الامتحان بعد أن أخذ جرعة من الحنان والدعاء والتحفيز والأمل، وبذل ما استطاع من جهد.

سؤالان.. للتواصل وفهم الأقدار:

منذ أن دخل طفلي الروضة؛ كنت أسألها كل يوم سؤالين هما: ما أجمل شيء حدث معكم في الحضنة اليوم؟ وما هو أسوأ شيء حدث معك في الحضنة وأحزنك؟ وظللت لسنوات أفعل معهم ذلك، وكم وثقت تلك الفكرة التواصل بيننا، وساعدتها على تفرغ همومها، وساعدتني في حل مشاكلها قبل أن تتفاقم، ثم تطورت الفكرة مع الأيام، وأحضرت لكل واحد منهم أجندة تضم كل أيام السنة، وكتبت في كل يوم عبارتين هما: أفضل شيء حدث معي اليوم هو... وأسوأ شيء حدث معي اليوم هو.....، وعلى الطفل أن يكمل العبارتين بما حدث معها، وكل أسبوع نجلس معاً لتراجع أحداث الأسبوع، ونكتشف كيف كان الحدث التعيس منذ أيام سبباً في حدث سعيد بعده، وهكذا بدأنا معاً نفهم الحكمة من القضاء والقدر، وتعلمنا الشكر على السراء والصبر على الضراء، وأدعية كشف الضر حفظناها معاً... وكم كانت فكرة جميلة تواصلت من خلالها مع طفلي لسنتين، وهما اليوم في الجامعة، ومازلنا نجلس نهاية كل أسبوع نتحدث معاً عن أفضل حدث مر بنا هذا الأسبوع وأصعب حدث.

وتمنيت أن ينطق ابني الرضيع ليقول لي «سامحك» :

من أصعب المواقف التي مررت بها مع طفلي الصغير «عام ونصف»، أنه قام في أحد الأيام ببعض المواقف الطفولية البسيطة مثل أي طفل من حركة وعناد وتشويه لبعض الأثاث، ولقد تعاملت مع براءة أفعاله بقسوة وعنف، لقد ضربته بشدة لدرجة أنه كان يبكي من شدة الألم وهو لا يعرف لماذا يُضرب، ولا يدري ما الذي اقترفته يده حتى يصب عليه أبوه الحبيب هذا الوابل من التعذيب، وبعدها ندمت كثيرًا وصالحته ولاعبته، لكن نظراته الصامتة تكاد تقتلني، والله كم تمنيت أن ينطق ويقول لي: «خلاص سامحك يا ماما»، فهل تراه بقولها لي يومًا.

ابنتي الخامسة.. حمل مرفوض ورزق مورود :

عندما كنت حاملاً في ابنتي الخامسة وهي أصغر بناتي، اعترضت أمي وغيرها بشدة على هذا الحمل نظرًا لأسباب موضوعية، لكنني فوجئت ببناتي الأربعة يقفن معي، وصممن على بقاء هذا الحمل، وقاموا بخدمتي طوال فترة الحمل وبعد الولادة، وموقفهن هذا لن أنساه أبدًا، وجاءت ابنتي الصغيرة على خير، ومعها جاء الخير والبركة، وكثيرًا ما أحكي لها موقف أخواتها معها، وحبيهم لها حتى قبل أن تولد، وصدق رسول الله ﷺ حينما قال: «لا تكرر هو البنات فإنهن المونسات الغاليات» السلسلة الصحيحة للأباني ٧ / ٦٢٧.

الهروب من الكتاب إلى حظيرة الدجاج :

ذات يوم اشتد محفظ القرآن على ابني، ومن كثرة ما ضربه كره ابني الذهاب إلى الكتاب، ومن شدة حرصي على ابني اشتدت عليه أنا أيضًا، ولم أرحم ضعفه، وأكملت ما بدأه الشيخ من تكبيل وضرب، واستمر الأمر حتى هرب ابني وترك البيت، وظللنا نبحث عنه حتى قبيل الفجر، وفجأة سمعت صوت حركة في حظيرة الدجاج، فأسرعت نحوها فوجدت ابني الحبيب جالسًا هناك خائفًا يترقب، هنا أحسست بذنب عظيم

وضمته نحو صدري وطمأنته، وقررت من يومها ألا يذهب إلى هذا الشيخ مرة أخرى، رغم الصداقة التي كانت بيني وبين الشيخ، لقد كان يظن أنه يجاملني بالقسوة على ابني حتى يحفظ أكثر، ومن يومها قررت ألا يحفظ ابني الحبيب إلا برفق شديد.

لقد تعلمت.. ولكن أمه لم تتعلم:

من كثرة ضغطنا على ابني الكبير ولومنا له وضربنا فيه؛ كره الحياة معنا فقرر مغادرتها، كل هذا ونحن في غفلة من أمرنا، وفجأة رمي بنفسه من الدور الرابع حتى يموت، ولكن الله سلم، ومن يومها أدركت أن الضرب لا يصنع رجلاً، وأن القسوة لا تبني جسور المودة، وأن التأنيب لا يصنع بطلاً، فتبت إلى الله من يومها وغيّرت طريقي مع ابني الحبيب، لقد تعلمت الدرس من يومها ورأيت الحدث بمنظار الأب المحب، لكن زوجتي رأت عكس ذلك، لقد رأت فيه طفلاً عنيداً يجلب المشاكل ويعمل في رأسه أفكاراً عدوانية، لقد تعلمت ولكن أمه للأسف لم تتعلم.

حفلة منزلية وأسرّة مثالية:

حصلت ابنتي الصغرى (٣ ابتدائي) على شهادة تقدير من المدرسة، فجمعت أبنائي كلهم مع والديهم، وقررنا عمل حفل على نطاق الأسرة، وكلفت ابنتي الكبرى (أولى ثانوي) بتقديم الحفل، وكان علي ابنتي الثانية (ثانية إعدادي) قراءة القرآن، أما أختهم الثالثة (سادسة ابتدائي) فكان نصيبها الأنشودة، أما أنا فكان علي إلقاء كلمة حول أهمية التفوق في حياة المسلمين، وهم أن تفوق أحدنا هو نصر للجميع، وفي النهاية تقدمت زوجتي هدية للبت الصغرى وهدايا لأخواتها لأنهم شركاء لها في النجاح، كل هذا في جو من المرح والفرح والضحك.

شراكة الصغار في تجارة الكبار:

عندي بفضل الله محل كبير لإكسسوارات البيوت من لوازم الحيوانات والستائر وغيرها، ولي شريك طيب كريم، جلست معه يوماً لنفكر في مستقبل أبنائنا، وقررنا أن

نشرك ابنتنا (ابني ١٣ سنة وابنه ١٤ سنة) معنا في التجارة، فأحضرناهما يوماً وقلنا: لقد كبرتما فشاركونا في المحل، ما رأيكما أن نبيعكما ركنًا من المحل لتديروا وتباعه وتحصلا على ربحه بجوار دراستكما، وبدأنا معها برف صغير خاص بالمسامير وبتباعهم إياه فقط بـ ٢٥٠ جنيهًا، ومن يومها بدأ الولدان يجردان المسامير ويتباعان حركة البيع ويتصلان بالتجار، ومع الأيام ازدادت تجارنتنا بركة، فقد أصبحنا أربعة شركاء وأصبح الرزق لأربعة بدلًا من اثنين، وهكذا حصل الشبان على ٢٥٪ من الأرباح يأخذون جزءًا منها شهريًا، وكانت المفاجأة أنها يخرجان من ربحهما في وجوه الخير المتعددة كما نفعل نحن، وكم جلسنا معًا ليفكرا في تطوير نصيبها لدرجة أنها قررا شراء تريسكل (دراجة بها درج حديدي لحمل البضاعة) للتوزيع على المحلات التي تعمل في نفس تخصصنا، وبمرور الأيام قد يفتح الولدان مشروعًا بنافسنا أو فرعًا مستقلًا.

١٠ أمي... هل جننا الدنيا لكي تذولونا؟

ابني عمره عشر سنوات، قال لي يومًا: أتمم تحموننا من اللعب والتلفزيون و... الاستمتاع بالحياة، ولا تعرفون سوى: ذاكر... احفظ... صل... وطبعًا تضربون وتصرخون وتشتمون و... هل جننا الدنيا لكي تذولونا؟؟ ولقد تفكرت في كلماته وقلت ربما يكون عنده حق، فالذي لن يتمكن من رفع رأسه في بيته لن يرفعه أبدًا في الخارج، ومن لم يتمكن من قول «لا» بأدب وموضوعية لوالديه اللذين هما أرحم الناس به؛ فلن يتمكن من قول لا لأحد في الخارج، ومن لم يستمتع بطفولته فهل يكون لحياته معنى؟ ومن يومها قررت أن يكون للمساعدة والخبرة والكرامة مكان في بيتنا.

١١ ربما أمرض ابنك... يشفي لك قلبك:

بعض الآباء مبتلى بكراهية أحد أبنائه، ولا يعالج تلك النزعات الشيطانية إلا مرض هذا الابن؛ وتكون النتيجة أن يتحول قلب الأب فيمتلئ حبًا وودًا ورفقًا، بل ربما يكون الابن نفسه بحاجة إلى مزيد من الحب من والديه؛ فيمرضه الله تعالى ليحصل على مزيد الحب والحنان، ويتحقق له بعد المرض شفاء القلب وشفاء الجسد، وبعض الآباء قد

يعيش مشغولاً مغترباً عن بيته وأولاده، ولا يصحح مسار حياته إلا مرض أحد الأبناء، وقد يعتقد بعض الأبناء أن أباه لا يجهه أو أنه يفضل أحد إخوته عليه، ولا يصلح ما بينها من علاقة ولا يزيل سوء التفاهم إلا مرض هذا الابن الذي يقابله عطف أبيه وأمه، فسبحان من له في تصريف القلوب آيات وأحكام...

يقول أحد الآباء: كنت أباً مشغولاً نوعاً ما، وعندما كانت ابنتي في الصف الأول الإعدادي مرضت بمرض جلدي، فبذلت معها مجهوداً غير عادي، ذهبت بها إلى جميع الأطباء في محافظتنا وفي القاهرة، وما كنت أسمع عن طبيب ماهر إلا وحجزت لها عنده، كانت رحلة العلاج شهوياً صعبة ومرهقة، لكنني خلال تلك الفترة لأول مرة أقتربت من ابنتي لهذا الحد، لم أكن قبل ذلك أعرفها وفي رحلة المرض عرفتها، بل إنها لم تكن تعرف كيف أحبها، لكنها لمست هذا الحب في تلك الرحلة، وفي النهاية شفاها الله تعالى من هذا المرض، ومرت السنوات وكبرت ابنتي وتزوجت وأنجبت، وظلت فترة قربي منها في رحلة علاج المرض الجلدي محفورة في ذاكرتها وتحدثت عنها مع الجميع، وتخبرهم بمدى حبي لها وما بذلته من أسباب ودعوات وصدقات حتى شفاها الله تعالى، لقد كان المرض نعمة كبرى حيث ألق بين قلوبنا وزاد الحب فيما بيننا.

يقول إحدى الأمهات: كنت دائماً أشعر أن أولادي أقل من أقرانهم ذكاء وثقافة وتعليماً، كانوا يقبلون على الدراسة بملل وكسل ووهن وكانت درجاتهم طبياً سيئة وفاضحة لي أمام الناس، فكنت أقول: ليتني لم يكن عندي أولاد فأولادي هؤلاء لا يشر فونتي، وفجأة مرض ابني الكبير، وتبعته أخته فدخلت مرتين في غيبوبة، وعندها فقط خفت من ضياع أولادي مني بسبب أمي البلهاء، وقلت: أستغفر الله، أنا أريد أولادي بجوارري ولو لم يكونوا حتى متعلمين، وحدث الله على هذا الدرس، وأسأل الله تعالى أن يتعلم أبوهم (زوجي) الدرس نفسه فيحب أبناءه كما هم ويستمتع بحياته معهم قبل أن يفقدهم أو يفقدوه.

يقول إحدى الأمهات: كنت أقسو على ابنتي كثيراً، وذات يوم أجرينا لها عملية جراحية، وطبعاً جلست بجوارها أخدمها وأسهر على راحتها، ونتيجة لعطفي عليها تلك

الليلة صدمتني بقولها: «والله يا ماما كنت أعتقد قبل اليوم أنك لا تحبينني»، فتلقت كلماتها صامتة، وفكرت كثيرًا فوجدتها محقة، فهذه هي المرة الأولى التي أعبأ لها - عملياً - عن حبي لها، فنويت أن أبدأ معها عهدًا جديدًا من إظهار الحب وتبادل الود.

في أزمات الآباء.. تظهر تربية الأبناء:

كلنا يشعر بمشقة تربية الأبناء في هذا الزمن الصعب، وكثيرًا ما نشعر أن ما نبنيه في نفوسه تهدمه ألف يد أخرى، وكثيرًا ما نشعر بخيبة الأمل، ونسيء الظن كثيرًا بأبنائنا، لكننا نتفاجأ في الأزمات أن لتربتنا عمرات طيبة، وأن قلوب أبنائنا فيها خير كثير، وأنا واحدة من الأمهات التي لم تكتشف معدن ابنتها العالي والنفيس إلا في أزمة المرض، فذات يوم مرضت بشدة لدرجة أنني خفت من الموت، فأخبرت ابنتي أن عليّ مبلغًا من المال، وطلبت منها لو حدث لي شيء أن تسدد عني هذا الدين، ووعدتني ابنتي والدموع على خديها بقضاء ديني، ومررت الأيام وشفاني الله تعالى، والعجيب أن ابنتي أخذت على نفسها عهدًا لا رجعة فيه أن تسدد ديني من مصروفها حتى بعد شفائي، ولقد صدقت في عهدتها ونفذت قرارها، فقلت: سبحان الله! كم في أبنائنا وبناتنا من طاقات لكننا نستصغروهم ونظن بهم سوء، وتأتي الأزمات لتخرج ما في أبنائنا من خير، ولتعطينا الثقة في أن ما نغرسه في قلوب أطفالنا لا يضيع، ساعشنا الله تعالى على سوء الظن بأبنائنا.

يا أمي.. أنت كسرتني:

أنا أم وأعمل وكيلة لمدرسة ثانوية، وذات يوم جاءني أحد المدرسين وقال لي: «الحفي بابنك (ثانية ثانوي) عند المدير وقد أثار الكثير من المشاكل، وأنصحك أن تترقي به حتى لا يرفع صوته عليك ويقبل أذنه»، فأنارتني كلمات هذا المدرس، وذهبت نحو حجرة المديرية متحفزة ونائرة وغاضبة على ابني، وفي ذهني أن أثبت للجميع أنني ربيت ابني وأنه مؤدب، وعندما وصلت هناك وجدت ابني يجادل المدير بحدة وسوء أدب، فما كان مني إلا أن خلعت حذائي وضربته به على وجهه، نعم فعلت ذلك، ومن هول الصدمة سكنت

ابني وانفجر باكياً، واكتشفت هول ما فعلت فبكيت لبكائه، وأخذته في حضني، حدث هذا الموقف منذ حوالي عشر سنوات، وابني هذا اليوم قد تخرج من كلية الطب وبدأ يمارس حياته العملية بنجاح واقتدار، ورغم مرور السنين غير أنه لم ينس ما فعلته به في غرفة المدير وأمام الجميع، وكلما جلس معي بكى وذكرني بهذا الموقف، إنه يقول لي دوماً: «يا ماما أنت كسرتني، إنني مهما كبرت أشعر أنني كسير أمام الناس»، وحتى يومنا هذا لا يريد أن يسامحتني على ما فعلته به.

ابني الصغير يريد لي الجميل:

وقفتي الله تعالى إلى معرفة بعض السنن النبوية الطيبة التي أفعلها عندما يمرض أحد أبنائي، فإذا مرض أحدهم أتصدق بنية شفائه، وأدعوه له دعاء المريض المأثور عن النبي ﷺ، وذات يوم مرضت ونمت في غرفتي لأستريح، وأنا نائم فوجدت بابني الصغير يدخل عليّ ومعهُ أخوه الكبير دون أن يشعر بهما أحد، وقاموا بتقبيل يدي ودعوا لي بالشفاء، وتوضأ وصليا ركعتين وسمعتها بعض الصلاة يرفعان يديها الصغيرتين ليدعوا الله لي بالشفاء، والله موقفها هذا عندي أفضل من كل تقود وشهادات الدنيا.

أولادي ومسرحية الأب المحبوب:

ذات يوم بعد العشاء قال لي أبنائي: لك عندنا الليلة مفاجأة، أنت معزوم على مسرحية رائعة، وأجلسوني مع أمهم على كرسيين في الصالة، وبدأت المسرحية، كان عنوانها الأب المحبوب، وأولادي هم الممثلون والمؤلفون والمخرجون، وكانت مسرحية فنية تدور حول الأب الذي يحبه أبنائه والأب الذي يكرهه أبنائه، والمقارنة بين الاثنين،

(١) روى البخاري عن السيدة عائشة - رضي الله عنها - أن النبي ﷺ كان يعوذ بعض أهلها، يسمح بياء اليمنى ويقول: «اللهم رب الناس أذهب البأس، اشفقه وانت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقماً».

روى البخاري عن أبي سعيد الخدري أن جبريل أتى النبي ﷺ فقال: يا عمدا! اشتكيك؟ فقال: نعم! قال: باسم الله أرفيك. من كل شيء يؤذيك. من شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك. باسم الله أرفيك.

عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: من عاد مريضاً لم يحضر أجله فقال عنه سبع مرار أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك إلا عاقبة الله من ذلك المرض. صحيح أبي داود ح ٢٦٦٣.

وبدعوا يقلدون حركاتي وكلماتي، وكانت رسالة جيدة منهم أوقفتني مع نفسي، ووصلتني رسالتهم، ووعدهم بالتغيير نحو الأفضل.

أبنائي الصغار . ومطالب أهل النار:

من فضل الله على أن أبنائي يميون حفظ القرآن الكريم، ويأتهم شيخ في البيت ليحفظوا معه، وقبيل رمضان سألت أحد أبنائي سؤالاً بسيطاً في معنى آية يحفظها، فوجدته لا يعرف عنها شيئاً، وساعتها فكرت في كيفية ربط أبنائي بالقرآن فهياً وعملاً مع الحفظ، وأكرمني الله بالفكرة التالية، جمعت أبنائي وبناتي قبل رمضان بيوم وقلت لهم: نحن جميعاً بفضل الله نحاول ختم القرآن مرة في شهر رمضان، سنجعل ختمة هذا العام للضم والتدبير، فقالوا: كيف ذلك؟ قلت: سنبحث معاً عن نعيم أهل الجنة، وكل واحد منا يجد آية تتحدث عن نعيم أهل الجنة وسعادتهم يسجلها، ونجتمع مساء ونرى ما جمعناه ونقرأ تفسير آية واحدة منها نتفق عليها جميعاً، ويفضل الله طبقنا الفكرة وكانت رائعة، ودارت الأيام، وأقبل رمضان العام التالي، فكان اقتراح أبنائي أن نبحث في رمضان هذا عن مطالب أهل النار بعد أن يدخلوها في الآخرة، فمن قرأ ربماً أو جزءاً من كتاب الله على مدار اليوم يخرج ما فيه من مطلب أهل النار ويكتبه، وفي المساء نجتمع عشر دقائق لنرى ما وصلنا إليه، ولمن يفعل ذلك جوائز جيدة، ولأمرتنا جائزة كبرى في العيد إن أقمنا المهمة، وبدأنا المشوار وكم كان توفيق الله من نصيبنا، فقد جمعنا في نهاية شهر رمضان من القرآن الكريم ٩ مطالب لأهل النار، هي:

(١) طلب الفداء: قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَنُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُضَلُّ مِنْهُمْ وَهُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ﴾ [الأنعام: ٣٦]، وقال جل شأنه: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَنُوا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَبَدَأَ لَهُمْ مِنْ اللَّهِ تَائِبًا يَتَكُونُوا يَتَحَسِبُونَ﴾ [الزمر: ١٤٧].

(٢) طلب الخروج من النار: قال تعالى حكاية عن الكافرين: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوكَ مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ٣٧]، وقال جل شأنه عن أهل

النار: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتِنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾
 [غافر: ١١].

(٣) طلب العودة إلى الدنيا لعمل الصالحات: قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذَّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿يَلْ بَدَأَهُمْ مِمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٧، ٢٨]، وقال جل شانه: ﴿حَتَّىٰ إِذَا سَاءَ أَمْرُهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ ﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ ﴿كَلَّا إِنَّمَا كَلِمَةٌ مِمَّا قَالْتُمْ هُوَ وَمَنْ يَرَاهُمْ يَرْجُخْ إِلَىٰ يَوْمِ يُنْعَمُونَ﴾ [الموسى: ٩٩، ١٠٠].

(٤) طلب الاستنجاد بالشركاء والأولياء: قال تعالى: ﴿وَيَرْجُوا اللَّهَ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ ﴿قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ سَوَاءَ عَلَيْنَا أَجْرُ غَنَاءٍ أَمْ صِرْفًا مَا لَنَا مِنْ مِجْهِصٍ﴾ [البراهيم: ٦١]، وقال جل شانه: ﴿وَإِذْ يَتَخَاوُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ﴾ ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾ [غافر: ٤٧، ٤٨].

(٥) طلب الانتقام من أضلوهم: قال تعالى: ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعْنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأَوْلَادِهِمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا قَائِمِينَ عَذَابًا يُعْطَاهُمُ النَّارُ قَالَ يَكُلُّ يَضَعُفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿قَالَتْ أَوْلَادُهُمْ لِأَخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الأعراف: ٣٨، ٣٩].

(٦) طلب تخفيف العذاب: قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَازِنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ﴾ ﴿قَالُوا أَوْ لِمَ تَدْعُنَّيْكُمْ وَرُسُلَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا قَادِعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [غافر: ٤٩، ٥٠].

(٧) طلب سقيا الماء والطعام: قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَيْضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ يَأْتِيَنَّكُمْ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الأعراف: ٥٠].

(٨) طلب النور: قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسِبْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ [الحديد: ١٣].

(٩) طلب القضاء عليهم: قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ * لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ * وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمْ الظَّالِمِينَ * وَتَادُوا يَا مَلِكُ لِيَقْضِيَ عَلَيْْنَا رِبْكَ قَالَ إِنَّكُمْ تُكَايِبُونَ * لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرَكُمْ لِلسَّخِرَاتِ كَارِهُونَ﴾ [الزخرف ٧٤ - ٧٨].

كنا نجتمع كل مساء لنرى ما توصلنا إليه جميعاً، ونقرأ تفسيره ونفكر في معانيه، ونقرأ تفسير آية واحدة نتفق عليها جميعاً، وكما تعلقت قلوبنا بالقرآن وتعاملنا أن ندخل الجنة معاً بعيداً عن أهل النار، وحصلنا جميعاً على جائزة الشهر القرآنية ولقد كانت جائزة قيمة وجديدة من نوعها أحبها الجميع وسعدوا بها.

سنتين يصلي بلا وضوء:

كنت لسنتين أصحب أولادي إلى الصلاة بالمسجد، وكنت أفترض أنهم يدركون من ملاحظتهم لي مبادئ الوضوء والصلاة، وذات يوم ونحن في طريقنا إلى المسجد سألت أحدهم: هل توضأت؟ فقال لي: «أنا لا أعرف كيف أتوضأ، أنا فقط أغسل وجهي ويدي ورجلي ورأسي»، كان عمره يومها عشر سنوات، فأصبحت بصدمة كبيرة... ومن يومها لا أمر أبنائي بشيء إلا وأعلمهم كيفية وثوابه.

خمسة أيام في الدنيا:

لا أنسى اليوم الأخير مع ابني قبل موته، ولد مريضاً وتوفي وعمره خمسة أيام، كنت أذهب إليه يومياً في المستشفى رغم تعب الولادة، وتوفي في اليوم الوحيد الذي لم أذهب إليه، ودفن قبل أن أراه، جعله الله لنا ذخراً في الآخرة، وعوضت هذا الفقدان مع بقية أبنائي، فهم قرعة عيني ونور قلبي.

مشروع صيفي وفيه مكسب قرآني:

في بداية الإجازة الصيفية أخبرني ابني ذو العشر سنوات أنه يريد أن يخرج لنعمل مع زملائه، وهذا الأمر أسعدني جداً، لكنني كنت أتمنى أن يلتحق بمكتب تحفيظ القرآن ليواصل الحفظ، وأصبحت بين خيارين إما حفظ القرآن وإما العمل، وجلست مع ابني وزوجتي نفكر في الأمر، تحدثنا حول طبيعة الأعمال التي يمكن الاختيار منها، فوجدناها جميعاً تستوعب معظم الوقت ولن يتمكن ابني معها من حفظ شيء، ومع الحوار هداني الله تعالى لفكرة يجمع ابني من خلالها بين خبري الحفظ والعمل، فقلت لابني: «عندي لك اقتراح جميل، ما رأيك أن تنتظم في الحفظ وفي الوقت نفسه تعمل مثل الرجال من زملائك»، فقال: كيف؟ فقلت له: «سأحضر لك كمية من سواتل ومساحيق التنظيف تاجر فيها وتبيعها على جيراننا، وهكذا لا يضع منك حفظ للقرآن، واعلم يا بني أن الرزق مقسوم، بل إن الله تعالى الذي سترحرص على حفظ كتابه سيكرمك وسيوسع لك في رزقك»، واقتنع ابني بالفكرة، ومضينا في تنفيذها، كنت أراقبه وأشجعه وأرشده وأثابته، وفي نهاية الإجازة الصيفية جلسنا معاً، فقلت له: «لترَ مدى نجاح مشروعك الصيفي، احسب ما ربحت من تجارتك، واسأل أصدقاءك عما جنوه من نقود خلال عملهم الصيفي»، فذهب ابني وغاب كثيراً وعاد فرحاً مسروراً، فلقد تفاجأ أن ما ربحه يساوي ما ربحه كل واحد من أصدقائه، لكنه زاد عنهم بحفظ القرآن، فالحمد لله منزل الكتاب ومقسم الرزاق العزيز الوهاب.

ابنتي الصغيرة والمرأة الفقيرة:

كنت يوماً أصحب ابنتي الصغيرة من الحضنة بعد نهاية اليوم الدراسي، ونعود معاً إلى البيت، كانت تمسك في يدي بحب ومرح وسعادة، ويومياً كنا نمر على امرأة مسكينة، فأعطي لابنتي ٢٥ قرشاً (ربع جنيه) لتعطيه لتلك المرأة الفقيرة، ومرت الأيام وتغيرت الأحوال وحرمتي مواعيد العمل من صحبة ابنتي اليومية، كانت ابنتي الحبية تأخذ

مصروفًا يوميًا قدره نصف جنيه (خمسون قرشًا)، وبعد سؤال ومتابعتها لكيفية إنفاقه، فوجئت بأنها يوميًا تنفق نصف ما تأخذه من مصروف، وتحفظ بالباقي (ربع جنيه) حتى نهاية اليوم الدراسي، وفي طريق عودتها تعطي ما معها من مال للمرأة الفقيرة، لقد بقيت تفعل ما تعودت معي عليه، حفظك الله يا ابنتي، وأطلب منك أن تسامحيني، إذ لم أكن أعرف أن نفسك الطاهرة بها هذا الخير الكثير.

ابني الصغير واللقاء الأخير:

ذات يوم مرض ابني مرضًا شديدًا، فأسرعت به أنا وأمه إلى المستشفى، وهناك كان لا بد وأن يبيت ليحصل على الرعاية الطبية اللازمة، فظللت بجواره وقررت أن تبقى أمه معه، وفي الواحدة مساء ودعته بعدما اطمأنت عليه وتركت أمه معه وانصرفت، وعند وداعي له قبلت رأسه وأخبرته أنني سأعود إن شاء الله في الصباح مبكرًا، فقال لي: «يا بابا، إنك ستعود الليلة إلى المنزل متأخرًا، فلا تأتيني إلا بعد صلاة الجمعة لتتمكن من النوم جيدًا»، فرجعت وسلمت عليه وقبلته ثانية وانصرفت، وفي الصباح الباكر استيقظت على صوت التليفون، وفوجئت بأمه اتصل لتخبرني أن ابني الحبيب في غيبوبة، فذهبت إلى المستشفى مسرعًا، ودخلت على ابني فوجدته صامتًا على غير الحالة التي تركته عليها، جلست بجواره لعله يفيق ويبادلني الكلام والابتسام، لكنه ما لبث أن فارق الحياة وتركني وحيدًا، ولم ينطق بكلمة بعد لقائي الأخير به، لقد فارق الحياة وهو في الحادية عشرة من عمره، لقد فارق الحياة وهو لا يريد أن يتعب أباه، كم كنت أتمنى أن يطول اللقاء الأخير بيننا، وكم كنت أتمنى أن أبيت معه تلك الليلة.

بالاستفسار جاءنا الطفل المغوار:

تزوجت وكلي شوق للإنجاب، ويشاء الله تعالى أنه كلما حدث حمل يحدث بعده إجهاض، استمر هذا الحال لسنتين، وأخذت بكل الأسباب الدنيوية من طب وخالفة، ولم يفلح معنا علاج، فقررتنا أنا وزوجي أن نلجأ إلى الله سبحانه وتعالى، فحافظنا على ورد

الاستغفار، وبعد شهر حدث الحمل ووزقنا الله بمصطفى، فكانت سعادتنا به لا توصف، ولما أتت مصطفى عامه الأول ابتلي بمرض الحمى الشوكية وكاد يموت، ذهبنا به إلى مستشفى كبير وقام الأطباء بعمل (بزل) له أكثر من مرة، وأحسنا بأننا سنفقد مصطفى في أي لحظة؛ فلجأنا إلى الله سبحانه وتعالى وحق اللجوء، وعدنا إلى ورد الاستغفار، فكان الشفاء والحمد لله، ومن يومها أصبح لأمرتنا حال عجيب مع قول الله تعالى:

﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠٠﴾ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١٠١﴾ وَيُمْسِدُكُمْ يَأْمُورًا وَيَنْبِئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ (نوح: ١٠٠-١٠٢).

تسيبجات بعدد زروع حقلنا:

كنت أعمل مع ابني في الحقل في زراعة القطن، فوجدته فجأة يقول لي: "بابا، ما رأيك أنه كلما زرعنا حبة، أو قطعنا نبتة، أو جئنا ثمرة؛ نسيح الله تعالى، فيكتب الله لنا تسيبجات بعدد زروع حقلنا، ويكون لنا فيه من البركة الكثير"، فاحتضنته وشكرت الله تعالى أن رزقني بهذا الغلام الذي يساعدي على فعل الخيرات، ولقد نفذنا الفكرة معًا وكان عامًا مباركًا علينا جميعًا.

أبنائي وحكايات الماضي:

جلست يوماً مع أبنائي لأحكي لهم أيام طفولتي بحلوهها ومرها، طبعًا أحكي فقط ما يصلح لكنني أحكي لهم الكثير من أخطائي ولا أخفيها حتى يتعلموا منها، وتكرر تلك الجلسات وكثرت الحكايات، ومن يومها كلما تذكرنا تلك المواقف ضحكنا معًا، وكثيرًا ما طلبوا مني تكرار تلك الحكايات لنضحك معًا على تلك المواقف ونأخذ منها العبرة والعظة، والله ساعتهما أشعر أنهم لا يفتحون لي أذانهم بل يفتحون لي قلوبهم، ومن يومها زاد الحب بيننا.

طفلي ذو العام والنصف كيف ضربته؟

عندما بلغ ابني الصغير سنة ونصف، تركته أمه معي يوماً وخرجت لسبب مهم، كنت وحدي معه، وفجأة أخذ يبكي كثيراً للدرجة أنه تعبتني، حاولت إسكاته مراً لدرجة أنني في النهاية ضربته على وجهه، نعم ضربته على وجهه فزاد صراخه، وأخذ ينظر نحوي نظرات الحائر الشاكي، لقد جعلتني نظراته أبكي أنا الآخر، ما الذي فعلته؟ ومن يومها والآن يمتص قلبي، وأسأل الله أن يغفر لي ظلمي لطفلي، ومن يومها أحاول إكرامه والحنو عليه، وأحسب إن شاء الله أنها كانت المرة الأولى والأخيرة التي أمد يدي فيها عليه وأضربه، فقد نويت ألا أضربه أبداً بعد ذلك، وعمره الآن ١٥ سنة ولم أضربه من يومها، وأؤدبه برفق وحزم وحب، والحمد لله هو من خيرة شباب شارعنا، أما زوجتي التي تركته معي عندما كان طفلاً ولم أحتمل بكاءه، فقد عرفت لها حقها وقدرت صبرها مع أولادي، فاختلف حالي معها كثيراً، وعاهدت ربي أن أخفف عنها ما تلاقيه من متاعب الأولاد، وهي تشهد أنني نجحت في ذلك.

وحمدت الله أنني لم أظلمك يا حبيبي؛

عندما كان ابني في الصف الأول الابتدائي، فوجئت ذات يوم بالمدرسة تتصل بي وتطلب مني سرعة الذهاب إلى المدرسة في أمر عاجل، فذهبت على الفور إلى المدرسة، وتوجهت نحو فصل ابني، وهناك دخلت على المدرسة ووجدتها تشرح للأطفال، فلما رأته قطعت شرحها وأخذت تصيح في قائلة: «ابنك كاد يفتق عين زميله ويضع فيها القلم الرصاص»، فتركتها حتى هدأت، ثم سألت ابني في هدوء: ما الذي حدث يا بني؟ فقال: «يا بابا، الذي حدث أنني رأيت عين زميلي واسعة ولا تطرف وثابتة على وضعها هذا، فأخذت القلم حتى أقربه من عينه لتتحرك، ولست قاصداً أن أؤذي عينه أو أضع القلم فيها، وإنما أردت أن أجعل عينه تطرف نتيجة اقتراب القلم منه ليستريح، وهنا رأته المدرسة فظنت أنني أريد أن أفتق عينه»، فسألت زميله عن تلك الرواية فأكد صدق

كلام ابني، وسمعت المدرسة هذا الحوار ونظرت نحوها فقالت: ابنك طفل جيد وتفكيره جميل، ساعني على تسرعني في الحكم عليه، لقد عدت يومها لليبيت وأنا أحمد الله تعالى أنني لم أتسرع في عقاب ابني ظلماً وعدواناً.

تفوقت في رعاية أمي.. تفوقت ابنتي:

كانت ابنتي في الصف السادس الابتدائي الأزهري، وكانت والدتي مريضة جداً ونحتاج لمن يرعاها ويمرضها على مدار الساعة، وللأسف تهرب إخوتي من رعاية أمهم، فقررت أنا وزوجتي - حفظها الله - أن نربح الجائزة ونرعى أمي، وبدأنا رحلة الصبر والثواب والأجر، كانت ابنتي من المتفوقين في السنوات الماضية، وكنا نأمل هذا العام في تلك الشهادة أن تكون من الأوائل على مستوى المحافظة، لكننا انشغلنا عن مذكراتها برعاية جدتها، ومن شدة تقصيرنا في متابعة مذاكرة ابنتنا قالت لنا يوماً: «لا تنتظروا مني تفوقاً هذا العام، فأوكلنا الأمر كله لله، وطلبنا منها بذل الجهد والباقي على الله، ومر العام الدراسي وظهرت النتيجة، ولم تحرز ابنتي تفوقاً على مستوى المدرسة ولا الإدارة ولا المحافظة، بل أحرزت المركز الثالث على مستوى الجمهورية، ويومها قالت ابنتي: هذا كله ببركة جدي.

عنوان الفيلم.. «ادع لي يا غالية»:

في ثلاثة أبناء ذكور، أوسطهم هو أكثرهم إتعاياً لي، كثيراً ما يسبب المشاكل للجميع، وهو على هذا الحال منذ صغره، عاش حياته متعباً لي وللجميع، ورغم ذلك فالحب بيننا موجود والود موصول إلى حد ما، عشت معه سنين على هذا الحال، وذات يوم وهو في الجامعة قررت مقاطعته حتى ينصلح حاله، وكم أوجعه ذلك، وبعد يومين من الحصار فوجئت برسالة تقول: إذا أردت أن تعرفي ابنك جيداً، فافتحي الكمبيوتر وشاهدي فيلم «ادع لي يا غالية»، فتوجهت نحو الكمبيوتر، وفتحته وأنا متوقفة لمصيبة قد فعلها أحدهم، وفتحت الملف وبدأ الفيلم، إنه فيلم حياتي مع ابني الذي خاصته، لقد جمع صوري معه منذ أيام الطفولة وصنع منها فيلماً وجعل في الخلفية أغنية عن أم حنونة، وجعلني أشاهده

طالبًا مساعته والعفو عنه، وجعل عنوان الفيلم «ادع لي يا غالية»، كم بكيت وأنا أشاهد، فمع كل صورة ذكرى لا تنسى، وانتهى الفيلم وأطفأت الكمبيوتر وانطفأ معه غضبي، ومن يومها تغير قلبي نحوه تمامًا، وشعرت كم أحبه، وصالحته ووعدني بتعديل حياته، ولقد تغيرت حالتنا معًا وتحسن حاله، لقد تحسنت أحوالنا لما رأيت كم يجيبي وكم أن قلبه مليء بعواطف نبيلة.

١٤ نصيحة الجدة.. اعتذر لابنك فوراً:

ضربت ابني ذات يوم ضرباً شديداً لسبب نأفه، وتركت البيت غاضباً وذهبت لأزور والدي، ووجدني أبي حزيناً فقال لي: ما لك؟ فقصصت عليه ما حدث، وكيف أنني قسوت على ابني بلا داع، فقال لي: اذهب إلى البيت فصالحه حالا، فقلت له: سأكتفي بالتليفون، واتصلت بابني على الفور، ولما سمعت صوته لم تظاوعني نفسي على الاعتذار له، فقلت له: «أنا عند جدك وتعبان بعض الشيء وأحتاج إليك»، فإذا به يأتي مسرعاً جداً بأسرع مما توقعت، جاء متلهفًا مشفقًا مع أن آخر موقف بيننا هو ضربي له وظلمي الشديد له وخطئي في حقه، وفور أن رأيته، قمت إليه وعانقته وقلت له: لا تحزن مما فعلته معك وساعمني، فدمعت عيناه وقال: «يا بابا أنا أحبك والموقف لم يكن يستحق منك كل هذه القسوة، وأنا مسامحتك»، ومن يومها أصبحت حذراً في معاقبة هذا الابن الحبيب.

١٥ واكتشفت أنني أضربها أكثر مما أحضنها:

قالت ابنتي يوماً لي: «يا ماما، على فكرة أنا أحب خالتي أكثر منك»، فهزنتي كلماتها وأصابتنني بحزن شديد، ومكثت أفكر فيها أياماً، ما الذي يميز خالتي حتى تحبها أكثر مني؟ ألسنت أمها والمفروض أن تحبني أكثر، وبعد طول بحث اكتشفت أنني كثيراً ما أركز على عيوبها، ولا أحاول رؤية ما فيها من خير، كما اكتشفت أنني أضربها أكثر مما أحضنها، ومن يومها قررت أن أكتشف ما في ابنتي من خير، وأصبحت أحضنها أكثر مما أضربها، ودارت الأيام وجاءتني لتقول: «أنا أحب ماما الجديدة جداً، رجاء لا تعود لي لماما القديمة أبداً».

ذو السبع سنوات كيف عاقبته على السرقة:

عندما كان ابني عمره سبع سنوات، اكتشفت أنه يسرق نقودًا من البيت كما يسرق أشياء أخرى، فحاولت علاج ذلك المرض حتى لا يكبر وهو فيه، فعلت ذلك بعدة وسائل وقتلت، فلدأت إلى الضرب ولم يحقق نتيجة، وذات يوم اكتشفت أنه قد مده يده على مبلغ بسيط، فبلغ غضبي ذروته إذ كيف أربي في بيتي سارقًا، وفجأة رأيته يخرج من الحمام عريانًا ليس عليه ملابس، فانتهزت الفرصة وتوجهت نحوه وبلا مقدمات ضربته بالحزام على جسده العاري بشدة وعنق، لقد أفرغته فعلتي وصدمته فسوتي، فسقط على الأرض باكيًا منكسرًا حزينا، لم يكن ساعتها مدرسًا لسبب اعتدائي المفاجئ عليه، فهو لا يزال طفلًا مسكينًا، والله لم أرحم حينها صراخه أو اعتذاره، وكم ظل كسيرًا بعدها لأسابيع، كانت نظراته منكسرة حزينة خائفة، كأنه يتوقع مني الغدر والضرب في أي لحظة، لقد جعلته يعيش خائفًا مني دون أن أدري، ومرت السنوات وابني هذا الآن عمره ١٥ سنة، ولا يزال ما فعلته به يومها حاضرًا في ذاكرته وذاكرتي لا يمكن نسيانه، وكم أحاول جاهدًا تمويضه وإصلاح آثار الذكرى الأليمة، وإلى أن أنجح يومًا أسأل الله أن يسامحني.

أمي... لا تموتي!

كنا نستعد للذهاب إلى المستشفى لزيارة حماتي (أم زوجي)، ولأننا لم تكن نريد أي إزعاج من الأطفال هناك، فقد قلت لابني: ابق أنت هنا في بيت جدتك، فرفض وصمم أن يأتي معنا، ومع إلحاحه اضطر الأقارب أن يذهبوا ويتركوني بسبب طفلي العنيد، فأخذته مع أخته ورجعت إلى البيت وأنا غضبي جدًا ودماغي يغلي، وما إن دخلت الشقة حتى بدأت أضرب فيه بصورة عنيفة، لقد ضربته بكل ما أملك من قوة، لقد ضربته باليد ويكل ما وقع تحت يدي من أحذية وعصي، حتى إنني لم أفكر في أي مكان أضربه في الوجه أو الرأس أو غيرها، وظللت أضربه حتى تعبت وانهارت قواي ونمت على الأرض وضربات قلبي تكاد تتوقف من شدتها، وبعد لحظات من الصمت نظر ابني المسكين

نحوي وقال: «قومي يا ماما، ردي علي، مش عاوزك تموتي»، وخرج ليطرق على أبواب الجيران قائلا: «شوفوا ماما مش عاوزها تموت»، فإ كان مني إلا أن أخذته في حضني وبكيت على غيابي، فمن أجل خوفي على منظري أمام حماي والأقارب كدت أقتل صغيري المسكين الذي يجيني بالرغم مما فعلته به، ومن يومها تعلمت أن أضع ابنائي رقم واحد ثم يأتي الناس في المرحلة الثانية أو الثالثة لا بهم.

بنت الثمانية أعوام اكتشفت السر:

زوجي كثير السفر وليست لديه خبرة في الشراء، فكنت أنزل السوق قبل عودته من السفر، وأشتري للأولاد ملابس وهدايا وأضعها في شنطة السيارة؛ حتى يحضرها هو للأولاد عندما يرجع؛ فيسعدوا بعودته معتقدين أنها هدايا من البلد التي أتى منها أبوه، وذات يوم اكتشفت حيلتي ابنتي الوسطى (٨ سنوات) وهي شديدة الفطنة، وواجهتني بالأمر وكنت حينها في غاية الإحراج، ومن يومها تعلمت ألا أستخف بعقول الأولاد ولا أحاول خداعهم أبداً.

ماما.. أنت ستدخلين النار:

عندما كانت ابنتي في الصف الأول الابتدائي، عادت من المدرسة يوماً باكية حزينة، فاستقبلتها بين أحضاني وقلت لها: ماذا بيكيك؟ قالت كليات لم أفهم ما هي من شدة بكائها، لكنها أخيراً هدأت وقالت: «ماما.. أنت.. ستدخلين النار»، فصدمني كلماتها وغالكت أعصابي بصعوبة وقتت لها: لماذا؟ فقالت: «إن المدرسة قالت لنا اليوم؛ إن الذين يغشون ويغلطون الحليب بالماء سيدخلهم الله النار، وأنت يا أمي في كل صباح تضيفين للحليب المجفف الماء، أرجوك يا أمي ما عدتْ أريدُ حليباً بعد اليوم، فأنا أحبك كثيراً ولا أريدك أن تصبهي مثل هؤلاء الغشاشين وتدخلني النار»، فضممتها نحو صدري وهدأت أعصابي، وشرحت لها الفرق بين ما يصنعه الغشاشون وبين ما تصنعه نحن، ودعوت الله أن يجعل قلبها هكذا طاهراً نقياً على مرّ السنين.

أبي.. لن أتناول العشاء بدونك:

عنتف ابني يوماً بطريقة غير طبيعية على شيء لا يستحق، ثم خرجت من البيت متضايقاً وأحسست أنني قد أخطأت في حقه، وفي غمرة الأحران جاءتني رسالة على الموبايل، ففتحتها فإذا هي رسالة من ابني هذا الذي ظلمته يقول فيها: «أعتذر يا أبي، ولن أتناول طعام العشاء إلا عند حضورك»، فوجدتني أبكي، ولا أدري هل أبكي حزناً على ما فعلته معه، أم فرحاً بأدبه وحسن صحبته لي، إننا قد نعيش مع أبنائنا سنين ولا نكتشف قدر ما في قلوبهم من حب نحونا، بل إننا قد لا نخرج ما في قلوبنا من حب، ومن يومها قررت أن أعيش مع ابني هذا أجمل قصة حب بين ابن وأبيه، وقد كان بفضل الله.

أبي.. لا تجعلني أكره تناول الطعام معك:

أنا أب كثير الأشغال كثير الأسفار، والوقت شبه الوحيد الذي أقابل فيه أبنائي هو على طعام الغداء وربما العشاء، وجبة واحدة يومياً قد أقابلهم أثناء تناولها في البيت، وطبعاً لأنني أريد تربيتهم، فقد كنت أجعل هذا الوقت للمتابعة والتعنيف والتقويم والعتاب، وهكذا تحول وقت تناول الطعام معهم إلى وقت متابعة وعقاب، فأرسل لي ابني الكبير رسالة يوماً يقول فيها: «أبي، كم نشناق للجلوس معك وساعتك لأخبارنا وساعتنا لأخبارك، لكنك عملاً وقت رؤيتنا لك بالعتاب والسباب، فأرجوك لا تجعلني أكره تناول الطعام معك، فرجاء لا تجعله وقتاً للعتاب، بل اجعله وقتاً للقاء الأحباب»، ومن يومها أخذت عهداً على نفسي ألا أعتاب على الطعام، وجعلته وقتاً للحب والحوار، وقررت أن أتفرغ في وقت آخر لمتابعة أبنائي وتقويم أخطائهم.

هل أبنائك أحب إليك من الريموت كفترو؟

لسنين كثيرة عندما كنت أجلس لتناول الطعام، أتعمد أن يسكت الجميع، هذا لأنني أشاهد القنوات الإخبارية أثناء تناول الطعام، فوقتي محدود وثقافتي واسعة، هذا في وقت الغداء، أما في المساء وعلى العشاء فأشاهد البرامج الحوارية وأتابع الحوارات بجدية،

وهكذا انقسمت حياتي نصفين، نصف أفضيه خارج البيت في العمل والكفاح، والنصف الثاني أفضيه في البيت بين المشاهدة والانتباه، إلى إن حدث ما لم أكن أتوقعه، لقد أرسل لي ابني الصغير يوماً برسالة من تليفون والدته يقول لي فيها: «بابا، منذ سنين أتمنى أن تترك الريموت كنترول وتظرني عندما أكلمك، فهل تحقق لي تلك الأمنية؟»، لقد صدمتني تلك الرسالة، وجعلتني أفيق من الغيبوبة التلفزيونية التي كنت أعيش فيها، ومن يومها أصبح أبنائي أحب إلي من الريموت كنترول.

طفلي كيف يرجع ما سرق؟

عندما بلغ ابني ست سنوات، جلست معه يوماً أحدثه عن الحلال والحرام، وأحكي له قصصاً وحكايات عن الأمانة والسرقة، فوجدته يقول لي: «في يوم من الأيام أخذت بسكويتاً من السوبر ماركت دون أن يشعر بي أحد، وأكلته دون أن أتحرك أيامها بشيء، كان هذا من فترة طويلة»، فضممته نحو صدري وقلت له: «إن الله يحبك لأنه جعلك تتذكر الخطأ الذي فعلته حتى تصلحه في الدنيا»، ثم جعلته يأخذ ثمن البسكويت ويذهب به إلى السوبر ماركت، ويترك تلك النقود هناك دون أن يشعر به أحد، حتى يجدها صاحب المكان فيأخذها تعويضاً عن ثمن البسكويت، وكم عاد سعيداً بما فعل فشكرته وكافأته.

ضربتها.. فسحقت العرق عن وجهي:

كنت أضرب ابنتي، وفجأة امتدت يدها نحو وجهي، وتجمدت الدماء في عروقي، هل تحاول لظمي على خدي كما فعلت معها، وكانت المفاجأة أنها - وبكل لطف - أخذت تمسح العرق عن وجهي، ومن يومها عادت لي الأمومة التي ضاعت مني في زحمة الحياة، ومن يومها لم أضربها، فهي حبيبتني وقرّة عيني.

تقدمت نحوه من شدة الغضب.. وحضنته:

كنت في هاير ماركت في الإسكندرية مع أبنائي الثلاثة، وأعطيت ابني الأول (٧)

سنوات) كييسًا ليحمله، وكذلك فعلت مع أخيه الثاني (٤ سنوات ونصف) ليساعدني في حمل الأغراض، وانطلقنا عائدين، وبيننا نحن جالسون ننتظر على محطة الترام، أعطاني الولد الثاني كيسه بها فيه من بضائع، وظل الكبير يحتفظ بالكيس معه، وعندما ركبت الترام فوجئت بابني الكبير يسألني في لهفة: «أين الكيس الذي كان معي؟ أنا لا أجدّه»، فظرت على المحطة حيث كنا جالسين فلم أجد شيئًا، نزلت في المحطة التالية ودخلت عربة الرجال وسألت عن الكيس - لأن ما كان بداخله مهم جدًا - فلم أجدّه، وتيقنت ساعتها أن الكيس قد ضاع، فإذا فعلت مع ابني لحظتها؟ في غضب شديد تقدمت نحوه وقلت: «قدر الله وما شاء فعل»، وحضنته، فبكى بحرارة، وعندما نزلنا من الترام أعطيته كيسًا آخر مليئًا بالبضائع وقلت له: أنا واثقة أنك رجل ولن تضيعه، فقال لي: شكرًا يا ماما.

أبي.. اترك الغضب خارج المنزل:

دخلت منزلي يومًا وأنا غضبان، وأخذت أصبح بهذه البنية وأصرخ في ذلك الولد، دون سبب، فإذا بابتي الصغيرة (٥ سنوات) تقول لي: «بابا، انظر من أغضبك بالخارج وارك الغضب هناك، لا تدخل علينا غضبان، اترك غضبك في الشارع»، فأوقفتني كلماتها مع نفسي وقررت من يومها أن أترك الغضب والحزن خارج البيت قبل أن أدخل على أبنائي وأحبائي، وأصبحت قبل أن أدخل البيت أقف على الباب دقيقة، أخذ فيها نفسًا عميقًا وأقول: يا رب، أنت تعلم أنني قادم تعبان جدًا ولا أكاد أرى أمامي، لكن المساكين بالداخل ليس لهم أب غري، فيا رب قويني، ثم أتنفس بعمق، وأترك الغضب على الباب، وأدخل البيت بحب.

لا تدري لعلَّ الله يحدث بعد ذلك أمرًا:

ابني الأوسط عندما ولدته، كان مريضًا جدًا وشكله غير طبيعي مقارنة بأخيه الأكبر، فحدثني نفسي لئيه لم يأت، ومرت السنوات، وعندما كبر هذا الابن الحبيب كن هو أصحح إخوته وأكثرهم التزامًا وأجلهم شكلاً وأكثرهم اجتهادًا ونفوقًا والحمد لله، فنصحتني لا تسرعني في الحكم على أولادك فإنك لا تدري أيهم أقرب لك نفعًا.

أبي لا تتسرع فقد أكون مظلوماً:

كنت في العمل ذات يوم وجاءني اتصال من مدرسة ابني أن احضر فوراً لأن ابنك قد ضرب زميلاً له، وقد أصابه في عينه لدرجة أنه لا يرى بها، فذهبت إلى المدرسة مسرعاً، وتوجهت نحو فصل ابني وتفحصت عين التلميذ المضروب، وسألته عما يراه، فبكى وقال: لا أرى شيئاً، فضربت ابني أمام الجميع، وبعد محاولات من ابني لتوضيح موقفه، اتضح أن هذا الولد يمثل وقد استطاع بموهبته (الفاصلة) أن يوهمني أن ابني تسبب في فقدانه الرؤية، فحزنت حزناً شديداً وقمت على الفور بأخذ ابني معي خارج المدرسة، وتوجهت نحو البيت واعتذرت له، وما زال في القلب مرارة وحزناً كلما تذكرت كيف أنني تسرعت وكسرت ابني أمام زملائه ظلماً وعدواناً، ساعني الله تعالى.

هل أنا حقاً أعز الناس؟

كنت كثيراً ما أعاقب ابنتي بشدة خوفاً عليها، وذات يوم حدث موقف منها أغضبني، فقسوت عليها وعاقبتها وأخذت منها الموابيل الخصاص بها، وجلست وحدي أقلب في أساء من سجلتهم عليه، ومن يتصلون بها ومن تنصل بهم، وكانت المفاجأة أنها سجلت راعي باسم «أعز الناس»، فرفقت مع نفسي وقلت: كيف أكون عندها أعز الناس وأفعل معها ما فعلته، ومن يومها أعاملها بها ينبغي أن يتعامل به معها أعز الناس.

وخرج طفلي مجاهداً بماله وبنفسه:

هذا موقف مضحك حدث من ابني في سن السادسة، قلت له يوماً حديث النبي ﷺ: «ورجل خرج مجاهداً بماله ونفسه فلم يرجع بشيء...»، ثم أعطيتها جنيهاً واحداً وقلت له: أنفق نصفه (خمسين قرشاً) وأعد لي نصفه (خمسين قرشاً)؛ حتى لا تكون من المبذرين... وعاد إلي البيت بعد فترة من الزمن وقد أنفق الجنيه كله، وقال لي عندما سألته: أين الباقي من الجنيه؟ فقال لي: أفرح يا بابا، فقلت: لماذا؟ فقال: ألا تذكر الحديث «ورجل خرج مجاهداً بماله ونفسه فلم يرجع بشيء...»، لقد فقدت المال ورجعت لك بنفسي.

يوم السور.. رجعت منصورًا:

عندما كان ابني في المرحلة الابتدائية من التعليم الأزهرى، كان دائمًا ينسى كتبه داخل الفصل ويعود إلى البيت بدونها، حاولت معه بشتى السبل ألا ينسى كتبه وأغراضه هناك، فلم ينفع معه علاج، وهداني الله يومًا لفكرة، فانتظرت حتى عاد من المدرسة - كمعادته - بدون كتبه، ولما تأكدت أنه تركها هناك، قلت له: أريدك معي في مشوار خارج البيت، وأخذته معي وأنا صامت تمامًا وتوجهت نحو مدرسته، وهناك قلت له: هيا أحضر كتبك، فنظر نحوي باستغراب وأشار نحو باب المدرسة المغلق، فقلت له: «اقفز من على السور أو تصرف المهم لن نعود بلا كتب»، وبالفعل قفز من على السور بعدما نادى على الحارس كثيرًا، وفي النهاية أحضر كتبه، ومن يومها أصبح لا ينسى كتبه في المدرسة أبدًا، وكلما تذكرنا ذلك الموقف ضحكنا كثيرًا، حتى إنه أصبح يبتنا كلمة سر وهي: «يوم السور.. رجعت منصورًا»، كان هذا منذ سنين ولا زال حيًا في ذاكرتنا كأنه بالأمس.

في نهار رمضان لماذا تفطرين يا أمي؟

عندما كانت ابنتي الكبرى في الصف الأول الإعدادي؛ تعمدت أن أتناول الطعام أمامها يومًا في نهار رمضان وذلك أثناء فترة العادة الشهرية، وطبعًا سألتني: هل أنت ناسية يا ماما؟ فقلت لها: لا أنا مقطرة، فقالت: «مستحيل، أكيد أنت تعبانة»، فاستغللت الحدث وشرحت لها بلوغ الفتاة وعلاماته، وطريقة الغسل والطهارة ببساطة، وقلت لها: لا تحكي ما حدث بيننا لإخوتك الصغار، فأنت كبرت وهم ما زالوا صغارًا، فسعدت جدًا بهذه الثقة، ومن يومها بدأت تخصني بأسرارها، ومر حدث بلوغها بسلام وأمان.

ابنتي.. ورمضان الحمد:

كانت إحدى بناتي في الثانوية العامة، وكانت تذاكر خلال شهر رمضان وتساءل الله تعالى أن يكرمها بمجموع جيد يفرح والديها ويحقق حلمها، وكانت تمنى أن تدخل كلية الطب، ومر ذلك العام ونجحت بتفوق، وأكرمها الله تعالى بمجموع أسعدنا جميعًا وسمح

لها بدخول كلية الطب، وجاء شهر رمضان التالي فقلت لها: «في رمضان الماضي كنت تخافين وتسالين الله التوفيق، وقد حدث بفضل الله تعالى ما تممت، فما رأيك أن نجعل رمضان هذا العام شهر الحمد؟»، فرحت ابنتي بالفكرة كثيرًا، وبدأت فورًا في التنفيذ، وذلك بأن قبلت يدي من باب الشكر والحمد.

كيف يحفظ القرآن وهو فرحان؟

كل الآباء يريدون لأبنائهم أن يحفظوا القرآن الكريم، ويسلكون في سبيل ذلك طرقًا شتى، ومن شدة حرص الوالدين على حفظ أبنائهم لكتاب الله، قد يلجئون إلى الضرب والتعنيف، لدرجة قد يهرب معها الطفل من مكتب التحفيظ ويكره الشيخ الذي يحفظ معه، حتى وإن حفظ بتلك الطريقة فإنه سريعًا ما ينسى، لأنه لم يحفظ بحب، والسؤال الآن: ماذا تفعل حتى يحفظ ابنك القرآن وهو فرحان؟

يقول أحد الآباء: كان ابني كثيرًا ما يتهرب من الذهاب إلى مكتب تحفيظ القرآن بسبب غلظة الشيخ، وطبما كان الشيخ يضربه كثيرًا لأنه لا يحفظ، وبدلا من الشيخ



جريت معه خمسة شيوخ، كل هذا بلا نتيجة، والهروب من الحفظ يزداد يوما بعد يوم، فهداني الله تعالى لفكرة مبدعة والحمد لله، فاشترت دراجتين واحدة له والأخرى لي، واتفقنا على أن نخرج يوميا لمدة ساعة معا كل على دراجته لتسير بين الحقول، وفي تلك الساعة بدأنا نحفظ القرآن معا، والله خلال سنتين حفظ ابني القرآن الكريم كاملا، نعم ختم القرآن معي على الدراجة.

يقول أب آخر: اكتشفت أن ابني الحبيب عمر - حفظه الله - يحب ألعاب الكمبيوتر بصورة مفرغة، بدأت تلك العلاقة بينها عندما بلغ من العمر ثلاثة أعوام، وكنا حينها نحفظ القرآن معا، واكتشفت أنه يحفظ معي ثلث أو نصف ساعة بصعوبة، بينما يجلس مع صديقه الكمبيوتر ثلاث ساعات، فقلت: لماذا يأخذ الكمبيوتر مني، سأجلس مع صديقه

هذا لأعرف كيف يأخذه مني؟ وبالفعل جلسنا نلعب معاً، وهنا هداني الله لفكرة مبدعة، فقد جربت أن أغلق صوت اللعبة التي نلعبها وأجعل صوت الشيخ الحصري - رحمه الله - في الخلفية يقرأ السورة التي نحفظ فيها، ونجحت الفكرة كثيرًا، بدأت تلك الفكرة منذ ثلاث سنوات وحتى يومنا هذا، وجربها غيري وآنت بشوار طيبة، وشكرًا لصديقنا الكمبيوتر.

ويقول اب أخر: كان ابني يتعني كثيرًا في حفظ القرآن، وبدأ يكره وقت مراجعتي له، فقلت له: تعال نلعب رست (نمسك يد بعضنا ونثبتها في الوضع القائم ويجاول كل منا إنزال يد الآخر على الأرض)، وقلت له: من يغلب وينزل يد الآخر، هو من يستمتع القرآن، فكننت أحاول جعله يربح حتى يسمع لي ما حفظ، وكان هو يجاول جعلي أكتسب حتى لا يسمع، ومع مزيد من الألعاب والأفكار هدها الله وبدأ يستمتع بحفظ القرآن، لأن وقت تسميعه وحفظه أصبح ممتعًا.

يقول أحد الأبناء: عندما كان من عمر ابني أربع سنوات، التحق بالكتاب ليحفظ القرآن، ذهب عند مربية فاضلة ليحفظ عندها، ولكي أشجعه وأشعره بحلاوة حفظ القرآن، كنت في كل ليلة أحكي له حدودة قبل النوم، لم تكن حدودة عادية، إذ كانت تدور حول فرحان الذي يحفظ القرآن، وفرحان هذا ولد مضحك لا يحفظ، ويكون دور عمر أثناء الحدودة أن يصحح ما يقع فيه فرحان من أخطاء أثناء تلاوته لما حفظه اليوم في الكتاب، وفي كل يوم كنت أترك لعمر فرصة أن يختار اسم الشيخ الذي سيذهب إليه فرحان اليوم، كان هدف الحدودة مراجعة ما حفظه عمر في جو مرح جميل، كانت الحدودة تبدأ بقول فرحان في دلع ومرح: أنا فرحان (فلحان)، يحفظ قرآن (قلان)، قرآن كريم، عند الشيخ (ما يختاره عمر من أسماء مضحكة)، وتبدأ الحكاية وتستغرق تقريبًا ربع الساعة، يراجع خلالها عمر مع فرحان ما حفظه ويصحح له أخطاءه، بل ربما يناطبه فرحان ويحفظ معه آيات جديدة... لقد طبقت تلك الفكرة مع عمر لمدة عامين دون انقطاع، ولما كبر في سنه فكرت له في طرق أخرى تناسب مرحلته العمرية الجديدة.

الآب الناجح وقصة الصباح:

يومًا أبدأ قبل ذهابي إلى صلاة الفجر بإيقاظ أبنائي بعد أن أكون قد جهزت لهم الماء الساخن للوضوء، ثم أبدأ بإيقاظهم بالأغاني والأناشيد والمناداة عليهم بأسماء غير أسماهم الحقيقية، يعني أحمد أناديه صخر، وسلسيل أناديا غزالة وهكذا، ثم أتركهم مع زوجتي لأداء صلاة الفجر ولما أعود من المسجد يكون برنامجنا عليًا يتكون من: قصة الصباح والأذكار وتجهيزهم للمدرسة، وأظل معهم حتى موعد ذهابي للعمل، وعندما أقوم بارتداء ملابس فكل واحد منهم يحضر لي شيئًا من أغراضي (القميص - البنتلون - الجورب - الحذاء - فرشاة الشعر...)، وهذا حالنا منذ سنين.

وقتلت ابني في المنام:

تقول إحدى الأمهات: شاهدت ابني وأنا أقتله بيدي، كنت أنهال عليه ضربًا في منامي إلى أن مات بين يدي، وهذا نتيجة انشغال أبيه عنا طوال اليوم وضغطي النفسي، فقامت من منامي وأنا أصرخ وأبكي بكاء شديدًا، وذهبت إلى ابني فحضنته وقبلته، وحكيت لزوجي ما حدث، وفوجئت به يضحك ويبكي في الوقت نفسه، ومن يومها تغير حالنا جيمًا نحو الأفضل.

أبنائي.. وكراصة النعم:

جلست أنا وأولادي يومًا نتذاكر نعم الله علينا، وفكرنا لماذا لا نحضر كراصة نسميها «كراصة النعم»، ونسجل في كل صفحة نعمة من نعم الله علينا، وماذا نفعل لو كان الله تعالى قد ابتلانا بفقدها، وكيف نساعد من ابتلاه الله بفقدها، وكيف نشكر الله عليها، والله لقد أثمرت تلك الفكرة ثمرات كبيرة منها الرضا والشكر والسعادة، نفذنا تلك الفكرة معًا لمدة ثلاثة أعوام، بعدها كبر الأبناء وانشغلوا هنا وهناك، لكن كل واحد منهم لا زال يحتفظ بكراسته، وربما يضيف إليها، وفي وقت الأزمات والإحباط يفتحها ويقرأ فيها، فتعطيها الأمل واهدوء وربنا السعادة.

معقول يا بابا؟!

ابني عمره عشرون عامًا، دخلت عليه يومًا حجرتة فوجدته نائمًا؛ فقبلته في جبينه، فقام من نومه وانتبه لما فعلته معه وقال لي: «معقول يا بابا، أنا لا أصدق»، لا تتخيل مدى سعادته بما فعلت معه، وكان هذا سببًا في تجديد الحب بيننا والود والحوار بيننا.

وصارت ابنتي إمام أمها:

كانت ابنتي الكبرى (١١ سنة) تعاني من مشكلة في أداء الصلوات، لم تكن منتظمة في أدائها، فكان الحل أن أجعلها إمامًا لي في الصلاة، وقد اكتشفت من خلال هذه الفكرة أن ابنتي لا تعرف كيف تصلي جيدًا، فكان من حسنات هذه الطريقة أن ابنتي تعلمت معي فقه الوضوء والصلاة بصورة جيدة.

هل أنت راضية عني يا ابنتي؟



الطبيعي أن تجد كثيرًا من الآباء يبدون رأيهم فيما يخص الأبناء، ويطلقون عليهم الأحكام وينعتونهم بكثير من الأوصاف، ومن غير الطبيعي أن تجد أبًا (أو أمًا) يهتم بسماع رأي الأبناء في آرائهم..

وهناك طرفة تقول: أراد المستولون عن الطاقة في الأمم المتحدة أن يعرفوا رأي الناس في انقطاع الكهرباء، فاختاروا ثلاثة أماكن ليسألوا الناس بها عن ذلك، فسألوا الناس في إفريقيا: ما رأيكم في انقطاع الكهرباء.

فأجابوا جميعًا: وما معنى كهرباء؟ لأنهم لم يروها من قبل، فانطلقوا إلى أمريكا وسألوا الناس: ما رأيكم في انقطاع الكهرباء؟ فقالوا جميعًا: ما معنى انقطاع؟ هذا لأنهم لم يروها تقطع من قبل، وفي النهاية ذهبوا إلى الوطن العربي وسألوا الناس: ما رأيكم في انقطاع الكهرباء؟ فقالوا: وما معنى ما رأيكم؟ هذا لأن أحدًا لم يسألهم من قبل ما رأيكم،

إنهم تروبا في بيوتهم على اسمع واسكت، لا تعارض، عندما يتكلم الكبار اسمع نفذ، نفذ ثم نظلم...

ومن هذا المنطلق جلست مع ابنتي يوماً وقلت لها: ما رأيك في أمك؟ هل أنت راضية عني؟ فقالت: أنا فخورة بك يا ماما.

ابني ورسومات الأم المتوحشة:

عندما كان ابني في الصف السادس الابتدائي (١٢ سنة)، ضربته يوماً ضرباً مبرحاً لم يتعود عليه مني قبل ذلك، وهو بطبعه رقيق وحساس جداً، فتأثر كثيراً بما فعلته معه، وكتم الحزن في داخله، وبعد عدة أيام وجدته يرسم عدة صور، فتأملتها فكانت كالتالي: في الرسم الأول تظهر امرأة ويجوارها رجل يضربها بالعصا، وفي الرسم الثاني امرأة يشتمها رجل، وفي الرسم الثالث امرأة نائمة على الأرض، ففهمت فوراً أنه يرسمني أنا، ويخرج شحنات الغضب مني في هذه الرسومات، هو يتمنى أن يفعل بي ما رسمه في الصور، لقد كانت هذه الرسومات رسالة من الله تعالى؛ ومن ساعتها قللت من العنف وحل الحب مكان الضرب، ولا زلت أراقب رسوماته لأرى كيف يسرى أمه الجديدة.

ابني ورسومات الروضة:

كان ابني خالد ذو الخمس سنوات يذهب إلى الروضة بسلام، وفي تلك الأثناء رزقنا الله بأخيه محمد، فانشغلنا به والسهو معه ورعايته، وبعد شهر من قدوم المولود الجديد، فوجئت بانصال من مدرسة خالد تطلب مقابلي بشدة، وهناك أحزنتني ما رأيت، لقد وضعت تلك المدرسة كراسة في الفصل للرسم الحر، فكان خالد ممن يجوبون الرسم، فرسم عدة صور لأسرته، في الصورة الأولى يظهر أب وأم ومعهما طفل كبير، وفي الرسم الثاني بدأ الطفل يتعد قليلاً عن والديه ويظهر طفل رضيع تحمله الأم، وفي الصورة الثالثة بدأ الطفل الأكبر يتعد كثيراً، وفي الرسم الرابع لم يرسم الطفل الكبير، ألغاه من واقع الصورة وبقي الوالدان والطفل الأصغر، هكذا عبر ابني عن حرماته من

الحب والحنان، وقد كان صادقاً فيما أحس به، ومن يومها أصلحنا ما أفسدناه في الشهور الماضية، والحمد لله.

لورأى النبي ﷺ أمك ما قال هذا الحديث:

ابنتي الكبرى مسألة طيبة، وابنتي الثانية عاقلة مشاكسة، وفي كل خير، وذات يوم ضايقت المشاكسة أمها، فقالت لها البنت الطيبة بكل رقة: لماذا تفعلين ذلك، إن النبي ﷺ قال: «أمك ثم أمك ثم أمك ثم أبوك»^(١)، فقالت المشاكسة: الوضع في بيتنا مختلف، في بيتنا: أبوك ثم أبوك ثم أبوك ثم أمك (تقصد أمك في النهاية لو كان عندك وقت لها)، فانفعلت الطيبة وقالت: لا تقولي ذلك، فقالت المشاكسة: اسمعي ما سأقوله جيداً: لو كان النبي ﷺ حياً ورأى أمك وما تفعله بنا؟ ما قال هذا الحديث أبداً.

ابني ولعبة النبي ﷺ

قرأت يوماً الحديث التالي: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت أذناي هاتان وأبصرت عيناي هاتان: رسول الله ﷺ وهو أخذ بكفيه جيماً حسناً أو حسيتاً، وقدماه على قدمي رسول الله ﷺ، وهو يقول ﷺ: حزقة حزقة أرق عين بقه، فيرقى الغلام فيضع قدميه على صدر رسول الله ﷺ، ثم قال ﷺ: اتضح فاك، ثم قبله، ثم قال ﷺ: اللهم من أحبه فإني أحبه^(٢)... فقررت أن ألعب تلك اللعبة مع ابني عمر اقتداء برسول الله ﷺ، وقلت لعمر هيا نلعب لعبة ﷺ، وفعلت معه ما كان يفعله النبي ﷺ ففرح جداً، وصارت من عادتنا أن نلعب تلك اللعبة المباركة، بل كانت تمر الأيام ويقول لي: بابا، منذ مدة طويلة لم

(١) جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، من أحق الناس بحسن صحبتي؟ قال: (أمك). قال: ثم من؟ قال: (ثم أمك). قال: ثم من؟ قال: (ثم أمك). قال: ثم من؟ قال: (ثم أمك).

(٢) رواه البيهقي في جمع الزوائد ١٧٩/٩، وفيه أبو مزرد ولم أجد من وثقه وبقية رجاله رجال الصحيح، والحديث ضمنه الألباني في السلسلة الضعيفة ح ٣٤٨٦، والحزقة: الضعيف المتشرب الخطو من ضعفه، وقيل القصير العظيم البطن، فذكرها له على سبيل المدح والتأييد له، وترق: بمعنى اصعد، وعين بقه: كناية عن صغر العين، ومن المعروف أن النبي ﷺ توفي والحسن ثلثي سنوات والحسين سبع سنوات، فهذه اللعبة كانت ما قبل سبع أو ثمان سنوات.

نلعب لعبة ﷺ، وصرت كلنا أحب مكافأته زدت له عددًا من لعبة النبي ﷺ، وهكذا زاد حبنا - عمليًا - نبينا الكريم ﷺ.

هذا ما لك عندي يا أبي:

في ابن في العاشرة من عمره، وهو وحيد على ثلاث بنات جميعهن أكبر منه، كنت أقسو عليه ظانًا أن القسوة تصنع رجلاً، وذات يوم أغاظني سلوكه الطفولي، فقرصته في فخذه بقسوة، فبكى وانصرف بعيدًا عني، فخرجت من فعلتي وناديت عليه، فأنايتي حزينا، فأجلسته بجوارتي وقلت له: أحمد، اقرصني كما قرصتك، فرفض، فألححت عليه، فقباني في خدي وقال: «هذا ما لك عندي أما أن أقرصك فلا»، فأخرجني سلوكه ونويت من يومها أن أكون الأب الذي يجه.

فكرة قبل النوم:

من أجل الأفكار التي أطبقها في بيتي؛ أنني عودت أولادي ألا ينام أحدنا وهناك من هو غضبان منه، ولذلك ترانا في كل ليلة ندور على بعضنا بسؤال واحد: هل أنت زعلان (غضبان - حزين) مني؟ هل هناك من أغضبته ولم يساعني بعد؟ فلا ينام أحدنا إلا والجميع مساعمه، ولهذا فالكل في بيتنا لا ينام حزينا أبداً، وهذا بيت الحب بيننا ويزيده، اللهم تقبل وثبتنا على فعل الخيرات الأسرية.

أنا فخورك يا أبي؟

أنا أب مشغول جداً، وذات يوم جلست مع ابني بعض الألعاب الإلكترونية، ففرح بذلك جداً، وعندما انتهينا من اللعب قال لي: «أنا فخورك يا بابا»، هذا فقط لأنني لعبت معه لفترة قصيرة، يا لك من ابن طيب يسعدك من أبك القليل، أحسست ساعتها أنني أنا المحروم من الجلوس والاستمتاع بالحياة معه، فطفولة ابني لن تتكرر في حياته ثانية، وفرصة اللعب والمرح معه لن تتكرر كثيراً، ومن يومها قررت أن أوفر وقتاً لأستمع فيه بالحياة مع أبنائي.

ماذا أحضرت لنا يا بابا؟

هذا سؤال يتعرض له كل الآباء عندما يعودون من الخارج، وهذه هي عادة الأطفال في بلاد كثيرة، فالطفل يعلم أن أباه مصدر سعادته، لذلك لن يعود من الخارج خالي اليدين، فلن يدخل أبوه إلا والسعادة تأتي معه، ولن يفعل ذلك من الآباء ثواب كبير، روى أبو داود عن النبي ﷺ أنه قال: «ثلاثة كلهم ضامن على الله عز وجل (إن عاش كفى، وإن مات دخل الجنة)؛ رجل خرج غازياً في سبيل الله فهو ضامن على الله حتى يتوفاه فيدخله الجنة أو يرده بها نال من أجر وغنيمة، ورجل راح إلى المسجد فهو ضامن على الله حتى يتوفاه فيدخله الجنة أو يرده بها نال من أجر وغنيمة، ورجل دخل بيته بسلام فهو ضامن على الله عز وجل»^(١)، ولقد قال العلماء في معنى «دخل بيته بسلام» يعني: دخل وسلم على أهل بيته وجاء معه السلام والأمن والطمأنينة والسعادة... والآن: كيف تدخل بيتك؟ وكيف يستقبلك أبنائك؟ وكيف تتعامل مع سؤال ماذا أحضرت لنا؟

يقول أحد الآباء: أحرص دائماً على حسن ملاقة أولادي وأنا عائد إلى البيت بعد العمل، وكلمتهم الدائمة لي: «يا بابا هات لنا معك شيئاً حلواً»، ولذلك أنا حريص دوماً على أن يكون في جيبى شيءٌ حلو مثل: النعناع، الحلويات البسيطة، والله من حبي لأولادي وحريص على إسعادهم؛ أخرج من البيت ومعى الهدايا التي سأعود بها لهم حتى لا أنسى، وفي سيارتي دوماً تجد أصناف الهدايا غنماً للطوارئ، وهذا لكي لا أدخل عليهم يوماً ويسألون عن الحلوى فلا يجدون^(٢)...

(١) صححه الألباني في صحيح أبي داود ج ٤ ر ٢٤٩٤.

(٢) رأيت بنصي أحد الشيوخ (حوالي ٧٠ سنة) يحمل في جيبه الحلوى باستمرار، وناولني بعضاً منها، فقال لي أقاربه وهم يتسمون ويمدون أيديهم نحوه: لا بد وأنت تأخذ من حلوى الشيخ، فأخذت وأكلوا، والله كم وجدتوا حيلة، فقلت له: شيخنا، منذ كم تحمل هذه الحلوى في جيبك وتتخذ تلك العادة الطيبة، قال منذ ٤٠ سنة، لم ينفارق كيس الحلوى جيبى، فقلت له: ومن علمك ذلك؟ قال: أبى، فنحن أصلنا من أسوان صعيد مصر، ثم تركنا المدينة نحو الوجه البحري وذلك في طفولتنا، فكان والذي يرسل الخطابات لأقاربنا هناك وينسخ في الخطاب عشرة قروش ورقية، فكانت أقول له: لماذا تفعل ذلك، فقال لي: يا بني، إنها فرحة من سيتيح الخطاب، فتعلمت من يومها أينما حملت تحمل الفرحة، يارك الله فيك يا شيخنا وأحسن الله استقبالك في الآخرة كما أحسنت استقبالنا، وقيل أن أفارق الشيخ قلت لنصي: هل أكل هذه الحلوى الجميلة ولا أخذ لعمري شيئاً منها، فطلبت من الشيخ بعضها، والله أعطاني كيسين كبيرين منها...

يقول أب أخو: كان وصية ابني الدائمة قبل خروجي من المنزل «لا تنس أن تحضر لي شيئاً جميلاً»، وكنت بفضل الله أحرص على أن أحضر له شيئاً يفرحه، وخاصة عندما أسافر ليوم كامل، وذات مساء عدت إلى البيت وقد نسيت أن أحضر له شيئاً، وتذكرت ذلك وأنا أصعد السلم، ودعوت الله كثيراً أن يساعدي في هذه الورطة، لقد وعدته ولا أريده أن يعز، وأكرمني الله بفكرة جميلة، دخلت فاستقبلني ابني كالعادة قائلاً: ماذا أحضرت لي يا بابا؟ فقلت له: شيئاً جديداً وجميلاً، فسأل: أين هو؟ فقلت له: لقد أحضرت لك «زغاريغ»، وبدأت أدغدغه في أماكن تجمعنه بغير، وهو يضحك بشدة وسعادة، لقد كانت هديتي له هي تلك اللعبة الجميلة، ومن يومها بدأت اللعب والأفكار هي التي أحضرها لطفلي أكثر من الأشياء والحلويات، وكم أعجبت تلك الطريقة.

يا أمي لقد قلت لي يوماً.. إنك فاشل:

عندما كان ابني في بداية النجاح بالروضة في سن أربع سنوات، كان يرفض الذهاب ويتعبر من فعل واجبات الروضة (الحضانة) البسيطة، فعل ذلك في مستوى (K G 1)، فقلت له حينها بغضب: «إنك لن تكون متفوقاً وستكون سيئاً»، وبعد مرور عامين دخل ابني هذا الصف الأول الابتدائي، وذات يوم كنت أذاكر معه فشجعتة قائلة: «أنت ستكون متفوقاً وممتازاً»، فقال لي: «ولكنك قلت لي يوماً غير ذلك»، وذكرني بما قلته له منذ عامين وهو في الروضة (الحضانة)، فقلت له: مؤكداً أنا كنت غصبي وقتها لكنك اليوم تحسنت، ثم رجعت إلى نفسي وحزنت جداً على ما قلته له يوماً ولم ألق له بالا، ومن يومها أحاسب جداً في كلماتي معه، لقد عرفت من تلك التجربة قيمة قوله ﷺ فيها رواه البخاري: - «إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله، لا يلقي لها بالا، يرفع الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله، لا يلقي لها بالا، يهوي بها في جهنم»، وفي رواية الترمذي التي صححها الألباني: «إن أحدكم ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب الله له بها رضوانه إلى يوم يلقاه، وإن أحدكم ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب الله عليه بها سخطه إلى يوم يلقاه...» فقد

يقول الأب أو الأم كلمة تحطم طفلها وتدمره مدى الحياة، مثل كلمات: غبي فاشل، وتحيل حجم المصيبة التي تحمل بابنك لو صدق كلامك وأيقن أنه غبي أو فاشل.

كيف نجا ابني من حادث الاختطاف؟

ذات يوم تعرض ابني لحادث اختطاف، لكن الله تعالى - بفضلته وكرمه - نجّاه، وعندما جلس ابني الحبيب معنا ليحكى لنا مغامراته وملابسات الحادث؛ أدركت أن الله تعالى نجّاه بمعجزة، كنت أجلس مذهولة وهو يحكي، وفجأة تذكرت أننا أثناء خروجنا صباحاً إلى المدرسة كنا نردد ممّا أذكار الصباح، فقاطعت حديثه قائلة: ألا تتذكر أنك قلت الأذكار معي صباحاً في طريقنا إلى المدرسة؟ فقال: نعم، فقلت: والله لقد حفظك الله بسببها ولا شيء سوى ذلك، وحمدت الله تعالى، ومن يومها أصبح للأذكار في حياتنا وحياتنا منزلة عظيمة.

ليس المهم هو الخلق.. المهم هو الخلق:

عندما كانت ابنتي صغيرة في المرحلة الابتدائية، ضاع منها الخلق الذهب الخاص بها، وكذبت عليّ وأخفت عني خبر ضياعه بألوان شتى من الخيل، وفي النهاية ظهرت الحقيقة، واكتشفت أنه قد ضاع منها، فجلست معها وقلت لها: «يا ابنتي، ليس المهم هو الخلق، لكن المهم هو الخلق، إن ضياع الخلق لم يضرني، فهو سهل التعويض إن شاء الله، أما ضياع الصدق منك وجوروك إلى الكذب هو المشكلة»، ومن يومها أصبح الصدق هو مفتاح التعامل بيننا، ومررت السنوات والتحققت ابنتي بالجامعة، وما زالت تتذكر ما قلته لها وتذكرني به كثيراً، «ليس المهم الخلق إنما المهم هو الخلق»، لم أكن أن أتخيل أن ما قلته لها منذ سنين سيبقى في ذاكرتها حياً طوال تلك الفترة، لكنني قلته يومها بقلب صاف صادق حنون.

كلمة السر التي أكسبتني احترام زوجي:

كان زوجي يراني دائماً على قدر أقل من المطلوب في تربية أبنائنا، وذات ليلة سهر الولدان (٤ سنوات وسنة) إلى وقت متأخر جداً، فقرر زوجي أن نطفي كل الأنوار فوراً،

ونترك الولد الكبير (٤ سنوات) في حجرته لينام، وندخل نحن غرفتنا لننام وننظف: كل الأنوار، وفي حجرتنا سمعنا الولد يبكي بلا انقطاع، فذهب إليه أبوه وسأله: لماذا تبكي؟ فقال: لأنني أريد أن أقول لماما كلمة سر، فأدخله زوجي الحجرة عندي، وأقبل ابني نحوي وهمس في أذني: «أنا بحبك يا ماما» وهذا فوراً وذهب ونام خلال دقائق، فاستغرب زوجي مما حدث وسأل: ما هي كلمة السر؟ فأخبرته بما قاله ابني الحبيب، فحزن زوجي كثيراً وقال: لماذا لم يقل لي أحبك مثلاً قال لك؟ فقلت له: لأنني عودته كل ليلة قبل أن ينام همس في أذنه قائلة: «أريد أن أقول لك سرًا.. بحبك جدًّا»، ومن يومها بدأ زوجي يحترم دوري التربوي مع أبنائي.

ابنتي الخائفة من يطمئن قلبها؟

كانت ابنتي في المرحلة الإعدادية تعاني من توتر وضيق شديدين، وكانت حالتها النفسية غير مرضية لدرجة أنها كانت تعاني من التبول اللاإرادي ليلاً، وذات يوم جلست معها جلسة محبة بين أم وابنتها، وقلت لها صارحيني بما تعانيين، فمهما كان سوف أقف بجوارك، فلما اطمأنت لي صارحتنني بما في داخلها، فقالت: إنها تخاف من ربنا سبحانه؛ لأنها تكذب علينا وتخشى من عقاب الله تعالى لأنها لا تصلي كما تتصور بل هي تتظاهر أمامنا فقط، كانت تحسب أن الله تعالى لن يغفر لها ولن يسامحها، فطمأنتها وفتحت لها أبواب الرحمة، وشرحت لها كيف يتوب الله تعالى على كل تائب صادق ويسامحه على كل ما فات، بل ربنا يبذل سيئاته حسنات، وأخبرتها أن مكانتها بيننا لن تهتز أبدًا، وبعد جلسة المحبة تلك، تغير حال ابنتي، وتحسنت صلواتها، وهدأت نفسها، وودعت التوتر والضيق والتبول اللاإرادي.

بكم تبيعون أبابكم لنا؟

أنا أب أحاول الاقتداء بنبينا محمد ﷺ في تربية الأبناء، لذلك تحبني مع أولادي عطفًا ورحمةً لأناديتهم بأسماء الدلع وألعب معهم وأخذهم معي كلما سمحت الظروف، وهذا على عكس جاري هذه الله، فصوته دائمًا عالي، وصراخه في أبنائه لا يتوقف،

وضربه لهم لا ينقطع، وذات يوم قال لي أصغر أبنائي ٣ سنوات: إن أبناء الجيران يريدون أن يأخذوك ويعطونا أباهم ويعطوننا نفوقًا بدلا منك، لقد قالوا لي: بكم تباع أبك؟ فقلت له: كم ستأخذ منهم؟ فقال وهو يحضني: أنا لن أبيعك أبداً يا بابا، بل إنه نادى على إخوته وقال: لا تلعبوا مع أولاد الجيران لأنهم يريدون شراء بابا منا، ثم التفت إلي سائلاً: ماما من أين اشتريتك يا بابا؟ فضحكنا جميعاً وقلت له: لماذا؟ فقال: حتى أقول لأبناء الجيران من أين يشترون أباً مثلك.

من يضرب أبي... سيخرج في رحلة على حسابي؛

ذات يوم ضربت ابني الصغير بشدة، ولطمته على وجهه لسبب لا يستحق كل هذه القسوة، وبعد أن بكى كثيراً، سكت وجلس يلعب، وظننت أن المسألة قد انتهت وأنه قد نسي، وبعدها بساعات جلس ابني هذا مع أمه وخاله فقال لهم فجأة: «لو قام أحدكم بضرب أبي» قلمين على وجهه «فسوف أكافئه برحلة على حسابي»، فلما بلغني الخبر جلست مع نفسي حزينا وقررت أن أتغير.

هل وعدت ابنتك يوماً... ولم توفِ بوعدك؟

كنت كلما طلبت ابنتي مني شيئاً أعدتها قائلة: «إن شاء الله»، وكنت كثيراً ما أخلف وعودي معها وأنسى طلباتها، فقالت لي يوماً: «ماما، من اليوم لا تقولي لي: إن شاء الله، لأنك كلما طلبت منك شيئاً تقولين إن شاء الله ولا تنفذه، لقد جعلتني أكره تلك الكلمات الطيبة، سأمحك الله يا أمي».

وفي المدينة المنورة فتحت الحقيبة

سافرت لأداء العمرة أنا وزوجي، وودعت أبنائي وتركتهم عند جدتهم في أمان وسلام، وودعتهم بالدعاء وأجل الهدايا، وعند وصولنا إلى المدينة المنورة فتحت حقبتي لأخرج ما فيها، فوجدت ابنتي الوسطى «٨ سنوات» قد وضعت لي رسالة في داخل الحقيبة، لقد خبأتها تحت الملابس وكتبت فيها: «أنا أحبك جداً يا ماما أنت وبابا،

سأفتقدك»، والله من قبل تلك اللحظة لم أكن أهتم بها كما ينبغي، كانت ضائعة بين أختها الكبرى التي أخذت حظها من الرعاية، وأختها الصغرى التي أخذت حظها من التدليل، ومن يومها تغير الحال وأصبحنا صديقتين.

أوقف سائق التاكسي ليسأله كم الساعة :

ابني الحبيب (١٥ سنة) له تصرفات مستغزة وغريبة كمعادة الشياح في مثل سنه، ومن مواقفه التي لا أنساها، أنه ذات مرة أشار بيده لسائق تاكسي ليوقف له، وكان الطريق مزدحمًا وسيارات التاكسي قليلة، ويمرور الوقت توقفت له أحد السيارات، وسأله السائق: إلى أين؟ فما كان من ابني - هده الله - إلا أنه قال للسائق: لقد أوقفناك حتى أسألك كم الساعة معك؟ نعم لقد أوقف التاكسي ليسأل سائقه كم الساعة، وكادت مشكلة كبيرة تحدث بينه وبين السائق لولا لطف الله تعالى، كم أتمنى أن تمر تلك المرحلة بسلام، وحتى يحدث ذلك أتخلى بالصبر الجميل، لكن لي سؤال: لماذا فعل ابني ذلك؟ ماذا كنت ستفعل لو كنت مكاني وفعل ابنيك مثلياً فعل ابني؟

من الإذاعة المدرسية إلى الإمامة المسجدية :

أذكر أول مرة خرج ابني فيها إلى المسجد لإمامة الناس في الصلاة، كان عمره وقتها عشر سنوات، وكنت أصلي خلفه مع النساء وأنا أبكي قائلة: «الحمد لله، الشجرة بدأت تزوي ثمارها»، كان يقرأ يومها بسورة الرحمن، ويمرور السنوات بدأ يصعد المنبر ليخطب الجمعة، واليوم أسمع خطبة الجمعة منه وأحلقها معه وأناقشه فيها، وأحمد الله أن جعلني سيبًا في تعلمه الخطابة وقوة الشخصية وجه للعلم الشرعي، فقد كنت أحرص دومًا على أن يشارك في الإذاعة المدرسية منذ طفولته الأولى، وخلال مرور ابني هذا بمرحلة المراهقة شككت أنه يمارس العادة السرية، فممت بجمع الكتب وتجميع محاضرة كاملة عن أضرار هذه العادة دينيًا وطبييًا، وقدمتها له قائلة: «أعلم أن هناك من زملائك في المدرسة من يفعل هذه العادة، وأنت لا يمكن أن تكون مثلهم، ولا بد أن تعلمهم وتكون قائدهم إلى الخير»، فقام بلقاء المحاضرة على زملائه في الفصل، هذا بعد أن علمته كيف يتناول

الموضوع معهم، وكيف يستعمل المؤثرات الحسية والعقلية والعاطفية، وبالفعل نجح حتى إن أحد المدرسين استمع إليه ومن شدة إعجابه طلب منه إلقاءها على المرحلة الثانوية كلها في مدرسته، وبفضل الله امتنع هو عن هذه العادة، وقد أخبرني بهذا السر بعدها بستين، وهو الآن في المرحلة الجامعية أسأل الله تعالى أن يحفظه وأن يديم عليه فضله وهدايته.

أنت يا أبي من جلب تلك المصيبة:

قلت لابني (ثاني سنوات) عند قدوم الدراسة: ارحمني يا بني فالمصاريف كثيرة، ارحمني في أخذ النقود مني، فقال لي: «أنت من أنجبني، أنت من أحضر لنفسه تلك المصيبة، ولا بد وأن تكمل طريقك معي للنهابة»، هذه الكلمات قالها لي وهو في الصف الثاني الابتدائي.

الشهوة الجنسية وفاتح الشهية:

اكتشفت يوماً أن ابني المراهق يشاهد فيلمًا إباحيًا، وأفزعني ما رأيت، لقد رأيت دون أن يراني فاحترت في أمري، هل أخبر أباه؟ أم أواجهه؟ أم ماذا أفعل؟ وهداني الله تعالى لفكرة جريئة فنفذتها على الفور، لقد توجهت نحوه في صباح اليوم التالي وكنا وحدنا فقلت له: يا بني، ما رأيك في إنسان جوعان ماذا يفعل حتى يشبع؟ قال: يشتري طعامًا ويأكله، فقلت له: وإذا لم يكن يملك المال فماذا يفعل؟ قصمت قليلاً وبدأ يفهم رسالتي، فقلت له: فما رأيك في هذا الشخص الجوعان الذي لا يملك مالا إذا تناول فاتحًا للشهية أو جلس يشاهد من يأكلون أو يجلس بجوار مطعم يشاهد الدجاج وهو يسوى؟ فقال: أكيد سيتعب نفسه أكثر وسيجوع أكثر، أكيد هو مجنون إذ كيف يتناول فاتحًا للشهية لا يملك مالا لشراء الطعام؟ فقلت له: أتراه مجنونًا يا بني؟ فقال: نعم، فقلت له: أنت تفعل مثل هذا المجنون يا بني، فقال: لماذا يا أمي؟ فقلت له: لأنك ترى ما يفتح شهيتك للنساء، فسكت خجلاً وحياء مني، فأكملت كلامي قائلة: يا بني أنت مجنون أكثر منه، فهو فتح شهية لطعام لا يملك ثمنه، لكن ما فعله ليس بحرام مع أنه تصرف غير عاقل،

أما أنت فتفتح شهيتك بفعل حرام لا يتناسب مع قول الله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْهَىٰ لَهُمْ﴾، أنا أعلم يا بني أن فيك خيراً كثيراً وأنتك سوف تهزم الشيطان، وأنا على يقين أنك لن تفعلها ثانية، وستحافظ على شهيتك هادئة حتى تشبعها بالخلال إن شاء الله.

ابني علمني أربعين يوماً:

ذات يوم سمع ابني الصغير - وهو في المرحلة الابتدائية - من أحد مدرسيه حديث النبي ﷺ: «من صلى أربعين يوماً الصلوات في جماعة لا تفته فيها تكبيرة الإحرام كتب الله له براءتين: براءة من النفاق، وبراءة من النار»^(١)، وبدأ ابني الحبيب في السباق وتحدي شيطانه ليحضر تكبيرة الإحرام في كل الصلوات أربعين يوماً، وكان حريصاً جداً على الفوز، حتى إنه ذات يوم كان مع أمه عند الطبيب لعلاج والدته من مرض بسيط ألم بها، وجاء موعد صلاة الظهر وسمع الأذان، فترك والدته وظل يبصر إلى المسجد حتى لحق بتكبيرة الإحرام، وظل مثابراً مجتهداً حتى وفقه الله لإتمام المهمة، لقد انتصر على شيطانه وجاهد نفسه رغم صغر سنه، وكان موقفه دافعاً لي شخصياً في الحرص على تكبيرة الإحرام في المسجد، ومن يومها أصبحت أتنافس معه في الحفاظ على تكبيرة الإحرام في المسجد، أسأل الله تعالى أن يكتب لي معه ومع زوجتي وأولادي براءتين: براءة من النفاق وبراءة من النار، اللهم آمين.

أبنائي الثلاثة ونفخ الزجاج المكسور:

ذات يوم منعت أولادي الثلاثة (٢ إعدادي- ٦ ابتدائي - ٤ ابتدائي) من اللعب بالكرة داخل الشقة لأنهم كسروا المصباح (اللمبة) بالكرة، وارتفع صوتي عليهم نهراً

(١) الحديث أخرجه الغزالي في الإحياء وقال عنه الحافظ العراقي في التخریج رجال إسناده، لقائمه، وجاء في سنن الترمذي بلفظ: (من صلّى أربعين يوماً في جماعة يدرك التكبيرة الأولى كتبت له براءتان براءة من النار وبراءة من النفاق) الترمذي برقم ٢٤١١، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي ح ٣٤١ والسلسلة الصحيحة ج ٢، ٢٦٥٢، وهذا الحديث ضمنه أيضاً جماعة من العلماء المتقدمين وأعلوه بالإرسال، وحسنه بعض المتأخرين. انظر تلخيص الحبير ٢/ ٢٧.

وتوبيخًا، وبعدها بأيام خرجت مع أمهم من البيت وتركتهم وحدهم فيه، فلبوا بالكرة في البيت ثانية، وهذه المرة كسروا زجاج أحد الأبواب، فأحضروا أوراق جرائد ولصقوها فوق الزجاج المكسور، وأطفأوا نور الغرفة حتى لا أراها، ولما سمعوا صوت المفتاح في الباب وأحسوا بقدومي، تظاهروا بالنوم، فلما دخلت البيت واكتشفت الخبر ورأيت الزجاج المكسور، مشيت نحوهم وهم نائمون ومختبئون تحت اللحاف، وتكلمت كلامًا فيه مزاح وضحك مما فعلوه (لا بد وأن الهواة كان قوياً لدرجة أنه كسر الزجاج، يبدو أن نوعه كان سيئاً فانكسر وحده)، فهبوا من تحت اللحاف في ضوت واحد قائلين: الحمد لله.. خلاص.. أنت ضحككت.. والله لا تضربنا، نستحلفك بالله ألا تضربنا، فقلت لهم في هدوء لا أدري من أين جاءني: ساعدتكم لكن آخر مرة، فقال كبيرهم لإخوته: أم أقل لكم؟ ألم يكن كلامي صحيحًا؟ ما قلته لكم قد حدث.

فقلت لهم: ماذا قال لكم؟ وماذا فعلتم؟

قالوا: لما كسرنا الزجاج، قال لنا: بابا سيقتلنا من الضرب، بالأمس كسرنا المصباح (اللمبة) واليوم زجاج الباب، لكن عندي حل لكم، فقلنا: ما الحل؟ فقال: نتوضأ ونصلي ركعتين ندعو الله أن بابا لا يضربنا، وبالفعل توضأنا وصلينا ركعتين ودعونا الله.

فقلت لهم: هل فعلتم ذلك فعلاً؟

قالوا: نعم.

فقلت لهم: والسعادة تغمرني وقد احتضتكم فرحاً: أنا قد ساعدتكم، وأعطيت كل واحد منهم مكافأة مادية مبلغاً من المال لأنهم نجأوا إلى الله بالصلاة والدعاء في أزمته، وهكذا تعلموا وعلموني معنى اللجوء إلى الله تعالى وقت الضيق.

يساعنا.. هكذا وجدناه؛

في ولدان سمعتها يوماً يقولان لبعضها وقد عصيان في أمر ما: بابا طيب، سوف يساعنا.. هكذا وجدناه... ففرحت بكلامهم كثيراً... والسؤال الآن: أنت كيف وجدك أبناؤك؟ وما رأيهم فيك؟

قيل أن يكره ابتك الصلاة:

لي ولد يبلغ من العمر اثني عشر عامًا، كثيرًا ما ضربته على الصلاة وعنفته على تأخيرها، لم أشجعه كثيرًا على أدائها، ولم أستخدم معه المكافآت والتحفيز إلا نادرًا، وفي المقابل عاقبته كثيرًا على تركها، لدرجة أنه بدأ يربط الصلاة بالضرب واللوم والتعنيف، فالصلاة عنده = إكراه + ضرب + توبيخ + تعنيف + ترك لما يجب مشاهدته + السير نحو مكان يضربه فيه الكبار ويصرخون في وجهه إن أخطأ، وكانت النتيجة المفجعة أنه ذات يوم قال لأمه: «أنتم لا تعرفون سوى الضرب على الصلاة، والحل الوحيد الذي سيريجيني أن أصبح نصرانيًا، فصلاتهم أسهل من صلاتنا»، كم صدمتنا كليته وكنا نفظنها كلامًا عابثًا، لكنه بدأ يبحث في النصرانية ويقرأ في الإنجيل، وأصبح طفلي على مقترق طرق، أي الصلاتين سيختار؟ وانتهزت الفرصة وبدأت معه رحلة البحث عن الحقيقة، عن الدين الصادق ومعانيه الجميلة، وانتهت رحلتنا بعد سنين بأن عرف معنى الصلاة وأدرك روحها وأصبح من الداعين لها، لقد كنت على وشك أن أفقد ابني بالعنف والضرب الدائمين، لكن الله أتقذني وإياه بالرفق، والسؤال الآن: هل نحرص كأبَاء على أن يحب أبنائنا الصلاة؟ أم فقط نحرص على أن يزدوا حركاتها ويتمتعوا بشعائرها؟

صورة أبي هل تعوض غيابها؟

كان زوجي مرتبطًا بأولادنا جدًا حنونًا عليهم رقيقًا بهم، وذات يوم سافر لأداء فريضة الحج وتركتي مع الأولاد، وهنا بدأت مشاعر أبنائي تجاه والدهم تظهر، فالجميع يفترقه ويتذكر ما كان يفعله معه، كم كان البيت حزينًا بدونه، وكان من عادة زوجي قبل سفره أن يتناول الإفطار مع طفلنا الأوسط على سريرته وفي حجرته، وبعد سفر زوجي فوجئت بطفلي هذا يحضر صورة والده، ويضعها بجوار سريرته، وكل يوم صباحًا يتناول الإفطار على سريرته ناظرًا إلى صورة والده ومتحدثًا معها، لقد وضع الصورة لينظر معها تعويضًا عن والده المسافر، هكذا فعل الطفل المحب مع والده الغائب.

ضرب البنات هل يعطي حسنات؟

رزقني الله تعالى بابتين توأمتين، وبداية من عمر السنتين بدأت أضر بها بشدة، لا أدري هل كنت أودجها؟ أم أنتقم منها؟ أم أفرغ فيها ضغوط الحياة؟ عندما أنكر في تلك اللحظات أشعر كم قهرتها وظلمتها وكأنني لست بأم، لقد كنت أقول لنفسي حينها بأني سأخذ حسنات نتيجة تأديبها وتعليمها، لكنني اكتشفت بعد ذلك أنني كنت أهدم ولست أبني، كنت أشوه بدلا من أن أربي، لقد ظللت على تلك الحالة مع المسكينتين لمدة عامين، وعندما بلغنا من العمر أربع سنوات لم تحتمل قلوبها البرينة فسوتي، ولم تحتمل روحها الطاهرة ظلمي، فأصبحت بحالة نفسية مخزنة، وبدأ شعرهما يتساقط، واهتمت حينها بشكل الصغيرتين ولم أهتم بنفسيتهما، فذهبت مسرعة للطبيب لأبحث عن علاج لتساقط الشعر، فقال لي الطبيب: «المهم هي المشاعر وليس الشعر، إن الشعر يتساقط عند ابتئيك نتيجة جرح المشاعر، وشعرهما ينكسر نتيجة لكسور القلوب، المشكلة ليست في شعر ابنتيك المشكلة في حالتها النفسية السيئة»، ومن يومها تعلمت درسا لن أنساه، لقد تركت الضرب نهائياً وبدأت عهد الأمومة الصادقة، وتركت تلك الأمومة المزيفة، وبدأت عهد الحسنات في تربية البنات.

ذكريات كثيرة وسريعة:

هذه طائفة من الذكريات الجميلة كتبها عدد من الآباء والأمهات، ولأنها قبيلة الكلمات كثيرة المعاني، فقد ضممتها لثقرأها معاً...

- ذات يوم انهرت وأصبت بانهار عصبي، كل هذا بسبب أولادي وكثرة أخطائهم وخاصة ابني بالصف الثالث الإعدادي، فأسرعت نحو غرفتي وأغلقت عليّ الباب وصرخت: يا رب ربيهم، يا رب ربيهم، وأخذت أبكي، ورويداً ورويداً هددت، وعندما تأملت دعائي وأنا أصرخ وجدت فيه النجاة، وداومت عليه سنين، والنتيجة جيدة والحمد لله.

• سافر زوجي لثلاثة أيام إلى القاهرة، وابني الصغير يسأل عنه، ثم فاجأني بالسؤال التالي: هل أبي سوف يتركك لكي تربينا بمفردك؟ فشعرت بقيمة أبيه في حياتنا، ومن يومها تغيرت مقاييسي في التعامل مع أبيه.



• كنت أضرب ابني كثيرًا منذ طفولته، وذات يوم قال لي (وكان عمره ٦ سنوات): أتمنى لو أنني أبوك وأنت ابني، فقلت لماذا؟ قال: والله كنت سأربيك.

• تعرضت ابنتي أساء لحادث سيارة ودخلت المستشفى، وعندما عاد إخوتها من المدرسة وعلموا الخبر حزنوا كثيرًا، وفجأة جمع ابني الأكبر (في الصف الخامس الابتدائي) إخوته وقال لهم: هيا نصلي ركعتين وتدعو لأختنا أساء، فشعرت عندها أن تربيتنا لن تضيع إن شاء الله.

• ظلت ابنتي الصغيرة ذات الأربع سنوات كلما جلست لأقرأ الورد القرآني اليومي، تأتي هي لتجلس في حجري وتسترخي أثناء التلاوة، وعندما نسيت يومًا أن أقرأ الورد؛ جاءتني ابنتي لتذكرني قائلة: ماما، هاتي المصحف واقري لأجلس في حجرك، فحمدت الله كثيرًا.

• ابني أغضبني ذات مرة، فاكتفيت بخصامه كعقاب لفترة من الزمن، فذهب إلى غرفته وقام بكتابة رسالة اعتذار لي، وجاء ووضعها بين يدي يرفق وقال: «سامحيني»، وقرأت رسالته وبكيت، فالرسالة كانت عبارة عن شخطة وخطوط وعلامات، فابني كان يومها لا يجيد القراءة والكتابة بعد، ولم يلتحق حتى بالحضانة، لقد كتب رسالة الاعتذار بقلبه ولم يكتبها بقلمه.

أين الضجيج العذب والشغب.. قصيدة أب؛

أفضل شيء أختتم به هذه الذكريات الجميلة التي صنعها الأبناء والبنات في قلوب

آبائهم وأمهاتهم، هي قصيدة الشاعر الكبير عمر بهاء الدين الأميري^(١) رحمه الله، والتي كتبها بمناسبة انه كان في إحدى مصايف لبنان (مصيف قرنايل) ومعه أطفاله وأسرته، فلما فتحت المدارس أبوابها في سوريا، سافرت الأسرة كلها إلى حلب حيث دراستهم، وبقي الشاعر وحده منزوعاً من وحشته فكانت هذه القصيدة الرائعة التي كتبها لما عاد للبيت الذي كان يقيم فيه مع أولاده، ورأى نفسه بعد رحيلهم وحيداً بين بقايا ذكريات أولاده...

قصيدة اب

أين الضجيجُ العذبُ والشَّعْبُ؟	أين التُّدَارُسُ شبَّابُ اللَّعِبِ؟
أين الطفولة في توقُّدها؟	أين الدُّمى، في الأرض، والكتبُ؟
أين النَّشَاكسُ دونها عَرَضِي	أين النشاكبي ما له سببُ؟
أين النَّبَاكبي والنَّضْحُكُ، في	وقتِ مَعا، والحزْنُ والطَّرْبُ؟
أين التناوبُ في مجاورتي	شغفًا، إذا أكلوا وإن شربوا؟
يتزاحمون على مُجَالسِي	والقرب مئى حيثما انقلبوا
يتوجهون بسوق فطرتهم	نحوي إذا رهبوا وإن رغبوا
فشيدهم «بابا» إذا فرحوا	ووعيدهم «بابا» إذا غضبوا

(١) عمر بهاء الدين الأميري ولد في سنة ١٩١٨م في حلب بسوريا، درس الأدب وفقه اللغة في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة السوربون في باريس، والحقوق في الجامعة السورية في دمشق، عمل في التدريس. ثم مارس المحاماة ثم سفيراً لسوريا لدى باكستان ثم المملكة العربية السعودية، ذهب إلى المغرب عام ١٣٨٦هـ. أسنداً لكرسي «الإسلام والتغيرات المعاصرة»، في دار الحديث الحسنية بالرباط، واستمر في العمل خمسة عشر عامًا، كما درس الحضارة الإسلامية في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة محمد الخامس، عين أسنداً زائراً ومحاضرًا في جامعات الرياض، والإمام محمد بن سعود الإسلامية، والملك فيصل، والملك عبد العزيز في السعودية، وجامعات الأزهر، والجزائر، والكويت، وصنعاء، وقطر، والجامعة الأردنية في عمان، وجامعة الإمارات العربية في العين، وعدد من الجامعات الإسلامية في باكستان، وتركيا، وأندونيسيا، من دواوينه الشعرية: مع الله - ألوان طيف - أب - أمي - من وحى فلسطين - أشواق وإشراق - منحة النصر - حجارة من سجل - قلب ورب - رياحين الجنة - الزحف المقدس - نجاوى عمديّة - أذان الفجر. توفي في الرياض ٢٢/ ١٠/ ١٤١٢هـ عن عمر ناهز الثالثة والسبعين.

وحسبنا أنهم «بابا» إذا ابتعدوا
 بالأمس كانوا ملء منزلنا
 ذهبوا، أجل ذهبوا، ومسكنهم
 إني أراهم أينما التفتت
 وأجس في خلدي تلعّبهم
 ويريق أعينهم إذا ظفروا
 في كل ركبن منهم أنسر
 في التناذات، زُجاجها حطّموا
 في الباب، قد كسروا مزاجه
 في الصحن فيه بعض ما أكلوا
 في الشطر من تفاحية قضوا
 إني أراهم حيثما أنجبهت
 بالأمس في «قرنايل» نزلوا
 دمعي الذي كتمته جلدًا
 حتى إذا ماروا وقد نزعوا
 أفتيتني كالطفل عاطفة
 قد يعجب العُدال من رجب
 هيهات ما كلُّ البكا تحسّر

ونجيتهم «بابا» إذا اقتربوا
 واليوم - وبيع اليوم - قد ذهبوا
 في القلب، ما شطّوا وما قرّبوا
 نفسي، وقد سكنوا، وقد وثبوا
 في الدار، ليس ينالهم نصب
 ودموع حرقتهم إذا غلبوا
 وبكل زاوية لهم صخب
 في الحائط المدهون، قد تقبوا
 وعليه قد رسموا وقد كتبوا
 في علبة الحلوى التي همبوا
 في فضلة الماء التي سكبوا
 عيني، كأمراب القطا، سربوا
 واليوم قد ضمتهم «حلب»
 لما تباكوا عندما ركبوا
 من أضلعي قلبًا بهم تحجب
 فإذا به كالغيث ينسكب
 يبكي، ولو لم أبك فالعجب
 إني - وبى عزم الرجال - أب



الفصل الثالث
القواعد الذهبية
في صناعة الذكريات
الأسرية

تهنئة

نحن اليوم نصنع مع أبنائنا ذكريات الغد ولكي نحسن صناعة تلك الذكريات نحتاج إلى:

أعظم قلب في الدنيا، قلب الأبوة الحاني، وأنت بفضل الله علمك.

وقت لتكتب خلاله في صفحات قلوب أبنائك البيضاء ما تختاره من ذكريات، وهذا تستطيع توفيره.

قواعد وأفكار وتجارب تضيء لك الطريق، وهذا ما تقدمه لك في هذا الفصل (قواعد صناعة الذكريات الأسرية)...

في البداية ستبكي مع فكرة اللقاء الأخير...

ثم تتعرف على لغز الاتصال الذي غير حياة الكثيرين...

ومن ثم تنتقل إلى بنك العواطف الأسرية لتودع فيه من خلال ١٩٠ فكرة تربوية...

وبعدنا نقدم لك ٢٠ فكرة مبدعة تساعدك على أن تكون أباً مبدعاً...

وفي النهاية مسك الختام، سنن المحبة التربوية، تلك السنن النبوية التي تغرس في القلوب أجمل الذكريات...

والآن لم يعد لك عذر، انطلق لتتعرف على تلك القواعد، فأبناؤك بانتظارك وكلهم شوق ليصنعوا معك أجمل ذكريات العمر.

القاعدة الأولى

احذر اللقاء الأخير

كان ابني - ذات صباح - يرى من وجهة نظره أن السروال الجينز التقليدي لم يكن ملائماً للمدرسة، ولهذا فقد أراد أن يرتدي السروال المشخ الذي كان في المغسلة، ثار بيننا جدل في هذا الشأن، وأصررت أن يرتدي السروال النظيف الذي لا يروق له، وهكذا وأسرع وقد اتنابه الغضب ليلحق بأتوبيس المدرسة، ولم تتح لي فرصة معانقته مودعة إياه كعادتنا في كل صباح، كنت أشعر بشيء من الضيق من جراء هذا الاختلاف في وجهات النظر، ولكنني شعرت بالفخر بابني البالغ من العمر عشر سنوات لأنه يملك إرادة قوية.

كنت قد تأخرت على موعد عملي، وبينما أنا أتمهز للخروج رن جرس الباب، ففتحت فإذا بفنأة صغيرة تخبرني بأن ابني قد صدمته سيارة، شعرت أن قلبي ينخلع من مكانه ووقفت مفزوعة، ثم اندفعت إلى الخارج وأسرعت نحو مكان الحادث، وما إن وصلت إلى منتصف الطريق رأيت ابني ممدداً في الشارع بلا حراك، اتنايتي الهلع من جراء ما قد آلاقيه مما دفعني إلى التباطؤ، ثم سمعته وهو يصرخ وينادي، فوجدت نفسي أعدو نحوه بسرعة فائقة كما لم أفعل من قبل في حياتي، كان ممدداً ورأسه إلى الأسفل وحقيقته المدرسية بجواره، بينما كان مغطى بملاءة كان قد أحضرها بعض الجيران، وعرفت حينها أن السيارة صدمته بقوة وألقت به على بعد عشرة أقدام على الأقل في الهواء، ثم دفعته لمسافة بعيدة فسقط على ركبتيه وحقيقته المدرسية.

كان ابني واعياً، وسمعت صوت صفارة الإنذار تنطلق من سيارة الطوارئ وتلتها سيارة الإسعاف، أظهر الكشف المبني عدم وجود إصابة في الرأس أو الظهر أو الذراعين، وقام رجال الطوارئ بقطع سرواله «الجينز» برفق للتأكد من سلامة العظام، عندها قال لي ابني مداعباً: «يبدو يا أمي أنني لن أرتدي هذا السروال أبداً»، ضحكت وأحسست وهم يحملونه داخل سيارة الإسعاف أن سيكون بخير، لقد كان ابني محظوظاً إلى حد كبير، فقد أخبرني الضابط بالقسم أنها لمعجزة أن الطفل لم يصب بجرح خطير أو يلتقى حتفه.

مكثنا في البيت في هذا اليوم وتحديثنا وبكينا على كثير من الأشياء، وتعلمنا أننا يجب أن نحرس على ألا نفارق أحبابنا ونحن غاضبون، وبينما كان ابني يأخذ قسطاً من الراحة، كنت أغسل سرواله المتسخ وكنت أنتهد وأنا أتفحص ما أصاب سرواله الجينز، انتابني شعور عميق ووعيت تماماً كيف يمكن أن تتبدل حياتنا في لحظة خاطفة دون سابق إنذار، لقد حدث هذا منذ سبع سنوات، ومن يومها وحتى الآن حينما أشعر في معرفة الحياة على حقيقتها أو أشعر بحاجة إلى تذكرو واستشعار للقيمة الثمينة لهذا الوقت الذي نقضيه معاً؛ أقوم باستخراج هذا السروال الجينز المقصوص بعناية^(١).

حكايات وآهات .. وعبر وعظات:

كثيراً ما أسأل من يحضرون ندواتنا حول تربية الأبناء: هل يوجد من بينكم من ابتلاه الله تعالى بوفاة أحد أبنائه أو بناته؟ وأصمت لحظات لا تصفح وجوه الحضور، وعادة ما ألتح في عيون أحدهم أو إحداهن الدموع، فأعرف على الفور أنني قد وجدت ضالتي، وهنا أبدأ بالاعتذار عن فتح هذا الموضوع، سأتلا الله تعالى أن يرزقنا جميعاً الصبر والأجر، ثم أسأل أصحاب الدموع: هل تذكرون آخر اللحظات مع أبنائكم قبل الفراق؟ حدثونا عن آخر كلمات، آخر نظرات، آخر همسات... كيف كان اللقاء الأخير بينكم؟ وهنا يجيب الجميع أنفاسه ليسمعوا مشاعر الأبوة الصادقة عند فراق الأchie...

يقول أحد الآباء: لي جار كنت أحترمه وأقدره، عاد ابنه ذو الخمس عشرة سنة لليت يوماً، وفي فمه رائحة السجائر (الدخان)، فقال الوالد منفعلًا: شربت السجائر؟ فقال الابن: لا، رد الوالد: والله رائحتك دخان لقد شربت، فقال الابن: والله لم أشرب، فانفعل الوالد وضرب ابنه على وجهه قائلاً: يا كذاب، وصدمت المفاجأة الشاب، وما إن استفاق منها حتى خرج من البيت مسرعاً، وأسرع والده خلفه ليلحق به، فتح الشاب باب بيته وخرج باكياً حزيباً، وهناك صدمته سيارة مسرعة، فلفظ أنفاسه الأخيرة على باب بيته أمام عيني والده وأندموع لا تزال على خدي، وهكذا كان اللقاء الأخير بينهما، لم

(١) ثوربة دجاج حياة الأمهات (١٠١) قصة لرفة وصفا، روح الأمهات، ص ١٨٦ - ١٨٨ (بصرف).

يتحمل الوالد الصدمة، فانهارت أعصابه وهو إلى اليوم يعالج بأحد المستشفيات...

وذات يوم في إحدى الندوات: جاءنا الخبر أن ابن أحد الحضور (في الصف الثالث الإعدادي) قد غرق في حمام السباحة، فقام مدير الندوة بإبلاغ ذاك الأب، وواسيناه وخرج بصحبة بعض الحضور ليتسلم جثمان ابنه من المستشفى، وممرت عدة أيام وقابلت ذاك الأب في الطريق، فوجدت عليه علامات الرضا والصبر، فقلت له: البقاء لله، أراك بفضل الله صابراً محتسباً، فحدثني عن لقاءك الأخير بابنك رحمه الله، فقال: سأحكي لك، قبل أن يموت ابني (أنس) بثلاثة أيام ضربته، بعدها بيوم صالحته ورضيته، وفي اليوم التالي (تجديداً ليلة وفاته) كنت أسير في الشارع، فمررت بأحد المحلات، ورأيت نوع شيكولاتة كان يحبه، فاشترت له واحدة منها وعدت للبيت، قابلته مبتسماً وأعطيته الشيكولاتة قائلاً: وأنت صغير كنت تحب هذه الحلوى، فأحضرتها لك اليوم، صحيح هي خسارة فيك، لكنني أحبك، قدمعت عيناه وقال: يا بابا، والله أنا لست سيئاً، فاحتضنته وقبلت رأسه وأنا أقول: أعلم ذلك، فسألتني لأنني ضربتك منذ يومين، وانهمرت الدموع من عيني، ولأول مرة منذ ستين أشعر بحلاوة أخذه بين أحضاني، وبعدها افترقنا، وهذا كان اللقاء الأخير بيننا، إذ لم أره بعد ذلك حياً، رأيتُه مستلقياً على فراش الموت في المستشفى، وهناك أخذته ثانية بين أحضاني، ولأول مرة أشعر بكم هو قاسي أن تنظر لابنك نظرة الوداع، رحل الله يا بني، كن على يقين أنني لن أنساك في دعائي يوماً، عسى أن نلتقي في جنة الخلد...

في إحدى المحاضرات: سألت هل من بين الحضور من مات أحد بنيه؟ فأشار أحد الآباء بيده قائلاً: لقد ماتت ابنتي (سمية) سبع سنوات، فقلت له: رزقنا الله وإياك لصبر، سامعني إن كنت قد جددت أحزانك، لكن هل تستطيع أن تحكي لنا لقاءك الأخير بابنتك قبل وفاتها؟ فانهمرت دموع الرجل وقال: لن أستطيع، فاحترمت مشاعره وسكت... وإذا بمفاجأة عجيبة، كانت زوجته بين الحضور فقامت قائلة: أنا أمها وسأحكي لقامنا الأخير بحييتنا سمية، في اليوم الذي توفيت فيه - رحمه الله - كنت ذاهبة للقاهرة، والتفتت مع أخي على أن يحضر ليأخذها لتلعب مع بناته حتى أعود، وبالفعل حضر

بسيارته وانتظر تحت العماره التي نسكرن بها، وأخذ يستعجل نزولنا بوق السيارة، وطبماً استعجلت سمية، وكانت مشغولة بجمع أغراضها وأدوات التزيين الخاصة بها، فقلت لها: اتركها الآن فهي لن تطير وأكسلي ما فعلينه بعد عودتك، وأنا لا أعلم أنها لن تعود ثانية، المهم نزلت أنا وسمية بعد معركة لطيفة، وما إن ركبت هي السيارة حتى صاحت: لقد نسيت شيئاً، ونزلت بسرعة نحو البيت لتصعد إلى شقتنا في الدور الرابع، وناديت عليها أن توقفي لكنها أكملت طريقها بسرعة، وما هي إلا دقائق حتى نزلت من جديد متبسمة فرحانة، ودارت حول السيارة لتركب، وفجأة صدمتها سيارة مسرعة، فإتت في الحال... تكمل الأم ودموعها على خديها: جهزناها للدفن، ولاحظت أن والدها يجلس بأحد أركان البيت بلا كلام، فقلت له: إنك لم تشاهد سمية، هيا سلم عليها قبل أن ندفنها، فيكي وقال: لن أستطيع، وفشلت محاولات الجميع في إقناعه بالسلام على سمية قبل دفنها، ووسط استغراب الجميع دفننا دون أن يراها أبوها، وبعد أن هدأت النفوس سألته: لماذا لم تسلم على سمية؟ فأجابني والدموع تخرج كلماته: عندما صعدت سمية وتركتكم عند السيارة، فتحت باب الشقة فوجدتني جالساً كما تركتني مشغولاً بإنهاء بعض الأعمال الكتابية، فقالت سمية: بابا، ألم تنس شيئاً؟ قلت لها: لا، قالت: لقد نسيت شيئاً، نسيت أن تعطيني قبلة، لكن أنا أسامحك، خذ مني أنت قبلة، وأعطتني قبلة حانية على الهواء وانصرفت، وكان هذا هو اللقاء الأخير بيننا، إنني لم أرد على قبلتها إلا بابتسامة، لم أعطيها حتى قبلة على الهواء، فكيف كنت أستطيع رد قبلتها وهي ميتة، إنني لم أستطع مشاهدتها مرة ثانية... ليتها تعود لأخذها بين أحضاني وأعطيتها قبلة حانية... رحمك الله يا سمية، ورحم والديك ورزقها الصبر والثبات...

قالت لي إحدى الأمهات: أرسلت ابني أحمد (ذا الخمس سنوات) يوماً ليشتري لي شيئاً من البقالة، وذهب راضياً وعاد مسرعاً، وبعد لحظات طلبت منه النزول ثانية لشراء شيء آخر، فاعترض قائلاً: لماذا أنزل ثانية، أرسلني أختي هذه المرة، إنني أريد أن أذهب للعب مع أصحابي، فقلت له: ما رأيك أن تذهب أنت وتشتري هذا الشيء وسأجعل أختك تنتظر في مدخل البيت؛ لتعطيها ما اشتريت وتذهب أنت للعب، وهنا وافق وهم

بالمغادرة، فنادت قائلة: هل أنت غضبان من ماما؟ فقال: لا، فقلت: هيا أعطي ماما قبلة وحضناً، فقبلني وأعطاني حضناً على عجل وانصرف، واشترى ما أردته وأعطاه لأخته وهي بدورها أحضرته لي، وبعد دقائق سمعت صراخاً في الشارع، فانتفضت لأرى ما حدث، وإذا بالمفاجأة، لقد وقع أحد أسلاك الكهرباء على ابني أحمد فहत، أجهمتني الصدمة ووهني الله تعالى الصبر، والحمد لله أن آخر شيء بيننا كان تساعماً وحباً... فقلت هذه الأم: الحمد لله أن اللقاء الأخير بينكما كان رقيقاً هكذا، ولكن ما هو إحساسك لو كان آخر شيء فعلته مع أحمد هو ضربه والصراخ في وجهه؟ فبكت الأم، ولاذت بالصمت...

يقول أحد الأبناء: كنا جلوساً ذات يوم حول مائدة الطعام، نضحك ونأكل وتسامر، كان ابني علي (١٨ سنة) يجلس إلى جوارني، هادئاً مبتسماً يأكل بسكينة ورفق، وأخذ بيده لقمة ورفعها لفمه، فطليها منه أخوه، فأخرجها من فمه وأعطاها لأخيه، وهذه كانت عادته الطيبة، كان مصدر الرحمة بين إخوته، وبعد انتهاء الطعام دخل علي غرفته ليستريح، وعند أذان المغرب دخل أخوه ليوقفه فوجده ميتاً، لقد فارق الحياة وكان لقاؤنا الأخير به على مائدة الضعام، لقد أخرج اللقمة من فمه وبها أدخل حبه في قلوبنا جميعاً، فمن يومها لا نترك الدعاء له، ونجتمع متذكرين له سائلين الله تعالى أن نلقاه في جنة الخلد...

وتقول إحدى الأمهات: أغضبني ابنتي زينب (١٦ سنة)، فشددتها من شعرها وضربتها، فبكت كثيراً واشتكت لوالدها عند عودته للمنزل، وهو بدوره تكلم معي وأرشدني لحظتي، وكان مما قال: هل تقبلين بأن تكوني سيياً في إدخال الحزن على ابنتك، وتجعلها تنام الليلة ودموعها على خدها؟ فرق لها قلبي، ودخلت عليها غرفتها ووجدتها لا زالت تبكي، فقلت لها: زينب، هل ما زلت غضبانية مني؟ فلم ترد علي، فقلت: ساعيني لقد أخطأت في حقك، ودمعت عيناك، وهنا فقط ارتدت زينب في حضني وعلا بكأؤنا، فدخل والدها مبتسماً وقال: الحمد لله، دخلت أمك لتتوقف عن البكاء فبكت، هي الأخرى، لا بد وأنها عدوى تصيب من يدخل هذه الحجره، سأسرع في الخروج قبل أن

تصيينا العدوى وأبكي، وهنا قالت لي زينب: ماما، أنا والله أحبك، ومشتاقه منذ سنين للحديث معك، فأرجوك اجلسي معي نتكلم، فقبلتها واعتذرت لها بأني متعبة ووعدها أن نتحدث في الصباح، ونام الجميع تلك الليلة هادئ البال مطمئن الفؤاد، وعند الفجر ذهبت لأرظف زينب، فلم ترد عليّ ناديت بصوت أعلى... زينب.. زينب.. حركتها فلم تتحرك، لقد فارقت الحياة، فارقتنا قبل أن نجلس معاً لتتجاوز كبرها ووعدها، ومرت أيام، ووجدت دفترًا كانت تسجل فيه يومياتها، وكانت المفاجأة أن آخر ملحوظة كتبها كانت تقول: أنا النبيلة سعيدة جدًا، لقد أخذتني أمي في حضنها، ووعدتني أن نجلس معاً لتتجاوز كبرها زمان، احمده الله الذي أعاد لي أمي التي أحبها وأعادني لحضنها...

يقول أحد الأبناء: أصيبت ابنتي هاجر (٧ سنوات) بالسرطان، وطوال عام كامل كنت أتردد بها على المستشفى لتأخذ العلاج، وما أقساء من علاج، كم بكيت من صراخها وكم زلزلتني دموعها، عام كامل من الصبر والاحتساب نسأل الله القبول، ومن العجائب أن هاجر لم تكن تستريح إلا وهي راكبة على رقبتي ورجلاها عند صدري، وذات يوم كنت أحملها بهذا الوضع وأدور بها في أروقة المستشفى، وتناولت علاجها وذهبتنا عند سريرها فقالت لي: «نزني يا بابا على السرير، كده كفاية»، فأنزلتها برفق، ونامت على السرير وعينها تنظر لي، وفاضت روحها الطاهرة على هذه الحال، كان وجهها مليئاً بالرضا وعينها تشعرنى بالطمأنينة، لن أنسى أبدًا نظرتها الأخيرة، رحمها الله...

يقول أحد الأبناء: مرض ابني ذو الثلاثة أعوام بمرض في القلب، مكثت أمه معه بالمستشفى شهرًا طويلة، كنت أتردد عليه للزيارة كل حين، وذات يوم ذهبت لزيارته، وجلست بجواره وقبلته وتعجلت في الرحيل، وكانت نظراته تبغيني حيثما أذهب، فقالت لي زوجتي: الولد ينظر إليك ومشتاق لأن تجلس معه، فقلت: عندي عمل، مرة ثانية، وذهبت لزيارته بعد أيام فوجدت حالته غير مستقرة، ونحن عنده توقف القلب، فأخرجنا الأطباء مسرعين وأسعفوه فعاد قلبه يعمل، وتكرر هذا الموقف يومها ست مرات، وفي النهاية فارق الحياة، أنهبنا الإجراءات واستلمنا جثته لدفنها، ونحن عائدون في الطريق قالت لي زوجتي: أتذكر يوم أن قلت لك اجلس معي، لقد كانت فرصتك

الأخيرة، ولقد أصعبتها... والله ما زلت أذكر نظرتي، وأحاول اليوم أن أعوض خطيئي بالجلوس أكثر مع إخوته، لأشبع أنا منهم أولاً قبل أن يشبعوا هم مني، إنني مشتاق لأن أعيش دفء المشاعر مع أبنائي من جديد...

يقول أحد الأبناء: كان ابني مريضاً جداً فذهبت به أنا وأمّه إلى المستشفى، وظللت بجواره وودعته في الواحدة مساءً عندما اطمأنتت عليه وتركت أمه ترافقه، وعند وداعي له قبلت رأسه وأخبرته أنني سأعود إن شاء الله في الصباح مبكراً، فقال لي: يا بابا لا تأتي حتى تصلي الجمعة لأنك ستعود إلى المنزل متأخراً، فسلمت عليه وقبلته ثانية وانصرفت وليتني ما تركته، فقد اتصلت أمه بي صباحاً لتخبرني أنه دخل في غيبوبة، فذهبت إليه مسرعاً فوجدته صامتاً على غير الحالة التي تركته عليه، جلست بجواره لعله يفيق ويبادلني الكلام والابتسام، لكنه فارق الحياة وتركتني وحيداً، تركتني ولم ينطق بكلمة بعد لقائي الأخير به، لقد فارق الحياة وهو في الحادية عشرة من عمره، كم كنت أتمنى أن يطول اللقاء الأخير بيننا، وكم كنت أتمنى أن أودعه...

تقول إحدى الأمهات: كان طفلي الرضيع كثير البكاء نتيجة لحفنة طيبة أخذها عن طريق الخطأ، كان كثيراً ما يزعجني بكأوه، وذات يوم فقدت القدرة على التحمل فقلت له بالنص: ربنا يربحني منك، يومها بدأ الولد ينام وينظر نحوي ويمسك إصبعي بيده، وكانت الصدمة أنه لم يكن ساعتها ينام بل كان يموت، نعم والله فارق الحياة وإلى يومنا هذا - بعد سنين - لم أنس نظرات ابني وهو يفارق الحياة ويمسك بيدي، والله هذا هو أشد موقف تعرضت له في حياتي...

وتقول أم أخرى: ابني عبدالرحمن كان يقول لي دائماً: سأموت صغيراً وسوف تحزين عليّ، كان يقول ذلك لي عندما أقسو عليه وأحزنه، والله لقد توفي صغيراً، وحزنت عليه كثيراً، ولم أنسه يوماً، رحمه الله.

ويلا إحدى الندوات سألت الحضور: هل من بينكم من فقد أحد أبنائه، فقال أحدهم والدمع يترقق في عينيه، أنا فقدت ابني عملاً سنة ١٦ سنة، قلت له: هل يمكنك أن تحكي لنا لقاءك الأخير به؟ فاستجمع قواه وقال: نعم. وبدأت الحكاية، يقول هذا الوالد

الكريم: كان عمار ابني من أكثر إخوته إعتاباً لي، كان كعادة المراهقين جامعاً نشطاً لا تحتل تصرفاته، وكنت كثيراً ما أغضب من تشاركني في هذا والدته، وذات يوم وقع أثناء اللعب على ظهره فانكسرت الفقرة الثانية من العمود الفقري، ويتوفيق الله أجرى له الأطباء عملية تثبيت ناجحة في الإسكندرية وشفاه الله تعالى خلال شهر، وبعدها بسنة أشهر وقع على نفس المكان، فانكسرت الفقرة الثانية للمرة الثانية، وهذه المرة توجهنا إلى القاهرة لإجراء الجراحة التي نتج عنها شلل تام فلم يتحرك عند عمار إلا لسانه، يكمل الأب والدموع تنساب على خده: احتاجت حالة عمار إلى التواجد الدائم في العناية المركزة، ظللنا هناك تسعة أشهر كاملة، كانت عنة كبيرة ونعمة في ظاهرها ابتلاء، وبدأت رحلة الحب مع عمار، فقد انتقلنا جميعاً للعيش معه في القاهرة، استأجرت شقة ونقلنا مكان عملي وتغيرت حياتنا تماماً، في بداية الشهر التسعة كنت أجلس كثيراً مع عمار وأحنو عليه وأترقب به، ففاجأني يوماً بقوله: أنا لم أكن أتخيل أنك أب حنون لهذه الدرجة، قال ذلك لأنه لم يكن يراني كثيراً، وعندما يراني لا يرى إلا العناب والمقاب، كم كنت محروماً من التمتع بالحياة معه ومع إخوته، ذات يوم دخلت عليه وهو يتحدث أخاه عني، فوفقت خلف ستار فسمعته يقول: «أتذكر من سبع سنوات يوم أن سافر أبي لمدة شهر، لقد سافر في شهر ٩ مساءً، أنا كليا أتى شهر ٩ بعدها لا أعرف طعم النوم خوفاً من سفر أبي ثانية»، لقد ألتني كلماته كثيراً، إذ كيف يجيني كل هذا الحب وأنا أدعو عليه؟! المهم سارت تلك الشهور التسعة مليئة بالدمع والتعب ولطف الله، في الشهر الأخير بدأ عمار يصاب بقرح الفراش، فكان لا بد من تحويله للنوم على جنبه بدلاً من ظهره، كان الأطباء ينصحوننا بفعل ذلك بالحاح، وكليا قلت لعمار لا بد وأن تنام على جنبك، يقول لي: أنت لا تشعر بالألم الذي بداخلي مع وجود كل هذه الأجهزة بداخله، ناو على ماما فهي تعاملني برفق، فأخرج وأناادي أمه التي تساعد - برفق - على النوم على جانبه، وذات مساء قالت الطبيبة: لا بد لعمار أن يتقلب للنوم على جنبه، فطلبت منه ذلك فقال: ناو لي ماما، فخرجت وناديت على أمه وقلت لها: عمار يريدك ولا بد أن ينام على جنبه أما أنا فذهاب إلى الشقة لأرى إخوته، وانطلقت خارجاً من المستشفى، وبعد ساعتين فوجئت باتصال من زوجتي يقول: تعال عمار دخل في غيبوبة، فذهبت مسرعة، وما هي إلا

سويغات حتى مات عمار، يقول الأب والدعم مناسب على وجهه: لقد رزقنا الله صبراً جيلاً، فصلينا ركعتين شكرًا لله بجوار سريرته، وجهزناه للدفن وحملناه لبلدتنا ليدفن بها، ونحن في الطريق قالت لي أمه كلمات أحزنني بقية عمري، قالت لي: وأنت خارج من عند عمار بالأمس نادى عليك «بابا.. بابا» وأنت لم تسمعه، حزنت كثيرًا لأنني لم أسمع، كم كنت أتمنى أن أعود لتوديعه، يا ترى ماذا كان يريد، كنت أريد أن أنظر في عينيه نظرة أخيرة.

مكالمة واحدة ستغير حياتك:

عندما أتحديث في الندوات والمحاضرات حول فكرة اللقاء الأخير، وأروي للأبناء والأمهات هذه القصص والمواقف التي لا تنتهي، أرى الحزن والتأثر في عيون الجميع، وعندما ترق القلوب وتذرف الدموع، أقول فجأة: تخيل أن ما حدث بينك وبين أبنائك قبل أن تحضر تلك الندوة ربما يكون هو اللقاء الأخير مع أحدهم، وهنا يغلو بكاء البعض ويسكت البعض الآخر من هول الصدمة... وبعد ثوانٍ من الصمت قد يظن أحدهم ساعات، أقول: إننا سنسمح باتصال واحد، أحد الآباء والأمهات الحضور يشعر أنه بحاجة ماسة ليقوم الآن ليكلم أحد أبنائه، إنها فرصة لن تتكرر، سنكلم ابنك الآن أو ابنتك بشاعر أنت لم تعيشها من قبل كثيرًا، إنك غالبًا ما تتصل بابنتك (أو ابنتك) لتابعه أو تحاسبه إذا تأخر أو توبخه لأنه خرج بغير إذنك، أما اليوم فأنت ستحدثه لأنك تحبه... وهنا يرفع عدد غير قليل يده، ونجري بينهم القرعة، ويبكي من لم يصبه الدور، فترق لحالمهم ونسمح للجميع بالاتصال...

يذهب المتصل ليتكلم مع ابنه أو ابنته على انفراد، لا نسمع ما يقول، يعود الجميع من الاتصال وعلى وجوههم علامات الراحة وفي أعينهم قطرات الدمع، وبعد أن يبدأ الجميع ويستقر الأمر، أطلب ممن اتصلوا أن يتحدثوا عن سبب اتصالهم وما دار بينهم وبين أبنائهم، وهنا نسمع حوار المشاعر الأبوية الصادقة...

فترى أحد الآباء يقول: قبل أن آتي لحضور الندوة اليوم، ضربت ابني (في الصنف.

الثاني الثانوي) على وجهه، وخرجت من البيت غاضبًا وتركته باكيًا، لذا قررت الاتصال به والاعتذار إليه، رن اهاتف،

رد خالد: السلام عليكم.

فقلت: وعليكم السلام.

خالد: نعم يا بابا...

قلت: هل أنت بخير؟

خالد: نعم يا بابا أنا بخير.

قلت له بروح لم أعشها من قبل: يا خالد، بخصوص ما حدث بيننا قبل أن أخرج، أرجو أن تسامحني لم أقصد إهانتك.. وختفتني الدموع... وانفجر خالد في الطرف الآخر باكيًا وهو يقول: أين أنت يا بابا؟ هل حدث لك أمر؟ قل لي أين أنت أتيتك الآن... فأنييت الحوار بلطف، ولأول مرة أشعر أن خالدًا يجيني بصدق، لأول مرة أشعر أنني لم أفشل في تربية خالد، ربنا يسامحني على معاملتي السيئة معه... وبعد فترة قابلت هذا الأب فقال: من يوم هذا الاتصال وأنا وخالد صديقان، لقد تغير حاله لما غير الله حالي، ما أجل أن أحب ابني خالدًا ويجبني...

ويقول أب آخر: قبل أن آتي للندوة ضربت ابني (ذا العشر سنوات)، وشعرت أنني نادم على ذلك، فإ فعله لم يكن يستحق كل تلك الثورة، فاتصلت به وقلت له: سامحني، فرد قائلاً: لا، لن أسامحك، حتى تعود، وتتفق معي، ولا تنس أن تحضر لي معك ما يساعدي على مسامحتك، ويتسم هذا الأب ويضحك معه الحضور...

و ذات مرة: قام أحد الآباء بعد حديثنا عن اللقاء الأخير ليكلم أبناءه، وعاد الرجل باكيًا، وعندما سألته عما دار بينه وبين أبنائه من حوار قال: إنني لم أكلم أبنائي، لقد تحدثت مع زوجتي، فمئذ شهر مضى كنت قد عزمت على تطلق زوجتي، وبالفعل أرسلتها مع بناتي لبيت أهلها، والله منذ ذلك اليوم وأنا مصمم على الفراق، لكن فكرة اللقاء الأخير أحببت الأبوة في قلبي، فاتصلت بزوجتي معترًا وهذا كان قبل ذلك مستحيلًا، وطلبت

منها العودة لبيتها الليلة، والله لقد كنت أخفي مشاعري، بعد فراق بناتي للبيت لم أكن أستطيع الجلوس فيه وحدي، كم أشتاق الآن لزوجتي وأبنائي...

أيها الأب الكريم، أيها الأم الحنون، إن كل لحظة فراق بيننا وبين أبنائنا يحتمل أن تكون هي اللقاء الأخير، فلا تترك ابنك ينام باكياً، ولا تجعل ابنتك تخرج للمدرسة حزينة، ولا تخرج من البيت تاركة ابنك يبكي، وليس معنى ذلك أن تطيع كل رغبات أبنائك وتراجع عن كل قراراتك التي قد تغضبهم، ولا تقصد أبداً أن تلغي العقاب من حياة أطفالنا، إن ما نقصده هو مساعدتك على ألا تندم يوماً لفراق أحد أبنائك بصورة لا ترضيك، نعم ستحتاج للعقاب لكن أتبعه بالصلح والموانسة، ونو اتخذت يوماً قراراً مهما أغضب ابنك وجعله يبكي فلا تراجع عنه، فقط وضع له أنك تحبه وافترق عنه بمحبة... ولقد حكى لي كثير من الآباء والأمهات أن فكرة اللقاء الأخير غير حياتهم وحسن علاقاتهم بأبنائهم، وأنا شخصياً غيرت فكرة اللقاء الأخير حياتي، فلا أفارق ابني عمر - حفظه الله - إلا وأنا أنظر في عينيه مباشرة، وأحرص على إسعاده قبل فراقنا حتى لا أندم يوماً لسوء فراقه، وأنا على يقين أنك تحب أبنائك أكثر من نفسك، ومن اليوم سيغير اللقاء الأخير حياتك إلى الأبد...

اللقاء الأخير في حياة محمد ﷺ

كان لقاء النبي ﷺ الأخير بأصحابه ونسائه وأبنائه كله حب وشوق وصفاء، فعن معاذ بن جبل -رضي الله عنه- قال: لما بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن، خرج معه رسول الله ﷺ يوصيه ومعاذ راكب ورسول الله ﷺ يمشي تحت راحلته، فلما فرغ قال ﷺ: يا معاذ، إنك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا، ولعلك أن تمر بمسجدي هذا وقبري، فبكي معاذ لفراق رسول الله ﷺ، ثم التفت فأقبل بوجهه نحو المدينة فقال ﷺ: إن أولى الناس بي المتقون من كانوا وحيث كانوا^(١).

هكذا كان اللقاء الأخير بين النبي وبين سيدنا معاذ، كان مليئاً بالعواطف والمشاعر

(١) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد ٩ / ٢٥، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح ح ٥١٥٥.

والحب الصادق، كانت لحظات وداع أخيرة بين حبيب وحببيه، في سياق من الدمع ولوعة الفراق، ولأنه قد يكون اللقاء الأخير فقد دمعت عينا سيدنا معاذ حزناً لفراق النبي، وانطلق الركب وغادر سيدنا معاذ وقلبه معلق بحبيبه، وقد كان ما قاله النبي، إذا لم يلق معاذاً بعدها، وظل هذا اللقاء الأخير علامة بارزة في حياة معاذ، رواه بعد موت النبي ﷺ بحبة له وشوقاً للقاء، بل وروى لنا آخر كلمات دارت بينهم؛ فقال: إن آخر كلام فارقت عليه رسول الله ﷺ أن قلت: أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال: أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله^(١)

وقبل موت النبي ﷺ كان لقاءه بابنته فاطمة جليلاً يحمل الدمع والابتسام في الوقت نفسه، روى البخاري عن عائشة - رضي الله عنها - أن النبي ﷺ دعا فاطمة ابنته في شكواه الذي قبض فيها، أقبلت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشي النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: (مرحباً بابنتي). ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم أسر إليها حديثاً فيكثرت، فقلت لها: لم تبكين؟ ثم أسر إليها حديثاً فضحكت، فقلت: ما رأيت كالיום فرحاً أقرب من حزن، فسألتهما عما قال، فقالت: ما كنت لأفتي سر رسول الله ﷺ، حتى قبض النبي ﷺ فسألتهما، فقالت: أسر إلي: «إن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة، وإنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلي، وإنك أول أهل بيتي لحاقاً به»، فيكثرت، فقال: «أما ترضين أن تكوني سيدة أهل الجنة، أو نساء المؤمنين؟ فضحكت لذلك.

وكما حرص محمد ﷺ أن يحسن اللقاء الأخير مع أحبائه، حرص أصحابه على أن يتمتعوا بحياتهم بلقاء أخير جميل معه ﷺ، ففي الحديث الصحيح: أن رسول الله ﷺ عدل صفوف أصحابه يوم بدر، وفي يده قده يعدل به القوم، فمر بسواد بن غزيرة حليف بني عدي بن النجار وهو مستل (خرج) من الصف، فطعن في بطنه بالقدح وقال: استر يا سواد، فقال: يا رسول الله أوجعتني وقد بعثك الله بالحن والعدل فأقدني (اجعلني أنتص منك وأفعل معك مثلاً فعلت معي)، فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه وقال: استقد، فاعتقه سواد قبيل بطنه ﷺ، فقال: ما حملك على هذا يا سواد؟ قال: يا رسول الله حضر

(١) الترغيب والترهيب ٢ / ٣٢٦، وصحيح الترغيب للالكباني ١٤٩٢.

ما ترى (من الحرب والشهادة) فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمسه جلدي جلدك، فدعا له رسول الله ﷺ بخير وقال له: استويا سواد^(١).

سفن الفراق.. ومراسم اللقاء:

عندما نفارق أبنائنا - لسفر أو لغيره - يحتمل ألا نراهم ثانية، لذلك يجب أن نفارقهم بحب، وعند فراق الأحبة تنتوع المشاعر بين الحزن والخوف والأمل في العودة بسلام، ويغشى الجميع من الفراق ويكرهه، وهنا يرشدنا النبي ﷺ إلى كيفية التعبير عن مشاعرنا عند فراق من تحب من أبنائنا وأبنائنا...

ف عند الفراق يتصافح الأحبة، ويعبر المقيم لحبيه للمسافر عن مشاعره ويودعه قائلا: أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك؛ روى الإمام أحمد عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ كان إذا ودع أحداً قال: «أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك»^(٢)، روى الترمذي عن سالم أن ابن عمر - رضي الله عنهما - كان يقول للرجل إذا أراد سفراً: ادن مني أودعك كما كان رسول ﷺ يودعنا فيقول: «أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك»^(٣)...

(١) السلسلة الصحيحة للالكباني ٦ / ٨٠٨.

(٢) مستد أحمد (٢ / ٣٥٨) والحديث صححه الألباني، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة ١ / ٤٨ ح ١٦٦.

(٣) سنن الترمذي (٥ / ٤٩٩) والحديث صححه الألباني، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة ١ / ٤٨ ح ١٤ ... ومعنى أستودع الله دينك أي: أستحفظ وأطلب منه حفظ دينك وأمانتك، قال الخطابي الأمانة هنا هنا أهله ومن يخلفه منهم وماله الذي يودعه ويستحفظه أمته ووكيله ومن في معانها، وجري ذكر الدين مع الودائع لأن السفر موضع خوف وخطر وقد يصيبه فيه المشقة والتعب فيكون سبباً لإهمال بعض الأمور المتعلقة بالدين، فدعا له بالمعونة والتوفيق فيها، وقال في فتح الودود قوله: أمانتك أي ما وضع عندك من الأمانات من الله أو من أحد من خلقه أو ما وضعت أنت عند أحد أو ما يتعلق بك من الأمانات، وخواتيم عملك جمع خاتم أي ما ينتج به عملك أي أخيره والجمع لإفادة عموم أفعاله... وقال في تحفة الأحوف: وأمانتك أي حفظ أمانتك فيما تزاوله من الأخذ والإعطاء ومعاشرة الناس في السفر إذ قد يقع منك هناك خيانة، وقبل أريد بالأمانة الأهل والأولاد الذين خلفهم، وقبل المراد بالأمانة التكاليف كلها كما فسرها قوله تعالى: **وَإِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا** الآية، وآخر عملك أي في سفرك أو مطلقاً والأظهر أن المراد به حسن الخاتمة لأن المدار عليها في أمر الأخرة وأن التفسير فيما قبلها مجبور بحسنها، عون المعبود ٧ / ١٨٧، و تحفة الأحوف ٩ / ٢٨٤، ولسان العرب ١٣ / ٢٥.

ويبادل المسافر حبيبه الدعاء فيقول: أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه، روى النسائي في سننه (٦ - ١٣٠) عن موسى بن وردان قال: أتيت أبا هريرة أودعه لسفر أردنه، فقال أبو هريرة: ألا أعلمك يا ابن أخي شيئاً علمنيه رسول الله ﷺ أقوله (كمسافر) عند الوداع؟ قلت: بلى. قال: قل: «أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه»^(١).

وهنا يدعو المقيم لحبيبه المسافر قائلاً: «زودك الله التقوى، وغفر ذنبك، ورزقك الخير حيثما كنت»، روى الحاكم والترمذي وابن خزيمة عن أنس الله قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إني أريد سفراً فزودني^(٢)، قال ﷺ: زودك الله التقوى، قال: زدني، قال ﷺ: وغفر ذنبك، قال: زدني بأبي أنت وأمي، قال ﷺ: وبسر لك الخير حيثما كنت^(٣)...

وكم أحب أثناء حديثنا مع الآباء والأمهات حول فكرة اللقاء الأخير، أن يخرج والد وابنه أو أم وابنتها، ليمثلا معاً مشهد الوداع، ويقولوا لبعضهما ما ورد من سنن الفراق، ونحن بدورنا نغطي لكل منها ورقة صغيرة مكتوب فيها الأدعية الواردة ليقرا الطرفان منها، وهنا تفيض المشاعر وقد ترى الدموع والعبرات بعد التلثم والارتباك...

ولقد قالت لي إحدى الأمهات يوماً: إن ابني يستغل فكرة اللقاء الأخير ليحصل مني على ما يريد، إنه يستغل مشاعري فيقول لي إذا رفضت له طلباً: يا ماما، أعطيني ما أريد فربما لا تقابليني ثانية، وافقي على ما أطلب فربما لا تشاهديني ثانية، فماذا أفعل؟ وهنا ابتسمت قائلاً: ما أروع تفكير ابنائنا، إنهم رادار يرصد تحركاتنا العاطفية والمادية والأخلاقية، ويدرسون شخصيتنا جيداً، ومن ثم يخططون جيداً للحصول على ما يريدونه منا، فمن يستغل أمه عاطفياً يعلم جيداً أنها مستحجبه له، ولقد جرب مع أمه مراراً ونجح، لذلك فإنني نصحت هذه الأم الحنون أن تبسم عندما يقول لها ابنك ذلك،

(١) والحديث رواه ابن ماجه في سننه (٢ / ٩٤٣) و الإمام أحمد في مسنده (٢ / ٤٠٣) وحسنه الألباني، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة ٦ / ١٠٢، ج ٢٥٤٧.

(٢) يعني أعطني زائفاً ينمسي في رحائي وادع في دعاء يكون بركته معي في سفرى.

(٣) المستدرک على الصحيحین للحاکم ٢ / ١٠٧، وصحيح ابن خزيمة ٤ / ١٣٨، وسنن الترمذی ٥ / ٥٠٠ وقال الترمذی: هذا حديث حسن غريب.

وتقول له: يا بني إني أحبك، لذلك فيأني عندما أفارقك سنطبق بيننا سنن الفراق، وسأستودعك الله تعالى، ولن يضيع الله شيئاً استودعته إياه سبحانه؛ روى ابن حبان والنسائي عن مجاهد قال: خرجت إلى العراق أنا ورجل معي فشيئاً عبد الله بن عمر، فلما أراد أن يفارقنا قال: إنه ليس معي شيء أعطيكم، ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول: إذا استودع الله شيئاً حفظه، وإني أستودع الله دينكم وأمانتكم وخواتم عملكم^(١)..

وكما افرق الأحبة عند السفر برحمة ودعاء ومحبة، يلتقون عند عودة المسافر بحب وفرح، وهنا يتبادلون الأحضان وقبيلات المودة وعبارات السعادة، ولقد جلست كثيراً أنأمل حال النبي ﷺ مع أهل بيته عند العودة من السفر، وهنا زاد إيماني بالنبي ﷺ وحيي له، فهناك ترى رقي مشاعر النبي ﷺ مع أهل بيته، إذ كان ﷺ إذا رجع من غزو أو سفر خرج أهل بيته يستقبلونه ويأخذون معهم صبيانهم، ويتنافس الصبيان حول من يصل للنبي ﷺ أولاً، إنه لقاء الحبيب بحبيبه، فيحسن النبي ﷺ استقبالهم ويركب الصغار معه على الدابة أمامه وخلقه، فإنا له من مشهد رائع يفيض بأجمل المشاعر، روى الإمام مسلم عن عبد الله بن جعفر - رضي الله عنهما - قال: كان رسول الله ﷺ إذا قدم من سفر يلتقي بصبيان أهل بيته، قال وإنه قدم من سفر فسبق بي إليه فحملني بين يديه ثم جيء بأحد ابني فاطمة فأردفه خلفه قال فأدخلنا المدينة ثلاثة على دابة، وفي رواية أبي داود: عن عبد الله بن جعفر قال: كان النبي ﷺ إذا قدم من سفر استقبل بنا (أي استقبله أولياؤنا بنا نحن صغار أهل بيته)، فأبنا استقبل أولاً جعله أمامه، فاستقبل بي فحملني أمامه، ثم استقبل بحسن أو حسين فجعله خلفه فدخلنا المدينة وإنا كذلك^(٢).

قال الإمام النووي: هذه سنة مستحبة أن يتلقى الصبيان المسافر، وأن يركبهم وأن يردفهم ويلاطفهم^(٣)... ومن مراسم استقبال المحب لحبيبه حين عودته من السفر أن يحتضنه ويقبله؛ روي الطبراني أن أصحاب النبي ﷺ كانوا إذا تلاقوا تصافحوا، وإذا

(١) صحيح ابن حبان ٦ / ٤١٠، والسنن الكبرى للنسائي ٦ / ١٣١، وقال الألباني: إسناده جيد، انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة ٦ / ١٠٢، ح ٢٥٤٧.

(٢) صحيح سنن أبي داود باختصار السنن ٢ / ٤٨٨، ح ٢٢٣٧.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم ١٥ / ١٩٧.

قدموا من سفر تعانفوا^(١)... ولما قدم جعفر بن أبي طالب عليه السلام من الحبشة عانقه النبي ﷺ وقبله، وروي عن الشعبي: أن النبي ﷺ استقبل جعفر بن أبي طالب حين جاء من أرض الحبشة، فقبل ما بين عينيه وضمه إليه (وفي رواية واعتنقه)، وزاد ابن أبي شيبة أنه قال: ما أدري بأبها أفرح؟ بقدم جعفر، أو بفتح خيره^(٢)...

ترطيب الأكباد عند فقد الأولاد

لا يعلم مقدار المعاناة لفقد الابن إلا من مر بتلك التجربة وأصيب بتلك المصيبة، وهنا يكون الثواب كثيراً على قدر المشقة والألم، بشرط واحد هو الصبر والاحتساب، روى البخاري في صحيحه (٥ - ٢٣٦١) أن رسول الله ﷺ قال: يقول الله تعالى: ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا، ثم احتسبه؛ إلا الجنة^(٣)... وروى الإمام أحمد أن رسول الله ﷺ قال: « يخ بئح، خمس ما أثقلهن في الميزان لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله والولد الصالح يتوفى فيحسبه والده، وفي رواية: والولد الصالح يموت للرجل فيحسبه^(٤)... وروى ابن حبان والترمذي (واللفظ له) عن أبي موسى الأشعري أن رسول الله ﷺ قال: إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم، فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم، فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع (أي قال إنا لله وإنا إليه راجعون) فيقول الله: ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد^(٥)...

وانطلاقاً من هذا الثواب الجزيل صبر الصالحون على فقدان حبات قلوبهم وثمرات

(١) التعميم الأوسط ج ١ ص ٣٧، وسلسلة الأحاديث الصحيحة ٦ / ٣٠٣، ح ٢٦٤٧.

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة ٦ / ٣٣٢، ح ٢٦٥٧.

(٣) قال ابن حجر: وهذا يدخل فيه الواحد فمأفرقه وهو أصح ما ورد في ذلك وقوله فاتحسب أي صبر راضياً بقضاء الله راجياً فضله "فتح الباري ٣ / ١١٩.

(٤) سنن الإمام أحمد بن حنبل ٣ / ٤٤٣، ٥ / ٢٥٣، والحديث صححه الألباني، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة المجلد الثالث ٣ / ٢٠٢، ح ١٢٠٤.

(٥) صحيح ابن حبان ٧ / ٢١٠، وسنن الترمذي ٣ / ٢٤١، وصححه الألباني، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة ٣ / ٣٩٨، ح ١٤٠٨.

أفندتهم، وعلى رأس الصابرين محمد ﷺ، إذ كان يحب ابنه إبراهيم حبة غامرة، وكان إبراهيم يقم في شهوره الأولى عند مرضعة له في عوالي المدينة، ولشدة حب النبي ﷺ لإبراهيم كان يذهب مع صحابته ليسلم على الرضيع ويقلبه ثم يعود، يقطع ﷺ هذه المسافة من أجل قبلة ابنه الرضيع، روى مسلم عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: ما رأيت أحدًا أرحم بالعمال من رسول الله ﷺ، كان إبراهيم ابنه مسترضعًا في عوالي المدينة، فكان يتطلق ونحن معه فيدخل البيت وإنه ليدخن وكان ظنره قينًا (كان زوج المرضعة حديدًا)، فيأخذه فيقبله، وعند لقائه الأخير بابنه إبراهيم رق قلبه وفاض دمه وأعلن عن صبره.

روى البخاري عن أنس بن مالك ﷺ قال: دخلنا مع رسول الله ﷺ على أبي سيف الثقين (الحداد) وكان ظنرًا (زوج المرضعة) لإبراهيم ﷺ، أخذ رسول الله ﷺ إبراهيم قبله وشمه، ثم دخلنا عليه بعد ذلك وإبراهيم يجود بنفسه (روحه تخرج)، فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرغان، فقال له عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: وأنت يا رسول الله؟ فقال ﷺ: «يا بن عوف إنها رحمة، ثم أتبعها بأخرى، فقال ﷺ: إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا، وإننا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون» وتوفي إبراهيم عليه السلام - وهو ابن ثمانية عشر شهرًا...»

وروي أن عبد الله بن عباس نعي له بنته (أخبروه بوفاتها) وهو في سفر، فحمد الله واسترجع، وقال: عورة سترها الله، ومؤنة كفاها الله، وأجر ساقه الله، ثم تنحى عن الطريق وصلى ثم انصرف إلى راحلته وهو يقرأ واستعينوا بالصبر والصلاة^(١)... ولما دفن عمر بن عبدالعزيز - رحمه الله - ابنه عبد الملك وكان من أعوان أبيه على الخير، وقف عمر أمام القبر متوجهًا نحو القبلة وأحاط به الناس فقال: رحمك الله يا بني، لقد كنت بأرأ بأبيك، والله ما زلت منذ وهبك الله لي مسرورًا بك، ولا والله ما كنت قط أشد بك سرورًا ولا أرجى بحظي من الله فيك منذ وضعتك في هذا المنزل الذي صيرك الله إليه، فرحمك الله وغفر لك ذنبك، وجزاك بأحسن عملك، ورحم الله كل شافع يشفع لك بخير من

(١) تفسير القرطبي / ١ / ٣٧٢.

شاهد أو غائب، رضينا بقضاء الله، وسلمنا لأمر الله، والحمد لله رب العالمين، ثم انصرف^(١)... وبعد أيام كتب عامل له يعزيه عن ابته، فقال عمر لكاتبه أجيبه عني، فأخذ الكاتب يبري القلم فقال عمر للكاتب: أدق القلم فإنه أبقى للقرطاس وأوجز الحروف واكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فإن هذا الأمر أمر قد كنا وطننا أنفسنا عليه، فلما نزل لم ننكره، والسلام^(٢)...

والزمن في المصائب جزء من العلاج، قال عباد بن مثنى: استشهد لي ابنان، فقال له رجل: ثم ماذا؟ فقال: كان جرحاً ذبراً... وقال علي بن أبي طالب للأشعث بن قيس وهو يعزيه في ابن له: إن تجزع على ابنك فقد استحقت ذلك عنك الرحم، وإن تصبر ففي الله الخلف، يا أشعث، إنك إن صبرت جرى عليك القدر وأنت مأجور، وإن جزعت جرى عليك القدر وأنت مأزور... ووقف أبو ذر الهمداني على قبر ابته ذر فقال: شغلني الحزن لك عن الحزن عليك، فيا ليت شعري ما قلت وما قيل لك، ثم قال: اللهم إني وعبت لك إساءته فهب لي إساءته إليك، فلما انصرف التفت إلى قبره وقال: يا ذر قد انصرفنا وتركناك، والله لو أقمنا معك ما نفعناك^(٣)...



(١) حلية الأولياء / ٥ / ٣٥٦، ٣٥٧.

(٢) تاريخ الطبري / ٤ / ٧١.

(٣) معاصرة الأديب / ٤ / ٥٠٨.

القاعدة الثانية :

افتح حساباً في بنك العواطف للأسرية

حساب بنك العواطف يمثل نوعية علاقتك بأبنائك وبناتك، ويشبه هذا الحساب حساب البنك المعروف في أنك يمكنك أن تودع فيه أو تسحب منه، وبنك العواطف يمكنك أن تودع فيه من خلال المبادرة بفعل ما يحبه ابنك ويسعده، كما أنك تسحب من رصيدك كلما أسأت إلى ابنك أو أحزنته بدون وجه حق...

طرق الإيداع في بنك العواطف	طرق السحب من بنك العواطف
• المعاملة اللطيفة.	• التحدث بلهجة ينقصها الاحترام.
• الاعتذار.	• التصرف بطريقة وقحة ينقصها الاحترام
• الولاء للغائب.	• الإحجام عن قول آسف عند الخطأ.
• قطع العهود والوفاء بها.	• الانتقاد والتحدث عن الآخرين سلباً أثناء تغييبهم.
• الهدية.	• عدم الوفاء بالوعد.
• الصفح والمسامحة.	• استخدام أغراضهم بدون إذن.
• إعارته ما يريد.	• دخول حجرتهم دون استئذان.
• إسماعده.	• التحدث عن الغائب بصورة سيئة.
• مدح الأخ بصدق.	
• حفظ الأخ في غيبته.	

وإذا كان حسابك مع أحد أبنائك عاليًا، فذلك يعني أنه سيدكرك بالخير دومًا، وإذا حدث خطأ من جانبك في حقّه، فسوف يعرض رصيدك العاطفي عنده هذه الزلة...

يقول أحد الآباء: كنت رجلًا ناجحًا في عملي وفي علاقاتي الزوجية وأبنائي، باستثناء ابنتنا خالد الذي يبلغ من العمر أربعة عشر عامًا، كثيرًا ما بذلت محاولات عقيمة لإصلاح علاقتي معه، كانت جميعها تبوء بالفشل، وفي كل مرة كنت أحاول علاج خلافاتنا، كانت

تزيد الطين بلة، ثم سمعت فكرة حساب بنك العواطف، فسألت نفسي: هل وجودك في المنزل يجعل أفراداه يشعرون بسعادة أكبر؟ واضطرت لأن أقول الصراحة: كلا، إن وجودي قد زاد الأمور سوءاً بالنسبة إلى خالد... وكاد هذا الخاطر يحطم قلبي...

وبعد هذه الصدمة، اكتشفت أنني لا بد أن أبدأ بتغيير نفسي، كان عليّ أن أحب خالدًا بصدق، وأتوقف فوراً عن توجيه النقد واللوم له، والتزمت أمام نفسي بأنني - لمدة ثلاثين يوماً قادمة - سوف أضع إيداعات يومية في حساب بنك العواطف مع خالد، ولن أسحب منه أي شيء...

كاد حماسي يغليني، وكدت أذهب لخالد، كي أخبره بما تعلمته، لكنني شعرت أن الوقت ليس مناسباً للكلام، لقد حان وقت العمل، للإيداع... وبدأت في نفس اليوم، فبما عاد خالد من المدرسة استقبلته باهتمام دافئ، وسألته: كيف حالك؟ وجاء رده مقتضباً: «الحمد لله» ثم تركني وانصرف... فأمسكت أعصابي وسكت...

وعلى مدى الأيام التالية، اجتهدت في الوفاء بالتزامي، حرصت على التخلي عن توجيه اللوم له باستمرار، رغم أنه لم يكن بالأمر الهين، حيث إنني اعتدت معاندته، ودون جهد يذكر بدأت أقدم له أشياء بسيطة تعبر عن حبي له، عدت يوماً فقبلت رأسه ورُبّت على كتفه وانصرفت صامتاً، وفي يوم آخر دعوت له أمامه بصوت مسموع: ربنا يحقق لك ما تتسناه، وفي يوم ثالث أحضرت له الحلوى التي كان يحبها وهو صغير... وبعد أسبوعين تقريباً نظر إليّ خالد مستغرباً وسألني: أي، هناك شيء مختلف فيك، فما الذي يحدث؟

قلت له: لقد أدركت أنني بحاجة إلى تغيير بعض تصرفاتي معك، إنني سعيد لأنني أصبحت قادراً على التعبير عن حبي لك من خلال التعامل معك بالأسلوب الذي كان ينبغي أن أتعامل به معك من قبل...

وبعدها بدأنا في الجلوس وقتاً أطول معاً، نتحدث وننصت لبعضنا البعض، ومر شهران حتى الآن، وأصبحت علاقتنا أعمق وأكثر إيجابية، لم نخل من العيوب، لكننا قاربنا الوصول إلى علاقة حانية، قل الألم الذي كنا نسيبه لبعضنا، وازداد الحب والثقة فيما بيننا، كل ذلك بسبب فكرة الإيداع في بنك العواطف، ولم تكن الفكرة فقط، بل التطبيق المتقن

والصديق، وأنا واثق أنك لو سألت ابني عني الآن، سيقول لك فوراً: «أبي، لقد أصبحنا أصدقاء، لقد أصبحت أحيه وأثق فيه»...

أيها الوالد الكريم، أيها الأم الحنون؛ لماذا نعامل أصدقائنا خارج البيت

باحترام ومودة، ثم نعود لبيتنا وقد فرغت منا طاقة المودة والاحترام؟ فنستخدم مع أبنائنا طاقة..... و..... أعرف رجلاً أدرك أهمية التعامل بحنان ورقة مع أفراد أسرته، تعلم هذه السلوكيات من خلال عمله في فندق، حيث يتعامل طاقم العمل مع الضيوف من خلال ثقافة متأدبة مهذبة، وأدرك كم يكون شعور الآخرين جميلاً عندما تتعاملهم معاملة راقية، كما أنه أدرك كم يكون سعيداً عندما يتصرف بهذه الكياسة واللباقة، وفي يوم من الأيام، حاول تطبيق هذا الأسلوب في بيته ومع أسرته، بدأ في إنجاز بعض الخدمات البسيطة لأفراد أسرته، وبدأ يستخدم لغة إيجابية عندما يتعامل مع أبنائه وزوجته، فيقول كما يقول في العمل: هذا من دواعي سروري، يا رب تكون مرتاحاً، سعدنا بلقائناك... يقول هذا الرجل: لقد تغيرت حياتنا جميعاً داخل البيت، وبدأت مرحلة جديدة من التعامل الراقي داخل الأسرة...

وهنا نقول إحدى المهمات: أبرز شيء يحتفظ به عقلي من فترة المراهقة هو

شعوري بأني محاصرة من كل جانب، أتذكر الضغوط التي عانيت منها؛ كي أتفوق في دراستي، وأتذكر انضمامي لفريق المناظرة في المدرسة، واشترائي في ثلاثة أو أربعة أنشطة أخرى في الوقت نفسه... وأحياناً كنت أعود إلى المنزل لأجد غرفتي نظيفة ومرتبّة، وكنت أجد ورقة تقول: «مع خالص حبي، اللجنة المخلصة»، وكنت أعلم أن أمي تبذل كل ما في طاقتها، كي أقدم، لأنني كنت محاصرة بكثير من الضغوط... وكانت هذه اللفتة تزيح عني الكثير من العناء، فقد كنت أدخل غرفتي وأهمس قائلة: «آه، شكراً لك يا أمي»^(١)...

والآن خان دورنا، ليخت - كل أب وكل من أحب - واحداً من الأبناء أو البنات؛

ويستحسن الابن (أو البنت) الذي يشعر أن العلاقة بيننا ليست على ما يرام، ثم نطبق معه فكرة حساب بنك العواطف لمدة شهر، ونشاهد النتيجة بأنفسنا...

(١) انظر: العادات السبع للأسر الأكثر فعالية، ص ٥٤ - ٨٣.

صفحة السحب		صفحة الإيداع	
نوع السحب	وقته وتاريخه	نوع الإيداع	وقته وتاريخه

أيها الوالد الكريم، أيها الم الحنون، لكي تتجسج فكرة حساب بنك العواطف لا بد وأن تشارك نحن فيه بفاعلية، فلا يمر يوم إلا وقد أودعنا فيه شيئاً في حسابنا العاطفي لدى أبنائنا، واحذر من أن تسحب كثيراً من رصيدك في قلب ابنك فتخسره، فلقد سألت معاوية بن أبي سفيان الأحنفا بن قيس عن الولد، فقال: يا أمير المؤمنين - أولادنا ثمار قلوبنا، وعهاد ظهورنا، ونحن لهم أرض ذليلة، وسما ظليلة، وبهم نصول عند كل جليبة، فإن طلبوا فأعطهم، وإن غضبوا فأرضهم، يمنحوك ودعهم، ويحبوك جهدهم، ولا تكن عليهم ثقيلاً فيملوا حياتك فيتمتوا موتك ويكرهوا قريبك. فقال له معاوية: لله أنت! لقد دخلت على وائي لملوء غيظاً على يزيد، ولقد أصنحت من قلبي له ما كان فسد...

حبيبنا محمد ﷺ وبنك العواطف:

قال رسول الله ﷺ: «أحب الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور يدخله على مسلم، أو يكشف عنه كربة، أو يقضي عنه ديناً، أو يطرد عنه جورماً، ولأن أمشي مع أخ في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في هذا المسجد (يعني: مسجد المدينة) شهراً، ومن كف غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيظه - ولو شاء أن يمضيه أمضاه - ملأ الله قلبه رجاء يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى تنهيا له (يعني حتى يقضيها له)؛ أثبت الله قدمه يوم تزل الأقدام»^(١)، إن أحب الأعمال إلى الله تعالى سرور (إيداع عاطفي) تدخله على قلب مسلم، وأول مسلم تدخل عليه السرور هو ابنك

(١) حديث حسن، النظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، ٢ / ٥٧٤.

أو ابتكت، وطرق إدخال السرور عليهم كثيرة؛ كأن تكشف عنه كربة فلا ينام حزينا، أو تقضي عنه ديناً، أو تطرد عنه جوعاً بأكلة يجربها، أو تستر خطأ فعله فلا تفضحه، أو تكظم عيظك عنه حينما يسئ، أو تمشي معه لفضاء حاجة يجربها في مدرسته أو غيرها.

لقد كان حبيبنا محمد ﷺ حريصاً على الإيداع العاطفي مع المسلمين عامة ومع أبنائه وبناته خاصة؛ فتراه ﷺ كلما قابل ابنته الحبيبة فاطمة الزهراء - رضي الله عنها - قبلها في جبينها وأودع حباً في حساب العاطفة لديها؛ روى أبو داود والترمذي والنسائي وغيرهم عن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت: ما رأيت أحداً كان أشبه سمّاً وهدباً ودلاً^(١) برسول الله ﷺ من فاطمة كرم الله وجهها، كانت إذا دخلت عليه قام إليها فأخذ بيدها وقبلها (قال العلماء: عل رأسها أو بين عينيها) وأجلسها في مجلسه، وكان إذا دخل عليها قامت إليه فأخذت بيده فقبلته (قال العلماء: الظاهر أنها تقبله في يده الشريفة) وأجلسته في مجلسه^(٢)، وعند السفر كان للنبي ﷺ مع ابنته فاطمة حال جميل، روى الحاكم عن ابن عمر - رضي الله عنها - «أن النبي ﷺ كان إذا سافر؛ كان آخر الناس عهداً به فاطمة، وإذا قدم من سفر كان أول الناس به عهداً فاطمة رضي الله عنها»^(٣).

وتعرف رصيد النبي ﷺ في قلب السيدة فاطمة تأمل معنا الموقف التالي: خرج أبو بكر بالهاجرة، فسمع بذلك عمر فخرج، فإذا هو بأبي بكر فقال: يا أبا بكر ما أخرجك هذه الساعة؟ فقال أخرجني والله ما أجد من حاق الجوع في بطني، فقال: وأنا والله ما أخرجني غيره، فبينما هما إذ خرج عليهما النبي ﷺ فقال: ما أخرجكما هذه الساعة؟ فقالا: أخرجنا والله ما نجد في بطوننا من حاق الجوع، فقال النبي ﷺ: وأنا والذي نفسي بيده ما أخرجني غيره، فانطلقوا حتى أتوا باب أبي أيوب الأنصاري وكان أبو أيوب ذكر لرسول الله ﷺ طعماً أو لبناً فأبى يوماً فلم يأت لحينه فأطعمه أهله وانطلق إلى نخله يعمل فيه، فلما أتوا

(١) دلاً، الدل هو حسن الحركة في المشي والحديث وغيرها، وسننا هو حسن المنظر في أمر الدين، والهدي هو أخبية والمنظر والمصفات... وهذه الألفاظ (سمت وهدباً ودلاً) متقاربة المعاني فصنعنا الحجة والطريقة وحسن الحال.

(٢) الحديث صححه الألباني، انظر: صحيح أبي داود ج ٥٢١٧.

(٣) المستدرک علی الصحیحین ٣ / ١٦٩.

باب أبي أيوب خرجت امرأته فقالت: مرحباً برسول الله ﷺ وبمن معه، فقال: لها رسول الله ﷺ: فأين أبو أيوب؟ قالت: يأتيك يا نبي الله الساعة، فرجع رسول الله ﷺ فبصر به أبو أيوب وهو يعمل في نخل له، فجاء يشد حتى أدرك رسول الله ﷺ فقال مرحباً بنبي الله ﷺ وبمن معه، فقال: يا رسول الله ليس بالحين الذي كنت تحببني فيه فردته فجاء إلى عذق النخلة فقطعه فقال رسول الله ﷺ: ما أردت إلا هذا؟ قال: يا رسول الله أردت أن تأكل من رطبه وبسره وعمره وتذنوبه، ولأذبحن لك مع هذا، قال ﷺ: إن ذبحت فلا تذبحن ذات در، فأخذ عناقاً أو جذياً فذبحه وقال لامرأته اختبزي وأطبخ أنا فأنت أعلم بالحزب، فعمد إلى نصف الجدي فطبخه وشوى نصفه، فلما أدرك الطعام وضعه بين يدي رسول الله ﷺ وأصحابه، فأخذ رسول الله ﷺ من الجدي فوضعه على رغيف ثم قال: يا أبا أيوب أبلغ بهذا إلى فاطمة؛ فإنها لم تصب مثل هذا منذ أيام^(١).

يا له من موقف كريم من نبي وأب كريم، تحيل نفسك معزوم عند صديقك وهناك طعام طيب لم تأكله ابتك من زمن، هل تأكل وحدك وتفرح بطعام لم تذقه ابتك؟ إن الأب المحب لا يفعل ذلك، والنبي ﷺ لم يفعل ذلك، بل أرسل قبل أن يأكل لابنته ليأكلها في الوقت نفسه، إنه تواصل القلوب ورصيد المحبة بين الأب المحب وابنته...

وعندما أراد زوجها سيدنا علي عليه السلام خطبة ابنة أبي جهل ليتزوجها على السيدة فاطمة، وقف النبي ﷺ على المنبر مدافعاً عن ابنته التي غضب لغضبها وحزن لحزنها، وأعلنها صريحة بيضاء مشرقة: «فاطمة بضعة مني، فمن أغضبها أغضبني»، روى البخاري أن علياً خطب بنت أبي جهل، فسمعت بذلك فاطمة، فأنت رسول الله ﷺ فقالت: يزعم قومك أنك لا تغضب لبناتك، وهذا علي ناكح بنت أبي جهل، فقام رسول الله ﷺ، فسمعت حين تشهد يقول: «أما بعد، أنكحت أبا العاص بن الربيع، فحدثني وصدقني، وإن فاطمة بضعة مني، وإني أكره أن يسوءها، والله لا تجتمع بنت رسول الله ﷺ وبنت عدو الله عند رجل واحد»، وفي رواية قال ﷺ: إن فاطمة بضعة مني، وأنا أخوف أن تقتن

(١) مجمع الزوائد للمهيني ١٠ / ٣٢٠ وقال عنه: فيه عبد الله بن كيسان المروزي وقد وقع ابن حبان وضعفه غيره وبقيته رجاله رجال الصحيح، والحديث ضعيف الألباني في ضعيف الترغيب ح ١٣٠٣.

في دينها، وإني لست أحرم حلالاً، ولا أحل حراماً، ولكن والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله تحت رجل واحد أبداً^(١).

وقيل رحيل النبي ﷺ عن الدنيا إلى الرفيق الأعلى، لم يترك سره مع أبي بكر ولا عمر، وإنما تركه مع ابنته الحبيبة السيدة فاطمة رضي الله عنها، روى البخاري ومسلم عن السيدة عائشة - رضي الله عنها - قالت: إنا كنا أزواج النبي ﷺ عنده جميعاً (في مرضه الأخير)، لم تغادر منا واحدة، فأقبلت فاطمة - عنها السلام - ثمشي، ولا والله لا تخفى مشيتها من مشية رسول الله ﷺ، فلما رأها رتحب وقال: (مرحباً بابنتي). ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم ساڑها، فبكت بكاء شديداً، فلما رأى حزنها ساڑها الثانية، فإذا هي تضحك، فقلت لها أنا من بين نسائه: خصصك رسول الله ﷺ بالسمر من بيننا، ثم أنت تبتكين، فلما قام رسول الله ﷺ سألتها: عمّ سارك؟ قالت: ما كنت لأفتي على رسول الله ﷺ سره، فلما توفي، قلت لها: عزمت عليك بيا في عليك من الحق لما أخبرتني، قالت: أما الآن فنعم، فأخبرتني، قالت: أما حين سارك في الأمر الأول، فإنه أخبرني: أن جبريل كان يعارضه بالقرآن كل سنة مرة. (وإنه قد عارضني به العام مرتين، ولا أرى الأجل إلا قد اقترب، فانقي الله واصبري، فإني نعم السلف أنا لك)، قالت: فبكت بكائي الذي رأيت، فلما رأى جزعي سارك الثانية، قال: (يا فاطمة، ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين، أو سيدة نساء هذه الأمة) قالت: فضحكت ضحكي الذي رأيت، وفي رواية للبخاري: فقالت سارك النبي ﷺ: «أنه يقبض في وجهه الذي توفي فيه، فبكت، ثم ساركني فأخبرني أني أول أهل بيته يتبعه، فضحكت...» ولقد توفيت السيدة فاطمة - رضي الله عنها - بعد وفاة رسول الله ﷺ بستة أشهر^(٢)...

(١) صحيح الجامع للألباني، ج ٢١١٥ ر ٢١١٥.

(٢) مجمع الزوائد ٩ / ٢١٤، وقال: روى بأسنيد ورجال أحدهما رجال الصحيح.

١٩٠ فكرة للإبداع في بنك العواطف الأسري^(١):

- ١) قل لابنك أحبك بلغات مختلفة (إنجليزي - فرنساوي - تركي - هندي...).
- ٢) أظهر لطفك - عملياً - أنه أهم من عملك.
- ٣) استمتع مع طفلك بمشهد غروب الشمس.
- ٤) احتفظ بنسخة من إحدى الصحف التي صدرت في يوم ميلاد طفلك وقدمها له كهدية في عيد ميلاده وهو مرافق.
- ٥) تتب مع طفلك شجرة العائلة.
- ٦) العب مع طفلك بالرمال على الشاطئ.
- ٧) ابتسم لابنك ولابنتك عندما تراهما صباحاً أو مساء بدون سبب لأنك تحبهم.
- ٨) اكتب قصيدة عن حبك لأبنائك أينما كان مستواها، وقرأها على أبنائك بعد العشاء.
- ٩) خطط لترك العمل باكراً في يوم من الأيام لكي تقضي المزيد من الوقت مع أبنائك، ولا تجعله وقتاً للكند واللوم والعتاب.
- ١٠) شاهد مع الصغار أفلام الرسوم المتحركة صباح يوم العطلة.
- ١١) زين حجرة نوم طفلك بالرسومات والصور.
- ١٢) قم بإخفاء بعض الحلوى تحت وسادة ابنك وابنتك.
- ١٣) اشترِ لنفسك ولابنك (أو لابنتك) فيشاراً، وتناولوه معاً في نزهة جبلية، أو اصنعه وتناولوه معه بالمنزل.
- ١٤) اكتب خطابات مدح وتشجيع لمعلم طفلك.
- ١٥) اشترِ هدية لابنك (أو ابنتك) لا لسبب إلا لأنك تحبه.

(١) هذه النصائح متفاداً بمثابة من كتاب: ٢٠٠٢ طريقة لظهور حبك لأطفالك، وكتاب: ٥٠١ طريقة لتعزيز ثقة الطفل بنفسه، مع بعض التعديلات والإضافات حتى تناسب أبنائك وبناتنا.

- (١٦) أرسل بطاقة تهنئة لأعز أصدقاء طفلك في مناسبتهم السعيدة وواسمهم في مناسبتهم الحزينة معها كانت من وجهة نظرك بسيطة.
- (١٧) امنح ابنتك الصغيرة دمية (عروسة) جميلة بدون مناسبة؛ فسوف تظل تذكرك بها.
- (١٨) ضع صورة ابنك (أو أبنائك) بكل فخر أمامك على المكتب أو في الكمبيوتر أو في الهاتف النقال (الجوال).
- (١٩) وقع خطاباتك إلى طفلك برموز تعبر عن حبك الشديد له.
- (٢٠) تنزه مع أبنائك على الأحصنة أو الحمير أو الجبال أو غيرها.
- (٢١) استرجع مع أبنائك ذكريات العائلة السعيدة.
- (٢٢) خصص صندوقاً لاقتراسات أفراد العائلة.
- (٢٣) ضع بداخل الهدايا التي تقدمها لأبنائك هدايا أخرى؛ حتى تجعلها أكثر متعة عندما يتلقاها أبنائك.
- (٢٤) أقم حفل شواء عائلياً ولا تنهه بخلاف وشقاق ورفع للصوت، واحرص أن يكون ذكرك لا تنسى.
- (٢٥) قم بإخفاء هدايا خاصة لأبنائك في المنزل، واجعلهم يبحثون عنها ليجدوها.
- (٢٦) أختبر أصدقاء ابنك أو ابنتك بأشياء جيدة عنه.
- (٢٧) اصطحب أبنائك في نزهة بالسيارة في عطلة نهاية.
- (٢٨) اشترك مع أبنائك في إعداد مفاجآت جميلة لشريك حياتك (زوجك أو زوجتك).
- (٢٩) بدلا من أن تنام إلى وقت متأخر في صباح يوم عطلتك الأسبوعية؛ اقضي هذا الوقت في نشاط مع أبنائك.
- (٣٠) احرص على التقاط الصور العائلية، واكتب اسم كل شخص على ظهر الصورة الخاصة به وتاريخ التقاطها، فإن أبنائك سيسعدون بذلك بعد مرور السنين.

- ٣١) أعط أبنائك مجموعة من الكيوبونات المغلقة ليختاروا منها، اكتب فيها: تناول وجبة الغداء مع الأم في المطعم الذي تفضله، غسل الأطباق مع جائزة فورية، اللعب مع الأب، التسوق مع الأم والحصول على هدية، زيارة إلى منزل الأجداد، عزيمة لصديقك المفضل على حساب والدك...
- ٣٢) قدم إلى كل واحد من أبنائك قائمة بها ١٠ أو ٢٠ أو ٥٠ أو ١٠٠ طريقة استطاع أن يدخل بها البهجة والسعادة إلى حياته أو قلها لهم شفويًا.
- ٣٣) اكتب قائمة بها عشر صفات تريد أن يجدها طفلك فيك، واحتفظ بتلك القائمة كخريطة لمشاعرك وتصرفاتك معه، وقرأها وراجعها كثيرًا.
- ٣٤) علم طفلك السباحة فقد تنقذ حياته يومًا ما.
- ٣٥) دع طفلك يرسم صورتك؛ فسوف تعلم الكثير عن الطريقة التي يراك بها طفلك.
- ٣٦) اجعل طفلك يسمعك - عرضًا - وأنت تمدحه أمام صديق أو على الهاتف، بشرط أن يكون مدحك صادقًا وغير مبالغ فيه.
- ٣٧) اكتب اسم كل شخص على ظهر الصورة الخاصة به وتاريخ التقاط الصورة، فإن طفلك سيسعد بذلك بعد مرور الزمن.
- ٣٨) أمسك بلافتة تعبر عن حبك لأبنائك وبناتك والنقطة لنفسك صورة وأنت تمسك بها.
- ٣٩) تنزه مع ابنك (أو ابنتك) على شاطئ أحد الأنهار أو البحار أو البحيرات؛ فهذا منظر جميل وسيحبه ابنك.
- ٤٠) بمعاونة زوجك وأبنائك اختر أنشودة لك ولأفراد عائلتك لتكون النشيد الرئيسي للعائلة، وعن طريقها يتذكر أحدكم الباقين عند سماع ذلك النشيد.
- ٤١) أعلن عن حبك لأبنائك ودعائكم لهم في أحد الإعلانات المئوية أو في القنوات الفضائية.

- ٤٢) قم بعمل رحلة عائلية تمثل علامة فارقة في حياتكم، كأن تتركب البالون الهوائي أو مركبًا في البحر أو النهر أو غيرها...
- ٤٣) توقف عند باب مدرسة أبنائك في اليوم الأول من العام الدراسي لتقابل معلمهم وتستقبلهم بسرور
- ٤٤) اخرج أنت وزوجتك فقط وتمتعا بسهرة رومانسية أو بتمشية عاطفية أو بعشاء ودي، فهذا سيعود على أبنائك بالنفع الكثير، ويمكنك أن تترك أبنائك عند أهلك أو في رعاية أسرة أحد أصدقائك المأمونين، وربما ترد له الجميل يومًا باستضافة أبنائه عندك ليفتد المشروع نفسه...
- ٤٥) استلق مع أبنائك على الحشائش وراقب معهم حركة السحاب، أو استلق مع أبنائك على سطح المنزل أو في مكان مناسب وراقب النجوم معًا.
- ٤٦) اصطحب ابنك أو ابنتك إلى: حديقة الحيوان - السيرك - رحلة تهرية - الملاهي...
- ٤٧) اصطحب طفلك في جولة لمكان عملك.
- ٤٨) لعب مع طفلك بعض الألعاب القديمة مثل: النغمضة، نط الخيل، البولنج - الشطرنج - السلم والشعبان - بنك الحظ...
- ٤٩) بدلًا من إزعاج ابنك (أو ابنتك) بالإلحاح عليه لقيام بعمل يكرهه أو يمثل ثقلًا عليه، اترك له ملحوظة لطيفة تذكره بما ينبغي فعله.
- ٥٠) ابدأ يومك بدعاء ترده مع أطفالك.
- ٥١) اتفق مع طفلك على قواعد محددة وعادلة لطفلك حول طريقة تصرفه مع أصدقائه في بيتك.
- ٥٢) علق في بيتك لافتة تقول: «ما أحلى التواجد بالمنزل!».
- ٥٣) تبارك مع أبنائك في أمسية لحل الفوازير والأحاجي.

- ٥٤) لا تنم غاضباً من طفلك، ولا تجعله ينام حزيناً.
- ٥٥) قم بتسجيل حوار لك مع طفلك في وجود العائلة على شريط فيديو أو بواسطة الهاتف المحمول (الجوال) واحتفظ به للذكرى، واغتنم الفرصة والتقط الكثير من المشاهد العائلية...
- ٥٦) كلم أبناءك عن أصدقاء طفولتك، وكيف سارت بهم الحياة، وأين هم الآن سكناً وعملاً وأبناء، وإن استطعت أن تعرف أبناءك عليهم فافعل...
- ٥٧) اطلب من والديك أن يصنعوا لعباً قديمة الطراز لطفلك مهما كانت بسيطة، أو يلعبا معهم بعض الألعاب القديمة التي كانوا يلعبونها وهم صغار...
- ٥٨) اجمع مع أبنائك كل الصور الخاصة بالعائلة، ورتبها في ألبوم خاص ليكون كنزاً للأجيال القادمة، هذا طبعاً مع حكاية بعض الذكريات المتعلقة بتلك الصور، وإن كنتم من منفعلي الفكرة مسبقاً فاستمتعوا معاً بمشاهدة الذكريات العائلية... وأجمل ما في هذه الصور أنها ستذكر الخي بالميت فيدعو له بالرحمة والمغفرة.
- ٥٩) احكي لطفلك حدوتة قبل النوم.
- ٦٠) احكي لطفلك قصة زواجك وكيف تعرفت على زوجك (زوجتك).
- ٦١) قم مع طفلك بمساعدة أحد الأقارب أو الجيران المسنين.
- ٦٢) حدد وقتاً كل أسبوع للعب مع طفلك معها كان عمره.
- ٦٣) قل لطفلك: «يرحمكم الله» عندما يعطس.
- ٦٤) حدد موعداً أسبوعياً ثابتاً لتقابل فيه أحد أبنائك أو بناتك على انفراد، بشرط أن تكون نشيطاً ومستعداً وتغير من شكل اللقاء باستمرار، وضع علامة حمراء على هذا الموعد في جدول مواعيدك، واقضِ مع طفلك بعض الوقت في مكان يجبه.
- ٦٥) تشارك مع ابنك أو ابنتك بطريقة ودية باستخدام المخدات أو أوراق الشجر أو السيوف الخشبية الرقيقة أو غيرها... أو العب معهم لعبة خفيفة تنوي من

- خلالها يعطهم بك حبًا وشوقًا ومودة، حتى يطعموك فيها تأمرهم به من خير بعد ذلك، فالمحب لمن يحب مطيع...
- (٦٦) دُونَ كل الأشياء الجميلة التي فعلها والدك معك أثناء تربيتها لك وكانا فيها على صواب، وحاول أن تدبجها داخل طريقة تربيتك لأبنائك، مع مراعاة تغير ظروف أبنائك وأحوالهم...
- (٦٧) اكتب قائمة بكل الأشياء التي كنت تود معرفتها وأنت صغير، وأخبر ابنك بها.
- (٦٨) خذ إجازة «حررة» مع أبنائك لتبادل الزيارات مع أشقائك أو والدك أو أصدقائك.
- (٦٩) قم بغرس شجرة عندما: يولد طفلك، يذهب إلى المدرسة، يتزوج، يصبح والدًا.
- (٧٠) اشترِ بعض العرائس وأقم لأبنائك عرضًا مسرح العرائس المنزلي، واجعلهم يشتركون معك.
- (٧١) أحضر الإفطار لأبنائك على ضوء الشموع في صباح أحد أيام الشتاء الملبدة بالغيوم.
- (٧٢) مارس تمرينات الصباح مع كل أفراد البيت، وجهز قبلها باقة متنوعة من التمرينات، وأضف لها بعض البسات أثناء التنفيذ.
- (٧٣) ضع لطفلك ليلًا في أحد كتب المدرسة عند الدرس الذي سيدرسه ورقة مكتوبًا فيها: أحبك، وربنا يوفقك، وبانتظارك على شوق، مع توقيعك في نهايتها.
- (٧٤) احرص على الانضمام إلى مجلس الآباء بمدرسة طفلك.
- (٧٥) اطلب من طفلك أن يعانقك كثيرًا.
- (٧٦) اصطحب ابنك أو ابنتك في جولة إلى: الحى الذي نشأت فيه، مدرستك، أقاربك.
- (٧٧) اسأل طفلك عما يراه في نومه من رؤيا طيبة واحك له أنت أيضًا.

- ٧٨) أقم مباراة عائلية تتسابقون فيها على قذف لب البطيخ من أفواهكم لمسافات بعيدة.
- ٧٩) شاهد طفلك وهو نائم، وستشعر أنك تحبه كثيرًا.
- ٨٠) اصطحب طفلك إلى عاصمة بلدك ليشاهد معالم وطنه.
- ٨١) احتفظ بقاتمة فيها أسماء أصدقاء ابنك أو ابنتك، على أن يكون بها: أسماءهم، أرقام هواتفهم، عناوينهم... وأحسن التواصل معهم.
- ٨٢) اصطحب ابنك أو ابنتك لتناول الأيس كريم.
- ٨٣) ضع صورة ابنك (أو ابنتك) الخالية مع صورته عندما كان رضيعًا في إطار واحد وأهدما له.
- ٨٤) احتفظ بكل الأشياء التي تذكرك بالمناسبات التي شهدتها مع طفلك، وامنحها له في يوم عيد ميلاده السادس عشر.
- ٨٥) أرسل لابنك (أو لابنتك) رسائل الحب على الموبايل أو على الإيميل الخاص به.
- ٨٦) استأجر دراجة ذات مقعدين (أو دراجتين) لتتنزه بها مع أحد أبنائك.
- ٨٧) اشتر مصباحًا جيد الإضاءة وضعه على مكتب ابنك أو ابنتك.
- ٨٨) ضع خطابًا يحمل عبارات الحب لطفلك داخل بالونة، وفرقها أمامه.
- ٨٩) شغل لطفلك أشرطة فكاهية أو أناشيد يحبها في السيارة وهو معك.
- ٩٠) تأمل نجوم السماء مع ابنك أو ابنتك (وربما أبنائك جميعًا) هذه الليلة، وتحدث معه فيها يمين، ثم عبر ضم عن سعادتك بهذا الجو الأسري الرائع...
- ٩١) لا تكثر من الحديث عن التضحيات التي بذلتها من أجل أبنائك، وتحدث معهم عن المتعة التي تشعر بها عندما تراهم سعداء وأصحاء وغير مهمومين...
- ٩٢) اصطحب ابنك أو ابنتك في جولة إلى: مكان عملك، اخي الذي نشأت فيه، مدرستك القديمة، بيت العائلة القديم، مكان كنت تفضله وأنت صغير، مكان

- يرحك الجلوس فيه اليوم، وهذا للتقارب ومد جسور الحب بينكما...
- (٩٣) الأسرار بين الأحباب تقوي العلاقة وتزيدها ارتباطًا، لذلك اخرج مع ابنك أو ابنتك وتتماعًا وقل هذا سر بيننا، أو كلا معًا أكلة شهية أو اشربا شيئًا طيبًا أو غيرها وقل: هذا سر، أو أعطه هدية أو منحة مالية أو أخبره بخبر شيق أو غيرها وقل: هذا سر بيننا...
- (٩٤) جهز لأبنائك بعض الفوازير البسيطة المرححة وفاجتهم بها، واجعلهم ينافسون ويضحكون، ويستمتعون معًا بنعمة اجتماع العائلة، أدامه الله على الجميع...
- (٩٥) امتنع اليوم عن مشاهدة التلفزيون، وخصص وقت المشاهدة للاهتمام بأبنائك والحديث معهم.
- (٩٦) خذ هدية من الصراخ والانفعال والتشنج، وقرر ألا ترفع صوتك في البيت لمدة ثلاثة أيام أو أسبوع، مهما حدث من أبنائك، حاول أن تظهر الغضب دون رفع للصوت، وراقب نفسك وأعلم زوجك وأبنائك بتيك، وإذا نجحت كافئ نفسك بما تحب، فنجحك في حد ذاته مكافأة لأبنائك...
- (٩٧) اشترِ هدايا جميلة ويعبها أبناءك معها كانت بسيطة (بدون مناسبة)، وبعد أن يناموا ضعها في حجرتهم حتى يفرحوا بها حينها يستيقظون من نومهم.
- (٩٨) اكتب إلى إحدى الشخصيات البارزة واطلب منه أن يبعث برقية تهنتة وتنسجيع لطفلك في يوم مولده، أو في أي مناسبة تراها.
- (٩٩) اصطحب أبناءك في نزهة لتناول المثلجات (آيس كريم وغيرها) واستمتع بجر المرح.
- (١٠٠) خطط لقضاء ليلة اكنال القمر مع جميع أفراد العائلة، في فناء البيت أو الفناء الطلق أو في الحديقة أو سطح المنزل وغيرها.
- (١٠١) أحدث تقييرًا هائلًا في حياة طفلك وذلك بأن تحسن علاقتك بزوجتك.
- (١٠٢) فاجع أبناءك برحلة ممتعة ومناسبة لنظروفهم دون تحطيط مسبق، وإن لم تستطع

- فاشتر لاينك أو ابتك شيئًا يحمل أول حرف من اسمه.
- (١٠٣) في يوم ميلاد ابنك أو ابتك علق لافتات في أرجاء المنزل تسمى لهم فيها عمراً مديداً وعملاً صالحاً مقبولاً.
- (١٠٤) اطلب من ابتك (أو ابتك) أن يصف لك ما يجلم أن يكون عليه والداه، واستمع له بأذن صاغية وصدور رحب، واستخدم المعلومات الجديدة لتحسن مهارتك التربوية.
- (١٠٥) ضع صورة ابنك الحالية مع صورته عندما كان رضيعاً في إطار واحد وأهداه له.
- (١٠٦) نافس أبناءك في إحدى مباريات الألعاب على الكمبيوتر أو البلاي ستيشن.
- (١٠٧) جرب رمي الحصى في الماء مع ابتك.
- (١٠٨) علق لوحة بالقرب من الباب الخلفي للمنزل أو عليه؛ حتى يتسنى لك أن تكتب عليها أية رسائل إلى أبنائك، ولتكن أول رسالة: أنا فخور أنكم أبنائي...
- (١٠٩) عندما تكون خارج المنزل اتصل بابنك (أو ابتك) وقل له: إنك تفتقده.
- (١١٠) اصطحب طفلك لزيارة الكثير من الجامعات لتحفزه على الاستذكار وليكتسب الكثير من المعلومات عن الجامعات.
- (١١١) سجل أول يوم لطفلك في المدرسة بكاميرا الفيديو أو بالجووال (المحمول)؛ لأن ذلك اليوم هو أحد الأيام المهمة في حياته.
- (١١٢) امس في أذن ابتك (أو ابنك) أحياناً؛ لأن ذلك يجعلها تشعر أنها قريبة منك ولديها أسرار مشتركة معك.
- (١١٣) خطط لترك عملك مبكراً في الغد لكي تقضي المزيد من الوقت الممتع والمرح مع طفلك.
- (١١٤) عندما تغيب عن المنزل عدة أيام، اترك لابنك (أو لابنتك) مجموعة علب بعدد أيام غيابك؛ بحيث يفتح علبة كل يوم ليجد بها إحدى المفاجآت.

- ١١٥) خذ أبنائك ليشاركوك شراء ملابسك فيختاروا معك الألوان ورباطات العنق والأقراط والموديلات.
- ١١٦) قم أنت وابنتك باحتساء الشاي في أحد الفنادق أو المقاهي العريقة.
- ١١٧) خصص جلسات عمل أسرية؛ فالكند والعرق بينان أسراً وأجساداً قوية.
- ١١٨) قل لابنتك (أو لابنتك) أنا أحبك مستخدماً لغة الإشارة (بطريقة تتفقون عليها) وذلك عندما تكونون في أماكن عامة فيها آخرون.
- ١١٩) ناقش مع أبنائك «كيف نكون أسرة أفضل؟»
- ١٢٠) أعطِ ابنتك قائمة بالهدايا ليختار من بينها في بعض المناسبات الخاصة.
- ١٢١) ساعد ابنتك (أو ابنتك) على أن يقيم حفلاً أو عزومة لأصدقائه في بيتكم.
- ١٢٢) اغرس لطفلك شجرة يرعاها بنفسه.
- ١٢٣) تحدث مع ابنتك (أو ابنتك) عن سبب تسميته بهذا الاسم.
- ١٢٤) امنح طفلك المزيد من التشجيع والعطف أثناء الأوقات العصيبة التالية:
- الأسبوع الأول له في المدرسة.
 - عندما يرحل عنه أحد أصدقائه المقربين.
 - عند اشتراكه في الاختبارات في النادي أو المدرسة
 - عندما تعانِي أنت وزوجتك عثرات من أي نوع.
 - عندما تنتقل العائلة من منزل إلى آخر.
 - عند موت أحد الأقارب.
 - عندما يمرض أحد أفراد العائلة مرضاً شديداً.
 - عندما يموت الحيوان الأليف الخاص بالعائلة.
- ١٢٥) اكتب لطفلك رسالة حب بخط جميل وضعها في إطار زجاجي وعلقها على

- حائط غرفته أو وضعها على مكتبه.
- ١٢٦) أخف ملحوظة تعبر عن حبك لطفلك في الكتاب الذي يقرؤه.
- ١٢٧) اضبط طفلك وهو يقوم بأعمال جيدة.
- ١٢٨) النقط صورة لطفلك في أول كل عام دراسي.
- ١٢٩) عائق طفلك بمرح بعد أي جدال معه وبعد أي نقاش حاد.
- ١٣٠) كن لبقًا واضبط أعصابك عندما تتحاور مع: آباء أصدقاء طفلك، معلميه، مديره، مدرسيه، زملائه بالمدرسة.
- ١٣١) اكتب إهداء كبيرًا لطفلك في كل كتاب تمتحه إياه.
- ١٣٢) ابتكر إشارات خاصة بك لتقول بها لطفلك أحبك؛ كأن: تقبله في الهواء، تصنع له إشارة بيدك، تصافحه بحرارة...
- ١٣٣) امنح نفسك فترة انتقالية - قصيرة - بعد عودتك لمنزلك من العمل قبل أن تمارس واجبك كوالد.
- ١٣٤) لا ترهق نفسك كثيرًا ولا تعد للبيت جثة هامدة؛ لأنه إذا كنت سعيدًا ومرتاحًا فهذا يزيد من فرص أن يكون طفلك سعيدًا.
- ١٣٥) قم بإخفاء ورقة تحمل عبارات التشجيع والحب في جيب ملابس طفلك التي سيرتديها وهو ذاهب للمدرسة صباحًا.
- ١٣٦) وفر في بيتك جزءًا منزليًا يشجع طفلك على إحضار أصدقائه إليه وذلك بأن: تجعل بيتك نظيفًا ومرتبًا، تقدم وجبات خفيفة، تكون ودودًا، تسمح له بقدر مناسب من الخصوصية.
- ١٣٧) إذا كنت ستطلق على طفلك لقبًا؛ فاختر له لقبًا يعث على الفخر والسعادة والأمل.
- ١٣٨) أعلن عن حبك لطفلك في أحد الإعلانات المبوبة أو في مجلات الإعلانات المحلية.
- ١٣٩) أطلق اسم طفلك على أحد النجوم التي في السماء.

- ١٤٠) اهدس في أذن طفلك وطفلتك أحيانًا، لأن ذلك يجعلها تشعر أنها قريبة منك ولديها أسرار مشتركة معك.
- ١٤١) لا تجعل معاملتك لصديقك أفضل من معاملتك لطفلك.
- ١٤٢) اطلب من طفلك أن يكتب لك قائمة بالأشياء التي تجعله يشعر بأنه محبوب.
- ١٤٣) عندما يكون ابنك (أو ابنتك) على موعد لتناول العشاء أو الغداء عند أحد أصدقائه، اجعله يأخذ معه علبة حلوى بسيطة أو باقة ورد أو هدية صغيرة لمضيقه.
- ١٤٤) لا تجعل طفلك يسمعك وأنت تنتقده أمام أحد أبدًا (مدرسه - جده - زميله...).
- ١٤٥) لا تتخلص من ألعاب طفلك القديمة إلا بعد موافقته وإقناعه بحب.
- ١٤٦) قم بتوصيل أطباق الطعام مع طفلك إلى الأسر المحتاجة.
- ١٤٧) عندما تكون خارج المنزل اتصل بابنك (أو ابنتك) وقل له: إنك تفتقده (وحشتني) وأنت أردت سماع صوته.
- ١٤٨) ضع لافتة مكتوبًا عليها: «مرحبًا بعودتك» في بيتك عند عودة ابنك من معسكر أو رحلة.
- ١٤٩) ليكن في حساباتك أن ابنك لن يجلب لك المذبح دومًا، فإذا أردت أن تنال شرف نجاح ابنك، فكن مستعدًا أن تنال قسطًا من اللوم عند فشله.
- ١٥٠) اجعل طفلك يحفظ لعمل شريط فيديو عن العائلة.
- ١٥١) قل لابنك «أنا معجب بها فعلت»؛ فإنها تختلف عن جملة «أنا أحبك»، لكنها تتساوى معها في أهميتها لابنك في أي عمر.
- ١٥٢) دع طفلك يساهم في رعايتك عندما تكون مريضًا (وعندما لا يكون مريضًا) معديًا بالطبع).

- ١٥٣ حاول أن تتعلم شيئاً من طفلك وتجبره بذلك.
- ١٥٤ قدم طفلك للأخريين في المناسبات الاجتماعية، ولا تنصرف وكأنه غير موجود.
- ١٥٥ إذا كان طفلك مرتبكاً وخجولاً؛ فصافحه بين الناس وعانقه في المنزل.
- ١٥٦ عندما تحصل على مكافأة أو ترقية؛ احرص على الاعتراف بالدور الذي لعبه أفراد عائلتك - ومنهم طفلك - في تحقيق هذا الانجاز.
- ١٥٧ استقبل طفلك بذراعين مفتوحين دوماً.
- ١٥٨ اكتب الأشياء المضحكة التي يقولها طفلك والمواقف الممتعة التي يفعلها طفلك؛ لأن ذلك سيكون مصدر متعتها في السنوات القادمة.
- ١٥٩ جرب عادة رمي الحصى في الماء مع طفلك.
- ١٦٠ علق رسومات ابنتك أو ابنتك في أماكن واضحة بالمنزل، إن حجرة الاستقبال مصنوعة لهذا الغرض.
- ١٦١ اغمز بعينك لابنتك لو كان بينكما سراً مشترك.
- ١٦٢ جرب أن تغسل سيارتك بمساعدة طفلك، افعل ذلك بمرح وسعادة، ولا تنتهيه بخناقفة.
- ١٦٣ حاول تخصيص وقت لكل ابن من أبنائك وبناتك كل على حدة.
- ١٦٤ ازرع شيئاً مع ابنتك أو ابنتك.
- ١٦٥ لا تجعل فرقاً كبيراً بين معاملتك لابنتك (أو ابنتك) في بيتك ومعاملتك له على الملأ.
- ١٦٦ اصطحب طفلك لتصفيف شعرها على أحدث صيحات الموضة في صالون (كوافير) لتصفيف الشعر.
- ١٦٧ أعط ابنتك وردة عنواناً محبة.
- ١٦٨ اقرن برطماناً به عبارات مدح لطفلك؛ يستطيع الرجوع إليه مراراً وتكراراً، كل ما

- عليك فعله ببساطة هو أن تكتب على الأقل أفضل ٢٥ صفة في طفلك وتضعها في صندوق مخصص لذلك، مما يمكنه من الرجوع إليه في أي وقت يحتاج فيه للاجتهاد.
- (١٦٩) عندما يكون ابنك (أو ابنتك) مندجياً في القيام بأحد الأعمال الشاقة؛ أوقفه في تلك الأثناء واشكره وامدحه وربها تعانقه.
- (١٧٠) إذا كان عندك حديقة فازرع أشجاراً معمرة تتوارثها أجيال عائلتك.
- (١٧١) اطلب من الأجداد أن يحكوا لطفلك عن تلك الأيام القديمة الرائعة.
- (١٧٢) تحقق يومياً من بعض الأمور التي قد فعلتها مع طفلك: هل تبادلت الحديث مع طفلك؟ هل تناولنا معاً وجبة واحدة على الأقل؟ هل صلينا معاً؟ هل قمت بمعاينته؟ هل ضحكنا معاً؟
- (١٧٣) لا تقلق بشأن ملابسك أو تسريحة شعرك عندما يقوم طفلك باللعب معك.
- (١٧٤) أخبر طفلك دوماً أنك تشكر الله على أن رزقك إياه.
- (١٧٥) لا تجعل طفلك يسمعك أبداً وأنت تقول: إنك سعيد لأنه سيعود إلى المدرسة، سيذهب بعيداً في معسكر، سيذهب لزيارة أقاربه خارج المدينة.. لأنه بحاجة للشعور بأن جميع من حوله يريدونه دائماً.
- (١٧٦) اذهب في زهات طويلة سيراً على الأقدام مع ابنك أو ابنتك وفي جو جميل.
- (١٧٧) شارك طفلك في بناء أي شيء نافع.
- (١٧٨) حاول أن ترى إيجابيات ابنك (أو ابنتك) كما يراها الآخرون، فإن ذلك قد يزيد من احترامك له.
- (١٧٩) اشتر لابنك (أو ابنتك) شيئاً مكتوباً عليه الأحرف الأولى من اسمه.
- (١٨٠) خصص جلسات عمل أسرية، فالكند والعرق بينان أسراً وأجساداً قوية.
- (١٨١) تذكر أسماء: معلمي طفلك، زملائه في الفصل، أصدقائه... فهذا يسعده.

- ١٨٢ تبرع بالكتب (ولو مجموعة قصص) لمكتبة مدرسة طفلك، وليكن التبرع باسم طفلك.
- ١٨٣ احتفظ بكيس مملوء بالهدايا الصغيرة وقم بإخفائه حتى يتسنى لك إخراج إحدى الهدايا منه لتقدمها لطفلك كمكافأة على ما بدر منه من سلوك استثنائي رائع.
- ١٨٤ اصطحب طفلك إلى مكان يحبه لم يذهب إليه من قبل.
- ١٨٥ ادعُ أصدقاء طفلك لتناول الحلوى في بيتك بدلاً من دعوتهم على العشاء؛ فهذا سيكون أكثر سهولة بالنسبة إليك، وطفلك سيسعد لاستضافة أصدقائه.
- ١٨٦ تناول مع طفلك حلوى غزل البنات.
- ١٨٧ أغلق التلفاز أثناء: تناول الطعام، الاجتماعات العائلية، الحوار مع أحد أبنائك.
- ١٨٨ التقط صوراً لطفلك في جميع أرجاء قريتك أو مدينتك، فإنها ستكون ذات قيمة ثمينة إلى الأبد.
- ١٨٩ خذ ابنك أو ابنتك في رحلة لصيد السمك.
- ١٩٠ ادعُ الله - تعالى - أن يؤلف بينكم ويرزقكم الحب والمودة.
- ١٩١ اطرح هذا الكتاب دائماً واذهب وعانق طفلك.

بـ ١٠ طرق .. يصبح رصيدك صفراً:

أقدم أسهل بكثير من البناء، والسحب من الرصيد أسهل بكثير من الإيداع، ورصيدك في بنك العواطف لدى أبنائك يمكنك أن تجعله صفراً؛ وذلك باستخدام الطرق العشر التالية:

(١) سافر وابتعد عنهم كثيراً:

قديماً أراد الخطيب الشاعر السفر، فقالت له زوجته: متى الرجوع؟ فأشدها يقول:

عدي السنين لغيبي وتصبري ودعي الشهور فإنهن قصار

فردت عليه بالشعر قائلة:

اذكر صبايتنا إليك وشوقنا وارحم بنائك إتهنَّ صغارُ
فما كان منه إلا أن نزل من على ناقته، وحطَّ رحله، ولم يسافر، وهكذا زاد رصيد
المحبة في قلب زوجته وبنايه.

وها هو الأعشى يقول في فاتحة معلقته:

ودع هريرة إن الركب مرَّحَلٌ وهل تطيق وداعاً أيها الرجل؟
هناك بعض الآباء يطيق وداعاً وبعداً عن أبنائه، بل إن بعضهم قد يسعده ذلك
ويفرحه، ونسي المسكين أنه كلما ابتعد أكثر خسر من رصيد الحب في قلوب أبنائه.

(٢) لا تجتمع معهم على طعام:

روى ابن ماجة عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ:
«كلوا جميعاً ولا تفرقوا، فإن البركة مع الجماعة»^(١)، ومن هنا حرص الصحابة الكرام على
تناول الطعام مع أبنائهم؛ فقد روى الإمام مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال:
أعتم رجل ثم (عند) النبي ﷺ ثم رجع إلى أهله، فوجد الصبية قد ناموا، فأتاه أهله
بطعامه، فحلف لا يأكل من أجل صبيته، ثم بدا له فأكل، فأتى رسول الله ﷺ فذكر ذلك
له، فقال رسول الله ﷺ: «من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها؛ فليأتها وليكفر عن
يمينه»^(٢)، فهذا أحد الصحابة الذين يجالسون النبي ﷺ حتى عتمة الليل، ويقومون على
شؤون الأمة في أشد أوقاتها خطورة، لا يمنعه ذلك كله من تعاهد أطفاله عند عودته
للبيت فيأكل معهم و يجالسهم كما يجالس أمثاله هو خارج البيت، و في اليوم و الليلة التي
تأخر فيها عن أطفاله حتى ناموا، ففاته وفاتهم تلك الجلسة العائلية المعتادة؛ حزن رسول
الله عنه - فحلف لا يأكل، كأنه يعاقب نفسه على إهماله ذلك الواجب اليومي^(٣) ... و تمر

(١) سنن ابن ماجة ٢ / ١٠٩٣.

(٢) صحيح مسلم ٣ / ١٢٧١.

(٣) المشرة العظيمة مع الأبناء و تربيتهم.

السنون، وبعد أربعة عشر قرناً نقرأ الخبر التالي في جريدة الأهرام المصرية: أكدت دراسة إسبانية أن جمع شمل الأسرة حول مائدة الطعام يعزز استقرار الصحة النفسية والعقلية لدى الأبناء، وتوصلت الدراسة التي نشرت في دورية «علم الأوبئة وصحة المجتمع» إلى أن الأبناء في سن المراهقة الذين يشاركون آباءهم في تناول الطعام يتمتعون بحالة نفسية جيدة، وأن تناول الوجبات اليومية التي تضم جميع أفراد الأسرة - ولائح من خمس مرات في الأسبوع - له أثر جيد على الصحة النفسية للأبناء^(١)...

(٢) إن أحسنوا لا تشكر وإذا أساءوا لا تغفر:

روي الطبراني عن فضالة بن عبيد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة من الفواقير^(٢)؛ إمام (مدير أو أب أو غيرهما): إن أحسنت لم يشكر، وإن أسأت لم يغفر، وجار سوء: إن رأى خيراً دفته، وإن رأى شراً أذاعه، وامرأة: إن حضرتك أذنتك، وإن غبت عنها خانتك»^(٣)... فكن هذا الأب الذي يكسر ظهر أولاده بعدم شكر ما أحسنوه وعدم مغفرة ما أساءوه؛ تحسر رصيدك في قلب ابنك وابنتك.

(٤) اضربهم على وجوههم:

رواه الإمام مسلم وأحمد وابن حبان والترمذي عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنها - قال: مر حمار برسول الله ﷺ قد كوي في وجهه ينفور منخراه من دم فقال رسول الله ﷺ: «لعن الله من فعل هذا» ثم نهى عن الكي في الوجه والضرب في الوجه، وفي رواية لأبي داود قال ﷺ: أما بلغكم أني قد لعنت من وسم البهيمة في وجهها أو ضربها في وجهها؛ فنهى عن ذلك^(٤)، ولقد قال الإمام النووي معلقاً على هذا الحديث: وأما الضرب في الوجه فمنهني عنه في كل الحيوان المحترم من الأدمي (يعني الحيوان الأليف)

(١) جريدة الأهرام المصرية في عددها الصادر يوم الجمعة الموافق ١٨ / ١ / ٢٠٠٢ ميلادية.

(٢) ثلاثة من الفواقير أي الدواهي، وحادتها فاقرة، تأنيهاً تحطيم فخار الظهر، كما يقال قاصمة الظهر، انظر: لسان العرب ٢ / ٦٤.

(٣) رواه الطبراني بإسناد لا بأس به، انظر الترغيب والترهيب ٣ / ٢٤٣، والمعجم الكبير للطبراني ١٨ / ٣١٨، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع ح ٢٥٣٦.

(٤) الترغيب والترهيب ٣ / ١٥٤.

كالحمير والخيل والإبل والبغال والغنم وغيرها، لكنه في الآدمي أشد لأنه يجمع المحاسن مع أنه لطيف يظهر فيه أثر الضرب، وربما شانه وربما آذى بعض الحواس^(١).

(٥) ادعُ عليهم:

روى الإمام مسلم و ابن حبان و أبو داود (و اللفظ له) عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على خدمكم، ولا تدعوا على أموالكم؛ لا توافقوا من الله تبارك وتعالى ساعة نيل فيها عطاء فيستجيب لكم»^(٢).

وروى الإمام مسلم عن أم سلمة قالت: دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة وقد شق بصره. فأغمضه، ثم قال «إن الروح إذا قبض تبعه البصر». فضح ناس من أهله. فقال «لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير. فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون». ثم قال: «اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين واخلفه في عقبه في الغابرين. واغفر لنا وله يا رب العالمين. وافسح له في قبره. ونور له فيه». وفي رواية: «واخلفه في تركته» وقال: «اللهم! أوسع له في قبره» ولم يقل: «افسح له»، وفي رواية لابن ماجه: «إذا حضرتم موتاكم فأغمضوا البصر، فإن البصر يتبع الروح، و قولوا خيراً، فإن الملائكة تؤمن على ما قال أهل البيت»^(٣).

(٦) تمنى الموت بسبيهم:

«يا رب أموت حتى أستريح منكم»، يا ترى ما هو إحساس الولد أو البنت عندما يسمع هذه الكلمات من أمه، روي البخاري أن رسول الله ﷺ: «لا يتمن أحد الموت لضرب نزل به (و في رواية: لا تدعوا بالموت ولا تمنوه)، فإن كان لا بد متمنياً الموت فبئس: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي».

(٧) اشتهمهم كثيراً:

تشير دواسة تربوية حديثة إلى أن الفرد بداية من طفولته إلى أن يصل إلى عمر المراهقة

(١) نيل الأوطار ٨ / ٢٥٠.

(٢) سنن أبي داود ٢ / ٨٨ صحيح ابن حبان ١٣ / ٥٢، وصحيح مسلم ٤ / ٢٣٠٤.

(٣) صححه الألباني، انظر: صحيح ابن ماجه للآلبي ح ١١٩٩، وصحيح الجامع ح ٤٩٢.

يكون قد سمع ما لا يقل عن ستة عشر ألف كلمة سيئة، ولكنه لا يسمع إلا بضع مئات من الكلمات الحسنة، وكلما سمع المسكين تلك الشتائم من أبيه قل رصيد الحب في قلبه، إذ كيف تحب من يشتمك حتى لو كنت نخطئاً، إن البيت يكون جنة إذا رحلت عنه الشتائم ولم يسمع الأبناء من والديهم لفظاً قبيحاً، إن من جمال الجنة وروعيتها أنك لا تسمع فيها كلمة جارحة أو لفظة مؤذية، والدليل على ذلك قوله تعالى في سورة الواقعة: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيهَا﴾ [الواقعة: ٢٥] قال بعض العلماء: معنى هذه الآية أن سكان الجنة لا يسمعون فيها شتياً ولا كذباً ولا ماثياً^(١)، ويؤكد هذا المعنى قوله تعالى في سورة الغاشية: ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَآئِيَةً﴾ [الغاشية: ١١] واللائية هنا معناها الشتم والسب^(٢)

(٨) المضحهم أمام الناس:

روى الإمام النسائي وأحمد والبيهقي وأبو داود (واللفظ له) عن نعيم بن هزال قال: كان ماعز بن مالك يتتبعني في حجر أبي، فأصاب جارية من الحي، فقال له أبي (لما أخبرته ماعز): ائت رسول الله ﷺ فأخبره بما صنعت لعله يستغفر لك وإنما يريد بذلك رجاء أن يكون له مخرجاً (لم يرد فضحه أمام أحد) فأتاه فقال: يا رسول الله إني زنيت فأقم عليّ كتاب الله، فأعرض عنه، فعاد فقال: يا رسول الله إني زنيت فأقم عليّ كتاب الله، حتى قالها أربع مرار، قال ﷺ: إنك قد قلتها أربع مرات فيمن؟ قال: بفلانته، قال: هل ضاجعتها؟ قال: نعم، قال: هل باشرتها؟ قال: نعم، قال: هل جامعتها؟ قال: نعم، فأمر به أن يرحم فأخرج به إلى الحرة فلما رجم فوجد مس الحجر جزع فخرج يشد فلقه عبد الله بن أنيس وقد عجز أصحابه فترع له بوظيف يعير فرمأه به فقتله، ثم أتى النبي ﷺ فذكر ذلك له فقال: هلا تركتموه لعله أن يتوب فيتوب الله عليه^(٣).....

و لم تنته القصة هنا، لأن النبي ﷺ لما قابل هزال الذي يعتبر ولي أمر ماعز بن مالك

(١) تفسير القرطبي، ١٧، ٢٠٦.

(٢) فتح الباري ٨ / ٧٠٠.

(٣) سنن أبي داود ٤ / ١٤٥، والسنن الكبرى للنسائي ٤ / ٣٠٥، وسنن البيهقي الكبرى ٨ / ٢١٩، ومستد أحمد ٥ / ٢١٧، والحديث صححه الألباني في صحيح أبي داود ح ٤٤١٩، وصحيح الجامع ح ٧٠٤٢، وقال عنه ابن حجر في التلخيص الحبير (٤ / ١٣٧٢) إسناده حسن.

لأنه كان نبياً في كفالته ويرثي في حجره، عاتبه الرسول ﷺ عتاباً شديداً؛ وذلك لأنه أشار على ماعز أن يأتي النبي ﷺ ويمسح برأسه و يفضح نفسه، فقال عليه الصلاة والسلام هزال: والله يا هزال لو كنت سترته بثوبك كان خيراً مما صنعت به^(١).

فما رأيك أيها الوالد الكريم وأيتها الأم الختون فيما نقوله عن أبنائنا وبناتنا أمام الناس؟! ما رأيك في معاملتنا لهم أمام الناس عامة وأمام أصدقائهم خاصة؟ هل هذه الطريقة تزيد من رصيدنا في قلوبهم؟

(٩) لا تعتذر لهم ولا ترضهم عندما تخطن في حقهم:

عبدالله عمرو بن قيس المعروف باسم ابن أم مكتوم صحابي جليل ، كان مكفوف البصر، ولكنه كان مفتح البصيرة مشرق القلب ، و في يوم من الأيام مكة المكرمة قبل الهجرة جاء إلى رسول الله ﷺ يسأله في أمر من أمور الدين، والرسول مشغول في مناقشة عدد من زعماء قريش ودعوتهم إلى دين الله الحاتم ، لعل الله - تعالى- أن ينصر بهم هذا الدين الذي كانوا يقفون منه موقف المعادة والصد، وفي هذه المعمعة كان ابن أم مكتوم يلح في توجيه أسئلته ، والرسول ﷺ يمتني لو انتظر قليلاً حتى يتمكن من الوصول إلى قناعة مع هؤلاء النفر من رؤوس قريش ، ولكن ابن أم مكتوم استمر في إلحاحه بالسؤال ، فعبس وجه رسول الله ﷺ وتولى عنه؛ فأنزله ربنا- تبارك وتعالى- وحيه يعاتب فيه سيد المرسلين عتاباً شديداً يخاطب الغائب أولاً، ثم بتوجيه الخطاب إليه مباشرة^(٢)؛ فقال جل شأنه: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهٗ بُرِّئَ * أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى * أَمَّا مَنْ اسْتَعْصَمَ * فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى * وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَرْكَبَ * وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى * وَهُوَ يَخْفَى * فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى * كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ * فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ * فِي صُحُفٍ

(١) مستند أحمد ٥ / ٢١٦، والسنن الكبرى للسائي ٤ / ٣٠٥، وسنن أبي داود ٤ / ١٣٤، وسنن البيهقي الكبرى ٨ / ٢١٩، والمعجم الكبير للخطيب ٢٢ / ٢٠١، وموطأ مالك ٢ / ٨٢١، وقال عنه الذهبي في المذهب ٧ / ٣٣٥: صحيح على شرط مسلم.

(٢) الإشارات الكونية في القرآن الكريم ومنزى دلالتها العلمية، ٥. زحلون النجار، جريدة الأعرام المصرية، العدد رقم ٤٢٦٠٢، الإثنين ٢٨ جمادى الأولى ١٤٢٤ هـ، الموافق ٢٨ يوليو ٢٠٠٣ م.

مُكْرَمَةٌ * تَرْفُوعَةٌ مُطَهَّرَةٌ * بِأَيْدِي سَفَرَةٍ * كِرَامٌ بَرَّةٌ ﴿عيس: ١-١٦﴾.

ولقد أصاب العتاب قلباً رقيقاً ونفساً عظيمة؛ إذ أصلح النبي ﷺ الخطأ الذي وقع فيه - عن غير قصد - علاجاً رائعاً، فبعد نزول هذه الآيات كان رسول الله ﷺ يكرم ابن أم مكتوم كلما رآه، قال سفيان الثوري: كان النبي ﷺ بعد ذلك إذا رأى ابن أم مكتوم ييسط له رداءه ويقول: «مرحباً بمن عاتبني فيه ربي»، ويقول: «هل من حاجة؟»، واستخلفه النبي ﷺ على المدينة مرتين في غزوتين غزاهما^(١)، وعن الشعبي قال: دخل رجل على عائشة وعندها بن أم مكتوم وهي تقطع له الأترج (نوع من الفاكهة) يأكله بعسل، فقالت: ما زال هذا له من آل محمد ﷺ منذ عاتب الله فيه نبيه ﷺ، وإنما أرادت أم المؤمنين -رضي الله عنها- نزول سورة عيس وتول^(٢)... وهكذا زاد رصيد النبي ﷺ في قلب ابن أم مكتوم رضي الله عنه، أما أنت أيها الوالد الكريم إذا أردت أن يصبح رصيدك في قلوب أبنائك قليلاً؛ فلا تعتذر لهم أبداً إذا أخطأت في حقهم، ولا ترضه إن ظلمتهم.

(١٠) لا تكن من آباء الدقيقة الواحدة:

بعض الآباء يوقف ابنه أمامه ساعة أو أكثر ليقدم له النصيحة، ويكرره كلامه ونصائحه مرات ومرات، وابنه واقف أمامه يمتنى اللحظة التي ينتهي فيها والده من موعظته، والبعض الآخر من الآباء ينصح ابنه كلما رآه، فلا تمر مقابلة بينهما إلا وفيها وعظ من الأب وإرشاد، وبعضهم لا تحلو لهم النصائح إلا على الطعام؛ لدرجة أن أحد الأبناء قال لأبيه يوماً: لا تجعلني أكره تناول الطعام معك بسبب توبيخك ومحاضراتك كلما جلسنا لتناول الطعام، بل إن بعض الآباء يعتمد إخراج ابنه أمام أصدقائه ويمطره بوابل من الكلمات القاسية أمامهم، ومع تكرار التوبيخ والتعنيف والمحاضرات يقل رصيد الأب أو الأم في قلوب أبنائهم، أما آباء الدقيقة الواحدة فينصحون أبناءهم بطريقة مختلفة؛ فنصائحهم قصيرة وموجزة، كما أنهم يختارون الوقت والمكان المناسب لها، وهذا

(١) تفسير القرطبي ١٩ / ٢١٢، ٢١٣، وتفسير الجلالين ١ / ٧٩٢.

(٢) الحاكم في المستدرک علی الصحیحین ٣ / ٧٣٥، وحلیة الأوتیاء ج: ٩، ص: ٢٣٣.

ما فعفه الأنبياء الكرام والصحابه الكرام والمعلمون الأخيار؛ أورد البخاري ومسلم عن بن مسعود رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولنا (بتعهدنا) بالموعظة في الأيام (يعني: يعظهم أيامًا ويتركهم أيامًا أخرى) كراهة السامة (الملل) علينا^(١)..... ومع أن النبي صلى الله عليه وسلم أفضل الناس حديثًا وأعذبهم لسانًا؛ إلا أنه لم يعظ صحابته الكرام يومًا خشية أن يتفروا منه، ولقد فهم صحابته الكرام المدرس جيدًا؛ فرفضوا وعظ التابعين كل يوم، وحددوا لموعظ يومًا في الأسبوع حتى لا يعمل الناس؛ روى الإمام مسلم وابن حبان عن شقيق أبي وائل قال: ثم كان عبد الله يذكرنا كل يوم خميس، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن، إنا نحب حديثك ونشتهي ولوددنا أنك حدثتنا كل يوم، فقال: ما يمنعني أن أحدثكم إلا كراهية أن أملككم، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهية السامة علينا^(٢)... ولقد قيل لأبى بن مالك يومًا: ألا تحدثنا؟ قال: «يا بني، إنه من يكثر بهجره»^(٣)...



(١) صحيح البخاري ١ / ٣٩، و صحيح مسلم ٤ / ٢١٧٢، المراد أنه كان يراعي الأوقات في تعليمهم ووعظهم ولا يعظهم كل يوم خشية الملل. انظر: فتح الباري ١١ / ٢٢٨.
 (٢) صحيح مسلم ٤ / ٢١٧٣، وابن حبان ١٠ / ٣٨٣.
 (٣) سير أعلام النبلاء ٣ / ٤٠٣.

القاعدة الثالثة:

كن مريباً مبدعاً..
واليك الطريقة

الأفكار المبدعة تبقى حية رغم مرور السنين..

وكما يبقى أصحاب الفكرة المبدعة حياً في ذاكرة من انتفعوا بفكرته..

فإن صاحب الفكرة التربوية المبدعة يبقى حياً في قلوب من تأثروا بفكرته.

والفكرة التربوية المبدعة التي تنفذها مع طفلك أو طفلتك؛ تظل حية في ذاكرته على مدى السنوات، وتسكن في قلبه رغم مرور الأيام، وقد ينسى أفعالاً أخرى كثيرة طيبة قد صنعها معه لكنه يقاوم نسيان تلك الفكرة المبدعة، فقد تتعب مع أبنائك طوال عمرك لتطعم وتلبس وتعلم، تنفق في تلك المهمة معظم حياتك، ورغم أهميتها فإن أبنائك قد لا يتذكرون شيئاً من ذلك، باعتباره شيئاً عادياً وواجباً على كل أب والجميع يفعلونه، وقد يوفئك الله تعالى يوماً لفكرة مبدعة تنفذها مع أحد أبنائك؛ فلا ينساها أبداً مع أنها قد تحتاج إلى وقت وجهد قليلين، وكلما كانت لك أفكاراً تربوية مبدعة مع أبنائك، كلما كانت لك معهم ذكريات جميلة لا تنسى.

لا تكن الأب العادي:

الأبء ثلاثة أصناف...

الصف الأول: هو الأب العادي (والأم العادية)، الذي يمارس أبوته بطريقة عادية، فهو مثل جميع الآباء يسعى بحثاً عن الرزق، ويوفر لأبنائه السكن، ويلحقهم بالمدارس على قدر استطاعته المادية، ومع أنه يجب أبناءه جدّاً، ويعيش معهم سنين، إلا أنك عندما تسأل أبنائه بعد موته عن ذكرياتهم مع هذا الوالد، فسيخبرونك أن أباهم كان طيباً عظيمًا، غير أنهم لا يذكرون الكثير من الذكريات معه، وهؤلاء أقابلهم كثيراً في المحاضرات والندوات، فعندما أوزع ورقاً لكتابة الذكريات مع الآباء والأمهات، تأتيني

الكثير من الأوراق الفارغة، أو التي تحمل عبارات مثل: لا أتذكر الآن، أبي كانت كل مواقف جيدة، عشت مع أبي بلا ذكريات...، مع أن أقل واحد من هؤلاء الآباء (والأمهات) قد عاش مع أبيه وأمه ما لا يقل عن عشرين سنة (في المتوسط).

الوصف الثاني: هو الأب قليل الإبداع (الأم قليلة الإبداع)، والذي يبدع طوال حياته (مع أبنائه) مرة واحدة أو مرات قليلة، فهو ينفذ مع أبنائه كل ما يفعله الأب العادي من ضرورات الآبوة، وبالإضافة إلى ذلك يطبق بعض الأفكار المبدعة مع أبنائه لكنها تكون قليلة، ففي طفولة أبنائه قد ينفذ فكرة أو فكرتين، وفي مراهقتهم ينفذ واحدة أو اثنتين، وفي شبابهم كذلك، وهذا النوع من الآباء يتذكره أبنائه بعدد تلك المواقف المبدعة في حياته.

الوصف الثالث: الأب المبدع (الأم المبدعة)، وهذا الصنف من الآباء والأمهات لا يحمل أساسيات الحياة ويلبي جميع احتياجات أبنائه، وبالإضافة لذلك فإن حياته مع أبنائه مليئة بالمواقف والتجارب والأفكار المبدعة، وهذا أب لا يمكن لأبنائه نسيه حتى ولو حاولوا ذلك.

كيف نصبح أباً مبدعاً؟

إن الإبداع في تربية الأبناء سهل جداً، كل ما نحتاج إليه هو:

- (١) قلب محب لأبنائك (وهذا ممتلكه).
- (٢) وقت تفكر فيما ستفعله معهم (وهذا بين يديك).
- (٣) فكرة يرزقك الله تعالى بها (والله ذو الفضل العظيم).
- (٤) تطبيق للفكرة مع أبنائك وبناتك، مع واحد منهم فردياً أو معهم كليهم جماعياً، في وقت مناسب وبطريقة جميلة.

ولأنك أب طيب وأم حنون، ولأنك قد فرغت نفسك الآن لتقرأ هذا الكتاب، ولأنك تحاول صادقاً أن تكون أباً مبدعاً، فإننا فيما يلي نقدم لك عشرين فكرة مبدعة، نفعها قبلك آباء وأمهات، وآتت ثمارها الطيبة بإذن الله...

(١) الختام قبل المنام:

اعتادت إحدى الأسر - والتي لديها ابن في الخامسة وابنة في الثامنة من عمرها - أن تمارس بعض الطقوس الخاصة كل ليلة قبل أن يأي الأبناء إلى فراشهم، فبدلاً من أن يقرأ الأب أو الأم على الطفلين إحدى القصص، كانا يسترجعان معها أحداث يوميهما، ومع نهاية القصة، يخبران أبناءهما بأفضل ما حدث في ذلك اليوم بالنسبة إليهم، ثم يسألان كل واحد منهما: ما أفضل ما وقع لك اليوم؟ وينصتان إلى ما يقوله الأبناء بمنتهى العناية، ثم يقبلانها قبل النوم... إنها طريقة جميلة لإنهاء اليوم وهو نوع من البريعة القوية للطفافة لتوجيهها نحو الإيجابيات، وذكرى جميلة سيتذكرها الأخوان في المستقبل وربما يارسانها معاً ومع أبنائهما (الأحفاد)، إن الأطفال يزنون هذه اللحظات السحرية التي تجمعهم مع الأب والأم، وفي الأوقات الهادئة وأثناء اللقاءات العائلية في المستقبل، سوف يلعب أبنائك لعبة «هل تتذكر عندما...؟»، إنهم سوف يتذكرون الأوقات الطيبة التي قضوها - معاً - في هذا المكان وذاك، ومثل هذه الأوقات هي التي تبني حس الانتماء لديهم، وتزيدهم حباً وتربطاً، والآن هل تستطيع أن تتذكر تلك اللحظات السحرية من أيام طفولتك؟؟؟^(١) وأذكر أن والدي - حفظه الله - قد عودنا لسنين إلا ننام كل ليلة قبل أن يحضر لنا الختام، فبعد صلاة العشاء كل يوم، نقول له: هيا نحضر الختام، فيعطينا ما تجود به نفسه من مال، لنشترى شيئاً حلواً نأكله، كالأيس كريم، أو قصب السكر، أو اللب، أو الحلوى، أو غيرها، هكذا لسنين لا ننام قبل أن نستمتع معاً بالختام، ومع أن هذا الحدث كان يستغرق منا دقائق، إلا أن استمراره لسنين جعله محفوراً في قلوبنا وعقولنا، وكمع تحدثت مع إخوتي حول تلك الأيام الجميلة، وتمنينا لو عادت يوماً...

(٢) اقرأها عندما تكون بمفردك:



كنت في الثالثة عشرة من عمري، وكنت قد دخلت في طور المراهقة وتملكنتي نزعة تصادية، كنت غاضباً وناثراً ولا أهتم بنصائح

(١) سر الطفل السعيد، ص ٢٢١، ٢٢٢، بتصرف...

أبي وأمي، وكنت شأني في ذلك - شأن كل المراهقين الآخرين - أعتبر نفسي «عقري»، في غنى عن النصح والإرشاد، وكنت أرفض التجاوب مع أي مشاعر عاطفية صريحة من قبل أهلي حتى أنني كنت في الواقع أغضب من ذكر كلمة حب صريحة من أمي.

وفي ليلة من الليالي وبعد يوم عصيب، افتحمت غرفتي وأنا ناثر وأغلقت الباب وأويت إلى فراشي، وبينما كنت أغوص في الفراش مدت يدي تحت الوسادة، فوجدت خطابًا فجزبته وإذا بهذه العبارة مدونة على المظروف «اقرأه عندما تكون بمفردك»، وبما أنني كنت وحيدًا في الغرفة، فقد فتحت المظروف، وكان هذا مضمون الخطاب:

ابني...

أنا أدرك أن حياتك تبدو عصبية في الوقت الراهن، وأعلم أنك تشعر بالإحباط، وأعلم أننا لسنا على دراية بكل أمورك، كما أعلم أيضًا أنني أحبك بشدة، وأن هذا الحب لن يبدله أي تصرف أو قول يصدر منك، أنا هنا من أجلك إن شعرت أنك بحاجة للحديث، لكن إذا لم ترغب في ذلك فلا بأس، ولكنك يجب أن تعلم فقط أنك أينما ذهبت ومهما فعلت في حياتك فسوف أحبك دائمًا وسوف أفخر بأنك ابني، أنا هنا من أجلك، أحبك وهذا لن يتغير.

مع حبي... أمك..

كان هذا أول خطاب من سلسلة خطابات «اقرأها عندما تكون بمفردك» التي كنت أجدها طوال سنوات تحت وسادتي، والجميل أنه لم يتحدث أحد من والدي عن تلك الخطابات إلا بعدما كبرت.

أما الآن فأنا أجوب أنحاء العالم كي أساعد الآباء والأمهات، وبينما كنت يومًا ألقى محاضرة قامت أم وقالت: إنها تواجه صعوبة في التعامل والتواصل مع ابنتها المراهق، فحكيت لها عن حب أمي الفياض، وعن فكرة سلسلة خطابات «اقرأها عندما تكون بمفردك»، وبعد عدة أسابيع؛ تلقيت من تلك السيدة بطاقة تخبرني فيها بأنها قد كتبت أول خطاباتها لابنتها.

وفي هذه الليلة عندما أويت إلى فراشي وضعت يدي تحت الوسادة، وتذكرت ذلك الشعور المريح الذي كنت أحس به في كل مرة كنت أجد فيها خطأً، لقد كانت هذه الخطأيات هي البلسم الشافي الذي كان يهدئ من روحي في ذروة سنوات المراهقة الصعبة، ويؤكد لي بأنني سأبقى محبوباً على الرغم من كل ما أفعله، وليس بفضل كل ما أفعله، وقبل أن أستسلم للنوم حدثت الله على أن من علي بأمر واعية، استطاعت أن تدرك احتياجاتي كمراهق غاضب، واليوم عندما تعصف بي رياح الحياة أدرك أن هناك تحت الوسادة يوجد هذا الشعور بالاطمئنان الذي يؤكد الحب الدائم، وأن هذه العاطفة غير المشروطة التي لا تطلب مقابلاً قادرة على تغيير الحياة^(١).

(٢) أسرار أطفالنا المخفية تحت الماء:

يقول أحد الآباء:

جلست مع زوجتي ذات مساء لتتحدث في أمور الأبناء، وفكرنا كيف نجعل أطفالنا يحكون لنا أسرارهم مدى الحياة، حتى وإن كذبوا علينا كيف يعودون لمصارحتنا، تناقشنا في تلك المسألة حتى وقت متأخر، واتفقتنا في النهاية على ما سنفعله.

في اليوم التالي وأثناء تناول العشاء، قلت لابني وابنتي: أني ووالدتهما نريد أن نتحدث إليكما بشأن أمر ما، وقلت: هل تتذكران ما قاله رجل الدين في الأسبوع الماضي بشأن الكرة؟ لقد تحدثت عن الكرة (كرة الشاطئ أو الكرة العادية الخفيفة التي يلعب بها الأطفال) حيث ذكر أنها خفيفة وأن ربحاً بسيطة يمكن أن تدفعها بعيداً، ولقد طلب منا أن نفكر في الغوص في الطرف العميق من حمام السباحة أو في البحر، وأن نحاول الاحتفاظ بالكرة بين سيقاننا تحت الماء، يمكنكم بالتأكيد أن تفعلوا ذلك لمدة قصيرة، ولكن بعد أن تنجحوا لفترة في ذلك، يمكن أن يحدث احتمالان: إما أن تشعروا بالتعب فتترلق الكرة وتصد نحو السطح، أو هناك احتمال آخر سيء وهو أن تشعروا بالتعب وتقرروا الاستمرار في الاحتفاظ بالكرة فتغرقون في الماء.

(١) شورية دجاج حياة الأمهات، ص ٤٠، ٤١ (بصرف).

لقد طلب منا رجل الدين أن نفكر في الكرة في مثل هذا الموقف على أنها تشبه المشكلة أو الكذبة أو فعل ارتكبناه ولا نريد أن يعرفه أحد، إننا نحاول أن نخفيها جميعاً، إننا نستخدم كل قوتنا ونركز كل اهتمامنا على الكرة محاولين إخفاءها، إنها تجعل حياتنا صعبة، ولكن إذا تركنا الكرة تصعد نحو السطح، إلى ضوء النهار، فإنها تصبح مجرد قطعة من البلاستيك تذهب بعيداً.

وهنا لاحظت أن الطفلين يريدان التنازل عن الهدف المقصود من هذه انقصة، فقلت لهما: إننا نواجه مواقف يكون لدينا فيها الكرة التي نخفيها، وبعد نقاش جميل قلت لهما: إنه عندما يكون لديهما شيء يخفيانه ويشعران أنها لا يستطيعان إخبارنا به، يجب عليهما أن يأتيا ويقولوا: «إن لدينا كرة بلاستيك»، وأعطيت أنا وأمهما وعداً بأن رد فعلنا سيكون بشيء واحد هو أن نستمع لمدة ٢٤ ساعة بلا صراخ ولا أحكام ولا نصائح. علينا فقط الاستماع والتفكير، وبعد ٢٤ ساعة يمكننا التحدث إليهما بشأن كيفية خروجها من الموقف المخرج الذي يكون أحدهما فيه، المهم أنه عندما يكون لديهما كرة يخفيانها ستكون موجودين للاستماع لهما ومساعدتهما.

وعلى مر السنين، واجهنا كثيراً من الكرات التي قدمت لنا، وعادة في وقت متأخر من الليل، كان بعضها مزعجاً أكثر من البعض الآخر، وكان بعضها مضحكاً، لدرجة أننا كنا نحاول ألا نضحك ونحن نسمع، وبعضها لم يصل إلى أذاننا، بل وصل إلى أذان أصدقائنا الذين يثق بهم طفلاننا، وكنا دائماً نلتزم بالـ ٢٤ ساعة أشد الالتزام، ولم نتراجع عن كلامنا مهما كان حجم ردود أفعالنا تجاه ما يقولونه لنا.

إن كليهما أصبح ناجحاً الآن، وأنا على يقين من أنها سيواجهان كرات من وقت لآخر، فكلنا نواجه ذلك، ولكنها يعرفان أننا ما زلنا موجودين للاستماع إليهما، وكل الأمر أنها كرة بلاستيكية خفيفة.. قليل من البلاستيك الخفيف الذي يطير بعيداً عندما نطلق سراحه^(١).

(١) شوربة دجاج لحياة الأبناء ٢، ص ٢٨٦-٢٨٨ (بتصرف).

(٤) جدار الذكريات:

يقول أحد الآباء: منذ عدة سنوات غطت زوجتي أحد الجدران حتى الأرض بصور الأسرة في جميع مراحل حياتها، صور خاصة بالآباء والأمهات، والأجداد، والجندات، صور بالأبيض والأسود بعد زواجنا مباشرة، وصور لابنائنا وبناتنا في سنوات مختلفة، صور وهم أطفال رضع ثم يافعون، صور المدرسة، والكلية والزفاف، وصور لي وأنا مازلت هنالك بقية من شعر في رأسي...

أرادت زوجتي من هذه الصور العائلية أن يرى كل أفراد الأسرة بعضهم البعض وكيف كانت لهم ذكريات مشتركة جميلة، جمعتهم في حب ومرح، كم ضحكوا منها وكذلك بكوا جميعاً، وعندما نظرت أنا لابنتنا البالغة من العمر ٣٠ عامًا، والذي لديه أربعة أطفال، رأيته وعمره ٤ سنوات، وتراه وعمره ١٢ سنة، وكذلك وعمره ١٧ عامًا ثم وعمره ١٩، ثم وعمره ٢٢ عامًا وهو مسافر سنتين للخارج، ثم وهو مع عروسه في عمر ٢٤، وبعدها بعام وهو يعانق طفله الأول...

كان مدهشًا أن أرى كيف انجذب كل من زارنا لجدار الصور (الذكريات) وكيف استعاد أبناؤنا ذكرياتهم الجميلة معًا، فسمعناهم يشاهدون الصور ويقولون:

«انا أتذكر هذا الفستان الأحمر فلقد كان المفضل لدي».

«أتذكر يوم هذه الرحلة لقد وقع العصير على ثوبي وأنت أسرع لتحضري لي الماء لأنظفه».

«انظرو... لقد كنت في هذه الصورة بدون أسناني الأمامية».

«أخذت هذه الصورة لنا في فرح عمتي، كم كان اجتماعنا جميلًا».

«لقد كنت في هذه الصورة مع أمك تحملك».

إن أبناؤنا وأحفادنا يجتمعون حول هذه الصور ويتسامرون بشغف قائلين: «انظرو كانت ملابسني جميلة»... «كانت عضلات أبي قوية وهو صغير لأنه كان يتدرب باستمرار»... «كنت دائمًا تحب إثارة أختك ومضايقتها كم كنت مشاغبًا»... «كنت تعطي

إخوتك كثيرًا فأخيك في هذه الصورة يرتدي حذاءك كان مستعيره منك...»

إنني أجلس بجوار جدار الذكريات وأرى فيها لحياتنا الماضية، ثم أرى الحياة وهي مستمرة، وأنا أحب ان أرى عائلتي حولي، كم زاد جدار الذكريات الحب بين أبنائي وبناتي، وإذا أردت اليوم حل مشكلة بين أي اثنين منها نجلس بجوار الجدار، وكم أتمنى أن يجلس أبنائي بجوار الجدار وهم يوزعون الميراث بعد رحيلنا عن هذه الحياة^(١)...

٥) الأحضان لعلاج الأحران:

حينما كانت ابنتي الصغيرة في العاشرة من عمرها، وجدت نفسي شديدة القلق عليها؛ فقد كانت ابنتي مغرمة للغاية بجدها وجدتها اللذين كانا - بدورهما - شديدي التعلق بها، إلا أنها توفيا واحدًا تلو الآخر في فترة زمنية قصيرة.

ولقد كانت هذه الخسارة الفادحة شديدة الوقع على أي شخص خاصة على طفلة، إلا أنها أثرت بشكل خاص في ابنتي بسبب طبيعتها الحساسة المحبة، فمند ذلك الحين وحتى بلغت العاشرة من عمرها كانت قد غرقت فيها يمكن أن أطلق عليه حالة من الاكتئاب، فعلى مدى عام كامل لم تبسم إلا نادرًا، وكأنها تمضي في الحياة بلا هدف.

لم أكن أدري كيف أنصرف، وفي يوم من الأيام بعدما غادرت ابنتي إلى المدرسة، جلست في غرفة العائلة فوق أحد المقاعد الوثيرة، وتذكرت تلك الأحضان الدافئة التي تميزت بها عائلتي، فحينما كنت طفلة كان أبي وأمي وأجدادي وأعمامي وعماتي قد دأبوا على جذب الأطفال وإغراقهم في تلك الأحضان الدافئة، ومنذ أن تركت منزل العائلة وعند مصادفة أية مشكلة أستشعر هذا الدفء الذي كان يغمري به أبي وأنا بين أحضانه، فتتممت قائلة: «آه يا أبي ما الذي يمكن أن أفعله كي أساعد ابنتي؟» كدت أضحك بصوت مرتفع حينما دامتني هذه الفكرة، فقد قرأت مؤخرًا عن أثر الأحضان في علاج الأمراض، أيمن أن يكون هذا هو الحل؟ العلاج بالأحضان؟ وهل سينفع هذا العلاج مع ابنتي؟

(١) للمعات السبع للأسر الأكثر فعالية، ص ٢٢٤ (بصرف).

وبما أنه لم يكن قد بقي أمامي سوى هذا الحل، فقد قررت أن أحتضنها قدر المستطاع، ولكن دون أن أشعرها أنني أتعمد ذلك.

وبدأت حالة ابنتي تتحسن شيئاً فشيئاً على مدى الأسابيع التالية؛ إذ بدت أكثر هدوءاً وابتهاجاً، وبدأ الانسجام يعرف طريقه إلى وجهها، ذلك الانسجام الحقيقي الذي كان يضيء عينها وفمها، وبدأت تعمل وتلعب بعميد من الحماس، ولم تمضِ إلا شهور قليلة حتى هزمت الأحضان الاكتئاب.

إنني لم أصرح يوماً لابنتي أبداً عن تلك الإستراتيجية، لكنها أدركت بمنتهى الوضوح مدى أهمية هذه الأحضان، فكانت كلما شعرت بالارتباك أو عدم الثقة أو بشيء من الإحباط تأوي إلى أحضاني، كما أنها كلما لاحظت أنني حزينة أو متوترة تبادرني قائلة: «بيدو أنك بحاجة إلى حضن»، وهكذا كنا نزل كل الصعاب، ونواجه كل الأوقات العصية^(١).

٦) لعبة المساء التي صنعت مبدعاً؟

«جوتة» هو شاعر ألمانيا الكبير، عندما كان صغيراً اعتادت والدته أن تحكي له حكاية قبل النوم، لكن عندما تصل القصة إلى ذروة التشويق تتوقف الأم عن سرد بقية الأحداث، ثم تتركه مع مربيته، وتظل المريية تستمع من الطفل، وتعاوره، وتستحبه على التخيل والابتكار والإبداع إلى أن يصل معها إلى خاتمة القصة.

ثم تذهب المريية إلى الأم وتحكي لها ما وصل إليه الصبي وكيف تخيل نهاية أحداث الحكاية قبل أن ينام.

وفي الصباح يطلب الطفل من أمه أن تكمل له قصة الأمس، فتكملها على نحو قريب جداً من النهاية التي قد وصل إليها هو نفسه.

وكم كان الطفل يمتلئ ثقة في نفسه وثقة بقدراته، فيتلهف إلى سماع قصص أخرى

(١) ثورية دجاج لحياة الأمهات، ص ٤٨، ٤٩ (باختصار وتصرف).

ليؤلف لها بنفسه نهايات جيدة.

ويقول «جوتة» في مذكراته: إن هذه «اللعبة» التي كانت والدته تلعبها معه كل مساء، وتشجيعها الدائم له لكي يفكر بنفسه ويتخيل ويبدع بنفسه، كانت أكبر ما فخر فيه العبقرية والإبداع^(١).

(٧) عبارات الصبا في غداء المدرسة:

منذ أن بدأ أبنائي في الذهاب إلى المدرسة، بدأت بدوري أعد لهم وجبة الغداء التي يتناولونها هناك (في الفسحة)، وكنت أكتب لهم عبارات أرفقها مع كل وجبة أقوم بتغليفها، وكانت العبارة إما شكر لموقف خاص، أو تذكرة حدث سعيد قضيناه معاً، أو عبارة تشجيع لاجتياز اختبار ما أو حدث رياضي.

وكان الأبناء وهم في المراحل الدراسية المبكرة يعبون هذه العبارات، وكانوا يعلقون عليها حيناً يعودون من المدرسة، وحيناً عدت إلى عملي كمدرسة، كانوا يقومون بدورهم بتدوين بعض العبارات ويرفقونها بوجبة غذائية، ولكن عندما وصل ابني الأكبر إلى مرحلة الدراسة الثانوية، أخبرني بأنه لا يريد المزيد من تلك الرسائل اليومية، فكان ردي أن هذه العبارات تعني لي أكثر مما تعني له، مهمة لي أكثر مما هي مهمة له، وأنه يستطيع أن يتجاهلها إذا كان يريد ذلك، أما أنا فما زلت أشعر برغبة في كتابتها، وهكذا واصلت عاداتي هذه حتى تخرج ابني من الثانوية.

ويعد أن تخرج ابني من الثانوية التحق بجامعة بعيدة عنا ثم ابتعد عامين آخرين لظروف عمله، لقد عاش مدة هذه السنوات الست بعيداً عنا، إذ اقتصر زيارته على بعض العطلات القصيرة، وفجأة جاءني صوته على الهاتف يقول: إنه سيأتي ليقم معنا في المنزل لمدة شهرين، ولقد شعرت بسعادة غامرة لعودته إلى البيت.

وبعد مرور أسبوعين على عودته إلى البيت كان قد قضاه في الاسترخاء والتجميع

(١) حرار مع اخنيد، ص ٢٨، ٢٩ (بتصرف).

والكتابة، بدأ عمله حيث كان قد اختير للقيام بحملة دعائية، وبما أنني كنت ما زلت أعد الغذاء لأخيه الصغير، فقد أعددت له غذاء هو الآخر يأخذه معه، وكما كانت دهشتي حينما اتصل بي ابني البالغ من العمر ٢٤ سنة ليشكو من غذائه... «هل صدر مني خطأ ما؟ ألسنت ما زلت ابنك؟ أما عدت تخيبتني يا أمي؟ وهكذا أخذ مارك يستفسر وأنا أسأله ضاحكة عن سبب هذه الاتهامات، فأجابني قائلاً: «العبارة يا أمي؛ أين عبارتي يا أمي؟». وهذا العام قد وصل ابني الأصغر إلى السنة النهائية في المرحلة الثانوية، وأعلن بدوره أنه لا يريد المزيد من تلك العبارات، ولكنني - كما هو الحال بالنسبة إلى أخيه وأخته - سوف أواصل كتابتها يومياً إلى أن يتخرج من الثانوية، كما أنني سأرفقها أيضاً مع أي غذاء أعده له فيها بعد^(١).

٨) يا أمي.. هاتي المكافأة أولاً؛

كنت أرى ابني البالغ من العمر عشر سنوات يرتكب الكثير من الأخطاء، فكان لا يطيعني فيما أطلبه منه، ويكذب ويتخلف عن صلواته ويرمي ملابسه وغيرها، وكما حاولت جاهدة علاج تلك الأخطاء، جربت المحاضرات والمواظب المطولة والضرب والتوبيخ والحبس والتعنيف، كل هذا لم يفلح، فجلست مع نفسي يوماً واكتشفت أنني ارتكب خطيئتين:

الأول: أنني أعالج كل الأخطاء مجتمعة، ولذلك يشقت جهدي وينفذ صبري ولا أرى على ابني أي تقدم يذكر، لذلك قررت أن أحدد فترة زمنية أعالج فيها أكثر أخطائه خطراً، وأكتفي مع بقية الأخطاء بتلميحات بسيطة وبعض التغافل، إلى أن يحين دورها، وفي البداية قررت أن أبدأ بمسألة التخلف عن الصلوات، وبدأت أفكر كيف أجعل ابني يحب الصلاة ويتنظم فيها؟ وكيف أجعله يصلي بانتظام؟

الثاني: اكتشفت أنني نادراً ما أكافئ ابني إن هو أحسن، فإن حدث يوماً وأطاعني أو صلي جيداً أو كان صادقاً، لأنني لا أمدحه ولا أكافئه، والسلوك الذي لا نعززه ونكافئه

(١) ضرورة دجاج حياة الأمهات، ص ٦١، ٦٢ (بصرف).

نجو ويموت، ولذلك قررت أن أمتدح ابني وأكافئه كجزء من خطة علاج تخلفه عن الصلاة، ورزقني الله فكرة جميلة بدأت أطبقها معه وهي فكرة «المكافأة أولاً».

جلست معه يوماً وقلت: لك عند مفاجأة، وناولته كيساً به مبلغ من المال (١٥٠ جنيهاً) مقسمة إلى جنيهاً، وقلت له: هذه ملكك، فنظر لي مستغرباً متشككاً وقال: بأي مناسبة؟ فقلت: إنها ملكك ولكن ليس اليوم، إنها ستصبح كلها لك بعد شهر، بشرط واحد، وهو أنك ستصلي، وكل صلاة لن تصلبها في المسجد أو تؤخرها عن وقتها بغير عذر، سأخذ جنيهاً من الكيس، وما يتبقى في نهاية الشهر فهو لك، ولقد فرح ابني كثيراً بتلك الفكرة، وأخذ كيس النقود وانصرف، وبدأنا في تنفيذ الاتفاق، ولا أدري ما هذا الذي ضعله النقود في النفوس، لقد تغيرت ابني تماماً، لم يفقد جنيهاً واحداً، ومرّ الشهر وقد تحول ابني إلى ولد آخر، لقد انتظم في صلواته كما لم يفعل من قبل، وقد استحق المكافأة عن جدارة، ولقد أقمت له حفلاً أسرياً بهذه المناسبة، وقلت له يومها: لقد صليت من أجل الجنيهاً، فما رأيك أن تصلي من أجل الجنات، وبدأت أحدثه عن الجنة وما فيها من نعيم، وسألته: كيف تحب أن أذكرك بأداء الصلاة؟ واتفقنا على طريقة ترصيه وترضي، وانتقلت بعدها للتركيز على علاج خطأ آخر بطريقة كيس النقود، دون أن أهمل متابعة أداء الصلوات.

٩) كيف تقول لابنك «المراهق».. أحبك؟

بعضنا يضرب ابنة المراهق لأنه يجبه، لكنها ليست الطريقة الصحيحة لتخبره أنك تحبه.

بعضنا يكثر من الأوامر والنواهي ويراقب تحركات ابنة المراهق لأنه يجبه، لكنها ليست الطريقة الصحيحة لتخبره أنك تحبه.

بعضنا يكثر من إلقاء المحاضرات على مسامع ابنة المراهق لأنه يجبه، لكنها ليست الطريقة الصحيحة لتخبره أنك تحبه.

فما هي الطريقة الجيدة التي نخبر بها ابنتنا المراهق أننا نحبه؟ لعل الموقف التالي يجيب

عن هذا السؤال...

كان جاسم في العام الأول لقيادته السيارة يريد الانطلاق هنا وهناك، وكان والده يخاف عليه جداً لأن أخاه الأكبر كاد يتعرض لحادث ميت في أول أيام قيادته للسيارة، وذات يوم قال جاسم لوالده إنه يستعد لمغادرة المنزل مستخدماً السيارة، فما كان من الأب إلا أن حذره قائلاً: عليك أن تقود السيارة بحرص، فاستدار جاسم وقال وفي عينيه نظرة حزن وضييق: لماذا تقول لي ذلك دائماً؟

قال الأب: أقول ماذا؟

أجاب جاسم: تطلب مني أن أقود السيارة بحرص وكأنك لا تتق في قيادتي.

فشرح له والده الموقف قائلاً: لا يا بني، ليس الأمر كذلك على الإطلاق، إنها طريقي كي أقول «أنا أحبك».

قال جاسم: حسناً يا أبي، إذا كنت تريد أن تقول إنك تحبني قلها مباشرة، وبهذه الطريقة لا يختلط الأمر علي.

قال الأب وهو متردد: لكن... ماذا لو أن أصدقاءك كانوا هنا معك؟ لو أنني قلت إنني أحبك فإنك قد تشعر بالإحراج؟

قال جاسم: في هذه الحالة وأنت تودعني قائلاً مع السلامة، ضع يدك قريبة من قلبك وهذا معناه أحبك انتبه لنفسك، وأنا سوف أرد عليك بنفس الطريقة بالإشارة لا بالكلام. فرح الأب كثيراً وقال: اتفقنا.

بعد بضعة أيام كان جاسم يستعد للمغادرة ثانية ولكن هذه المرة مع أحد أصدقائه، فقال لأبيه: هل تسمح لي بمفاتيح السيارة يا أبي؟ فأجاب الأب: بالتأكيد أسمح لي أين تذهبان؟ قال جاسم: إلى وسط المدينة، فألقى له والده بالمفاتيح وقال له بعد أن سكت قليلاً: جاسم.. وقتاً سعيداً مع السلامة ووضع يده قرب قلبه، وفعل جاسم الشيء نفسه وقال: إن شاء الله يا أبي، وغمز الأب بعينه رداً على كلام جاسم، فعاد جاسم لوالده وهمس له قائلاً: إن الغمزات لم تكن جزءاً من الاتفاق، وتوجه جاسم نحو الباب

لينصرف وقال: حسناً يا أبي، إلى اللقاء، وقبل أن يغلق الباب استدار إلى الخلف .. غمز بعينه^(١).

١٠) تبادل الأدوار عندنا في الدار:

عندما كان عمري سبع سنوات، طلب مني والدي أن نلعب لعبة «تبادل الأدوار»، قال لي: هيا يا ماجد، ستكون أنت بابا، وأصبح أنا ماجداً، ما رأيك؟
أسعدتني اللعبة وقلت: موافق، أنا بابا وأنت ماجد.

وبدا والدي الذي أصبح ماجداً يقول لي: بابا، أريد مصروفي خمسة قروش، وكان لزاماً علي أن أتابع اللعب، فقممت مرغماً وفتحت حصاتي وأحضرت له الخمسة قروش، فتنازلها مني ووضعها في جيبيه وهو فرحان، ورأيت من حقي أن أستخدم دوري أنا أيضاً في ممارسة الأبوة، فقلت لبابا (الذي أصبح ماجداً) بسرعة يا ماجد أحضر لي كوب ماء وإياك أن تسكب الماء على نفسك، فنظر واندي نحوي في دهشة، لكن كان لزاماً عليه أن يتابع اللعبة هو أيضاً، فقام مرغماً وأحضر لي كوب الماء.

لعبنا هذه اللعبة مرات عديدة، فأصبحت أنا بعدها أكثر فهماً لأقوال وتصرفات أبي معي، وأعتقد أن أبي أصبح هو أيضاً قادراً على أن يفهمني أكثر من ذي قبل^(٢).

١١) العائلة الشبج:

تقول إحدى الأمهات: في إحدى الليالي العائلية كنا نتحدث مع أبنائنا حول نوعية الأسرة التي نتمنى أن نكون عليها، وسجلنا ذلك تحت عنوان «رسالة أسرتنا»، وتناولنا موضوع خدمة الآخرين، وأهمية خدمتنا لبعضنا داخل البيت، ثم الجيران، ثم المجتمع ...
نذلك في الليلة العائلية التالية (بعد أسبوع) استأجرت جهاز فيديو وشاهدنا فيلمًا عن رجل ثري كان السبب في حادث سيارة نتج عنه إصابة فتاة بالعمى، مما سبب له

(١) ثورية دجاج لحياة الآباء، ص ٢٣١، ٢٣٢ (بتصرف).

(٢) حوار مع الحفيد، ص ١٢ (بتصرف).

الإحساس بالذنب لأن إسمائه قد غير حياة الفتاة للأبد، فأراد أن يعوضها عن ذلك ويساعدها على التأقلم مع وضعها الجديد، لذلك قام باستشارة صديق له طيب القلب، فبدأ يتعلم منه كيف يقوم بخدمة الناس ومساعدتهم سراً، في البداية كانت لديه صعوبة في فهم أسباب القيام بذلك، ولكنه تعلم أثناء ذلك كيف يبحث عن حاجات الناس، ومواقفهم، والدخول إلى حياتهم، ومحاولة إحداث التغيير الإيجابي فيها...

وبينما نحن نشاهد هذا الفيلم؛ تحدثنا عن جيراننا في حيناً وكيف تقدم لهم بعض الخدمات، فكّرنا مجموعة أطلقنا عليها اسم «العائلة الشيخ»، ولمدة ثلاثة أشهر، في كل ليلة عائلية، كنا نقوم بإعداد شيء مثل الفيشار أو الخلوى أو الكيك أو ما شابه ذلك، وكنا نزور الأسرة التي سنقوم بخدمتها، ثم نضع الطعام على مدخل بيتها، ونترك معه ورقة نعر فيها عن مدى إعجابنا بهم وتقديرنا لهم ونوقع باسم «العائلة الشيخ»، ثم نقرع جرس الباب ونجري بسرعة الريح...

وكنا نفهم الشيء نفسه كل أسبوع، ولم يكتشفنا أحد، وبسرعة كان جميع الجيران يتحدثون عن العائلة الشيخ، وعلمنا بذلك وكأننا لا نعرف شيئاً ولكننا كنا نتساءل من عساه أن تكون تلك العائلة الشيخ، وكانت هناك شكوك لدى بعض الناس، وفي إحدى الليالي وجدنا طعماً على باب بيتنا وبجانبه ورقة تقول: «إلى العائلة الشيخ، من جيرانكم المحبين»...

كان لهذه القصة أثرها الكبير في حياتنا، فقد ساعدتنا جميعاً على تعلم المزيد عن مبدأ الخدمة السرية، وقد وجدنا أن كل فكرة في رسالة أسرتنا من الممكن أن تكون أساساً كبيراً لمناقشات الأسرة وأنشطتها، مما يساعدنا على ترجمة الرسالة إلى لحظات من الحياة الأسرية، وطالما أننا نجعل منها متعة وإثارة؛ فيمكن كل فرد منا أن يتعلم ويستمتع، ويوضع الرسالة والعمل من أجلها تستطيع الأسر أن تبني بالتدرج السلطة الأخلاقية في الأسرة نفسها، أي أن نغرس المبادئ في بنية الأسرة وثقافتها عملياً، ويدرك الجميع أن المبادئ هي جوهر الأسرة وهي التي تجعلها قوية ومتحدة على مدى الأيام^(١)...

(١)المادات السبع للأسر الأكثر فعالية، ص ١٧٠، ١٧١ (بتصرف).

(١٢) الاحتفال بيوم الإخفاق:



ذات يوم، عدت إلى المنزل لأجد في انتظاري إخطارًا «غير مهذب» لدفع فاتورة الغاز، كما وجدت أبنائي الثلاثة في حالة إحباط...

كان ابني البالغ من العمر ١١ عامًا مكتئبًا؛ لأن قصة شعره الجديدة لم تروق له، أخبرني بأن المعلم في المدرسة قد انتزع منه غطاء الرأس قائلا: «إنه لا يليق بالرجل المهذب أن يرتدي قبعة داخل الفصل»، كما أنه لم يكف عن إيداء ملاحظاته السخيفة على مدار اليوم الدراسي قائلا: «يا أقرع» و «يا حليق الرأس»، كان ابني يحكي وهو يغطي رأسه بكلتا يديه.

أما ابنتي فخرجت من الدورة الثانية لمسابقة الهجاء (في اللغة الإنجليزية) لأنها أخفقت في هجاء كلمة خائف (Afraid)، وبالطبع كان موقفها مثيرًا للسخرية.

أما ابنتي الصغرى والتي كانت في الصف الأول الابتدائي، فقد عوقبت لأنها ضحككت بصوت مرتفع في حصة القراءة، كما أن زميلاتها سخروا منها عندما تعثرت في قراءة إحدى العبارات.

ماذا تفعل لو حدث لك هذا يومًا؟ وكيف نداوي جراح الجميع وتريح نفوسهم؟

هنا قلت: «حسنًا يا أبنائي، إنه يوم الإخفاق الكامل، هيا بنا نحفل بهذه المناسبة»، أخرجت المفاجأة أبنائي من ذهولهم فبدوا يرقبوني في حيرة، فقلت: لقد دأبت جدتي على القول بأننا نتعلم من الفشل أكثر من النجاح، فكلما كان الطريق متعثرًا أمامي قفزت إلى مسافة أبعد، هيا بنا نذهب إلى مطعم للاحتفال بأول عيد إخفاق.

وقد كانت هذه الحفلة بداية لسلسلة من «حفلات إخفاق»، لقد تعلمنا جميعًا كيف نحفل بها استخلصنا من المواقف العصبية بدلًا من الاكتفاء بالنعيب، أتمنى أن تكون قد زرعت في نفوس أبنائي بذور تلك الحكمة التي ورثتها عن أمي وجدتي، كما أتمنى أن توثي هذه البذور بثراها في حداثتهم يومًا ما^(١).

(١) شورية دجاج لحياة الأمهات، ص ٦٦، ٦٧ (بصرف).

إنها حقاً فكرة مبدعة تصلح للأفراد وللعائلات وللفرق وللصغار وللكبار...

١٣) كيف تعالج عصبية طفلك بالمسامير؟

أحد الآباء كان ابنه عصبياً جداً، دائماً يتفعل لأنفه الأسباب، وأي شيء مهما صغر يمكن أن يغضبه، وكثيراً ما حاول هذا الأب أن يعالج ابنه من عصبية، ويفهمه أنها ستدوم حياته، لكن بدون فائدة، وذات يوم وجد هذا الأب فكرة مبدعة لعلاج عصبية ابنه...

قال لابنه: لقد أحضرت لك علبه مسامير وشاكوشاً (مطرقة)، وعندما تشعر بالغضب والعصبية والانفعال، خذهم واذهب إلى سور حديقتنا، ودق هذه المسامير في الحائط، وعندما تستفعل ذلك ستهدأ كثيراً وستفكر أفضل بدون انفعالات.

وقرر الولد أن يسمع كلام أبيه، وبدأ في تنفيذ الفكرة، وكلما انفع من شيء وأحس بدمه يغور، أخذ المعدات وانطلق نحو سور الحديقة، ويظل يدق في المسامير ويثبتها في الجدار إلى أن يهدأ، في أول مرة دق ٣٠ مساميراً، وفي الثانية ٢٠، وبدأ عدد المسامير يقل شيئاً فشيئاً، ومع التكرار بدأت أعصابه ترتاح وتعلم كيف يهدأ.

ذهب الولد لأبيه ليشكره على تلك الفكرة الجميلة التي عالجت عصبية، وكم فرح الأب بابنه، وقال له: الآن أن الألوان لتذهب لتخلع كل المسامير التي ثبتها في الحائط، وعلى الفور ذهب الولد وخلع كل المسامير، وبعد أن انتهى جاء الأب وقال لابنه:

ماذا ترى على الحائط؟

قال الولد: لم يعد هناك حائط، المسامير شوته.

فابتسم الأب وقال: أتري ماذا فعلت عصبيتك في الجدار المصنوع من حجارة وأسمنت، يا ترى ماذا كانت ستفعل عصبيتك في جسمك وهو مصنوع من لحم ودم؟^(١)

(١) الوجبة المفترقة، الخربط والمسامير، عمر طاهر، جريدة الدستور المصرية، العدد ١٠٢٩، الجمعة، ٩ - ٢٠٠٧، ص ١٤.

(١٤) سؤال العشاء اليومي:

تم إخراج أبي من المدرسة عندما كان في الصف الخامس الابتدائي، على الرغم من اعتراض مدرسيه، حيث كان بالنسبة إليهم شابًا ذا طاقة عالية لتلقي التعليم، وذهب أبي للعمل في مصنع قريب من القرية، وهي نفس القرية التي تقابل فيها مع أمي فيها بعد، وبالنسبة إلى أبي أصبحت الدنيا هي المدرسة التي يتعلم فيها كل شيء، كان مهتمًا بتعلم كل ما يدور حوله، فقام بقراءة كل الكتب والمجلات والجرائد التي تقع تحت يديه، لقد انتقل اهتمام أبي الكبير وشغفه بالتعلم، وكذلك شوقه لمعرفة العالم الخارجي، معه عبر لسنوات وانتقل فيها بعد إلى أسرته، كان أبي مصممًا على ألا يحرم أحدًا من أطفاله من التعليم ما دام هذا بمقدوره.

كان أبي مقتنعًا أن أكبر خطيئة يمكن ارتكابها هو الذهاب إلى السرير ليلاً دون أن تكون قد أضفتنا إلى معلوماتنا شيئًا جديدًا خلال اليوم، وكان أبي يكرر هذا الشعار كثيرًا حتى تأثرنا به جميعًا، كان يقول دائمًا: «هناك الكثير الذي يمكن تعلمه، وأنا ولدتنا جهلاء والأغبياء فقط هم من يبقون على هذا الحال»، وكفي بتأكد أن أبا من أطفاله لن يسقط في شرك الرضا عن الذات، كان يصبر دائمًا على أن نتعلم كل يوم شيئًا واحدًا جديدًا على الأقل، وكان أبي يشعر أنه لا توجد حقيقة تافهة أو غير مهمة، وأن أي قدر من المعرفة يزيد من قدرتنا كبشر وبيئى الملل والركود بعيدًا.

ولتحقيق ذلك قام أبي بابتكار تقليد خاص بنا، بها أن وقت العشاء هو وقت تجمع العائلة، حيث لا يتغيب أحد إلا للضرورة القصوى، فكان يعد اجتماعًا مثاليًا لاقتسام الأشياء الجديدة التي نتعلمها كل يوم، وبالطبع كأطفال كنا نعتبر هذا جنونًا تامًا، فدون شك عند مقارنة اهتمامات أبي باهتمامات آباء أصدقائنا يبدو أبي شخصًا غريبًا وغير عادي، ومع ذلك لم يخطر لنا أن نرفض لوالدي أي طلب، لذا فكننا لا نجروء على الجلوس على مائدة العشاء دون أن نعثر أولًا على حقيقة ما في الموسوعة التي كثيرًا ما نستخدمها ونرجع إليها قبل الجلوس مع أبي على المائدة.

كان وقت العشاء هو وقت مراجعة الأنشطة التي قمنا بها طوال اليوم، وكان وقتنا للأحداث الودية والتعليقات الإيجابية من أبي وأمي، وكان ينتهي حوار ليبدأ آخر، كانت لحظات الصمت نادرة على وقت العشاء، ثم تأتي الخاتمة الكبرى لكل وجبة، اللحظة التي نخشاها جداً، اللحظة التي نتقاسم فيها الجديد الذي تعلمناه خلال اليوم، إن ذكرى تلك الجلسات تمر بسرعة أمامي وهي لا تزال قوية وواضحة.

في ذهني، كان أبي يجلس على رأس المائدة، ويقوم بسحب كرسيه للخلف قليلاً، ويبدأ في التطلع لأسرته، ويظل ناظرًا نحونا متصفحًا لوجوهنا، وبين الخين والآخر كان يقوم بتفسير تصرفه هذا ويخبرنا لم يقضى وقتاً في النظر إلينا، يقول إننا قد نكبر سريعاً ونقوته رؤيتنا ونحن نكبر أمامه، لذا فهو يميل في وجوهنا الواحد تلو الآخر.

وأخيراً يستقر بصره على أحدنا فيقول لي مثلاً: أخبرني ماذا تعلمت اليوم؟ فأقول: «تعلمت أن مساحة نيبال تبلغ...»، وبعد أن أنني كلامي بصمت أبي قليلاً ويفكر قلياً قلت، وتمر فترة صمت، كان هذا دائماً يدعشني، وكان يدعني للتفكير أن والذي شخص مجنون، حيث لم يكن هناك شيء أقوله ويبدو تافهاً بالنسبة إليه، كان يفكر بصوت عالٍ فيما أقوله وكأن فيه إنقاذاً للعالم، وتسمعه يقول: «كثافة نيبال.. هذا جيد»، وقد ينظر أبي بعد ذلك باتجاه أمي ويسألها قائلاً: هل كنت تعرفين هذا من قبل؟ ودائماً تكون إجابات أمي مذهلة وتحقق الجو المهيّب المحيط بالجلسة، حيث ترد أمي قائلة: «نيبال، إنني لست فقط لم أكن أعرف مساحتها، بل إنني لم أكن أعرف أين تقع هذه البلاد»، وبالطبع هذا يروق لأبي؛ حيث يجد فرصة لتعليمنا شيئاً جديداً فيقول لي: اذهب لإحضار الأطلس حتى نستطيع أن نوضح لوالدتك أين تقع نيبال.

وتتكرر هذه التجربة يومياً، ويأتي الدور على كل أفراد الأسرة، لم يمر عشاء بالمنزل أبداً دون أن نتعلم خلاله عدة حقائق، وكأطفال كنا غير مهتمين بتعلم كل هذه الأشياء، لم تكن تأبه بطريقة تنمية معارفنا، كنا لا نستطيع الانتظار حتى انتهاء فترة العشاء حتى نتسكن من الذهاب للعب مع أصدقائنا من ذوي الثقافات البسيطة، وأدركت فيما بعد قيمة ما كان يفعله أبي، كنا كعائلة نكبر سوياً، ونتقاسم الخبرات مع بعضنا البعض

ونشارك في تعليم بعضنا البعض، كان أبي دون أن يدري يمنحنا الشعور بالكرامة وذلك عن طريق استماعه لنا واحترامه لأرائنا، وتقديره لما نتعلمه، كان أبي دون شك أكثر المعلمين تأثيراً فينا، وقد قررت امتحان التدريس في بداية التحاقني بالجامعة، وخلال التدريب الذي كنت ألقاه مع بعض أشهر المعلمين في البلاد، وبعد أن تخرجت وعملت في الميدان، اكتشفت أن أبي كان معلماً ناجحاً.

لقد أفادني أبي في حياتي كلها، والآن عندما أعود للمنزل مجهّداً في أغلب الأحيان بعد يوم عمل شاق، وقبل أن أضع رأسي على الوسادة، أسمع صوت أبي يدوي في رأسي وهو يسألني: ماذا تعلمت اليوم؟ في بعض الأيام، لا يمكنني تذكر ولو شيئاً واحداً تعلمته طوال اليوم كله، حينئذٍ أخرج من سريري مرة أخرى، وأبدأ في النظر ناحية أرفف الكتب بحثاً عن شيء جديد أتعلمه، وبعد أن يتم في هذا، يمكنني حينئذٍ أنا وأبي أن نستغرق في نوم عميق، وكلنا ثقة أن اليوم لم يذهب هباء دون تعلم شيء جديد^(١).

١٥) اترك منزلاً وارحل... كيف تقولها لابنك؟

هناك أبوان قررا أن سلوك ابنتها قد تدهور إلى درجة أصبح معها بقاؤه في المنزل يشكل تهديداً للأسرة؛ وأصر الأب في إحدى الليالي أن يخبر ابنه بهذا القرار، وأن عليه أن يتصرف بالطريقة المناسبة، وإما أن يترك المنزل في اليوم التالي، وأثناء انتظاره عودة ابنه، جلس الأب وقرر أن يتناول ورقة فارغة ويكتب فيها قائمة بالتغييرات المطلوب من الابن القيام بها، كي يبقى في المنزل، وانتهى من كتابة القائمة، وفي هذه الحالة الشعورية المؤلمة، وبينما هو رايق ينتظر ابنه؛ قلب الورقة، وكان ظهرها خالياً من الكتابة، فقرر أن يكتب قائمة بالتعديلات التي سيجريها في سلوكه وسلوك الأسرة إذا وافق الابن على القيام بالتغييرات المطلوبة منه، وانهمرت دموع الأب وهو يكتب القائمة التي اتضح له أنها طويلة، بل وأطول من قائمة ابنه... وبتلك الروح استقبل ابنه بهدوء عند عودته، وأخذوا يتحدثان طويلاً، وبدأ الأب حواراً بالجانب الذي يخصه من الورقة والذي سببه مع

(١) شوربة دجاج حياة: الأباء، (قصص حب وتعلم وأبوة)، ص ١٧٥ - ١٧٩ (بصرف).

أفراد أسرته، وكان اختياره البدء بهذا الجانب هو ما حقق كل الفرق^(١)...

١٦) أبي.. وقلب الشجرة:

في يوم من أيام شهر يونيه من صيف السنة الأولى من المرحلة الثانوية، وقعت في خلاف كبير مع أبي، كان لدى أبي مزرعة حيث يربي الماشية، ولديه بعض الخيول، وفي هذا الصيف قرر أبي أن يوسع المرعى وأن يمد السور المحيط بالحقول، وهذا ما تسبب في المشكلة بيني وبينه.

كنا جالسين تحت شجرة الجميز على حافة المرعى، كان أبي مشغول الفكر وهو يربي قطعة من الخشب بسكين حاد كان معه، وأشار إلى مكان على بعد ثلاثمائة ياردة وقال: «من هنا إلى هناك، سيكون امتداد السور، إن حفر مائة وعشر حفرات بعمق ثلاثة أقدام لن يأخذ وقتًا طويلًا»، قلت بصوت مكتوم: لماذا لا تستأجر من يقوم بذلك؟ فقال والدي: لأن من نؤجرهم لن يتعلموا شيئًا من هذا العمل، ونحن نريد من سورنا أن يعلمنا شيئًا أو شيئين... كان أكثر ما أثار غيظي هو الطريقة التي قال بها «نريد من سورنا...»، فأنا ليس لي علاقة بهذا الموضوع، إن المشروع مشروعه، وما أنا إلا شخص مجبر على العمل وليس ذلك من العدل في شيء.

لقد كنت معجبًا بوالدي، ولكنني في ذلك الوقت كنت سريع الاستشارة حتى في أبسط الأمور، وفي إحدى الأمسيات عندما كنا نتفقد الماشية، كان انتباه أبي مركزًا على شجرة البتولا ذات الأغصان المتساقطة والقائمة على الجزء الشرقي من مزرعتنا، كان جذع الشجرة هو مكاني المفضل حيث أريد أن أحتل بنفسني، أسند إليه ظهري وأمد ساقي إحداهما فوق الأخرى، وبهذا الوضع المريح كنت أنظر إلى السماء وأقرأ أو أنظاها بذلك، فقال أبي: «أنا أتذكر أنك كثيرًا ما كنت تلجأ إلى هذه الشجرة عندما كنت صبيًا، والآن لا تفعل ذلك سوى نادرا»، فسمعتني نفسي أقول له: «يا للعجب، وما شأنك أنت؟»، ثم جريت إلى مخزن الغلال، وجلست وأنا أحاول بكل جهدي ألا أنخرط في البكاء، وبعد

(١) العادات السبع للأسر الأكثر فعالية، ص ٥٢ بتصرف.

قليل جاء أبي وجلس أمامي على مقعد قديم، وقال: «سأحدث معك كطبيب، إنك تشعر بشيء غريب في جسدك، وكأن أعضاءه لا تعمل بنفس الكفاءة السابقة، فهي الآن أيضاً من ذي قبل، أنت أيضاً تشعر بالأحد آخر يشبهك، وتعتقد أنك تعيش في أرض سيئة لا تساوي شيئاً، وتعتقد أنني قاسٍ عليك، وتتعجب لما يتوجب عليك العيش وسط هذه العائلة... لقد فاجأتني كلماته، إذ كيف يعلم بتلك الأفكار التي تهجم علي كل ليلة؟

أضاف أبي: «إن الأمر يتلخص يا بني في أن جسدك يحدث فيه تغيرات، وقد ازدادت كمية الهرمونات الذكرية في دمك، ودعني أخبرك بشيء آخر، حتى الرجل البالغ لا يستطيع أن يتحمل أو يتعامل مع ما تعاناه عندما تكون في الرابعة عشرة من عمرك، وعلى الرغم من ذلك عليك أن تتعلم كيف تتعامل مع هذه التغيرات، إنها هي التي تجعل عضلاتك تكبر وشعرك ينمو في أماكن معينة، بل تعطي صوتك خشونة، إنك ستتحول إلى رجل ناضج ولكنك الآن كل ما تفكر فيه هو أنك تعاني من أنه لا أحد يفهمك».

لقد كان على صواب، ففي الشهور القليلة الماضية زاودني التفكير في أنه لا يعرف أحد عني شيئاً، وكنت أشعر بالحجل وعدم الارتياح والحزن بلا سبب، ولأنني لم أستطع الحديث في هذا الشأن؛ بدأت أشعر بأنني وحيد ومعزول، إنني لم أعد صبيّاً ولكنني أيضاً لم أصبح رجلاً مكتملاً، لا أستطيع حقاً أن أصف حياتي.

بعد برهة، قال أبي: «إن أكثر ما يساعدك على تجاوز هذه المرحلة؛ هو أن تعمل عملاً شاقاً، ولكنني شككت في هذا الكلام، هل هي خدعة من أبي حتى يبقيني طوال الصيف أنجز أعمال المزرعة؟ لا.. ولكن ليست هذه طبيعة أبي، إنه عندما يرغب في قول شيء يقوله بشكل مباشر.

بدأت فصل الصيف بحفر الأماكن التي ستصب فيها أعمدة السور، عملت طوال الصباح وكل يوم، ظللت أحفر بالفأس حتى تقرحت يداي، ولاحظت عند الاستحمام أن كظفي صار أكبر حجماً إلى حد كرهته معه العمل، ولكن الغضب الذي كنت أشعر به تلاشى وتساقت على الأرض مع ضربات الفأس، وبدأت أشعر بالتحسن شيئاً.

خلال هذا الصيف أبديت اهتماماً كبيراً بالقيام بمهام المزرعة اليومية، اهتممت جدّاً

بالمزرعة، وبدأت أشعر بأنني قادر على التلاؤم مع وجودي هناك، بدأ جسدي في النمو، وكذلك شعر لحيتي بدأ في الظهور، وكبر مقياس قدمي درجة كاملة، ربما أصبح هناك أمل، وقرب نهاية هذا الصيف، توجهت للجلوس تحت شجرتي المفضلة، كان ذلك يمثل الزيارة الأخيرة لعالم الطفولة، لم يعد المكان الذي اعتدت الجلوس فيه يتسع لي، وكان علي أن أتسلق فوقها ثانية أقدم لأجد مكاناً مناسباً لحجمي الجديد، وعندما وضعت قدمي على أحد الفروع وضغطت انكسر، فذهبت وأحضرت المنشار وقطعت الشجرة كلها إلى قطع تصلح لنار المدفأة.

في اليوم الذي أنهيت فيه العمل في سور أبي، رأيت جالساً هناك فتوجهت نحوه، كنت أعلم أنه يفكر، وجلست بجواره، وبعد حوار حول حشائش المزرعة قال أبي: «لقد قمت بعمل جيد في إقامة السور الخاص بنا، ويا له من عمل رائع متقن»، فقلت: «شكراً لك يا والدي»، لقد غمرني الإحساس بتقديره، وابتسمت أكبر ابتسامة في حياتي، فقال: «لقد أصبحت رجلاً بالفعل، ولكن هذا لا يعني أن تترك خلفك كل ما كنت تحبه في صباك»، عرفت ساعتها أن هذا الكلام ناتج عن قيامي بقطع شجرتي المفضلة، فنظرت إلى وجهه الذي بدأ أكبر في السن، فوضع يده في جيبه، وسحب قطعة من الخشب في ورقة الكوتشينة، وقال: «لقد صنعت هذا لك»، ثم أعطاني هذه القطعة الخشبية المصنوعة من قلب جذع شجرتي المفضلة، لقد قام بتشكيلها على شكل قلب، ورسم على سطحها الشجرة الذي جاءت منها، وحفر في الناحية الأخرى كلمة «شجرتنا»، ولأول مرة أشعر بالسعادة الحقيقية لهذا التعبير^(١).

(١٧) عشاء أستاذي المفضل:

أحد الأشياء التي تمتعت بها فعلاً في بيتنا، كان عشاء (أستاذي المفضل)، فأبي وأمي كانا مهتمين للغاية بتعليمنا، وكانا يعرفان كل المدرسين الذين يدرسون لنا، وكان والدي

(١) سورة دحاج لحياة المرامتين ٢ (١٠١) قصة إضافية عن الحياة والحب والمعرفة، ص ١٨٥ - ١٩٠ (بصرف).

يريد أن يشعر المدرسين كيف أننا نقدرهم، لذلك ففي كل عام كانت أمي تسأل كل واحد منا: من هو مدرسك المفضل هذا العام؟ وتقوم بإعداد قائمة طعام شهية، ويرسل أبي دعوة رسمية لهم لتناول العشاء في منزلنا، وكانت أمي تستخدم أفضل أطقمها الصينية، وكانت تجعل هذه الدعوة متميزة فعلا، وكان كل منا يجلس بجانب معلمه، وتتناول العشاء معاً، وصار الأمر طريقتاً بعد ذلك، لأن المدرسين في مدارسنا علموا بهذا العشاء، وصاروا أملي كل منهم أن يكون هو المدرس المفضل.

وأذكر أنه في أحد الأعوام دعونا مدرسة اللغة الإنجليزية، وكنت أبلغ من العمر ٢١ عاماً، ولقد احتفينا بها كثيراً، حيث إنها كانت مدرسة للعديد منّا، وقام كل منا بقول ما فعلته معه، وعندما جاء دوري قلت: إنني تخصصت في الإنجليزية بسببك لقد أثرت علي، وبسبب أفعالك معي وحبي لك، ولقد تأثر المدرسون الذين تم دعوتهم لهذا الاحتفال؛ لأنهم عادة لا يلقون مثل هذا النوع من التقدير^(١).

١٨) كيف تتحدث مع طفلك بعد أن تموت؟

كنا زوجين ناجحين جداً في الحياة العملية، ورزقنا الله بابنة جميلة، كان العمل يسير على ما يرام والنجاح حليفنا، وفجأة أصيبت زوجتي بمرض السرطان، هذا التحول المفاجئ في سير الأحداث جعلنا نفكر ملياً في إعادة تقييم أولوياتنا، في بداية الأمر كان كل شيء كسابق عهده، وظلت زوجتي تحافظ على عملها مع تلقي العلاج، ولكن بعد مرور عامين أصيبت زوجتي بعدوى خطيرة، وأخبرني الطبيب أنها قد تموت قريباً، ربي خلال أربع وعشرين ساعة، وتم حجزها في غرفة بالمستشفى وظللنا بجوارها، كنت أجهز نفسي لوفاتها في أية لحظة، ما كان يقلقني هو ابنتي التي ستصبح بلا أم، ماذا إن سأنتني فيما بعد عن لون أمها المفضل؟ عن طعامها المفضل؟ أسئلة كثيرة قد تطرحها عن أمها. ولم أجد إجابة لمعظمها، وأصيبت بالهلع وأنا أفكر: يا إلهي، إن لم أعرف الإجابة فمن غيري يعرفها إذن؟

(١) العادات السبع للأسر الأكثر فمالية، ص ٣٢٦، ٣٢٧ بتصرف.

وبدأت أُلجأ إلى الله، وبدأت حالة زوجتي تتحسن، إن التجربة التي مرت بها زوجتي في غرفتها بالمستشفى قد غيرتها لتصبح شخصًا ينصب كل تركيزه واهتمامه على الحب، وكانت تريد أن تزرع هذا المبدأ في قلب ابنتنا قبل أن تموت بسبب السرطان، لذلك فقد تركت عملها وجعلت أمومتها شغلها الشاغل، كان لدينا الكثير لنناقشه حول مستقبل ابنتنا، وتساءلنا: ما الذي يمكن أن نقدمه لها كي نساعدنا لتكون أفضل ما يمكن؟ حينها أدركنا أننا نريد تنمية صفاتها الشخصية وثقتها بنفسها... وغيرها، وهنا أدركنا أننا لم نفعل معها شيئًا من هذا بعد، وهكذا وضعنا خطة لكي نترك لابنتي ميراثًا من حب أمها، وقمنا بالأمر على أنه مشروع الهدف منه جمع أكبر قدر ممكن من الرسائل التي ستمنحها غذاء من الحب طيلة حياتها، كانت زوجتي تريد أن تضمّن إلى أن ابنتنا ستظل تحظى برعاية وحب وإرشاد أمها وأبيها طيلة مراحل نموها، حتى لو لم تكن أمها موجودة معها بجسدها.

وهكذا بدأت زوجتي بتصوير نفسها على أشرطة فيديو، كل شريط يختص بموضوع معين موجه إلى ابنتها في مرحلة ما من مراحل عمرها، أو في وقت من أوقات حياتها، وأحيانًا كان هذا الأمر يمثل صعوبة شديدة، فينتابها البكاء قبل أن تنطق بكلمة واحدة، ولكنها كانت تفكر سريعًا في الحب الذي تكنه لابنتها، وكيف ستساعدنا هذه الأشرطة في المستقبل، فتتملكها الشجاعة لتبدأ التسجيل، في أحد الأشرطة حدثت ابنتها عن الزواج، وآخر عن أمس الطبخ، وكان آخر حديثها عن تقنيات التزيين، وهكذا غظت معها العديد من الموضوعات التي قد تحتاج فيها أي فتاة صغيرة إلى نصيحة أمها وحكمتها، وكما أنني قمت أيضًا بتصوير أشرطة من أجلها، لأعطيها وجهة نظر الأب في كثير من الموضوعات.

ويرفق بدأنا نتحدث مع ابنتنا عن الموت والفناء، ونربها أشياء عملية تموت، وهي تسأل ونحن نحب، مضى على ذلك أربع سنوات منذ أن تم تشخيص مرض زوجتي، وبدأت حالتها الصحية في الانحدار، وذات صباح رحلت زوجتي عن الحياة، تاركة لابنتها ميراثًا من الحب^(١).

(١) شورية دجاج لحياة الآباء، قصص حب وتعلم وأبوة، ص ٢٤٨ - ٢٥٣ (بصرف).

١٩) كيف تعارب عدوك بالحب؟

انتظم أشقائي الصغار في نادي الرواد، وهو نادٍ تعليمي وبرنامج أسبوعي للصغار ضمن أنشطة مدينتنا، كان أحد إخوتي في التاسعة والثاني في السابعة، أما أنا ووالدي فكنا معلمين في نفس البرنامج، وخلال إحدى فترات البرنامج اشتكى شقيقي من أحد الفتيات حيث كان يضايقه.

كان ولدًا مكفولًا (سيًا) ويربيه آخرون) في الحادية عشرة من عمره، وكان في الفصل الذي يقوم أبي بتعليمه، وكان من نوع الصبية الذين يعانون دومًا من المشاكل، والأسوأ أنه لم يكن يدرك أن تصرفاته هي ذاتها المشكلة، وبدلًا من ذلك اعتقد أن أبي (معلمه) هو الذي يضايقه، وبناء على ذلك كان يسعى لمضايقة إخوتي لينتقم من أبي، كان يختطف قبعاتهم، أو يسبهم، أو يضربهم ويجري بعيدًا، وهكذا، حتى أنا شخصيًا تلت نصيبي منه مثلهم، كنا جميعًا نرى أنه صدادع.

عندما سمعت أمي بالمشكلة؛ ذهبت إلى سوق المدينة وعادت بلقافة من الحلوى، وأعطتها لشقيقي قائلة: هذه للفتي الذي يضايقتكم... لمن؟ تعجبنا جدًّا من كلامها، فشرحت لها كيف يمكن قهر العدو بالشفقة عليه.

كان من الصعب جدًّا لأي منا أن يتفهم أو يتخيل أن يكون مشفقًا على هذا الفتى فقد كان مزعجا، ولكن في الأسبوع التالي ذهب شقيقي إلى نادي الرواد ومعها كيسان من الحلوى، واحد لها وواحد لعدوهما، وبينما كنت متوجهًا إلى فصلي، أخبرني شقيقي عن رد فعل الفتى المزعج قائلا: بدا مندهشًا لما أعطينا الحلوى له، ثم قال شكرًا وأكلها.

في الأسبوع التالي عندما وجد أنني الفتى يجري نحوه، أمسك بقبعته متوقعًا أن يخطفها منه وتأهب لصده هجومه المعتاد، لكنه بدلًا من ذلك توقف أمام أخي وقال: هل لديك حلوى أخرى؟ نعم، ثم وضع يده في جيبه وأعطاه قطعة حلوى، وعلى مدار الأسابيع التالية، كان الفتى دائمًا يسأل عن الحلوى، وفي كثير من الأحيان كان أنني يحضر معه الحلوى، واحدة له وواحدة لعدوه.

وفي الوقت هزمت أنا أيضًا عدوي بطريقة أخرى، خلال مروري بالقاعات صادقت الفتى المؤذي، ورأيت على وجهه علامات الاستهزاء، وقبل أن يفتح فمه ليطلق السخرية كعادته، بادرت بالتحية: مرحبًا بك كيف حالك؟ وابتسمت له ابتسامة كبيرة قبل أن يأخذ أي فرصة للحديث، وتحت تأثير المفاجأة؛ أطبق فمه، وأكملت سيرتي، ومنذ هذه اللحظة كنت كلما رأته أبادره بالتحية قبل أن تواتبه الفرصة ليقول أي شيء. معيب، بل كان يرد التحية بمثلها.

بعد فترة لم يعد الفتى يضايق إخوتي، ولم يعد غليظًا معي، بل إن والذي شعر بمدى التغيير الذي حدث للفتى، لقد أصبح أكثر أدبًا وأفضل بكثير من العام الماضي، وفي اعتقادي أنه تغير لما وجد شخصًا يعطيه الفرصة لذلك، لم يكن الفتى وحده الذي تغير، بل تعلم أفراد عائلتي معنى أن تحب عدوًا، والشيء الغريب في هذه التجربة أننا كسبنا هذا العدو الذي تمت هزيمته بالحب الذي لا يمكن أن يفشل أبدًا^(١).

٢٠) هدية خاصة للمراهقات:

عندما عمادت ابنتي - التي دخلت في سن المراهقة حديثًا - من مدرستها، أهديتها في ذلك اليوم ثلاثة أشياء: كيس بالونات، ومجموعة سهام خاصة بالقذف على الجدران والتصويب، ولعبة تسمى لايف أو الحياة وهي تشبه بنك الحظ، وبينما كانت تفتحها شرحت لها مقصدي من هذه الهدايا قائلا:

البالونات تشبه ما يعترى حياتك من اضطرابات، فكلما اضطرت انقضي وأحدة وفرقتها ربيًا تراخين، والسهام لتقذفها وتصوي بها على صورتي كلما أغضبتك؛ فذلك سيكون أقل إيلامًا من قذفها إلى قلبي بسوء معاملتك لي، أما اللعبة فلتعلمك أن الحياة ليست لعبة^(٢).

(١) شورية دجاج خيالة المراهقين ٢ (١٠١) قصة إسرائيلية عن الحياة والحب والمعرفة، ص ١١١ - ١١٢ (بتصرف).

(٢) شورية دجاج حياة الأياء (قصص حب وتعلم وأبوة)، ص ٢٦٠ (بتصرف).

٢١) اللقاء الأسري:

قدم أحد الباحثين رسالة دكتوراه وكان موضوعها «تأثير عقد لقاءات أسرية على نظرة الطفل لنفسه»، ورغم أن الدراسة أظهرت مدى التأثير الإيجابي لهذه اللقاءات على الأبناء، فقد أظهرت نتيجة أخرى لم تكن متوقعة، وهي: التأثير الإيجابي هذه اللقاءات على الآباء أيضًا

وهناك امرأة سويدية شاركتنا هذه القصة:

حينما كنت بين الخامسة والسادسة من عمري، تحدثت والدي والديني إلى أحد الخبراء نيههم على أهمية عقد لقاءات أسرية على أساس دوري، وهكذا بدأ في تطبيق الأمر في منزلنا...

وأتذكر أول مرة جالس فيها والدي معنا، كي يشاركنا مبادئ الحياة، كان لذلك تأثيره الجلي علي، فقد كانت أول مرة في حياتي أرى والدي في رداء المعلم والموجه، وتأثرت كثيرًا، فلقد كان والدي رجل أعمال مشغولًا دائمًا بعمله وناجحًا فيه، ولم يكن لديه متسع من الوقت يقضيه معنا، أتذكر كيف أنني شعرت بالتميز والأهمية، لأن والدي قرر ترك عمله ليجلس معنا، ليكسبنا مهارات الحياة ويسمع آلامنا وآمالنا...

كما أنني أتذكر إحدى الأمسيات عندما دعا والدي جراحًا مشهورًا لبيتنا، كي يشاركنا «وقتنا الأسري»، وطلب منه أن يطلعنا على تجاربه الطيبة، وكيف أنه ساهم في علاج كثير من الناس في كل أرجاء العالم، وأخبرنا الجراح كيف أن قرارات معينة اتخذها في حياته جعلته يصل إلى أهدافه، بل وجعلته يصل أبعد مما كان يحلم، ولم أَسْ كنهاته لنا ونصيحته لنا بمواجهة صعوبات الحياة بشيئين هما: الابتسامة والدعاء...

أما اليوم، فأنا لذي خمسة أبناء، وتقريبًا كل شهر نقوم بدعوة أحد «الضيوف» إلى منزلنا، كي نتعرف عليه وشاركنا تجربته، ونتعلم منه، إنني أعلم أن ما أفعله هو نتيجة مباشرة لما رأيت والديّ يفعلانه في المنزل وأنا صغيرة، ففي أعمالنا ومدارسنا نتبع لنا

الكثير من الفرص لتتعرف على أناس من بلدان أخرى، شخصيات مؤثرة وفاعلة والجلوس معها كله فوائد ومنافع، وقد أثرت زيارة هؤلاء الأشخاص في حياتنا، ونتج عنها تكوين صداقات وطيدة لنا في بلدان كثيرة^(١)...

وبالإضافة للأفكار السابقة، فإنك ستجد في ثنايا الفصلين الأول والثاني من هذا الكتاب الكثير من الأفكار المبدعة الواقعية الجميلة، يحكيها الأولاد البنات كذكريات جميلة فعلها معها أبوهم أو أمهم ولم ينسوها، أو يحكيها الآباء والأمهات كتجارب نفذوها مع أبنائهم وبناتهم ولاققت استحسانًا كبيرًا.

(١) العادات السبع للأسر الأكثر فعالية، ص ١٦٦ - ١٦٩ (بصرف).

القاعدة الرابعة:

حياتك أجمل..

بالسنن التربوية

ما تكرر.. تقرر:

أعمال ثابتة متكررة + حب ومودة = ذكرى لا تنسى ودعاء لا يتوقف.
 السنن النبوية التربوية هي أعمال ثابتة متكررة، تمارسها مع أبنائنا بحب ومودة،
 وبمرور الزمن تصبح أجمل ذكرياتهم.
 سئل النبي ﷺ: أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال: «أدومها وإن قل». وقال: «اكتفوا من
 الأعمال ما تطيقون»^(١).

القبلة رحمة وتجلب الرحمة:

روى البخاري عن أبي هريرة ؓ قال: قَبِلَ رسول الله ﷺ الحسن بن علي وعنده
 الأقرع بن حابس التميمي جالسًا، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدًا
 (وفي رواية أحمد: ما قبلت أحدًا منهم قط)، فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: «من لا
 يرحم؛ لا يرحم»^(٢).

إن القبلة من الوالد لولده ومن الجد لحفيده؛ هي علامة رحمة ورمز محبة، من فعلها
 كان أهلاً لتزول رحمة الله عليه، وعندما استغرب الأقرع بن حابس من النبي ﷺ أن قَبِلَ
 الحسن بن علي رضي الله عنهما، وذكر أنه لم يقبل واحدًا من أولاده العشرة، فرد النبي ﷺ
 عليه بأبلغ رد وأحسنه، وبين له أن تقبيل الولد إنما يكون للشفقة والرحمة^(٣)، ومن كانت

(١) الراوي: عائشة، المحدث: البخاري - المصدر: صحيح البخاري - الصفحة أو الرقم: ٦٤٦٥.

(٢) صحيح البخاري ج ٥، ٥٩٩٧، ومسنده أحمد ١٣ / ١١.

(٣) فتح الباري (١٠/٤٣٠)، بصرف.

الرحمة من قلبه متزوجة كانت قبلات الرحمة منه معدومة، جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: تقبلون الصبيان؟ فما تقبلهم، فقال النبي ﷺ: «أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة؟»^(١)، فعدم تقبيل الأبناء هي من علامات نزع الرحمة من قلب الإنسان، ومن قلت الرحمة في قلبه قل تعرضه لرحمة ربه، ومن حرم ولده من رحمة حرمه الله تعالى من رحمته.

إن الرحمة في اللغة تعني: الرِّقَّة والتَّعَطُّف، وتعني: المغفرة، وعلى هذا فالرحمة كأنها مقسومة قسمين، القسم الأول: يفعله الأب مع أبنائه وهو الرقة والعطف بالقبلة واللمسة والنظرة الخائبة، وهذا لينال القسم الثاني من الرحمة وهو مغفرة الله تعالى، فإذا أردت أن تعرف كم أنت مستعد لتنزول رحمت الله عليك؛ فانظر مقدار عطفك وحنانك على أبنائك وبناتك، وإذا وجدت قلبك مليء بالرحمة على الصغار والشفقة على الضعفاء، فستنال قمة الرحمة الإلهية وتكون من أهل الجنة العالية، قال رسول الله ﷺ: «أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط متصدق موفق. ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم، وعفيف متعفف ذو عيال»^(٢).

ولأن النبي ﷺ رحمة للعالمين، فحياته مع أبنائه وأحفاده - بل والمسلمين عامة والناس كافة - مليئة بلمسات الرحمة الخائبة، روى الترمذي عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: ما رأيت أحداً أشبه سمنا ودلاً^(٣) وهدياً برسول الله ﷺ في قيامها وقعودها من فاطمة بنت رسول الله ﷺ، قالت: وكانت إذا دخلت على النبي ﷺ قام إليها فقبلها (قبل جبهتها أو رأسها) وأجلسها في مجلسه، وكان النبي ﷺ وسلم إذا دخل عليها قامت من مجلسها، فقبلته، وأجلسته في مجلسها^(٤)، ما أروع هذا الاستقبال النبوي الكريم، إنه ﷺ يقوم مستقبلاً ابنته كلها دخلت عليه، معها كان منشغلاً ومهما كان جالساً مع آخرين، فحق ابنته ﷺ من الرحمة لا يحضم أبداً.

ولم تكن القبلة الخائبة من نصيب السيدة فاطمة وحدها، بل شملتها مع زوجها

(١) صحيح البخاري ح ر ٥٩٩٨.

(٢) صحيح مسلم ح ر ٣٨٦٥.

(٣) ودلاً بفتح الهمزة والتشديد أي سيرة وحالة وهيئة، فتح الباري ٧ / ١٠٣.

(٤) سنن الترمذي ح ر ٣٨٧٢، وصححه الألباني في صحيح الترمذي ح ر ٣٨٧٢.

وابنيها عليهم رضوان الله؛ فمن أم سلمة رضي الله عنها قالت: بيننا رسول الله ﷺ في بيتي يوماً، إذ قال الخادم: إن علياً وفاطمة بالسرة، فقال لي ﷺ: قومي فتنحي لي عن أهل بيتي، فقصت فتنحيت في البيت قريباً، فدخل علي وفاطمة ومعها الحسن والحسين، وهما صبيان صغيران، فأخذ ﷺ الصبيين فوضعهما في حجره فقبلهما، واعتنق علياً بإحدى يديه وفاطمة باليد الأخرى، فقبل فاطمة، وقبل علياً، فأعذق عليهم خمصة سوداء، فقال: اللهم إليك لا إلى النار أنا وأهل بيتي، فقلت: وأنا يا رسول الله؟ قال ﷺ: وأنت؟^(١)

وانطلاقاً من هذه المواقف النبوية الرائعة؛ قال الإمام النووي في الأذكار (ص ٢٩٤): أما تقبيل الرجل خد ولده الصغير، وأخيه، وقبلة غير خده وأطرافه ونحوها على وجه الشفقة والرحمة والتلطف ومحبة القرابة فسنة، والأحاديث فيه كثيرة صحيحة مشهورة، وسواء الولد الذكر والأنثى، وكذلك قبلته ولد صديقه وغيره من صغار الأطفال، على هذا الوجه، وأما التقبيل بالشهوة فحرام بالاتفاق؛ وسواء في ذلك الوالد وغيره، بل النظر إليه بالشهوة حرام بالاتفاق على القريب والأجنبي.

ولأن أبناءنا يحتاجون إلى تلك القبلات الخائبة الرحيمة كثيراً، فقد كان ها في حياة النبي ﷺ مناسبات وأنواع متعددة منها:

(١) قبلة المحبة الدائمة:

كان النبي ﷺ يقبل ابنته فاطمة كلما دخلت عليه، فهذه قبلة المحبة الدائمة، تتجدد مع كل لقاء، ولا تدع للشيطان فرصة ليتزغ بين نفوس المحبين، ولقد انطلق عبدالله بن عمر ينفذ تلك الفكرة المبدعة مع ابنته سالم^(٢)، فكان عبدالله بن عمر حينما يلقي به سالمًا يقبله، وكان عبدالله بن عمر يلام في حب سالم، فكان يقول:

يلوموني في سالم وألومهم وجلدة بين العين والأنف سالم

(١) مستد الإمام أحمد ٦ / ٢٩٦.

(٢) سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب؛ قال عنه الإمام مالك: لم يكن في زمان سالم أشبه بمن مضى من الصالحين، في الزهد، والقضاء، والتصدد في العيش.

وأبنا قصد بقوله «جلدة بين العين والأنف سالم»: قربه منه ومحلّه عنده، ولقد دارت السنون وكبرت سن سالم، فكان أبوه يقبّله ويقول: شيخ يقبل شيخاً^(١).

٢) قبلة الحنان والشفقة:

عندما يمرض الأبناء يحتاجون إلى دعوات الآباء وقبلاهم، وهذا ما فهمه الصحابي الجليل أبو بكر الصديق رضي الله عنه وطبقه أجل تطبيق؛ فقد روى أبو داود عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: دخلت مع أبي بكر أول ما قدم المدينة، فإذا عائشة ابنته مضجعة قد أصابها حمى، فأتاها أبو بكر فقال لها: كيف أنت يا بنية، وقبل خدوها^(٢)، قبل خدوها أمام البراء راوي القصة ولم يكن محرّجاً من أحد، لأن الجميع في عهد النبوة تعلموا معنى الرحمة على النبيين والبنات الصغار والكبار.

٣) قبلة الإعجاب والشكر:

وعندما يحسن الأبناء و يفعلون الخير يمكن أن نكافئهم بضمّة ودودة وقبلة حانية، وقدوتنا في ذلك خامس الخلفاء الراشدين عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى؛ لما وفي عمر بن عبد العزيز الخلافة، خطب في الناس خطبة جامعة، ثم نزل من على المنبر فدخل بيته ليستريح وقت الظهيرة، فأتاه ابنه عبد الملك فقال: يا أمير المؤمنين ماذا تريد أن تصنع؟ قال: يا بني، أقبل، قال ابنه: تقبل ولا ترد المظالم إلى أهلها، فقال عمر: إن سهرت البارحة في أمر سنيان (في تجهيزه و دفنه) فإذا صليت الظهر رددت المظالم، فقال له ابنه: ومن لك أن تعيش إلى الظهر، قال عمر: ادن مني أي بني، فدنا منه، فقبل عمر بين عينيه (جبين ابنه) وقال: الحمد لله الذي أخرج من صلبني من يعينني على ديني، ثم قام وخرج وترك القيلولة، وأمر مناديه فنأدى ألا من كانت له مظلمة فنرفعها، وجلس يقضي في المظالم

(١) انظر: النواحي بالوفيات (١٥ / ٥٣)، وسير أعلام النبلاء (٤ / ٦٠)، وصفة الصغوة (٢ / ٩٠)، ولسان العرب (٥ / ٣٤٣).

(٢) سنن أبي داود ٣٥٦، و سنن البيهقي الكبرى ٧ / ١٠١، و انعمكم الكبير للطبراني ٢٣ / ١٨٣ والحديث صححه الألباني في صحيح أبي داود ر ٥٢٢٢.

وتتابع الناس في رفع المظالم إليه، فإِ رُفعت إليه مظلمة إِلا ردها، وظل مستيقظاً ولم يبنم حقاً من الموت^(١) ولقد روي أَن خالد بن الوليد استشار أخته، فأشارت عليه، قَبْلِها^(٢)

٤) قبلة الشوق:

روى البخاري في صحيحه (ح ر ٢١٢٢) عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: خرج النبي ﷺ في طائفة النهار (قطعة منه)، لا يكلمني ولا أكلمه، حتى أتى سوق بني قينقاع، (ثم ذهب) فجلس بفناء بيت فاطمة، فقال: أُمِّم لكَع، أُمِّم لكَع^(٣)، فحيسته (أمه فاطمة) شيئاً (من الوقت)، فظننت أنها تلبسه سخاباً أو تغسله^(٤)، فجاء يشتد (جاء الحسن) يجري شوقاً لجده حتى عانقه ﷺ وقبلة، وقال: اللهم أحبه وأحب من يحبه.

وفي رواية مسلم (ح ر ٢٤٢١) عن أبي هريرة قال: خرجت مع رسول الله ﷺ في طائفة من النهار لا يكلمني ولا أكلمه، حتى جاء سوق بني قينقاع، ثم انصرف حتى أتى نبيه فاطمة، فقال: أُمِّم لكَع أُمِّم لكَع، يعني حسناً، فظننت أنها إنما تحبسه أمه لأن تغسله وتلبسه سخاباً، فلم يلبث أن جاء يسمعي حتى اعتنق كل واحد منها صاحبه، فقال رسول الله ﷺ: اللهم إني أحبه فأحبه وأحبه من يحبه.

قال الإمام النووي معلقاً على هذا الحديث: فيه استحباب ملاطفة الصبي ومداعبته

(١) البداية والنهاية ٩ / ٢١٢، ٢١٣، بتصرف، المنتظم ج: ٧ ص: ٥٨٠، ٥٩٠.

(٢) القبل والمعانقة والمصافحة، ص ٥٠ (بتصرف).

(٣) يقصد أين أحسن يتأدي عليه، قال الخطابي الكعع على معنيين أحدهما الصغير والآخر التميم، والمراد هنا الأول والمراد بالثاني ما ورد في حديث أبي هريرة أيضاً يكون أسعد الناس بالعنيا لكع بن لكع، وقال ابن اسنن زاد ابن فارس أن العبد يُقَالُ يقال له لكع انتهى ولعل من أطلقه على العبد أراد أحد الأمرين المذكورين، وقال بلال ابن جبريل التميمي: والكعع في لغتنا الصغير وأصله في المنسر ونحوه وعن الأصمعي الكعع الذي لا يتأدي لمنطق ولا غيره مأخوذ من الملاكيع وهي التي تخرج من السلاقال الأزهرى، وهذا القول أرجح الأقوال هنا لأنه أراد أن الحسن صغير لا يتأدي لمنطق، فتح الباري ٤ / ٣٤١، ٣٤٢.

(٤) السخاب بكسر السين المهملة وبإطاء المعجمة كم سخب وهو فلاة من القرانقل والمسك والعود وحوها من اخلاط الطيب يعمل على هيئة السحبة ويجعل فلاة للصبيان والجراري وقيل هو سخب فيه شرز سمي سخاباً لصوت خرزه ثم حركته من السخب بفتح السين والهاء يقال المصخب بالصاد وهو اختلاط الأصوات، وفي هذا الحديث جواز القلائد والسخب ونحوها من الزينة واستحباب تنظيفهم لا سيما ثم لغاتهم أهل الفضل واستحباب النظافة مطلقاً فتح الباري ٤ / ٣٤٢.

وتقبيته رحمة له ولطفاً واستحباب التواضع مع الأطفال وغيرهم^(١).

٥) قبلة الاعتذار والترضية:

في حادثة الإفك، تحكي السيدة عائشة أنه لما نزل عذرها (إنصافها وبراءتها من عند الله تعالى) قبل أبو بكر رأسها (وفي رواية: قام إليها أبو بكر وقبل رأسها) فقالت: «ألا عذرتني؟»^(٢) فقال: أي ساء تظنني وأي أرض تقنني إن قلت ما لا أعلم^(٣)، لقد قام أبو بكر يعتذر لابنته لأنه لم يدافع عنها رغم ثقته فيها وفي دينها وخلقها الطيب.

٦) قبلة لقاء المسافرين:

ومن الأوقات التي يحتاج فيها الأبناء إلى قبلات الآباء عند قدومهم من السفر، وخير دليل على ذلك ما رواه البيهقي وأبو داود والطبراني (واللفظ له) عن الشعبي قال: لما أتى رسول الله ﷺ حين فتح خيبر، قيل له: قد قدم جعفر من ثم (عند) النجاشي، فقال النبي ﷺ: «لا أدري بأيها أنا أشد فرحاً بقدوم جعفر أو فتح خيبر، فقبل ما بين عينيه» وفي رواية أبي داود: «أن النبي ﷺ تلقى جعفر بن أبي طالب فالتزمه (فضمه) وقبل ما بين عينيه»^(٤)...

٧) قبلة الوداع الأخيرة:

هذه أصعب أنواع القبلات، إنه قبلة المحب لحبيبه بعد وفاته، عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: «رأيت رسول الله ﷺ قبل (عثمان) ابن مظعون (وهو ميت) بين عينيه، حتى رأيت الدموع تجري على خده»^(٥)، وعن جابر بن عبد الله قال: «لما قتل أبي يوم أحد، أتته

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ١٥ / ١٩٣.

(٢) عذرتني يعني أئذنتني من كلام الناس ونصرتني عليهم ورددت قولهم الزور.

(٣) فتح الباري ٨ / ٤٧٧، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٢٤٣) وقال: رجاله رجال الصحيح.

(٤) المعجم الكبير للطبراني ٢ / ١٠٨، وسنن البيهقي الكبير ٧ / ١٠١، وسنن أبي داود ٣٥٦.

(٥) أخرجه أبو داود والترمذي، والحاكم، وقال الشيخ الأرنؤوط: الحديث حسن بشاهده عند الزوار (٨٠٦) من حديث معاذ بن ربيعة، وقال الألباني في أحكام الجنائز (ح ٣٢) له شاهد حسن ثم تبين أن فيه ضعيفين.

وهو مسجى (مغضى بشوب) فجعلت أكشف عن وجه أقبلة، والنبي ﷺ رأي ولم ينهني^(١)، وروي الإمام أحمد أن أبا بكر ﷺ كشف عن وجه النبي ﷺ وهو ميت برد حبرة كان مسجى عليه، فنظر إلى وجه النبي ﷺ، ثم أكب عليه فقبله^(٢)، وروي البخاري أن أبا بكر ﷺ أقبل على فرس من مسكته بالنسج، حتى نزل فدخل المسجد، فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة، فتبسم رسول الله ﷺ وهو مغشى بتوب حبرة، فكشف عن وجهه ثم أكب عليه فقبله ويكسى، ثم قال: بأبي أنت وأمي، والله لا يجمع الله عليك موتين، أما الموتة التي كتبت عليك فقد منها^(٣).

أيها الوالد الكريم، أينها الأم الحنون، العجيب في قبلة الرحمة بأنواعها

المختلفة؛ أن الله تعالى قد أمرنا بالعدل بين أبنائنا وأحفادنا في توزيعها، قال ﷺ: «إن الله تعالى يحب أن تعدلوا بين أولادكم، حتى في القبل»^(٤)، وخير مثال على العدل في لقبل، ما رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ومعه الحسن والحسين عليهما السلام، هذا على عاتقه وهذا على عاتقه، يلثم (يقبل) هذا مرة وهذا مرة، حتى انتهى (وصل) إلينا، فقال رجل: يا رسول الله إنك لتحبهما قال ﷺ: «من أحبهما فقد أحبني، ومن أبغضهما فقد أبغضني»^(٥)، ومن هذا المنطلق كان الصحابة - رضي الله عنهم - وأهل العلم يستحبون أن يعدل الرجل بين ولده حتى في القبل^(٦).

والآن هيا نجر قبلة الرحمة مع أبنائك، وتعلم كيف تطلق طاقة القبلة الرحيمة

من داخل قلوبنا، ركز أولا على قلبك، ستجد أنه مليء برحمة أبنائك وحبيهم، اذهب إلى عقلك وفكر في أنك ستطبق سنة، واستشعر أنك في اللحظة التي سترحم فيها طفلك

(١) إسناده ضعيف، ولكن صحيح الحديث بلفظ: " لما فتح أبي يوم أحد، جعلت أكشف عن وجهه، وأبكي، وجعل أصحاب رسول الله ينهوني، وهو لا ينهاني، وجعلت عمتي تبكيه، فقال النبي: تبكيه أو لا تبكيه، ما زالت الملائكة تظلمه بأبنتها حتى رفت" رواه البخاري ومسلم.

(٢) سند أحمد (٥ / ١٥٧) وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(٣) صحيح البخاري (ج ٢ / ٤٤٥٢).

(٤) ضعيف الجامع للألباني، ج ٢ / ١٧١٢.

(٥) استشارك على النصحيحين للحاكم (٣ / ١٨٢) وقال: صحيح الإسناد، ورواه أحمد (٢ / ٤٤٠)، والميتي في جميع الزوائد (٩ / ١٨٢) وقال: رجاله ثقات وفي بعضهم خلاف.

(٦) سنن الترمذي (٣ / ٦٤٩) ومصنف ابن أبي شيبة (٦ / ٢٣٤)، والتصهيد لابن عبد البر (٧ / ٢٣٠).

بقبلة حانية، مستنزل عليك رحمة الله سبحانه، انطلق الآن وجرب، وستجد هذه القبلة
 طعم آخر، ستسعدك كما ستسعد من تحب، جرب أن تتوجه نحو أكبرهم سنًا، وتباغته
 بقبلة مفاجئة على رأسه، وانصرف دون أن تتكلم، وسرى النتيجة بنفسك.

سؤال للبنين والبنات

ماذا تشعر عندما يقبلك أبوك أو أمك في (خدك، على جبينك، على رأسك)؟.

اسأله لأبنائك وبناتك وستكتشف أحد أسرار قبلة الرحمة

واسأل نفسك وزوجك: ما الذي تشعر به عندما تقبل أبنائك؟

هل دخولك إلى البيت مصدر سعادة لأبنائك

أيها الأب الكريم، لحظة دخولك للبيت هي لحظة تفتح فيها قلوب أبنائك، فتراهم يسرعون نحوك، يتعلقون بملابسك، هذا يريد أن تحمله، وهذا يريد أن تكلمه، وهذه تريد أن تشكو لك، الجميع ينتظرك ومشتاق لرؤياك، وهذه لحظة مثالية لوضع بصمات المحبة في قلوبهم المشتاقة، ولتحذر من أن تكسر قلب أحدهم قائلاً: أنا نعبان، ابعدوا عني، لا أريد صوتاً... تخيل معي صورة طفل يجري نحو أبيه مسرعاً، وهو يتخيل أن هذا القادم المحب يباده شوقاً بشوق، وما يكاد يصل عند أبيه متوقفاً قبلة حانية وحصناً كبيراً، يتفاجأ بمن يبده عنه قائلاً: لا تلمسني أنا متعب، وقد يزيمه أبوه قائلاً: ابتعد عني، هنا يتعد الوند كسيراً حزيناً، ولأنه طفل محب لا ييأس، بل يجري على أبيه في اليوم التالي بنفس الشوق، لكن أباه يصده ويبعده، ولقد جلست يوماً أحسب كم مرة قد يكسر فيها الأب قلب أحد أبنائه عند عودته من الخارج، فقلت: الطفل يجري على أبيه من سن ستين وحتى ٨ سنوات تقريباً، وخلال هذه السنوات الست لو أزاح الأب ابنه وكسر قلبه لحظة دخوله للبيت مرة في اليوم، يصبح عندنا في العام ٣٦٠ إزاحة، وفي ست سنوات حوالي ٢٠٠٠ مرة، ماذا تتوقع من طفل إزاحة أبوه ٢٠٠٠ مرة أبعده من أمامه وكسر قلبه ٢٠٠٠ مرة؟ من المؤكد أنه سيصل إلى مرحلة المراهقة ليزيح أباه من حياته، فلا يسمع كلامه ولا يطع أوامره ولا يلبى طلباته، هذا إذا لم يستدرك الأب ما فات ويعوض ابنه عن نسات الحب الضائعة.

كيف ندخل بيتك بسلام؟

روى أبو داود عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ثلاثة كلهم ضامن على الله عز وجل؛ رجل خرج غازياً في سبيل الله فهو ضامن على الله حتى يتوفاه فيدخله الجنة أو يردّه بما نال من أجر وغنيمة، ورجل راح إلى المسجد فهو ضامن على الله حتى يتوفاه فيدخله الجنة أو يردّه بما نال من أجر وغنيمة، ورجل دخل بيته بسلام فهو ضامن على الله عز وجل»^(١).

وفي رواية ابن حبان وغيره: «ثلاثة كلهم ضامن على الله، إن عاش رزق وكفي وإن مات أدخله الله الجنة، من دخل بيته فسلم فهو ضامن على الله، ومن خرج إلى المسجد فهو ضامن على الله، ومن خرج في سبيل الله فهو ضامن على الله»^(٢).

إن كل واحد من هذه الأصناف الثلاثة مضمون له الأجر والثواب، والضامن هو الله تعالى، فإن مات أحدهم وهو يطعم ربه فهو في الجنة، وإن عاش رزقه الله وكفاه، فالمسلم إذا خرج في سبيل الله غازياً فهو إما أن يحصل موتاً فيكون من أهل الجنة بسبب كونه قتل في سبيل الله، أو يرجع منتصراً محصلاً أجراً وثواباً عند الله وغنيمة من الغنائم، والمسلم إذا خرج من بيته ماشياً إلى المسجد ومات، فقد مات في سبيل الله لأنه خرج لعبادة الله ولطاعته سبحانه، وإن رجع فهو محصل أجراً وغنيمة في الآخرة، وإن حصل له رزق بسبب هذا العمل الصالح فهو من الثواب المعجل الذي يحصله في الدنيا قبل الآخرة، والمسلم الذي يدخل بيته فيسلم على زوجته وأولاده، ويدخل معه السلام والأمن والطمأنينة والسعادة والسكينة، فتوابه مضمون عند الله تعالى فإن مات في بيته مريئاً مخلصاً مبتعداً عن شرور الناس؛ كان في الجنة، وإن خرج من بيته خرج ومعه ثواب كبير وغنيمة هي حبة أبنائه له ورزق يسوقه الله ضم على يديه.

والملاحظ في الحديث أن النبي ﷺ يسوي بين قتال في معركة، وعبادة في مسجد، وتربية في بيت، لأنه لن يعبد في مسجد ولن يقاتل في ميدان إلا من تربى في بيته جيداً،

(١) سنن أبي داود (٣/ ٧)، والحديث صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود باختصار السنن ٢/ ٤٧٣، وفي مشكاة المصابيح ر ٦٩٤.

(٢) صحيح ابن حبان (٢/ ٢٥٢)، والترغيب والترهيب ١/ ١٧٢، وصححه الألباني في صحيح الترغيب ر ١٦٠٩.

وتخيل وأنت بين أبنائك أنك ضامن على الله تعالى إن مت دخلت الجنة، وإن خرجت منه خرجت ومعك أجر وغنيمة.

أيها الطربي الكريم؛ إذا أردت أن تعرف إن كنت تدخل بيتك بسلام أم لا؟ فانظر كيف يستقبلك أبنائك، إن كانوا يفرحون بقدموك ويهللون «بابا وصل.. بابا وصل» وتجدهم في انتظارك، ويمرحون نحوك فتسلم عليهم وتقبلهم، فأنت ممن يدخلون بسلام، أما إن دخلت بيتك وسمعت أحدهم يقول: «اسكتوا بابا وصل» فإنهم يقصدون «اسكتوا فقاتل الفرحة وصل»، وإن كنت تبعدهم عنك قائلاً: أنا تعبان، لا أريد صوتاً من أحد، فأنت بحاجة لأن تدخل بيتك بسلام.

ولكي تدخل بيتك بسلام بعد يوم عمن شاق ويجهد، لا تأتي من الخارج وتدخل بيتك مباشرة، لأنك إن فعلت ذلك ستدخل والهموم معك، فقط انتظر دقيقة أو دقيقتين على الباب، خذ نفساً عميقاً، وقل لنفسك: يا رب، أنا فعلاً قادم تعبان ومهموم، لكن المساكين الذين في الداخل ليس لهم أب غيري، وهم في انتظاري، يا رب ساعدني وقويني، خذ نفساً عميقاً آخر، وادخل الآن، وتأكد أن الرحمة والسعادة والسلام سيدخلون معك، لقد جرب الكثيرون تلك الوصفة، ونجحت معهم جداً، لدرجة أن أحد الأباء حكى لي قائلاً: أنا أسير على قدمي يوماً مسافة ٣ كيلومترات حتى أصل إلى بيتي، ومع وزني الزائد وسني الكبير، أصل منهكاً وأدخل بيتي متعباً، وهكذا لا أطيق حتى نظرة من أحد، أدخل ويدخل الصمت والسكون معي، وبعد أن سمعت تلك الفكرة، بدأت أطبقها وأجلس لأستريح دقيقتين قبل أن أدخل، والله لقد تغير حالتي تماماً، حتى أنا أصبحت سعيداً بدخولي نحو أولادي، لقد أصبحت أدخل مبتسماً بعدما كنت أدخل مبتسماً، أصبحت أسلم عليهم وأذهب نحوهم، بعدما كنت أبعدهم عني ولا أurd عليهم.

« وهناك أحد الآباء عندما يعود إلى منزله كل يوم، يجلس في سيارته قبل أن يصعد لبيت، أو يقف على الباب قبل أن يدخل، يفكر في أحوال أسرته، ويفكر فيما يفعله كل فرد داخل هذه الجدران، ثم يحدث نفسه قائلاً: إن أسرتي هي أمتع وأبهج وأهم شيء في حياتي، سوف أدخل إلى بيتي وأشعر أسرتي بحبي لها».

وعندما يدخل من الباب، لا يفكر في البحث عن الأخطاء، ولا يوجه النقد لأحد، ولا يذهب لغرفته للاسترخاء وتلبية احتياجاته هو، بل يصبح عائلاً: «لقد وصلت، هيا أنا مستعد للأحضان والقبلات»، ثم يبدأ في التنجول في أنحاء المنزل والتعامل بشكل إيجابي مع كل أفراد الأسرة، فيسلم على زوجته، ويتدحرج على الأرض مع الأولاد، أو يفعل أي شيء من شأنه أن يدخل البهجة والسعادة على البيت، كأن ينصت لهذا أو يساعد ذلك، وعندما يفعل ذلك يتسامى على همومه وعلى عثراته وعلى مشكلاته التي تواجهه في العمل»^(١).

إن الكثير من الآباء يلتزمون بدعاء الخروج من البيت؛ طلباً للبركة وصحة الملائكة وطرداً للشياطين؛ روى الترمذي أن رسول الله ﷺ قال: «من قال يعني إذا خرج من بيته: بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة إلا بالله، يقال له: كفتيت ووقيت، وتنحى عنه الشيطان»، وفي رواية ابن حبان: «فيلقى الشيطان شيطاناً آخر فيقول له: كيف لك برجل قد كفي وهدي ووقي»^(٢)، فنحن نحاول جاهدين الالتزام بهذا الدعاء ليتحقق لنا توفيق الله تعالى الذي نتوكل عليه، لكننا عندما نعود للبيت مجاهدين متعبين قد ننسى دعاء دخول البيت، الذي لا يقل أهمية عن دعاء الخروج منه، قال رسول الله ﷺ: «إذا ولج الرجل في بيته فليقل: اللهم إني أسألك خير المولج وخير المخرج، بسم الله ولجنا، وبسم الله خرجنا، وعلى الله ربنا توكلنا، ثم ليسلم على أهله»^(٣)، تأمل معي كيف أن المسلم يتوكل على الله تعالى عند خروجه من بيته (توكلت على الله) لأنه خارج من البيت لأداء مهام حياتية كبيرة، وكذلك يتوكل على الله عند رجوعه ودخوله لبيته (وعلى الله ربنا توكلنا) لأن عنده مهام تربوية كبيرة تنتظره، وفي أحوالتي يحتاج إلى عون الله تعالى وتوفيقه.

(١) العادات السبع للأسر الأكثر فعالية، ص ٤٣ (بصرف).

(٢) سنن الترمذي (٥ / ٤٩٠)، وصحيح ابن حبان (٣ / ١٠٤)، وأحدث صححه الألباني في صحيح الترمذي ج ٣٤٢٦.

(٣) سنن أبي داود (٤ / ٣٢٥)، الحديث صححه الألباني في صحيح الجامع ج ٨٣٩، ثم حكم بالقطعاه وضعفه وقال: إسناده صحيح لولا أن فيه نقلاً عن مشكاة المصابيح ج ٢٣٧٨، وقال ابن مفلح في الآداب الشرعية: إسناده حسن، الآداب الشرعية ٤٦٠ / ١.

الأب المحروم.. والأب المظنون:

مع تعب الحياة وشدة المعاملات، نعود إلى بيوتنا بأجساد متعبة وعقول مشغولة ونفوس مهمومة، وإذا دخلنا إلى البيت بهذه الحالة فنسحوه إلى ساحة معركة، وخير ما يعالج هذه الحالة الصعبة هي استقبال أطفالنا الجميل لنا، فإياك أن تحرم نفسك من تلك اللذة الرائعة، سلم عليهم باليد واللسان والأحضان والقبلات، وأنا على يقين أن حالنك النفسية ستتحسن كثيرًا، واسمع معي ما يقوله هذا الأب...

في يوم من الأيام، وأنا في طريقي إلى البيت عائدًا من العمل شرعت في إحصاء ثروتي.. منزلي المرهون، وسيارتي العتيقة، رصيد لا يذكر بالبنك، أثاث خشبي لا يتحمل سنة أخرى، وجهاز تلفزيون ذو شاشة بحجم طابع البريد حتى السجاجة بلين، وهناك ثوبان لم يعودا يحملان إلا قليلا من الخيوط وحذاء لكل الأغراض وبحاجة إلى تصليح، وبكل حزن رأيت نكيتي فبعد عشرين عامًا من الكر والفر لا أملك من حطام الدنيا سوى الكفاف بما في ذلك بيتي وسيارتي وملابسي ورحلت أفود السيارة كالمغشي عليه، وجدت نفسي قريبًا من البيت، فجأة سمعت صوت زوجتي وهي تصيح: «والدكم قد حضر» ورأيت طفليّ يندفعان نحوي جريًا فأخذتهما بين ذراعي ودفنت رأسي في شعرهما المجدع وحينها فقط أدركت أنني مليونير^(١).

إنك عندما تدخل بيتك وتسلم على زوجتك وأبنائك، عندها تنزل البركات عليك وعلى أهل بيتك، روى الترمذي عن أنس رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «بأبي؛ إذا دخلت على أهل بيتك، تكنُ (بكن سلامك) بركةً عليك وعلى أهل بيتك»^(٢)، بل إنك عندما تذكر الله تعالى بدعاء الدخول والسلام بتحية من عند الله مباركة طيبة (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته)؛ فإنك تمنع الشياطين من المبيت في بيتك، وعندها تنعم مع أبنائك بوقت أسري جميل، روى الإمام مسلم عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا دخل الرجل بيته فذكر الله -تعالى- عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان (لأعوانه وأتباعه): لا مبيت

(١) وإليام ج. وود (شورية دجاج لحياة الأباء)، قصص حب وتعلم وأبوة، ص ١٩٢، ١٩٣.

(٢) سنن الترمذي ج ٢، ٢٨٤١، والحديث صححه الألباني في صحيح الترغيب ج ١، ١٦٠٨.

لَكُمْ وَلَا عَسَاءَ، وَإِذَا دَخَلَ فَلَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ - تَعَالَى - عِنْدَ دُخُولِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ (لَا عَوَانَهُ وَأَنْبَاءَهُ): أَنْزَلْتُمْ الْمَبِيتَ؛ وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ - تَعَالَى - عِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ: أَنْزَلْتُمْ الْمَبِيتَ وَالْعَسَاءَ»

سفر الأباء.. وسنن التربية السبعة

قبل أن يغادر الأب الحبيب بيته يسلم على أبنائه ويودعهم؛ فيكون آخر الناس عهدًا به أبنائه، ولقد اتكبه؛ روى الحاكم عن ابن عمر - رضي الله عنهما - «أن النبي ﷺ كان إذا سافر، كان آخر الناس عهدًا به فاطمة، وإذا قدم من سفر، كان أول الناس به عهدًا فاطمة رضي الله عنها»^(١).

وبعد أن يخرج الأب من بيته يدعو بدعاء السفر المأثور عن النبي ﷺ؛ روى الإمام مسلم عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجًا إلى سفر كبر ثلاثًا ثم قال: سبحان الذي سخر لنا هذا، وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون، اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللهم هون علينا سفرنا هذا، واطو عنا بُعدنا، اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنظر، وسوء المنقلب في المال والأهل، وإذا رجع قلن وزاد فيهن: «أيون تائبون عابدون لربنا حامدون»^(٢)، وتخلل هذا الدعاء يستعيذ بالله تعالى من سوء المنقلب (العودة) إلى بيته، فهو يرجو أن تكون عودته إلى البيت مليئة بالسعادة والفرح عليه وعلى أبنائه، ويستعيذ بالله تعالى من أن يرى بعد عودته إلى بيته ما يحزنه، كما يستعيذ بالله تعالى أن يصيبه في سفره ما يحزن أهله ويسوؤهم؛ وهذا معنى قوله: «سوء المنقلب في المال والأهل»، وقبل هذا كله يترك الله تعالى خليفة على أهله وماله.

ولأنه أب محب، فهو دائمًا يشاقق لرؤية أبنائه كما أنهم ينتظرونه بفارغ الصبر، لذلك

(١) المستدرک علی الصحیحین ٣ / ١٦٩.

(٢) صحیح مسلم ٢ / ٩٧٨.

كانت وصية النبي ﷺ لكل أب مسافر أن يسرع بالعودة لأبنائه وأحبابه؛ روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «السفر قطعة من العذاب يمنع أحدكم طعامه وشرابه ونومه، فإذا قضى همته (حاجته)؛ فليجعل إلى أهله»^(١)، والمقصود في هذا الحديث استحباب تعجيل الرجوع إلى الأهل بعد قضاء شغله، ولا يتأخر بها ليس له بهم، والغدق من إسرار المسافر بالعودة إلى بيته ليريح نفسه ويفرح أهله، وفي هذا الحديث دليل على كراهة التغرب عن الأهل لغير حاجة، واستحباب استعجال الرجوع إلى الأهل والأبناء ولا سيما من يخشى عليهم الضيقة بالغيبه»^(٢)، ومن هنا كان على الأب الحبيب أن يسرع بالعودة إلى أبنائه إذا ما أنجز أعماله؛ مهما كانت الأماكن التي سافر إليها بمفرده جيدة والبقاع التي غادر بيته إليها طاهرة؛ فقد روى البيهقي والدارقطني عن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله ﷺ قال: «إذا قضى أحدكم حجه؛ فليجعل الرحلة إلى أهله، فإنه أعظم لأجره»^(٣)..

ومن الأشياء التي تجعل الأب مشتاق للعودة إلى بيته ورؤية أبنائه؛ أن يحضر لهم هدية ولو بسيطة جداً، فلقد استحب بعض الفقهاء أن يجعل المسافر هدية لأهله، واستشهدوا بالحديث الذي رواه الدارقطني عن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله ﷺ قال: «إذا قدم أحدكم من سفر؛ فليهد إلى أهله وليطرفهم، ولو كانت حجارة»^(٤) (يعني: حجر الزنناد الذي يوقد به كالكبريت أو الولاة وغيرها)...

ولأن الأبناء ينتظرون أباهم بفارغ الصبر؛ فإنهم يخرجون لمقابلته عند عودته من السفر، فيذهبون إلى محطة القطار أو إلى المطار أو يقفون في شرفة البيت، كل هذا من أجل انتظار الوالد الحبيب، والجميل أن استقبال المسافر سنة ماثورة عن النبي ﷺ؛ فقد روى الإمام مسلم عن عبد الله بن جعفر قال: كان رسول الله ﷺ إذا قدم من سفر؛ تلقى

(١) صحيح البخاري ١/ ١٣٩، وصحيح مسلم ٣/ ١٥٢٦، والتهمة بفتح التين وإسكان الميم من الحجارة.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ١٣/ ١٧٠، وفتح الباري ٣/ ٦٢٣، ١٣٩ (بتصرف).

(٣) مسند البيهقي الكبرى ٥/ ٢٥٩، ومسند الدارقطني ٢/ ٣٠٠، والحديث صحيحه الألباني في السلسلة الصحيحة ج ١٣٧٩.

(٤) نجود ج ٤/ ٣٤٢، ومسند الدارقطني ٢/ ٣٠٠، والحديث ضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة ج ١٤٣٦.

بصبيان أهل بيته، (و في رواية أبي داود: فأينا استقبل أولاً جعله أمامه، يعني على الناقه)، قال: وإنه قدم من سفر (ذات يوم) فسبق بي إليه، فحملني بين يديه، ثم جىء بأحد ابني فاطمة فأردفه خلفه، فأدخلنا المدينة ثلاثة على دابة^(١).

وروى البيهقي عن عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - قالت: «أقبلنا من مكة في حج أو عمرة وأسيد بن حضير يسير بين يدي رسول الله ﷺ، فتلقانا غلمان من الأنصار كانوا يتلقون أهاليهم إذا قدموا»^(٢).

وعندما تتلاقى الوجوه تتقارب القلوب، ويندفع الأبناء بتلقائية ليرتموا في أحضان أبيهم، وهنا يغمروهم أبوهم بالود والحب والحنان، فيقبل خدودهم وجاههم وبأخذهم في أحضانهم، روى أبو يعلى والطبراني عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ كان إذا قدم من سفر قبّل ابنته فاطمة^(٣)، ولما أتى رسول ﷺ حين فتح خيبر، قيل له: قد قدم جعفر من ثم (عند النجاشي، فقال النبي ﷺ: «لا أدري بأبيها أنا أشد فرحاً بقدوم جعفر أو فتح خيبر، فقبل ما بين عينيه» وفي رواية أبي داود: «أن النبي ﷺ تلقى جعفر بن أبي طالب فالتزمه (فضمه) وقبل ما بين عينيه»^(٤).

وروى الطبراني عن أنس ؓ قال: «كان أصحاب النبي ﷺ إذا تلاقوا تصافحوا، وإذا قدموا من سفر تعانقوا»^(٥).

ومن هنا قال بعض الفقهاء: «السنة معانقة القادم من سفر وتقبيله، ولا بأس للقدام من سفر بتقبيل ذوات المحارم (على أحد وعلى الجبهة بين العينين فقط) إذا لم يخف على نفسه فتنة»^(٦).

(١) صحيح مسلم ٤ / ١٨٨٥، وسنن أبي داود ٣ / ٢٧.

(٢) سنن البيهقي الكبرى ٥ / ٢٦٠.

(٣) مسند أبي يعلى ٤ / ٣٥٢، والمعجم الأوسط ٤ / ٢٤٨، وقال الميثمي: رجاله ثقات وفي بعضهم ضعف لا يضر / مجمع الزوائد ٨ / ٤٥.

(٤) المعجم الكبير للطبراني ٢ / ١٠٨، وسنن البيهقي الكبرى ٧ / ١٠١، وسنن أبي داود ٦ / ٣٥٦.

(٥) رواه الطبراني ورواه صحيحهم في الصحيح، انظر: الترغيب والترهيب ٣ / ٢٩٠، وأحد حديث قال عنه الألباني: إسناده جيد، السلسلة الصحيحة ح ٢٦٤٧.

(٦) روضة الطالبين ٧ / ٢٨، وكشاف القناع ٥ / ١٦ (بتصرف).

أبي.. لا تجعلني أكره تناول الطعام معك:

أحد الأبناء كتب لأبيه يقول: «أبي... من فضلك لا تجعلني أكره تناول الطعام معك، هذا لأن وقت الطعام في بيتنا أصبح ساحة معركة، فعل الطعام يجعلوك توبيخنا وعقابنا، أعلم أن هذا هو الوقت الوحيد الذي ترانا فيه وتريد متابعة تربيتنا، لكننا نشناق للحوار معك أكثر من توبيخك، نحتاج إلى توجيهك أكثر من تعنيفك، كم أتمنى أن أتمتع بتناول الطعام معك، فهل تحقق أمييتي؟»

أمثال هذا الابن الشاكي كثيرون، لكنه أحسن حالاً ممن يتناول طعامه دوماً بمفرده دون أبيه أو أمه، كلاهما مسكين ومحروم، أحدهما محروم من شخص أبيه فلا يراه يتناول الطعام معه، والثاني محروم من حب أبيه الذي يتمتع بتناول الطعام معه.

إن الاجتماع على الطعام ينزل البركة على أهل البيت جميعاً، روى ابن ماجه عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كلوا جميعاً ولا تفرقوا، فإن البركة مع الجماعة»^(١)، وقال سفيان الثوري: حدثني ابن عباس.. «إن الله وملأته يصلون على أهل بيت يجتمعون على طعامهم»، ولقد حرص الصحابة الكرام على تناول الطعام مع أبنائهم؛ فقد روى الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أعتم رجل ثم (عند النبي ﷺ) ثم رجع إلى أهله، فوجد الصبية قد ناموا، فأثامه بطعامه، فحلف لا يأكل من أجل صبيته، ثم بدأ له فأكل، فأتى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له، فقال رسول الله ﷺ: «من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها؛ فليأتها وليكفر عن يمينه»^(٢)، فهذا أحد الصحابة الذين يجالسون النبي ﷺ حتى عتمة الليل، ويقومون على شئون الأمة في أشد أوقاتها خطورة، لا يمنع ذلك كله من تعاهد أطفاله عند عودته للبيت فيأكل معهم و يجالسهم كما يجالس أمثاله هو خارج البيت، وفي اليوم والليلة التي تأخر فيها عن أطفاله حتى ناموا، ففاته وفاتهم تلك الجلسة العائلية المعتادة؛ حزن ﷺ فحلف لا يأكل، كأنه يعاقب نفسه على

(١) سنن ابن ماجه ٢ / ١٠٩٣.

(٢) صحيح مسلم ٣ / ١٢٧١.

إيماله ذلك الواجب اليومي^(١)... وتمر السنون، وبعد أربعة عشر قرناً نقرأ الخبر التالي في جريدة الأهرام المصرية: أكدت دراسة إسبانية أن جمع شمل الأسرة حول مائدة الطعام يعزز استقرار الصحة النفسية والعقلية لدى الأبناء، وتوصلت الدراسة التي نشرت في دورية «علم الأوبئة وصحة المجتمع» إلى أن الأبناء في سن المراهقة الذين يشاركون آباءهم في تناول الطعام يتمتعون بحالة نفسية جيدة، وأن تناول الوجبات اليومية التي تضم جميع أفراد الأسرة - ولاكثر من خمس مرات في الأسبوع - له أثر جيد على الصحة النفسية للأبناء^(٢)...

ومن شدة حرص النبي على تناول الطعام مع أسرته، أنه كان في بعض الأحيان عندما يدعى لطعام (عزومة) خارج البيت، كان ﷺ أحياناً يرفض أن يذهب وحده، ويصمم على صحة أهله، روى مسلم في صحيحه (ح ر ٢٠٣٧) أن جازاً لرسول الله ﷺ، فارسياً. كان طيب المرق. فصنع لرسول الله ﷺ، ثم جاء يدعو، فقال ﷺ: وهذه؟ لعائشة (يعني وهذه تأتي معنا) فقال (الجار صاحب العزومة): لا، (ومشى الرجل)، فعاد يدعو، فقال رسول الله ﷺ: وهذه قال: لا (ومشى الرجل)، ثم عاد يدعو، فقال رسول الله ﷺ: وهذه، قال: نعم في الثالثة، فقاما يتدافعا حتى أتيا منزله، هذا هو الحب الصادق، إذ كيف يطيب لأب أو لزوج أن يتنعم بتناول طعام جميل وحده دون من يجب من أهله؟ سيقول البعض أن هناك حالات اجتماعية وظرفاً تحكم على الرجل أن يتناول الطعام خارج بيته، وهذا صحيح، فكيف يتصرف الأب المحب في مثل هذا الموقف؟ وما هي سنة رسول الله ﷺ في مثل هذا الحدث؟

روى الإمام مسلم في صحيحه (ح ر ٢٠٣٨) أن رسول الله ﷺ خرج ذات يوم أو ليلة، فإذا هو بأبي بكر وعمر. فقال: (ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة؟) قالوا: الجوع يا رسول الله، قال (وأنا). والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما، قوموا) فقاموا معه، فأتى رجلا من الأنصار، فإذا هو ليس في بيته، فلما رآته المرأة قالت: مرحباً وأهلاً،

(١) العشرة الطيبة مع الأبناء و تربيتهم.

(٢) جريدة الأهرام المصرية في عددها الصادر يوم الجمعة الموافق ١٨ / ١ / ٢٠٠٦ ميلادية.

فقال لها رسول الله ﷺ (أين فلان؟) قالت: ذهب يستعذب لنا من الماء (يحضر ماء عذبا)، إذ جاء الأنصاري فنظر إلى رسول الله ﷺ وصاحبه. ثم قال: الحمد لله، ما أحد اليوم أكرم أضيافاً مني، فانطلق فجاءهم بعذق (من النخل) فيه بسر وتمر ورطب، فقال: كلوا من هذه، وأخذ المدينة (السكين ليذبح لهم شاة) فقال له رسول الله ﷺ: (إياك والخلوب) فذبح لهم، فأكلوا من الشاة، ومن ذلك العنق، وشربوا، (وفي رواية: فلما أدرك الطعام (نضح)، ووضع بين يدي النبي ﷺ وأصحابه، أخذ من الجدي فجعله في رغيف، وقال: يا أبا أيوب (صاحب البيت) أبلغ بهذا فاطمة؛ فإنها لم تصب مثل هذا منذ أيام، فذهب أبو أيوب إلى فاطمة^(١) فلما أن شعبوا ورووا، قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: «والذي نفسي بيده! نلتأسل عن هذا التعميم يوم القيامة. أخرجكم من بيوتكم الجوع. ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا التعميم».

هنا نسأل: يا ترى ما هو إحساس السيدة فاطمة - رضي الله عنها - لما جاءها أبو أيوب بالطعام الذي أرسله أبوها؟ إنك أيها الأب المحب إذا تناولت خارج بيتك ما يجبه أبناءك أو لم يطعموه من مدة أو شيء جديد لم يروه، فلا تحرم نفسك من حمل هذا الخير لأبنائك، وخلال حملك هذا الطعام معها قل فإنك تحمل معه رسالة تقول: أنتم في قلبي دوماً حتى وسأظل أذكركم حتى ولو كنتم بعيداً عن عيني، أنتم دائماً تسكنون في قلبي.

أيها الأب الكريم؛ إنك عندما تتناول الطعام مع أبنائك تصنع معهم أجمل الذكريات، وستتعرفون على بعضكم أكثر، فيعرف كل منكم ما يجبه الآخر من طعام وشراب وغيره، روى ابن ماجة عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: بعثت معي أم سليم بمكثل فيه رطب إلى رسول الله ﷺ فلم أجده، وخرج قريباً إلى مولى له، دعاه فصنع له طعاماً، فأتيته وهو يأكل، فدعاني لأكل معه، وصنع ثريدة بلحم وقرع، فإذا هو يعجبه القرع، فجعلت أجمعه فأدنيه منه، فلما طعمنا منه رجع إلى منزله ووضعت المكثل بين يديه، فجعل يأكل ويقسم (على من حوله) حتى فرغ من آخره^(٢)، وعلى الطعام سيتعلم منك

(١) الترغيب والترهيب ٣/ ١٧٤، وهذه الرواية ذكرها الألباني في ضعيف الترغيب ح ر ١٣٠٣.

(٢) صحيح ابن ماجة للألباني ح ر ٢٦٨٨، وإرواه التعليل ٤٦/٧.

طفلك أداب تناول الطعام برفق ومحبة؛ روى البخاري عن عمر بن أبي سلمة - رضي الله عنه - قال: كنت غلاماً في حجر رسول الله ﷺ، وكانت يدي تطيش في الصحفة، فقال لي رسول الله ﷺ: «يا غلام، سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك»، فما زالت تلك طعمتي بعد، وفي كل مرة تنتهون فيها من تناول الطعام معاً؛ يزداد رصيد المحبة بينكم، وتنزل عليكم بركات ربكم، وتفوزون بمغفرته سبحانه؛ قال رسول الله ﷺ: «من أكل طعاماً ثم قال: الحمد لله الذي أطعمني هذا الطعام ورزقته من غير حول مني ولا قوة؛ غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن ليس ثوباً فقال: الحمد لله الذي كساني هذا [الثوب] ورزقته من غير حول مني ولا قوة؛ غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر»^(١).

وبعدما سبق يمكننا أن نقول:

إن من لا يتناول الطعام مع أحبائه من أبنائه وبناته... أب محروم

أين تذهب.. خذني معك:

الطفل يتعلق قلبياً بأبيه وأمه، فهما عينا قلبه على الحياة، بها يبصر الحقيقة ويعرف الخير من الشر، لذا تراه يحرص دوماً على صحبتها والخروج معها، فطفلك دوماً يسألك: أين تذهب يا بابا؟ أين تذهبن يا ماما؟ ويتبع الإجابة عن هذا السؤال طلب متكرر وهو: خذني معك... وتتعدد ردود أفعال الآباء تجاه هذا السؤال، فبعضهم يرى أنه من غير اللائق اصطحاب أطفاله معه إلى أي مكان، فهم مجرد عيال صغار، ومكانهم دوماً مع أمهم، بل إن الأم قد تترك أطفالها في البيت كثيراً ولا تأخذهم معها بحجة أنهم صغار، فلو ذهبت يوماً لزيارة جاريتها في المستشفى، وطلب منها الصغير أن يذهب معها، ستجدها على الفور ترفض قائلة: أنت صغير ولن تلتزم الأدب هناك... والسؤال الآن: ما هو النهج النبوي التربوي السليم في مثل هذا الموقف؟ هل الأفضل ترك الصغار أم أخذهم وتحمل العواقب؟ ما هي سنة النبي ﷺ في مثل هذا الموقف؟

(١) الحديث صححه ابن حجر في المحصول للتحفة ١ / ٧٤، والألباني في صحيح أبي داود ر ٤٠٢٣، وصححه الجامع ر ٦٠٨٦.

لقد كان ﷺ يصحب الأطفال والشباب معه في كافة الميادين، يأخذهم معه لأنه أب كريم ومعلم جليل، فتارة يصحب ابن عباس وسيران في الطريق، وتارة يركب معه أطفال ابن عمه جعفر، وأخرى يصاحب أنسا، وهكذا يصحب النبي ﷺ الأطفال والصبيان والمراهقين والشباب معه من غير تأفف ولا استكبار، ومن غير تعجرف ولا استعلاء، فمن حق الطفل أن يصحب الكبار، ومن حق الابن أن يصحب أبيه وأمه وجدته وجدته؛ ليتعلم منهم فتتهذب نفسه وينضج عقله وتتحسن أخلاقه^(١).

روى البخاري عن أسامة بن زيد - رضي الله عنها - أن النبي ﷺ ركب على حمار، على إكاف، على قطيفة فديكية، وأردف أسامة وراءه، يعود سعد بن عبادة، قبل وقعة بدر، قبل وقعة بدر كان عمر سيدنا أنس حينها حوالي سبع سنوات، ومع ذلك يأخذه النبي ﷺ معه ليزور أحد سيدي الأنصار وهو مريض، ولقد صارت تلك الصحبة ذكرى جميلة حكاها سيدنا أسامة بكل تفاصيلها بداية من نوع إكاف (البردة أو السرج) على ظهر الدابة، مروراً بالقطيفة (قطعة القماش التي توضع فوق السرج) وهي كانت فديكية (مصنوعة بفدك في الشام)، وانتهاء بمن زاروه ومتى كانت الزيارة.

ومن العجيب أن النبي ﷺ لم يكتف باصطحاب الصغار والكبار معه، بل بين لنا كيف نخرج مع كل أبنائنا دون أن نحرم أحدا منهم، فها هو أنس بن مالك - رضي الله عنه - يقول: «كان رسول الله ﷺ إذا سافر أو غزا، أردف (أركب وراءه) كل يوم رجلاً من أصحابه»^(٢)، فالأب يمكنه أن يأخذ في كل مرة أحد أبنائه بالترتيب، وهذه سنة نبينا الحبيب، ولو خرج الأب يوماً مع أبنائه جميعاً في السيارة، فيمكنه أن يجلس كل واحد منهم بجواره فترة من الزمن أو مسافة من الطريق، فالنبي قد قسم الركوب خلفه في حجة الوداع إلى مراحل، روى البخاري في صحيحه (٢ / ٥٥٩) عن ابن عباس - رضي الله عنها - أن أسامة بن زيد كان ردف النبي ﷺ من عرفة إلى المزدلفة، ثم أردف الفضل من المزدلفة إلى منى، فكلاهما قال: لم يزل النبي ﷺ يلبي حتى رمى جمره العقبة^٥.

(١) منهج التربية النبوية للطفل، ص ٣٤٤ (بتصرف).

(٢) مسند أبي يعلى ٧ / ٢٣٦، والتاريخ الكبير ٣ / ٤٨٠.

ولقد حرص الصحابة الكرام على اصطحاب آبائهم معهم إلى مجالس النبوة وإلى ميادين الحياة، روى النسائي وغيره أن نبي الله ﷺ كان إذا جلس، يجلس إليه نفر من أصحابه، وفيهم رجل له ابن صغير، يأتيه من خلف ظهره فيقعد بين يديه، فقال له النبي ﷺ: تحبه؟ فقال: يا رسول الله أحبك الله كني أحبه، فهلك (مات الطفل)، فامتنع الرجل أن يحضر الحلقة، لذكر ابنه، فحزن عليه، ففقدته النبي ﷺ، فقال: ما لي لا أرى فلاناً؟ فقالوا: يا رسول الله بنه الذي رأيته هلك، فلقية النبي ﷺ، فسأله عن بنه؟ فأخبره بأنه هلك، فعزاه عليه، ثم قال: يا فلان، أيا كان أحب إليك: أن تمتع به عمرك، أو لا تأتي غداً إلى باب من أبواب الجنة إلا وجدته قد سبقك إليه يفتح لك؟ قال: يا نبي الله، بل يسبقني إلى باب الجنة فيفتحها لي، هو أحب إليّ، قال: فذاك لك، فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله جعلني الله فداك أله خاصة أو لكلنا؟ قال: بل لكلكم^(١)، فهذا صحابي جليل يأخذ ابنه معه إلى مجلس النبي، فيكون أخذه سبياً في دخول أبيه معه إلى الجنة، ولم يتمتع الذكور وحدهم بصحبة آبائهم إلى مجالس النبوة، بل كان للبنات حظهن الوافر، روى البخاري عن أم خالد بنت خالد بن سعيد بن العاص (رضي الله عنها) - قالت: أتيت رسول الله ﷺ مع أبي، وعليّ قميص أصفر، فقال رسول الله ﷺ: سنه سنه، قال عبد الله راوي الحديث: وهي بالحشية حسنة، قالت: فذهبت ألعب بخاتم النبوة^(٢)، فزبرني أبي، فقال رسول الله ﷺ دعها، ثم قال رسول الله ﷺ: أبلي واخلفي، ثم أبلي واخلفي، ثم أبلي واخلفي قال عبد الله راوي الحديث: فبقيت (حية) حتى ذكر (من طول بقائها)، لقد كان الصحابي الجليل خالد بن سعيد أبوها قد هاجر إلى الحيشة هو وأهله بمن فيهم ابنته أم خالد، ولقد أخذها معه إلى مجلس النبي ﷺ وهي صبية، فالأمر لا يخص الصبيان فقط، ثم لا تهاب في المجلس من انعم، بل تذهب فتلعب بخاتم النبوة المبارك الشريف، فيمنعها بزجر أبوها، فيقول له النبي ﷺ: دعها، بل يتوجه إليها ﷺ بالمداعبة

(١) قال الألباني في أحكام الجنائز ح ٢٠٥: إسناده صحيح وله شاهد، وفي السلسلة الصحيحة ٦ / ١٥٦ قال: إسناده رجاله كلهم ثقات رجال الشيخين.

(٢) خاتم النبوة الشريف: عبارة عن بضعة من اللحم بارزة قبل إلى الحمرة وعليها شعرات، في أهل الظاهر قريب من الرقة المباركة.

والمباسة ليذهب عن الصغيرة الحرج، ثم يدعو لها ثلاثاً بطول العمر والعافية، فلبس الجديد مرات ومرات بعد أن يخلق الثوب الجديد، والسنة المباركة والسيرة الشريفة وتاريخ المسلمين مليء بالأمثلة على حضور الصغار - بنين وبنات - كل المجالس والأماكن مخالطين للكبار، وليس هناك أعلى من مجلس النبوة الشريفة في المسجد، وفي كل المواطن^(١)، ففي بيعة العقبة الثانية، أخذ الأنصار - رضي الله عنهم - أبناءهم معهم رغم خطورة الموقف ليشرقوا ببيعة النبي ﷺ، فعن جابر بن عبدالله بن حرام - رضي الله عنها - قال: خرجنا إلى النبي ﷺ عام العقبة أربعين رجلاً وثلاثون غلاماً، مع الرجل ابنه، وكنت رديف أبي^(٢)، وروى البخاري في التاريخ عن المغيرة بن حكيم سألت: عبد الله بن سعد بن خيثمة: هل شهدت بدرًا؟ قال: نعم والعقبة، ولقد كنت رديف أبي وكان نقيباً^(٣).

ومن حرص المنهج النبوي على صحبة الآباء لأبنائهم في مجالس المسجد وغيرها، ومن حرص الشرع على مشاعر الأبوة والبنوة؛ فإنه يكره التفريق بين الصغير والوالد في المجلس، لأن الطفل يأمن بجانب أبيه، والأب يشفق على الابن حينما يبعد عنه، لذلك روى الطبراني عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يجلس الرجل بين الرجل وابنه في المجلس»، وهذا التوجيه يستهدى به في أنماط السلوك والمواقف المشابهة، كركوب الابن بجوار أبيه في المواصلات، أو عند استضافة الوالد وابنه، فلا تفرق في الجلسة بينهما^(٤).

ولقد كان خلف النبي على الناقة مدرسة كبيرة، فمن تشرف بالركوب خلف النبي ﷺ تعلم وأستمتع وفرح بدعوة كريمة وصحبة مباركة، وكذلك الحال معك أيها الأب الكريم، فعندما تأخذ ابنك أو ابنتك معك ستصنعنا معاً أجمل الذكريات، فإذا تحدثت معه بقلب مفتوح وذكرت له سرًا، فإنه لن ينسى هذا يومًا؛ روى الإمام مسلم (١ / ٢٦٨) عن عبد الله بن جعفر - رضي الله عنها - قال: أردفتني رسول الله ﷺ ذات يوم خلفه، فأسر إلي حديثًا لا أحدث به أحدًا من الناس، وستتكلّم مع ابنك عن مواهبه، روى

(١) العشرة الطيبة مع الأولاد وتربيتهم، ص ١٦٦.

(٢) الأاحاد والثاني ج ٣ ص ٣٩٤.

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة ٣ / ٥٥.

(٤) العشرة الطيبة مع الأولاد وتربيتهم، ص ٢٣٤ (بتصرف).

مسلم (٤ / ١٦٦٧) عن عمرو بن الشريد عن أبيه قال: ردف رسول الله ﷺ يوماً، فقال: هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيئاً؟ قلت: نعم، قال ﷺ: هيه، فأشدهته بيتاً، فقال ﷺ: هيه، ثم أشدهته بيتاً، فقال ﷺ: هيه، حتى أشدهته مائة بيت.

وفي مرة من المرات ستوصي ابنك بوصية لطيفة رقيقة؛ روى الحاكم والترمذي وأحمد عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: كنت خلف رسول الله ﷺ يوماً فقال: «يا غلام، إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله يحفظك، احفظ الله يحفظك، وإذا استمنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام، وجفت الصحف»، وفي رواية الحاكم: أهدني إلى النبي ﷺ بغلة أهدأها له كسرى، فركبها بحبل من شعر، ثم أردفني خلفه، ثم سار بي ملياً ثم التفت فقال: يا غلام، قلت: لييك يا رسول الله، قال: احفظ الله يحفظك...^(١)

وعندما تأخذ ابنك معك أو ابتك، ستصبح أمامك فرصة لتصحيح أخطاءه برفق وحكمة، فأنت قد أخذته معك لتسعدته وترفق معه، لا لتجعله يكره الخروج معك نتيجة لغاظتك وقسوتك، روى النسائي وغيره عن أبي المليح عن أبيه قال: كنت ردف رسول الله ﷺ، فعضر بعيرنا، فقالت: تعس الشيطان، فقال النبي ﷺ: «لا تقل تعس الشيطان فإنه يعظم حتى يصير مثل البيت ويقول بقوتي، ولكن قل: باسم الله فإنه يصغر حتى يصير مثل الذباب»^(٢)، وروى البخاري في صحيحه (٥ / ٢٣٠٠) عن عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما - قال: كان الفضل رديف رسول الله ﷺ، فجاءت امرأة من تخنعم، فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه، وجعل النبي ﷺ يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر.

وعندما تأخذ ابنك أو ابتك ليخرجوا معك، فإنه سيراقبون الخير الذي تفعله ويتعلمون من فعلك أكثر من قولك؛ روى النسائي عن أسامة بن زيد قال: كنت ردف النبي ﷺ يعرفات، فرقع يديه يدعو، فهالت به ناقته فسقط خطامها، فتناول الخطام

(١) أحمد بن حنبل ١ / سنن الترمذي ٤ / ٦٦٧، والمستدرك على الصحيحين ٣ / ٦٢٣، ومستند الإمام ٣٠٣.
(٢) السنن الكبرى ٦ / ١٤٢، والمستدرك على الصحيحين ج ٤ ص ٣٢٥، والمعجم الكبير ج ١ ص ١٩٤.

بإحدى يديه وهو رافع يده الأخرى^(١)، وروى ابن ماجة عن الفضل بن عباس قال: كنت ردف النبي ﷺ (في حجة الوداع)، فما زلت أسمعه يلبي حتى رمى جرة العتبية، فلما رماها قطع التلبية^(٢)، وعن زهرة بن حمضة قال: ردفت أبا بكر الصديق، فجعس لا يلفاه أحد إلا سلم عليه، وكان قليل الحديث^(٣)، وعن زيد بن وهب عن عمر قال: كنت ردف أبي بكر، فيمر على القوم فيقول: السلام عليكم، فيقولون: السلام عليكم ورحمة الله، ويقول: السلام عليكم ورحمة الله، فيقولون: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فقال أبو بكر: فضلنا الناس اليوم بزيادة كثيرة^(٤).

ويعتبر خروج أبنائك معك وركوبهم السيارة بجوارك فرصة جميلة لتعليمه الخير؛ روى البخاري في صحيحه (٣ / ١٠٤٩) عن معاذ - رضي الله عنه - قال: كنت يرف النبي ﷺ على حمار يقال له صغير، فقال ﷺ: يا معاذ، هل تدري حق الله على عباده وما حق العباد على الله؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال ﷺ: فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً، فقلت: يا رسول الله، أفلا أبشر به الناس؟ قال: «لا تبشروهم فينكلوها»، وروى أبو داود عن أبي ذر - رضي الله عنه - قال: كنت ردف رسول الله ﷺ وهو على حمار والشمس عند غروبها، فقال ﷺ: هل تدري أين تغرب هذه؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال ﷺ: فإنها تغرب في عين حامية^(٥).

وبعدما سبق... هل ستتردد يوماً

في أخذ أبنائك أو أحدهم معك؟

وفي النهاية نعرض لكم صورة مبهرة لكيفية اصطحاب النبي لأحفاده، روى البخاري عن البراء - رضي الله عنه - قال: رأيت النبي ﷺ والحسن بن علي على عاتقه

(١) السنن الكبرى ٢ / ٤٢٣.

(٢) سنن ابن ماجة ٢ / ١٠١١.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ٦ / ٨٥.

(٤) الأدب المفرد ١ / ٣٤٢.

(٥) سنن أبي داود ٤ / ٣٧.

يقول: «اللهم إني أحبه فأحبه»، والمعاق هو ما بين المنكب والعنق، وروى الحاكم في المستدرک (٣ / ١٨٦) عن ابن عباس - رضي الله عنها - قال: أقبل النبي ﷺ وهو يعمل الحسن بن علي على رقبته، فلقبه رجل فقال: نعم المركب ركبت يا غلام فقال رسول الله ﷺ ونعم الراكب هو.

اللعب النبوي خمسة أشكال

عندما تقتدي بحبيك النبي وتسير على نهجه التربوي، ستجد أنك تمارس اللعب مع أبنائك بثلاث طرق:

(١) تضحك معهم وتمازجهم:

أبسط أشكال اللعب مع الأبناء والبنات هو المزاح، ومع بساطته إلا أنه يؤثر في النفس ويترك فيها شعورًا بالمحبة والسعادة، ولقد ذهب النبي ﷺ يومًا لزيارة أهل الصحابي الصغير محمود بن الربيع وكان عمره خمس سنوات، فأخذ النبي ﷺ كورًا به ماء وشرب منه، ثم أخذ ﷺ في فمه بعضًا منه ونفخ الماء (بخه أو رشه) على محمود الصغير، ليداعبه ﷺ ولتمسه البركة النبوية؛ روى البخاري ومسلم.

عن محمود بن الربيع رضي الله عنه قال: «عقلت من النبي ﷺ محبة مجها في وجهي وأنا ابن خمس سنين من دلو^(١)، ومحمود رضي الله عنه ظل يعمل هذه الذكرى الجميلة في قلبه رغم صغر سنه (خمس سنوات)، وحكاها قاتلاً: عقلت يعني: حفظت، وقوله محبة هو إرسال الماء من الفم، ولا يسمى مجاً إلا إذا كان الرش عن بعد، وفعله النبي ﷺ مع محمود إما مداعبة منه أو ليبارك عليه بها كما كان ذلك من شأنه مع أولاد الصحابة^(٢)، ويمرّ النبي ﷺ يومًا بعبدالله بن عباس يومًا وهو يلعب مع الصبيان، فيختبئ منه ابن عباس خلف باب، فيتوجه النبي خلف ابن عباس مداعبًا له، ويضرب بيده ﷺ على ظهر ابن عباس

(١) صحيح البخاري ١ / ٤١.

(٢) فتح الباري ١ / ١٧٢.

برفق ومحبة، ثم يرسله في حاجة له.

روى الإمام مسلم عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- قال: كنت ألعب مع الصبيان، فجاه رسول الله ﷺ، فتواريت خلف باب (وفي رواية أحمد: فاخترت منه خلف باب)، فجاه فحطاني حطأة، وقال: اذهب وادع لي معاوية، وقوله حطاني حطأة: هو الضرب باليد مبسوطة بين الكتفين وإنما فعل ﷺ هذا بابن عباس ملاطفة وتأنيباً^(١).

(٢) تلعب معهم وتجري المسابقات:

كان رسول الله ﷺ يلعب حفيده الحسن لعبة جيمة، فكان ﷺ يقف أمام الحسن وجهًا لوجه، ثم يمسك بيديه يدي الحسن من الكفين، ثم يضع قدمي الحسن على قدميه ﷺ، ثم يقول ﷺ ارق يا حسن واصعد، فيصعد الصبي بقدميه على جده، بداية من قدميه صعودًا نحو الأعلى، والنبي ﷺ يشده نحو الأعلى، حتى يضع قدميه على صدر رسول الله ﷺ، وهنا يقول له النبي: افتح فمك، ثم يقبله ويقول: اللهم أحبه فإني أحبه؛ روى الطبراني وغيره عن أبي هريرة قال: ثم سمعت أذناي هاتان وأبصرت عيني هاتان رسول الله ﷺ وهو أخذ بكفيه جميعًا حسنًا أو حسينًا، وقدماه على قدمي رسول الله ﷺ وهو يقول حزفه حزفه ارق عين بقة، فبرقى الغلام حتى يضع قدميه على صدر رسول الله ﷺ، ثم قال له: افتح فمك، ثم قبله ثم قال: اللهم أحبه فإني أحبه^(٢).

وكان النبي ﷺ يجرى سباق الجري بين أبناء عمه الصغار، ويتلقاهم عند خط النهاية بحب وحنان؛ روى الإمام أحمد قال: كان رسول الله ﷺ يصف عبد الله وعبيد الله وكثيرًا من بني العباس، ثم يقول: من سبق إلى فله كذا وكذا، فيستبقون إليه، فيقعون على ظهره وصدرة، فيقبلهم ويلزمهم^(٣).

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ١٦ / ١٥٥.

(٢) لأدب المفرد للبخاري ١ / ٩٦، والمعجم الكبير للطبراني، ٣ / ٤٩، ومجمع الزوائد ٩ / ١٧٩، والحدِيث ضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة ح ٣٤٨٦.

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل ١ / ٢١٤، والحدِيث ضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة ح ٦٥٤٧.

(٢) تسمح لهم باللعب معك وممازحتك:

في بيتك وأمام الناس، ليست هناك مشكلة أن ييازحك أطفالك في حدود الأدب والذوق، روى ابن حبان وغيره عن أبي بكر بن نافع بن الحارث -رضي الله عنه- قال: كان رسول الله ﷺ يصلي بنا وكان الحسن يميه وهو صغير، فكان كلما سجد رسول الله ﷺ وثب على رقبته وظهره، فيرفع النبي ﷺ رأسه رفعاً رقيقاً حتى يضعه (وفي رواية: لتلا يصرع فعل ذلك غير مرة)، فقالوا: يا رسول الله: إنك تصنع بهذا الغلام شيئاً ما رأيناك تصنعه بأحد، فقال ﷺ: إنه رجائتي من الدنيا، إن ابني هذا سيد وعسى الله أن يصلح به بين فتيين من المسلمين^(١)، وروى النسائي والحاكم عن عبد الله بن شداد بن الهاد عن أبيه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ في إحدى صلاتي العشي الظهر أو العصر، وهو حامل أحد ابنه الحسن أو الحسين، فتقدم رسول الله ﷺ فوضعه عند قدمه اليميني، فسجد رسول الله ﷺ سجدة أطفالها، قال أبي: فرفعت رأسي من بين الناس، فإذا رسول الله ﷺ ساجد وإذا الغلام راكب على ظهره فعدت فسجدت، فلما انصرف رسول الله ﷺ قال الناس: يا رسول الله لقد سجدت في صلاتك هذه سجدة ما كنت تسجدها أفشيء أمرت به أو كان يوحى إليك؟ قال كل ذلك لم يكن، ولكن ابني ارتحلني (ركب على ظهري) فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته (يعني من اللعب)^(٢)، وروى البخاري عن أم خالد بنت خالد ابن سعيد قالت: أتيت رسول الله ﷺ مع أبي وعلي قميص أصفر، قال رسول الله ﷺ: سنه سنه قال عبد الله (بن عمر راوي الحديث) وهي بالحبشية: حسنة، قالت: فذهبت ألعب بخاتم النبوة، فزبرني أبي، قال رسول الله ﷺ: دعها، ثم قال رسول الله ﷺ: أبلي واخلفي، ثم أبلي واخلفي، ثم أبلي واخلفي، قال عبد الله: فبقيت حتى ذكر يعني من بقائها...

(١) صحيح ابن حبان ١٥ / ٤١٨، وسير أعلام النبلاء للذهبي ١٣ / ١٩١ وإسناده حسن، والشوكاني في در السحابة ح ر ٢٢٤ وقال: رجاله رجال الصحيح غير مبارك بن فضالة وقد وثق.

(٢) السنن الكبرى ١ / ٢٤٣، والمستدرک علی الصحیحین ١ / ١٨١ وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٤) نتحدث معهم عن ألعابهم:

عندما يجلس أحدنا مع ابنه أو ابنته ويسأله عن ألعابه وكيفية لعبها؛ فإنه يطبق سنة نبوية تربوية جميلة، يسعد بها ابنه ويرضي بها ربه ويزيد بها حيله من الخير؛ روى ابن حبان وغيره عن السيدة عائشة - رضي الله عنها - قالت: قدم رسول الله ﷺ من غزوة تبوك أو خيبر وفي سهوتها ستر فهبت ريح فكشفت ناحية الستر عن بنات لعائشة لعب (وفي رواية: قالت دخل علي ﷺ وأنا اللعب باللعب فرقع الستر) فقال: ما هذا يا عائشة؟ قالت: بناتي، ورأى بينهن فرساً له جناحان من رقا، فقال ﷺ: ما هذا الذي أرى وسطهن؟ قالت: فرس، قال ﷺ: وما هذا الذي عليه؟ قالت: جناحان، قال: فرس له جناحان؟ قالت: أما سمعت أن لسليمان خيلاً لها أجنحة، قالت: فضحك ﷺ حتى رأيت نواجذه^(١)، ولقد كانت السيدة عائشة - رضي الله عنها - في غزوة خيبر بنت أربع عشرة سنة إما أكملتها أو جاوزتها أو قاربتها وأما في غزوة تبوك فكانت أكبر من ذلك، وفي الحديث جواز لعب البنات بالعرانس وبيعها لهم لتدريهن على الأمومة^(٢).

وروى البخاري ومسلم عن أنس - رضي الله عنه - قال: كان النبي ﷺ أحسن الناس خلقاً، وكان لي أخ يقال له أبو عمير، قال أحسبه فطيم، وكان إذا جاء قال: «يا أبا عمير ما فعل النغير» نغر كان يلعب به وفي مسند أحمد: عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ كان يدخل على أم سليم، ولها ابن من أبي طلحة يكنى أبا عمير، وكان ييازحه، فدخل عليه فرأه حزينا، فقال ﷺ: ما لي أرى أبا عمير حزينا؟ فقالوا: مات نغره الذي كان يلعب به، فجعل ﷺ يقول: «أبا عمير ما فعل النغير»^(٣)، وفي رواية: فجعل يمسح رأسه ويقول: «أبا عمير ما فعل النغير»^(٤)... قال ابن حجر - رحمه الله - معلقاً على هذا الحديث: الراجح

(١) صحيح ابن حبان ١٣ / ١٧٤، وسنن أبي داود ٤ / ٢٨٣ السنن الكبرى ٥ / ٣٠٦، وقال الأحمدي: الشهوة كالصفة تكون بين يدي البيت، وقال غيره من أهل العلم: الشهوة شبيه بالزف و الطاق يوضع فيه الشيء، قال أبو عبيد: وسعدت غير واحد من أهل اليمن يقولون: الشهوة عندنا بيت صغير منحدر في الأرض ومسكه مرتفع من الأرض شبيه بالخزانة الصغيرة يكون فيها المتاع. الغريب لابن سلام ١ / ٥٠ .

(٢) فتح الباري ١٠ / ٥٢٧ (بصرف).

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل ٣ / ١٨٨، والأدب المفرد ١ / ٢٩٥ .

(٤) فتح الباري ١٠ / ٥٨٣ .

أن النغير طائر أحر المنقار، ولقد عد بعض العلماء في هذا الحديث من وجوه الفقه وفنون الأدب والفائدة ستين وجهًا، وفيه جواز المازحة وتكرير المرح وأنها إباحة سنة لا رخصة، وأن مازحة الصبي الذي لم يميز جائزة وتكرير زيارة المزروح معه، وفيه ترك التكرير والترفع والفرق بين كون الكبير في الطريق فيتوقر أو في البيت فيمزح، وفيه جواز الاستدلال بالعين على حال صاحبها إذ استدل عليه بالخزن الظاهر على الخزن الكامن حتى حكم بأنه حزين فسأل أمه عن حزنه، وفيه التلطف بالصديق صغيرًا كان أو كبيرًا والسؤال عن حاله، وجواز لعب الصغير بالطير وقال القرطبي: الذي رخص فيه للصبي إمساك الطير ليلته به وأما تمكينه من تعذيبه ولا سبها حتى يموت فلم يبيح قط، وجواز ترك الأبوين ولدهما الصغير يلعب بها أبيع اللعب به، وجواز إنفاق المال فيها يتلهم به الصغير من المباحات، وجواز إمساك الطير في القفص ونحوه وقص جناح الطير إذ لا يخلو حال طير أبي عمير من واحد منهما، وفيه أن الكبير إذا زار قومًا وأسى بينهم فإنه صافح أنسا ومازح أبا عمير ونام على فراش أم سليم وصل بهم في بيتهم حتى نالوا كلهم من بركته، وفيه مسح رأس الصغير للملاطفة^(١).

٥) تسمح لأصدقائهم باللعب في بيتك:

روى البخاري عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: كنت ألعب بالبنات (العرائس) عند النبي ﷺ، وكان لي صواحب يلعبن معي، فكان رسول الله ﷺ إذا دخل يتقمن منه (يهرن منه ويتخفين عنه ويدخلن وراء الستر) فيسربهن (يرسلهن) إلي فيلعبن معي، وفي رواية النسائي: عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: كنت ألعب بالبنات، فربما دخل علي رسول ﷺ وصواحباتي عندي، فإذا رأين رسول الله ﷺ فرن، فيقول رسول الله ﷺ كما أنت وكما أنتين^(١)، واستدل العلماء بهذا الحديث على جواز اتخاذ صور (عرائس) البنات واللعب من أجل لعب البنات بهن، وخص ذلك من عموم النهي عن اتخاذ الصور، وبه جزم عياض ونقله عن الجمهور، وأنهم أجازوا بيع اللعب للبنات لتدريهن من صغرهن

(١) فتح الباري ج ١٠ / ٥٨٤ - ٥٨٦.

(٢) السنن الكبرى / ٥ / ٣٠٦.

على أمر بيوتهم وأولادهم^(١).

وإذا دخلت على ابنك يوماً وهو مع أصدقائه، أو مررت به في الطريق أو النادي وهو يلعب معهم؛ فسلم عليهم جميعاً، روى مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: أتى عليّ رسول الله ﷺ وأنا اللعب مع الغلمان، فسلم علينا، فيعثنى إلى حاجة ففقد سلم النبي ﷺ على الصغار اللاعبين قبل أن يطلب من أنس ترك اللعب، فهو يحترمهم ويقر بحقهم في اللعب، وبالفرحة ابنك عندما تأتي لتناديه فتسلم على شركائه في اللعب ثم تدعوه لم نريد، فهذا سيحس ابنك بالزهو وسيزيده مكانة وسط زملائه، بل سيكون هذا رابطاً بينك وبين أقران ابنك فيحترموك ويحبوك ويقدروك، وعندما تفعل ذلك ستري في عيني ابنك بريقاً يقول: هذا الرجل أبي الذي أحبه.

لا تحرمني من دعائك يا أبي

قال رسول الله ﷺ: «ثلاث دعوات لا ترد: دعوة الوالد لولده، ودعوة الصائم، ودعوة المسافر»^(٢).

١) الدعاء له قبل أن يولد:

إن الدعاء للأبناء هي سنة الأنبياء جميعاً، ولقد كانوا أكثر الناس دعاءً لأبنائهم، حتى إنهم دعوا الله تعالى من أجلهم قبل أن يولدوا؛ فهذا سيدنا إبراهيم يرفع الضراعة إلى الله تعالى، طالباً منه سبحانه أن يرزقه أبناء صالحين مصلحين؛ قال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الصافات: ١٠٠] يعني أرزقني ولداً صالحاً، و كانت الاستجابة من الله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠٢] هو سيدنا إسماعيل عليه السلام... وعلى نفس الطريق سار سيدنا زكريا عليه السلام؛ إذ دعا الله تعالى لأبنائه قبل أن يولدوا قائلاً: ﴿...رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [آل عمران: ٣٨]، كما دعا الله

(١) فتح الباري ١٠ / ٥٢٧.

(٢) الحديث حسن: صحيح الجامع للألباني، ج ٣، ٣٠٣٣.

تعالى أن يرزقه ولدًا صالحًا مرضيًا عند الله وعند الناس: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَّ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلَدًا ۗ يَا رَّبِّي إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ بِرَبِّي﴾ (مريم: ١٥، ١٦)، لقد طلب سيدنا زكريا ولدًا صالحًا يرث النبوة من آل يعقوب ويكون راضيًا ومرضيًا عند أهل الأرض وأهل السماء، واستجاب الله دعاه وهملت الملائكة إليه بشرى بالولد والنبي الصالح: ﴿فَنَادَاهُ الْمَلَائِكَةُ هُوَ قَائِمٌ بِصَلَاتِكَ فِي الْحَرَابِ ۗ إِنَّ اللَّهَ يُشْرِكُ بِصَلَاتِكَ مُمْسِدًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾

[آل عمران: ٣٩].

ولم يكتف الأنبياء الكرام بالدعاء لأبنائهم قبل ولادتهم؛ بل ظلوا يتعهدون أبناءهم بالدعوات الصالحة طوال حياتهم، فما هو سيدنا إبراهيم - عليه السلام - يشعر بأهمية الصلاة في حياة المسلم؛ فيدعو الله تعالى قائلا: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِي﴾ (إبراهيم: ٤٠)، ولما ترك زوجته وأنه في مكة دعا الله لهم بقوله: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْتِدَاءَ مَنْ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنْ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ (إبراهيم: ٣٧) ... ولأن بيوت الأنبياء تعرف أهمية الدعاء؛ فقد اشترك سيدنا إبراهيم مع ابنه إسماعيل - عليها السلام - في دعاء واحد وهما بينان الكعبة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۗ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۗ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (البقرة: ١٢٧ - ١٢٩) ... ولأن الأبناء الصالحين يعرفون أهمية دعاء آباؤهم لهم؛ فلقد طلب أبناء سيدنا يعقوب - عليه السلام - من والدهم أن يدعو الله لهم بالمغفرة على ما فعلوه بيوسف وأخيه، وهذا ما أخبرنا به القرآن الكريم؛ حيث قال تعالى حكاية عنهم: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ (يوسف: ٩٧)، وما كان من الأب الحنون إلا أن استجاب لطلبهم، ووعدهم أنه سوف يدعو الله ويستغفره لهم: ﴿قَالَ سَوْفَ اسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (يوسف: ٩٨).

وعلى درب الأنبياء الكرام سار عباد الرحمن، فمن صفاتهم أنهم يدعون الله تعالى أن يخرج من أصلابهم ذرية صالحة، قال تعالى عنهم: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (الفردان: ٧٤)، قال الإمام ابن كثير - رحمه الله - في تفسير هذه الآية: يعنى الذين يسألون الله أن يخرج من أصلابهم من ذرياتهم من يطيعه ويعبده وحده لا شريك له، وفي معنى قرة أعين قال ابن عباس رضي الله عنها: «يعنون»: من يعمل بطاعة الله فتقر به أعينهم في الدنيا والآخرة، وسئل الحسن البصري عن هذه الآية فقال: أن يرى الله العبد المسلم من زوجته ومن أخيه ومن حبيمه طاعة الله لا والله لا شيء أقر لعين المسلم من أن يرى ولدًا أو ولد ولد أو أختًا أو حبيبةً مضيةً لله عز وجل، والمعنى اللغوي لقرة أعين: قرة العين يحتمل أن تكون من القرار ويحتمل أن تكون من القفر وهو الأشهر، والقفر البرد لأن العرب تناذى بالحر وتستريح إلى البرد، وأيضًا فإن دمع السرور بارد ودمع الحزن سخن فمن هذا يقال: أقر الله عينك وأسخر الله عين العدو وقال الشاعر:

فكتم سخنت بالأمس عين قريرة ثم وقرت عيون دمعها اليوم ساكب

فعينك ستقر في برد جميل ويسيل منها دمع السرور البارد بها تراه من صلاح أبنائك في الدنيا والآخرة، قال الضحاك معنى: قرة أعين: أي مطيعين لك يا ربنا، فالإنسان إذا بورك له في ماله وولده قرت عينه بأهله وعياله، حتى إذا كانت عنده زوجة اجتمعت له فيها أمانيه من جمال وعفة ونظر وحوطة، أو كانت عنده ذرية يحافظون على الطاعة معاينون على وظائف الدين والدنيا لم يلتفت إلى زوج أحد ولا إلى ولده فتسكن عينه عن الملاحظة ولا تمتد عينه إلى ما ترى فذلك حين قرة العين وسكون النفس^(١).

٢) الدعاء له يوم أن يولد:

وعندما يدعو الواحد منا أن يرزقه الله تعالى ذرية طيبة، ويهب الله له ولدًا أو بنتًا تبدأ مرحلة جديدة من مراحل الدعاء للأبناء، فعند ميلاد ابنك أو ابنتك تبدأ سرعة اندعاء هم

(١) تفسير ابن كثير ٣ / ٣٣٠، وتفسير القرطبي ١٣ / ٨٢، وتفسير الطبري ١٩ / ٥٢.

تزداد، وهذا ما كان الصحابة الكرام يفعلونه، فما يكاد أحدهم يرزق بمولود، إلا وأسرع نحو النبي لينال دعوة مباركة يبدأ بها مشوار حياته، روى البخاري عن السيدة عائشة - رضي الله عنها - قالت: كان النبي ﷺ يؤتى بالصبيان فيدعو لهم، وفي رواية مسلم: كان يؤتى بالصبيان فيبرك عليهم (يدعو لهم بالبركة) ويحثهم «ومعنى قولها: فيبرك عليهم أى يدعو لهم ويمسح عليهم، وأصل البركة ثبوت الخير وكثرته، وقولها فيحثهم: قال أهل اللغة التحنيك أن يمضغ التمر أو نحوه ثم يذلك به حنك الصغير^(١)، وروى البخاري عن أساءة بن أبي بكر - رضي الله عنها - أنها حملت بعبد الله بن الزبير بمكة، قالت: فخرجت وأنا متم، فأتيت المدينة فنزلت قباء، فولدت بقباء، ثم أتيت به رسول ﷺ فوضعت في حجره، ثم دعا بتمر فمضغها، ثم ثلث في فيه، فكان أول شيء دخل جوفه ريق رسول الله ﷺ، ثم حنكه بالتمر، ثم دعا له وبرك عليه، وكان أول مولود ولد في الإسلام، ففرحوا به فرحاً شديداً، لأنهم قبل هم: إن اليهود قد مسحركم فلا يولد لكم.

ولا يتوقف طلبك الدعاء لأبنائك من الصالحين على يوم مولده فقط، بل يمتد طول حياته، روى الإمام مسلم عن أنس ﷺ قال: جاءت أمي أم أنس إلى رسول الله ﷺ، وقد آزرني (ألبستني إزاراً) بنصف حمارها وردتني (ألبستني رداءً) بنصفه، فقالت: يا رسول الله، هذا أنيس ابني أتيت بك بخدمك فادع الله له، فقال ﷺ: «اللهم أكثر ماله وولده». وفي رواية: «وبارك له فيها أعطيته». قال أنس: فو الله إن ولدي وولد ولدي ليتعادون على نحو المائة اليوم.

٢) تدعوه بظهور الغيب :

كثيراً ما استدعوا لابنك أو ابنتك في شرك وفي سجودك دون أن يعرف، وهذا الدعاء يغيب عنه ولا يعرفه فهذا هو الدعاء بظهور الغيب، وفضله كبير واستجابته مضمومة إن شاء الله؛ وروى مسلم عن صفوان بن عبد الله بن صفوان بن أمية قال: قدمت الشام، فأتيت أبا الدرداء في منزله فلم أجده، ووجدت أم الدرداء، فقالت: أتريد الحج العام؟

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ٣ / ١٩٤.

فقلت: نعم، قالت: فادع الله لنا بخير، فإن النبي ﷺ كان يقول «دعوة المسلم لأخيه، بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه ملك موكل. كلما دعا لأخيه بخير، قال الملك الموكل به: آمين. ولك بمثل»، ومعنى قوله ﷺ: «بظهر الغيب» فمعناه في غيبة المدعو له وفي سره لأنه أبلغ في الإخلاص، ولو دعا لجماعة من المسلمين حصلت هذه الفضيلة، وكان بعض السلف إذا أراد أن يدعو لنفسه يدعو لأخيه المسلم بتلك الدعوة لأنها تستجاب ويحصل له مثلها^(١).

ولقد دعا النبي لكثير من صحابته بظهر الغيب، منهم الغلام عبدالله بن عباس رضي الله عنهما؛ روى البخاري عن عبدالله بن عباس أن النبي ﷺ دخل الحلاء، فوضعت له وضوءاً، قال: من وضع هذا، فأخبر، فقال: «اللهم فقهه في الدين»، وقوله ﷺ في ابن عباس اللهم فقهه فيه فضيلة الفقه واستحباب الدعاء بظهر الغيب واستحباب الدعاء لمن عمل عملاً خيراً مع الإنسان^(٢)، ويستجيب الله تعالى لدعائه لابن عباس ويصير خير الأمة وترجمان القرآن.

إن الدعاء بظهر الغيب يدخل ضمن صلة الرحم قال القرطبي رحمه الله: الرحم التي توصل عامة وخاصة، فالعامة رحم الدين وتجب مواصلتها بالتوادد والتناصح والعدل والإنصاف والقيام بالحقوق الواجبة والمستحبة، وأما الرحم الخاصة فتزيد النفقة على القريب وتقصد أحوالهم والتغافل عن زلاتهم وتتفاوت مراتب استحقاقهم في ذلك الأقرب فالأقرب، وقال ابن أبي حمزة تكون صلة الرحم بالمال وبالعون على الحاجة ويدفع الضرر وبطلاقة الوجه والدعاء، والمعنى الجامع إيصال ما أمكن من الخير ودفع ما أمكن من الشر بحسب الطاقة، وهذا إنما يستمر إذا كان أهل الرحم أهل استقامة، فإن كانوا كفاراً أو فجاراً فمقاطعتهم في الله هي صلتهم بشرط بذل الجهد في وعظهم ثم إعلامهم إذا أصروا أن ذلك بسبب تخلفهم عن الحق، ولا يسقط مع ذلك صلتهم بالدعاء لهم بظهر الغيب أن يعودوا إلى الطريق المثلى^(٣).

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ٤٩ / ١٧.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ٣٧ / ١٦.

(٣) فتح الباري ٤١٨ / ١٠.

٤) تدعو له دعاء يسمعه :

الدعاء لابنك أمامه بصوت يسمعه، يرقن قلبه ويزيد المحبة بينكما، وهو سنة نبوية مباركة؛ روى الطبراني عن إياس بن سلمة عن أبيه قال: أردفني النبي ﷺ مراراً، ومسح برأسي، واستغفر لي ولذريتي عدد ما بيدي من الأصابع، وكم يكون جيلاً أن يسمعك طفلك تدعو له أمام الناس، روى البخاري عن البراء رضي الله عنه قال: رأيت النبي ﷺ والحسن ابن علي علق عاتقه^(١) يقول: «اللهم إني أحبه فأحبه».

٥) تجمع أبناءك وأحفادك وتدعو لهم :

روى الإمام أحمد عن أم سلمة -رضي الله عنها- قالت: بينا رسول الله ﷺ في بيتي يوماً، إذ قال الخادم: إن علياً وفاطمة بالسرقة، فقال لي ﷺ: قومي فتحمي لي عن أهل بيتي، فقممت فتحميت في البيت قريباً، فدخل علي وفاطمة ومعها الحسن والحسين، وهما صبيان صغيران، فأخذ ﷺ الصبيين فوضعهما في حجره فقبلهما، واعتنق علياً بإحدى يديه وفاطمة باليد الأخرى، فقبل فاطمة، وقبل علياً، فأعذق عندهم خميصة سوداء، فقال: اللهم إليك لا إلى النار أنا وأهل بيتي، فقلت: وأنا يا رسول الله؟ قال ﷺ: وأنت.

٦) علم ابنك كيف يدعو :

علم ابنك كيف يرفع يديه بالدعاء، وكن مثل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه الذي كان يعلم أبناءه كيف يرفعون أيديهم إلى السماء؛ يقول مصعب بن سعد بن أبي وقاص: كان سعد يعلمنا حساً يذكرهن عن النبي ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك من البخل، وأعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك من أن أورد إلى أركن العمر، وأعوذ بك من فتنة الدنيا، وأعوذ بك من عذاب القبر»^(٢)، وعندما نتحدث عن تعليم الدعاء لأبنائنا وبناتنا، فإننا لا نقصد الكبار

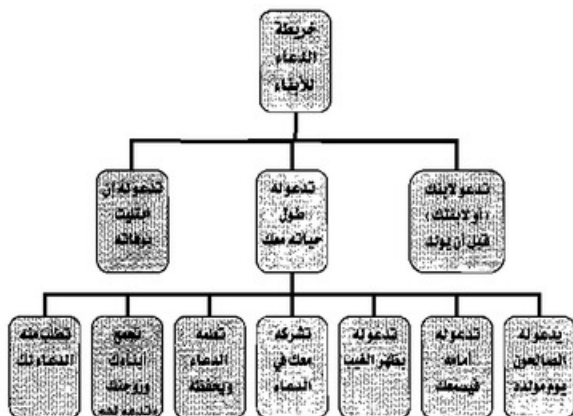
(١) العاتق ما بين الكتف والعتق، والكتف هو ما بين الكتف والعتق.

(٢) رواه أبو يعلى في مسنده (٢ / ٧٢) بسند صحيح.

منهم فقط، لأن تعليم الدعاء للصغير منهج تربوي أصيل، والدليل على أن الصغار يستوعبون الأدعية النبوية المباركة و يمكنهم أن يحفظوها ما رواه الترمذي (٣٢٨ / ٢) والنسائي (٤٥١ / ١) وأبو داود (٦٣ / ٢) وأحمد (٧٢ / ٣) عن الحسن بن علي - رضي الله عنه - أنه قال: علمني رسول الله ﷺ كلمات أقولهن في الوتر (في قنوت الوتر): «اللهم اهدني فيمن هديت، وعافني فيمن عافيت، وتولني فيمن توليت، وبارك لي فيما أعطيت، وقني شر ما قضيت، إنك تقضي ولا يقضى عليك، وإنه لا يذل من واليت، تباركت ربنا وتعاليت»... والمعروف أن النبي ﷺ قد توفي وعمر سينا الحسن بن علي - رضي الله عنهما - حوالي ثمان سنوات^(١)، وهذا معناه أن تعليم النبي ﷺ قد تم في عمر يقل عن الثماني سنوات، وهذا يؤكد أن تعليم الدعاء للصغير منهج تربوي أصيل...



(١) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة ٢ / ٢٤٨، ٢٤٢.



أيها الوالد الكريم، إنها الأم الخنونة؛ إن الدعاء للأبناء يصلح أحوالهم، ويجبر كسرهم، ويعالج أخطأهم؛ ويحميهم من شرور الدنيا والآخرة، فهي بنا نرفع أكف الضراعة لله عز وجل، وتدعوه سبحانه أن يهديهم سواء السبيل، لعل الله يكرم أبناءنا كما أكرم علي بن الفضيل بن عياض رحمه الله؛ فلقد اجتهد والده في تربيته اجتهاداً كبيراً، وكان يأمل أن يكون صالحاً ورعاً تقياً، فدعا الله قائلاً: اللهم إني اجتهدت أن أؤدب علياً فلم أقدر على تاديبه، فأدبه أنت لي، لقد بذل الوالد الحاني كل ما يستطيع - تقريباً - في تربية ولده، واستعان بالله على هذه المهمة الصعبة؛ فكان التوفيق منه سبحانه وتعالى، إذ أصبح علي بن الفضيل بن عياض إماماً كآبيه في العلم والزهد، فقال الإمام النسائي عنه: ثقة مأمون، وقال الحافظ أبو بكر الخطيب: كان من الورع بمحل عظيم، وقال عبد الله بن المبارك يوماً: خير الناس الفضيل بن عياض وخير منه ابنه علي، وعن سفيان بن عيينة قال: ما رأيت أحداً أخوف من الفضيل وابنه.

لقد اجتهد الوالد في تربية ابنه ودعا الله أن يصلحه له، فاستجاب الله دعاءه، وأصبح

الفني عوناً لأبيه علي التقي والزهد والورع؛ بخرجان معاً للصلاة والحج وأعمال الخير، يقيان الليل و بصومان معاً، دون نسيان بقية أهل البيت، فلقد كان بيت خير و صلاح، وهكذا كانت العلاقة بين الابن و أبيه إني أن جاء اليوم الموعود، فلقد فارق علي بن الفضيل الحياة في سنة ثلاث وثمانين ومائة هجرية، ولقد افتقده والده و حزن عليه كثيراً، فها هو الفضيل بعد وفاة ابنه علي يقول: قال لي علي يوماً: أسأل الذي جمعنا في الدنيا أن يجمعنا في الآخرة ثم بكى فلم يزل منكسر القلب حزينا، ثم بكى الفضيل فقال: حبيبي من كان يساعدي على الحزن والبكاء، يا ثمرة قلبي، شكر الله لك ما قد علمه فيك.... وهكذا ظل والده حزينا عليه حتى لحق به بعد بحوالي أربعة أعوام، إذ توفي الفضيل بن عياض - رحمه الله - سنة مائة وسبع وثمانين هجرية، رحمهما الله وأسكنهما فسيح جناته، وألحقنا نحن و أبناءنا بهم علي خير، اللهم آمين^(١).

وفي النهاية نذكرك أيها الأب الكريم وأيتها الأم الحنون بقول رسول الله ﷺ في صحيح مسلم: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به. أو ولد صالح يدعو له»، وفي رواية ابن خزيمة قال ﷺ: «خير ما يخلف المرء بعده ثلاث: ولد صالح يدعو له فيبلغه دعاؤه، أو صدقة تجري فيبلغه أجرها، أو علم يعمل به بعده»^(٢)، ولن يدعو لك بعد موتك إلا من كنت تدعو له في حياتك، وعلى قدر ما يسمعه منك من دعوات سيصلك في قبرك من دعواته، فالدعاء هو خير ذكرى تتركها لأبناتك.

(١) للاستزادة من أخبار الفضيل بن عياض و ابنه علي انظر: البداية و النهاية ١٠ / ١٨٣ / ١٠ / ١٦٨، و تحذيب الكمال ٢١ / من ٩٦ إلى ١٠٥، و حلية الأرباب ٨ / من ٢٩٧ إلى ٣٠٠، و سير أعلام النبلاء ٨ / من ٤٤٢ إلى ٤٤٨.

(٢) صحيح ابن خزيمة للالباني ج ر ٢٤٩٥.

المراجع

- (١) الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي أبو عبد الله ت ٦٧١ هـ، دار الشعب (القاهرة)، الطبعة الثانية ١٣٧٢ هـ، تحقيق أحمد عبد العليم البردوني.
- (٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر ت ٣١٠ هـ، دار الفكر (بيروت) ١٤٠٥ هـ.
- (٣) تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء ت ٧٧٤ هـ، دار الفكر (بيروت) ١٤٠١ هـ.
- (٤) الجامع الصحيح المختصر، أحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجمعي ت ٢٥٦ هـ، دار ابن كثير (بيروت)، الطبعة الثالثة ١٤٠٧ - ١٩٨٧، تحقيق د. مصطفى ديب البغا.
- (٥) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري ت ٢٦١ هـ، دار إحياء التراث العربي (بيروت)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.
- (٦) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي ت ٣٥٤ هـ، مؤسسة الرسالة (بيروت)، الطبعة الثانية ١٤١٤ - ١٩٩٣، تحقيق شعيب الأرنؤوط.
- (٧) صحيح ابن خزيمة، محمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمي النيسابوري ت ٣١١ هـ، المكتب الإسلامي (بيروت)، ١٣٩٠ - ١٩٧٠، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي.
- (٨) الجامع الصحيح سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي ت

- ٢٧٩ هـ، دار إحياء التراث العربي (بيروت)، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرين.
- (٩) موطأ الإمام مالك، مالك بن أنس أبو عبدالله الأصبحي ت ١٧٩ هـ، دار إحياء التراث العربي (مصر)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.
- (١٠) سنن البيهقي الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي ت ٤٥٨ هـ، مكتبة دار الباز (مكة المكرمة)، ١٤١٤ - ١٩٩٤، تحقيق محمد عبد القادر عطا.
- (١١) سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي ت ٢٧٥ هـ، دار الفكر (بيروت)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد.
- (١٢) سنن البيهقي الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي ت ٤٥٨ هـ، مكتبة دار الباز (مكة المكرمة)، ١٤١٤ - ١٩٩٤، تحقيق محمد عبد القادر عطا.
- (١٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني ت ٢٤١ هـ، مؤسسة قرطبة (مصر).
- (١٤) مسند أبي يعلى، أحمد بن علي بن المنثي أبو يعلى الموصلي التميمي ت ٣٠٧ هـ، دار المأمون للتراث (دمشق) الطبعة الأولى ١٤٠٤ - ١٩٨٤، تحقيق حسين سليم أسد.
- (١٥) المستدرک علی الصحیحین، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري ت ٤٠٥ هـ، دار الكتب العلمية (بيروت)، الطبعة الأولى ١٤١١ - ١٩٩٠، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا.
- (١٦) سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني ت ٢٧٥ هـ دار الفكر (بيروت)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.
- (١٧) السنن الكبرى، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي ت ٣٠٣ هـ، دار الكتب العلمية (بيروت)، الطبعة الأولى ١٩٩١ م، تحقيق د. عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن.

- (١٨) سنن الدارقطني، علي بن عمر أبو الحسن الدارقطني البغدادي ت ٣٨٥ هـ، دار المعرفة (بيروت) ١٣٨٦ - ١٩٦٦، تحقيق السيد عبد الله هاشم بياني المدني.
- (١٩) الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، عبد العظيم بن عبد القوي المنذري أبو محمد ت ٦٥٦ هـ، دار الكتب العلمية (بيروت، ١٤١٧ هـ، الطبعة الأولى، تحقيق إبراهيم شمس الدين.
- (٢٠) سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، ٥٧٤ / ٢، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الرياض، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
- (٢١) تلخيص أحكام الجنائز، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف - الرياض، الطبعة: الثالثة - ١٤١٠ هـ.
- (٢٢) غاية المرام في تحريج أحاديث الحلال والحرام، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط ٣، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
- (٢٣) صحيح سنن أبي داود باختصار السند، محمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ط ١، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م.
- (٢٤) صحيح سنن ابن ماجه باختصار السند، محمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج الرياض، ط ٣، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م
- (٢٥) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف (الرياض)، ط ١.
- (٢٦) ضعيف سنن أبي داود، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط ١، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م
- (٢٧) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ت ٨٥٢ هـ، دار المعرفة (بيروت) ٣٧٩١ هـ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقى، محب الدين الخطيب.
- (٢٨) صحيح مسلم بشرح النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي ت ٦٧٦

- هـ، دار إحياء التراث العربي (بيروت)، الطبعة الثانية ١٣٩٢ هـ.
- (٢٩) تحفة الأحوذى بشرح صحيح الترمذى، محمد بن عبد الله بن عبد الرحيم المباركفوري أبو العلا، ت ١٣٥٣ هـ، دار الكتب العلمية (بيروت).
- (٣٠) عون المعبود، محمد شمس الحق العظيم آبادى أبو الطيب، ط ٢، ١٤١٥ هـ، دار الكتب العلمية (بيروت)
- (٣١) البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء ت ٧٧٤، مكتبة المعارف (بيروت).
- (٣٢) صفة الصفوة، عبدالرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج، ت ٥٩٧ هـ، دار المعرفة (بيروت)، ط ٢، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م، تحقيق: محمود فاخوري، د محمد رواس قلعة جي.
- (٣٣) سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله ت ٧٤٨ هـ، مؤسسة الرسالة (بيروت)، الطبعة التاسعة ١٤١٣ هـ، تحقيق شعيب الأرنؤوط، محمد نعيم العرقسومي.
- (٣٤) الوافي بالوفيات، صلاح الدين بن خليل بن أبيك الصفدي، دار إحياء التراث (بيروت)، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، تحقيق: أحمد الأرنؤوط، تركي مصطفى
- (٣٥) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني ت ٤٣٠ هـ، دار الكتاب العربي (بيروت)، الطبعة الرابعة ١٤٠٥ هـ.
- (٣٦) تهذيب الكمال، يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزني ت ٧٤٢ هـ، مؤسسة الرسالة (بيروت)، الطبعة الأولى ١٤٠٠ - ١٩٨٠، تحقيق د. بشار عواد معروف.
- (٣٧) الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، ت ٨٥٢ هـ، دار الجليل (بيروت)، ط ١، ١٤١٢ هـ، تحقيق: علي محمد الجاوي.
- (٣٨) الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البصري الزهري، ت ٢٣٠ هـ، دار صادر (بيروت).

- (٣٩) المنتظم، عبدالرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو الفرج، ت ٥٩٧ هـ، دار صادر (بيروت)، ط ١٣٥٨، ١ هـ.
- (٤٠) نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منقح الأخبار، محمد بن علي بن محمد الشوكاني ت ١٢٥٥ هـ، دار الجليل (بيروت) ١٩٧٣ م.
- (٤١) كشف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس بن إدريس البهوتي، دار الفكر (بيروت) ١٤٠٢ هـ، تحقيق هلال مصيلحي مصطفى هلال.
- (٤٢) روضة الطالبين وعمدة المفتين للنووي، المكتب الإسلامي (بيروت)، الطبعة الثانية ١٤٠١٥ هـ.
- (٤٣) القبل والمعانقة والمصافحة للإمام المحدث أحمد بن محمد بن زياد المعروف بابن الأعرابي ت (٣٤٠ هـ)، تحقيق: مجدي السيد إبراهيم، مكتبة القرآن.
- (٤٤) العشرة الطيبة مع الأولاد وتربيتهم، محمد حسن، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
- (٤٥) منهج التربية النبوية للطفل، محمد نور بن عبد الحفيظ سويد، مكتبة المنار الحديثة (الكويت)، الطبعة الخامسة ١٩٩٤ م.
- (٤٦) علمني أبي - مذكرات طفل، عامر شاخ، دار الصحوة للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
- (٤٧) حوار مع الحفيد، يعقوب الشاروني، وزارة الإعلام سلسلة الثقافة لغة السلام للأطفال والنشء، ٢٠٠٦، ص ٢٨، ٢٩ (بتصرف).
- (٤٨) ٢٠٠٢ طريقة لإظهار حبك لأطفالك، سيندي هاينز، مكتبة جرير، ط ٢، ٢٠٠٦.
- (٤٩) ٥٠١ طريقة لتعزيز ثقة الطفل بنفسه، روبرت د. رامسي، مكتبة جرير، ط ٥، ٢٠٠٦.
- (٥٠) شورية دجاج لحياة الأمهات (١٠١ قصة لرقعة وصفاء وروح الأمهات)، جاك

كانفيلد، مارك فيكتور هانسن، جينيفر ريد هوثرون، مارسى شيموف، وآخرون، مكتبة جرير، ط ١، ٢٠٠٥.

(٥١) شوربة دجاج لحياة الآباء (قصص حب وتعلم وأبوة)، جاك كانفيلد، مارك هانسن، كيمبرلي كيريرجر، رايموند آرون، وآخرون، مكتبة جرير، ط ١، ٢٠٠٢.

(٥٢) شوربة دجاج لحياة الآباء ج ٢، جاك كانفيلد، مارك فيكتور هانسن، جيف أوبري، مارك مونيللي، كريسي دونيللي، وآخرون، مكتبة جرير، ط ١، ٢٠٠٣.

(٥٣) شوربة دجاج لحياة المراهقين ٢ (١٠١ قصة إضافية عن الحياة والحب والمعرفة)، جاك كانفيلد، مارك فيكتور هانسن، كيمبرلي كيريرجر، وآخرون، مكتبة جرير، ط ١، ٢٠٠٥.

(٥٤) نعم من فضلك شكراً، بيني بالمانو، مكتبة جرير، ط ١، ٢٠٠٦.

(٥٥) سر الطفل السعيد، ستيف بيدولف وشارون بيدولف، مكتبة جرير، ط ١، ٢٠٠٤ م.

ومراجع أخرى مثبتة على هوامش الصفحات

الفهرس

٣.....	الإهداء
٥.....	المقدمة

الفصل الأول

ذكريات صنعها الآباء والامهات

١٠.....	تمهيد
١١.....	▪ نقود العائلة.. أكلتها العائلة ..
١٢.....	▪ ومن يومها لم أرسب في امتحان ..
١٢.....	▪ وانفقت مع أبي في الكويت ..
١٣.....	▪ ونفعتني نصيحة أبي بعد عشرين سنة ..
١٤.....	▪ وعاد أبي للبيت عرباناً ..
١٥.....	▪ قلب الأب.. ودعاء الرب ..
١٥.....	▪ أبي كيف كان يودع ابنته؟ ..
١٦.....	▪ أبي.. كيف ربي رجلاً؟ ..
١٦.....	▪ وعدت راكبا الحمار مثل الفاتحين ..
١٧.....	▪ كان أبي يراني.. أجمل عروسة ..
١٧.....	▪ يا ابنتي داري دموع العين ..
١٨.....	▪ ساعطني يا بني فلا املك أجره التاكسي ..
١٨.....	▪ جاكت أبي.. دليل محبة ..
١٩.....	▪ هل للكلمات طعم؟ ..
١٩.....	▪ مشروع الأرناب من أجل الحبايب ..
٢٠.....	▪ جاموسة أبي.. ولبن أطفالي ..
٢٠.....	▪ والد صديقي.. لبيته والذي ..

- لا فتحش المرض.. فطعامنا حلال..... ٢١
- أنا وأبي.. وشيخ المسجد..... ٢١
- المدرسة خير من حفل أبي..... ٢٢
- كيس الرمل وشتائم زميلي..... ٢٢
- أبي.. وبناته التسع..... ٢٣
- وصية أبي في أول يوم بالكثبة..... ٢٣
- أبي.. والبيوت الأربعة..... ٢٣
- تليفون بابا هذا موعده..... ٢٤
- ورحلت أمي قبل الفجر..... ٢٤
- بنت الخامسة والأربعين هل تشعر بقبلة أمها؟..... ٢٥
- وعد أمي متى يتحقق؟..... ٢٥
- وباعت أمي ثوبها من أجلي..... ٢٦
- أمي.. والبطة الخرام..... ٢٦
- وظل الباب مفتوحًا من أجلي..... ٢٧
- حلوى أبي.. تحت الوسادة..... ٢٨
- أمي.. كيف ربت يتيمًا؟..... ٢٨
- أب ٦٥ سنة يا ترى كيف يصالح ابنته الطيبة؟..... ٢٩
- والدي.. والكوفية الصوف..... ٢٩
- أبي.. وطريق المعهد الأزهري..... ٣٠
- حفلة منزلية.. ونحن الضيوف..... ٣١
- نجاح وأبوه واللبس الجديد..... ٣١
- وعلى باب المدرسة بكى أبي..... ٣٢
- أبي تاجر البهائم.. كيف ربّاني؟..... ٣٢
- برد الشتاء يذكرفي دوماً بأمي..... ٣٣
- ألا تريد أن يرضى عنك قلبي قبل أن أموت؟..... ٣٤
- وبعد الجامعة جاءني أبي معتذرًا..... ٣٤

- ٣٥..... قلب أبي أكثر حبا من قلبي.
- ٣٥..... والدي والد ٢٠٠ جنه
- ٣٦..... لله يا ابنتي
- ٣٦..... لبت القيامة تأتي حتى أقابل أمي
- ٣٧..... نظرات أبي الأخيرة
- ٣٧..... هل عندكم مشروع إيماني كبير؟
- ٣٨..... المعصية... ونظرات أمي الحانية
- ٣٩..... أمي.. والكتاكيت العشر
- ٣٩..... أبي يجيني أكثر من زجاج الشباك
- ٤٠..... كيف أترك بصمة حب في قلب أبي؟
- ٤٠..... أبي وسؤال العشاء اليومي
- ٤١..... أم.. وبتنان.. ونصف فدان
- ٤٢..... قراءة التشهد في المنام
- ٤٢..... ومن يومها لم يتحسن خطي
- ٤٢..... راسب أخي.. فصنع أبي له وليمة
- ٤٣..... وعل صدري مات أبي
- ٤٣..... أمي لا تعرف المستحيل
- ٤٤..... وقبل الفجر خرج أبي مقترضا
- ٤٤..... أبي.. وتاريخ الحب الطويل
- ٤٥..... لا أعرف كيف أسامح أمي
- ٤٥..... وسماي أبي وزير التموين
- ٤٦..... حكايتي مع سورة الفجر
- ٤٦..... أعطتني موزتين ورحلت عن الحياة
- ٤٧..... في حقبة العروسة.. مفاجأة من أبيها
- ٤٧..... أمي.. والحذاء.. والطين
- ٤٧..... وتنازل أبي عن حلم حياته من أجلي

- أمي.. والأرغفة العشرة..... ٤٨
- حكاية حجابي القصير..... ٤٨
- لم أقرضهم المال لأطال بهم فجأة..... ٤٩
- لتناول الطعام في بيتنا قانون..... ٤٩
- واكتشفتُ أن أبي أكل فولاً..... ٥٠
- وعشت مع أبي بلا ذكريات..... ٥٠
- وجاءتني أمي لأنها أفضل مني..... ٥١
- أمية.. لكنها أم تتحدى المتعلمين..... ٥١
- وقالت أمي: هذا يوم الوفاء بالوعد..... ٥٢
- وكنا يومها لا نملك العشاء..... ٥٢
- لبتني لم أحزنك يومها يا أبي..... ٥٢
- وفعل أبي يومها ما انتظرتة من أمي..... ٥٣
- مفاجأة أبي زواج سعيد..... ٥٤
- وفي زراعة الأرز دروس كثيرة..... ٥٤
- وعند البلاء يشكر الصابرون..... ٥٥
- أمي.. ساعي يريد بين الأحية..... ٥٥
- وباع أبي ثوبه من أجلي..... ٥٦
- قد يغضب وجهي لكن قلبي يجيك..... ٥٦
- هات العصا التي تحب أن أضربك بها..... ٥٧
- خلافات الكبار كيف تبعد عنها الصغار؟..... ٥٧
- مكائد الزملاء.. اختبار لثقة الأمهات..... ٥٨
- ومن يومها وملابسي في مكانها..... ٥٨
- ما أجمل أن ترحم طفلاً ضعيفاً..... ٥٩
- دروس في الحب من فلاح يزرع الحب..... ٥٩
- كسرت التلفزيون وجرحت المذيعة..... ٦٠
- هل في قلبك رحمة تسع أبناءك التسعة؟..... ٦١

- ٦١..... من يذك يا أبي تحلو الهدايا.
- ٦٢..... وعلى دراجة أبي.. يجلو الاستغفار.
- ٦٢..... أبي.. والصدقات الملقوفة.....
- ٦٢..... أمي.. والشهادة الجامعية الثانية.....
- ٦٣..... أم.. بدرجة ممتاز.....
- ٦٣..... أبي يريد بيتا.. حتى يصلي.....
- ٦٤..... أرسل ما تحب إلى الجنة.....
- ٦٥..... طفل صغير محبوس في السرير.....
- ٦٥..... أبي.. ولغز السجائر العشر.....
- ٦٦..... سرقت من أبي فكأفاني بزيادة المصروف.....
- ٦٦..... أبي.. وحذاء الجيش القاسي.....
- ٦٧..... ومن يومها لم أحفظ آية من كتاب الله.....
- ٦٧..... الملابس المتسخة ومعنى الرحمة.....
- ٦٨..... دعاء أبي الأخير.....
- ٦٨..... وكم تمنيت أن يوقفني أبي.....
- ٦٨..... اليد الصغيرة وصناديق الخير الكثيرة.....
- ٦٩..... أبي.. والطرطور الألماني.....
- ٦٩..... أخيراً قرأتها يا أبا بكر؟.....
- ٧٠..... أبي.. وحكاية العشرة آلاف جنيه.....
- ٧١..... هل دعا عليك أبوك يوماً؟.....
- ٧١..... أمنية أبي الأخيرة ليتني أعرفها.....
- ٧٢..... الأذكار على السرير لها طعم خطير.....
- ٧٢..... خاطرة الفجر والابن المعلم.....
- ٧٣..... هذا الأب كيف أحبه؟.....
- ٧٣..... من حبي لأبي أحببت الوطن.....
- ٧٣..... هدية أبي اليومية قراءتها فوراً.....

- أنت الولد الصالح الذي تركته بعدي ٧٤
- من حبات الفول إلى أبواب الجامعة ٧٤
- من أجلك يا أبي سأكون رجلاً ٧٤
- حفل ضرب جماعي ٧٤
- دوري الرحلات الأبوية ٧٥
- لم يكن أبي بل كان صديقي ٧٥
- رسالة من دار العلوم إلى أبي الحنون ٧٦
- فكرة في المصروف ٧٦
- اللهم أحسن استقبال أبي في الآخرة ٧٧
- ومن أبي تعلمت الورع ٧٧
- عن المغفرة كان أبي يبحث ٧٨
- المفاجأة كانت في حفظة أبي ٧٨
- ٣٠ كيلومترًا.. تشهد على عبة أبي ٧٨
- ومن يومها أشعر بحرارة النار كلما اقتربت من المعصية ٧٩
- ومن ساعتها لم أضع سيجارة في فمي ٨٠
- اللهم أرحم أبي.. فقد كان بنا رحيماً ٨٠
- جاء ماشياً لأعود راكبة ٨١
- لن أترك لأبنائي شيئاً غير دينهم وتعليمهم ٨١
- حب وخصام.. هل هذا كلام؟ ٨٢
- مدرستنا شاهدة على حب أبي ٨٢
- أبي.. دعني أشرب هذه السجارة معك ٨٣
- ربنا! أمرض ابنك ليشفي لك قلبك ٨٣
- أبي.. وفنّ إذاعة الخير ٨٣
- وعند العصر موعظتنا ٨٤
- يا بني.. أطفئ النسر ميكراً ٨٤
- أبي الفلاح معه قلبي يرتاح ٨٥

- ٨٥..... جيراننا والحصان الميت .
- ٨٦..... الألب المحبّ.. هل ينسى ما طلبه أولاده؟
- ٨٦..... ومن يومها أحب النظر في السماء .
- ٨٦..... ويعد القبلّة الثالثة.. مات أبي .
- ٨٧..... ومن يومها أنهت أمي الحوار بيننا .
- ٨٧..... كان يبدأ بأختي.. وكنت دائِمًا الثانية .
- ٨٧..... كلمات أبي الصباحية.. جميلة وزكية..
- ٨٨..... كيف نحسن خط طفلك؟
- ٨٨..... هل ما فعله أبي كان صوابًا؟
- ٨٨..... أبي الفقير.. والطائرة التي تطير .
- ٨٩..... إنه مسجن عند الله تعالى .
- ٨٩..... وترك ابته ميتًا.. ليصل الظهر في جماعة .
- ٩٠..... وتحسنت أحوالي لأجلس على مائدة المصلين .
- ٩٠..... كلمات أبي الصداقة وكنيات الكذابين .
- ٩١..... لن أرمي شعر ابنتي في القمامة .
- ٩٢..... اسجدي ولا ترفعي رأسك حتى تشعري بالرضا .
- ٩٢..... لدخول المطبخ مع أبي طعم آخر .
- ٩٣..... دعاء الصباح.. ربنا يرزقك يا بابا .
- ٩٣..... أبي.. ومسابقة أجل صلاة .
- ٩٤..... الحلوى في البلكونة.. من أبي .
- ٩٤..... أبي.. والشجرة.. ومفتاح البيت .
- ٩٥..... يا بني.. أي لقمة ستشبعك .
- ٩٦..... أضدت كهرباء منزلنا.. فكافأني بشراء بطارية سيارة .
- ٩٦..... أبي.. ومور المستشفى العسكري .
- ٩٧..... القسط الشهري جعل أبي يظلمني .
- ٩٧..... وأصبحت هذه الآية نورًا يضيء حياتي .

- ٩٨... عشرون عامًا.. من أجلك يا بني
- ٩٩... يا بني.. ضع إصبعك في البحر
- ١٠٠... كيف توظف طفلك بطريقة أبي المبدعة؟
- ١٠١... وفي الحفل تحلو دعوات أبي
- ١٠١... وفي الأتوبيس يزداد حب أبي
- ١٠٢... سرير واحد.. وقلب كبير
- ١٠٢... كيف جعلني أبي أحب سيرة النبي ﷺ؟
- ١٠٣... في ضياع القلم.. قصص وحكم
- ١٠٤... رسبت في الامتحانات فهل يعطيني أبي مكافأة؟
- ١٠٥... اللهم خذ أبي وأرسل لنا أبًا طيبًا
- ١٠٦... ابتسامة أبي الأخيرة
- ١٠٦... مظروف أبي السنوي
- ١٠٧... ليعلم أبي في قبره أن له ابنًا يحبه
- ١٠٨... رسالة أبي في علبه السجائر
- ١٠٩... يا بني.. دع غيرك يأخذه
- ١١٠... لو مات أبي.. هل ستموت الحياة معه؟
- ١١٠... ١٥ سنة بين جدران المستشفيات
- ١١١... يا بني.. اقرأ القرآن حتى ترتوي
- ١١١... ماذا تفعل لو كنت مكان أبي؟
- ١١٢... أمي.. والجنينيات الأخيرة
- ١١٣... الصلاة في المسجد وحلوى أبي
- ١١٣... اللهم اقم أجر هذا العمل بيني وبين أبي
- ١١٤... ورحل أبي قبل أن أعطيه الدواء
- ١١٥... هدية النجاح اشتراها أبي قبلها بعام
- ١١٦... ناولتني كوب الشاي.. وسقطت مية
- ١١٦... ابنة راسبة.. وأب حنون

- ١١٧..... ساعتها عرفت أنه أحسن أب
- ١١٧..... إذا مت.. فلا تضعني في قبري
- ١١٧..... عشاء أسرتنا لأصدقائي الضيوف
- ١١٨..... يا ابنتي.. ألتقي شعرك في الضامة
- ١١٨..... هدية أبي السنوية.. قراءتها فورية
- ١١٩..... احترام أبي.. بين طفولتي وشبابي
- ١١٩..... كيس اليونيون.. من أبي الحنون
- ١٢٠..... أحب أن أسمع القرآن منك يا بني
- ١٢٠..... فوق كتفك.. لن أتعب يا أبي
- ١٢١..... كنا نحسد بعضنا على المرض
- ١٢١..... مذكرات طفل.. يكتبها رجل في الأربعين
- ١٢٢..... من الهندسة إلى مصنع الخياطة
- ١٢٣..... هذا غفره الله.. وهذا تقبله الله
- ١٢٣..... أبي الحلاق.. وحذاء الصلاة
- ١٢٤..... يا أولادي.. تعالوا نؤمن بربنا ساعة
- ١٢٤..... كيف صنعت أُمي مني داعية؟
- ١٢٥..... ليت السيارة تصدمني.. لأخذ بعضًا من حبّ أبي
- ١٢٥..... حديث العشاء.. سطر واحد
- ١٢٦..... هل يمكنك أن تترفق بأهلك؟
- ١٢٦..... حضن أبي الأخير على محطة القطار
- ١٢٧..... لقد ربيناك لتكون مدرّسًا
- ١٢٧..... هل القسوة على الأبناء مرض وراثي؟
- ١٢٨..... الفرحة في عيون أبي.. جعلتني متفوقًا
- ١٢٨..... غسالة أئوماتيك.. وقلب محب
- ١٢٩..... أُمي.. ويرميل المشاغبين
- ١٢٩..... أبي.. لقد أنجبت رجلاً

- لن أترك بيتك يا أبي ١٣٠
- اليوم هم أبناؤك.. وغداً يصبحون إخوتك ١٣٠
- هذا الوقت خصص لابني ١٣١
- بعد عشرين سنة عرفت أنه يحبني ١٣١
- كيف أخذ أبي دما غير دمي؟ ١٣٢
- والله ما نسيتهما لك يا أبي ١٣٢
- بيت أبي.. واحة لذوي الأرحام ١٣٣
- وبقي مع أبي جنبه واحد ١٣٤
- يا بني.. لا تذهب حزينا ١٣٤
- أبي.. هل تريد أن تحبطني ؟ ١٣٥
- أمي.. والنقود المعطرة ١٣٦
- غسل الصحنون.. وأمي الحنون ١٣٦
- الصلاة تريح قلبي يا بني ١٣٧
- معني الرجولة.. تعلمته من أبي ١٣٧
- هل الدعاء وحده يمزك الكرة؟ ١٣٧
- لماذا لا أهاب التواجد بين الرجال؟ ١٣٨
- لماذا يفتش أبي في محفظتي؟ ١٣٩
- سبورة أبي خلف الباب ١٣٩
- أصدقاء السوء لن يعيدهم السوء ١٤٠
- وفي النهاية عدت إلى البيت ١٤٠
- أبي.. يمسك بصفارة الحكم ١٤٠
- اختبارات أمي للعريس ١٤١
- أبي.. ورحلة النجاح إلى الأقصر ١٤١
- ابصق على قبري لو نجحت ١٤٢
- رسالة أمي الأخيرة.. على التلاجة ١٤٣
- ذكريات كثيرة وسريعة ١٤٣

الفصل الثاني
ذكريات صنعها الأبناء

- ١٤٩..... تمهيد
- ١٥٠..... عمر.. وحفل الصلاة الأول
- ١٥٢..... رسب في الإنجليزية فتركته يلعب بحرية
- ١٥٢..... الحتام قبل المنام
- ١٥٢..... وسمحت لابني بأن يهرب من المدرسة
- ١٥٣..... زيت الشعر ولمسة الحنان الصائغة
- ١٥٣..... لن تضرب ابني فهو في ذمة الله تعالى
- ١٥٤..... في أي شارع يقع منزلك يا أبي؟
- ١٥٥..... سنزى القمر ونذكر بعضنا بالدعاء
- ١٥٥..... خطاب الحب يقرأه كل من نحب
- ١٥٦..... لن أسامحك يا أمي على سوء ظنك بي
- ١٥٦..... من قال لك توقظني الآن يا حيوان؟
- ١٥٧..... طفلي المسكين.. وكلمات المدرسين
- ١٥٧..... أبوكم في ضائقة مادية
- ١٦٠..... أبي.. بكم تبغني ساعة من وقتك
- ١٦٠..... هل يسمعك الجيران تدعين على أبنائك؟
- ١٦١..... تعلمت من أبي.. ألا أكون مثله أبدًا
- ١٦١..... في تقبيل يد الوالدين سر عجيب
- ١٦٢..... الرمال ماذا تصنع في قلوب الصغار؟
- ١٦٢..... هل أعطيك وردة.. ثم تضربني برجلك؟
- ١٦٣..... حب جديد.. بين أجدد والحفيد
- ١٦٣..... سر كراهية البنات لمطابخ الأمهات

- أطفالي الصغار وحضن الصباح..... ١٦٤
- هكذا تصبح ابنتك ذليلة..... ١٦٤
- ماما.. إشعال ذاتي..... ١٦٤
- ابني في الحلم يقتل أمه..... ١٦٥
- كلام الحب.. له طعم آخر..... ١٦٥
- موعد خاص مع طفلة الروضة..... ١٦٦
- تغيل الجنة مع الصغار.. ماذا يفعل فيهم؟..... ١٦٦
- ابني ٧ سنين.. كيف أحب المساكين؟..... ١٦٧
- سأضرب الوسادة بدلا منكم..... ١٦٧
- هكذا احتفل مع ابني بصلاة التراويح..... ١٦٨
- لن أسافر أبداً وابني نائم..... ١٦٨
- موقف أخرجني جدًّا..... ١٦٩
- سأحبك يا بني كما أنت..... ١٦٩
- أسرار الماضي عندما يحكيها الشباب الصالحون..... ١٧٠
- اللعب بدلا من النقود..... ١٧١
- دورة تنمية بشرية لأبنائي فهل تنجح؟..... ١٧١
- في بريطانيا هل ينفع الدعاء لطفلي؟..... ١٧٢
- جمعية لتحقيق أمنيات الأطفال..... ١٧٢
- وفي السجود وجدت حل مشكلة ابنتي..... ١٧٣
- أنا سعيدة لأنك أبي..... ١٧٤
- بناتي... ومنكر ونكير..... ١٧٤
- وعلى خد طفلي تزول الأحزان..... ١٧٤
- هل سأحمي ابنتي من النار حقًّا؟..... ١٧٥
- وأحسست بالذنب ستين يوماً..... ١٧٥

- الحُبّ في يوم الإجازة ١٧٦
- لمسة حنان غيرتني ١٧٦
- رنة تليفون ابنتي.. يا رب صبرني..... ١٧٧
- عيون لا ترى غير الأخطاء ١٧٧
- ويعد النوم أعتذر لأبنائي ١٧٨
- طفل الثالثة كيف يجب أياه ١٧٨
- ابنتي بين كوب الذلّ وكوب المحبة ١٧٨
- لن أطيعك يا أمي إلا بضرب النار ١٧٩
- وفي الغيبوبة أفاقت روح ابني العظيمة ١٧٩
- بالحنان.. نجح ابني في الامتحان ١٨٠
- سؤالان.. للتواصل وفهم الأقدار ١٨٠
- وتمنيت أن ينطق ابني الرضيع ليقول لي «ساعدتك» ١٨١
- ابنتي الخامسة.. حمل مرفوض ورزق مورود..... ١٨١
- الهروب من الكتاب إلى حظيرة الدجاج ١٨١
- لقد تعلمت... ولكن أمه لم تتعلم ١٨٢
- حفلة منزلية وأسرة مثالية ١٨٢
- شراكة الصغار في تجارة الكبار ١٨٢
- أمي.. هل جئنا الدنيا لكي نذلوننا؟..... ١٨٣
- ربها أمرض ابنك.. ليشفي لك قلبك ١٨٣
- في أزمنة الآباء.. تظهر تربية الأبناء ١٨٥
- يا أمي.. أنت كسرتيني ١٨٥
- ابني الصغير يرد لي الجميل ١٨٦
- أولادي ومسرحية الأب المحبوب ١٨٦
- أبنائي الصغار.. ومطالب أهل النار ١٨٧

- سنين يصلي بلا وضوء ١٨٩
- خمسة أيام في الدنيا ١٨٩
- مشروع صيفي وفيه مكسب قرآني ١٩٠
- ابنتي الصغيرة والمرأة الفقيرة ١٩٠
- ابني الصغير واللقاء الأخير ١٩١
- بالاستغفار جاءنا الطفل المغوار ١٩١
- تسبيحات بعدد زروع حقلنا ١٩٢
- أبنائي وحكايات الماضي ١٩٢
- طفلي ذو العام والنصف كيف ضربته؟ ١٩٣
- وحمدت الله أنني لم أظلمك يا حبيبي ١٩٣
- تفوقت في رعاية أمي.. فتفوقت ابنتي ١٩٤
- عنوان القيلم.. ادع لي يا غالية! ١٩٤
- نصيحة الجد.. اعتذر لابنك فوراً ١٩٥
- واكتشفت أنني أضربها أكثر مما أحضنها ١٩٥
- ذو السبع سنوات كيف عاقبه على السرقة ١٩٦
- أمي.. لا تموتي ١٩٦
- بنت الثمانية أعوام اكتشفت السر ١٩٧
- ما ما.. أنت ستدخلين النار ١٩٧
- أبي.. لن أتناول العشاء بدونك ١٩٨
- أبي.. لا تجعلني أكره تناول الطعام معك ١٩٨
- هل أبتاؤك أحب إليك من الريموت كنترول؟ ١٩٨
- طفلي كيف يرجع ما سرق؟ ١٩٩
- ضربتها.. فمسحت العرق عن وجهي ١٩٩
- تقدمت نحوه من شدة الغضب.. وحضنته ١٩٩

- أبي.. اترك الغضب خارج المنزل..... ٢٠٠
- لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً..... ٢٠٠
- أبي لا تتسرع فقد أكون مظلوماً..... ٢٠١
- هل أنا حقاً أعزّ الناس؟..... ٢٠١
- وخرج طفلي بجاهداً بهاله ونفسه..... ٢٠١
- يوم السور.. رجعت منصوراً..... ٢٠٢
- في نهار رمضان لماذا تنظرون يا أمي؟..... ٢٠٢
- ابنتي.. ورمضان الحمد..... ٢٠٢
- كيف يحفظ القرآن وهو فرحان؟..... ٢٠٣
- الأب الناجح وقصة الصباح..... ٢٠٥
- وقتلت ابني في المنام..... ٢٠٥
- أبنائي.. وكراسة النعم..... ٢٠٥
- معقول يا بابا؟!..... ٢٠٦
- وصارت ابنتي إمام أمها..... ٢٠٦
- هل أنت راضية عني يا ابنتي؟..... ٢٠٦
- ابني ورسومات الأم المتوحشة..... ٢٠٧
- ابني ورسومات الروضة..... ٢٠٧
- لو رأى النبي ﷺ أمك ما قال هذا الحديث..... ٢٠٨
- ابني ولعبة النبي ﷺ..... ٢٠٨
- هذا ما لك عندي يا أبي..... ٢٠٩
- فكرة قبل النوم..... ٢٠٩
- أنا فخور بك يا أبي؟..... ٢٠٩
- ماذا أحضرت لنا يا بابا؟..... ٢١٠
- يا أمي لقد قلت في يوماً.. إنك فاشل..... ٢١١

- ٢١٢ كيف نجا ابني من حادث الاختطاف؟
- ٢١٢ ليس المهم هو الخلق.. المهم هو الخلق
- ٢١٢ كلمة السر التي أكتسبني احترام زوجي
- ٢١٣ ابنتي الخائفة من يطمئن قلبها؟
- ٢١٣ بكم تيعون أباكم لنا؟
- ٢١٤ من يضرب أبي.. سيخرج في رحلة على حسابي
- ٢١٤ هل وعدت ابنتك يوماً.. ولم توف بوعدك؟
- ٢١٤ وفي المدينة المنورة فتحت الحفية
- ٢١٥ أوقف سائق التاكسي ليسأله كم الساعة
- ٢١٥ من الإذاعة المدرسية إلى الإمامة المسجدية
- ٢١٦ أنت يا أبي من جلب تلك المصيبة
- ٢١٦ الشهوة الجنسية وفتح الشهية
- ٢١٧ ابني علمني أربعين يوماً
- ٢١٧ أبنائي الثلاثة ولغز الزجاج المكسور
- ٢١٨ سيساعنا.. هكذا وجدناه
- ٢١٩ قبل أن يكره ابنك الصلاة
- ٢١٩ صورة أبي هل تعوض غيابه؟
- ٢٢٠ ضرب البنات هل يعطي حسنات؟
- ٢٢٠ ذكريات كثيرة وسريعة
- ٢٢١ أين الضجيج العذب والشغب.. قصيدة أب

الفصل الثالث

القواعد الذهبية في صناعة الذكريات الأسرية

- ٢٢٧ تمهيد
- ٢٢٨ القاعدة الأولى: احذر اللقاء الأخير

- ٢٢٩.....حكايات وآهات.. وعبر وعظات
- ٢٣٦.....مكاملة واحدة ستغير حياتك.....
- ٢٣٨.....اللقاء الأخير في حياة محمد ﷺ
- ٢٤٠.....سنن الفراق.. ومراسم اللقاء
- ٢٤٣.....ترطيب الأكياد عند فقد الأولاد.....
- ٢٤٦.....القاعدة الثانية: افتح حسابًا في بنك العواطف الأسرية
- ٢٤٩.....حبينا محمد ﷺ وبنك العواطف
- ٢٥٣.....١٩٠ فكرة للإبداع في بنك العواطف الأسري
- ٢٦٧.....١٠ طرق.. يصبح رصيدك صفرًا.....
- ٢٧٥.....القاعدة الثالثة: كن مربيًا مبدعًا.. وإليك الطريقة
- ٢٧٥.....لا تكن الأب العادي
- ٢٧٦.....كيف تصبح أبًا مبدعًا؟
- ٢٧٧.....(١) الختام قبل المنام
- ٢٧٧.....(٢) اقرأها عندما تكون بمفردك
- ٢٧٩.....(٣) أسرار أطفالنا المخفية تحت الماء
- ٢٨١.....(٤) جدار الذكريات
- ٢٨٢.....(٥) الأحضان لعلاج الأحزان
- ٢٨٣.....(٦) لعبة المساء التي صنعت مبدعًا؟
- ٢٨٤.....(٧) عبارات الحب في غذاء المدرسة
- ٢٨٥.....(٨) يا أمي.. هاتي المكافأة أولاً
- ٢٨٦.....(٩) كيف تقول لابنك «المراهق».. أحبك؟
- ٢٨٨.....(١٠) تبادل الأدوار عندنا في الدار
- ٢٨٨.....(١١) العائلة الشيخ
- ٢٩٠.....(١٢) الاحتفال بيوم الإخفاق

- (١٣) كيف تعالج عصبية طفلك بالمسامير؟ ٢٩١
- (١٤) سؤال العشاء اليومي ٢٩٢
- (١٥) اترك متزلنا وارحل.. كيف تقولها لابنتك؟! ٢٩٤
- (١٦) أبي.. وقلب الشجرة..... ٢٩٥
- (١٧) عشاء أستاذي المفضل ٢٩٧
- (١٨) كيف نتحدث مع طفلك بعد أن تموت؟ ٢٩٨
- (١٩) كيف تحارب عدوك بالحب؟ ٣٠٠
- (٢٠) هدية خاصة للمراهقات ٣٠١
- (٢١) اللقاء الأسري ٣٠٢
- القاعدة الرابعة: حياتك أجل.. بالسنة التربوية ٣٠٤
- القبلة رحمة وتجلب الرحمة ٣٠٤
- (١) قبلة المحبة الدائمة ٣٠٦
- (٢) قبلة الختان والشفقة ٣٠٧
- (٣) قبلة الإعجاب والشكر ٣٠٧
- (٤) قبلة الشوق ٣٠٨
- (٥) قبلة الاعتذار والترضية ٣٠٩
- (٦) قبلة لقاء المسافرين ٣٠٩
- (٧) قبلة الوداع الأخيرة ٣٠٩
- هل دخولك إلى البيت مصدر سعادة لأبنائك ٣١٢
- كيف تدخل بيتك بسلام؟ ٣١٣
- الأب المحروم.. والأب المليونير ٣١٦
- سفر الآباء.. وستن التربية السبعة ٣١٧
- أبي.. لا تجعلني أكره تناول الطعام معك ٣٢٠
- أين تذهب.. خذي معك ٣٢٣

- ٣٢٩..... اللعب النبوي خمسة أشكال
- ٣٢٩..... (١) تضحك معهم وتمامهم
- ٣٣٠..... (٢) تلعب معهم وتجري المسابقات
- ٣٣١..... (٣) تسمح لهم باللعب معك وتمامحتك
- ٣٣٢..... (٤) تحدث معهم عن ألعابهم
- ٣٣٣..... (٥) تسمح لأصدقائهم باللعب في بيتك
- ٣٣٤..... لا تخرمني من دعائك يا أبي
- ٣٣٤..... (١) الدعاء له قبل أن يولد
- ٣٣٦..... (٢) الدعاء له يوم أن يولد
- ٣٣٧..... (٣) تدعو له بظهر الغيب
- ٣٣٩..... (٤) تدعو له دعاء يسمعه
- ٣٣٩..... (٥) تجمع أبناءك وأحفادك وتدعو لهم
- ٣٣٩..... (٦) علم ابنك كيف يدعو
- ٣٤٣..... المراجع
- ٣٤٩..... الفهرس

مطابع دار العبادة والنشر الإسلامية - العاشر من رمضان - المنطقة الصناعية بـ ٢ كوكباتس - ٢١٢٢١٧ - ٢١٢٢١٤
Printed in Egypt by ISLAMIC PRINTING & PUBLISHING Co. Tel.: 015 363314 - 362313
مكتب القاهرة - مدينة نصر ١١٧ ابن خلدون والأندلس ت. ٢١٢٠٢١٢٧ - فاكس: ٢١٤ - ١٩ - ٥٢

